بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الثورة اليمنية . . موازنة بين خيارات العصر

حين نقرأ أدبيات الثورات الكبرى في التاريخ نلاحظ ان ثمة طريقتين للمعالجة : الاولى وتبدأ بتقصي الحقائق التأريخية والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي افضت إلى الثورة . والثانية وتبدأ برص الأفكار والمذاهب الفكرية التي ولدت الثورة . وكلتا الطريقتين تصبان في مسيلة واحدة هي مسيلة الحدث الثوري . . ولكن يظل هناك أمر هام ينبغي للمدققين الوقوف عليه وهو المنهج ، أو زاوية الرؤية وطريقة النظر: فالعلاقة بين الوقائع المادية والفكرية صحيح أنها جدلية ومتلازمة ، ولكن هذه الجدلية لاتسير في إتجاه جبري واحد صعودا أو هبوطا ، وإنما قد تسير في الاتجاهين معاً أو قد تسير في اتجاه هابط حين تتوفر لها ظروف وشروط موضوعية خاصة .

وقد وقفت الثورة اليمنية الخالدة بكل شموخ في صف هذا النمط الكبير من الثورات وتميزت بخصوصية تاريخية واجتماعية ، هي خصوصية المجتمع الذي ولدها بعراقته وأصالته الحضارية . فحين تفجرت الثورة اليمنية عام ١٩٦٢م كانت في البداية حدثا أشبه مايكون بالاساطير التي كان الشعب اليمني يسلي نفسه بها حين تشتد من حوله الازمات . ولكن الامر مالبث ان تحول الى حقيقة ملء السمع والبصر إنها ثورة سبتمبر التي اخذت تمتد وتكبر لتشمل اليمن من أقصاه إلى أقصاه وتصبح حدثا عبقريا في الضمير العالمي .

وكان من الطبيعي أن لايأتي هذا الحدث الثوري الخالد من فراغ وانما من منابع إجتماعية وأيديولوجية وسياسية وإقتصادية ، ظلت تغلي منذ مطلع الثلاثينات في هذا القرن على الاقل ، وتعمل على تغيير تركيب القوى الاجتماعية لتفرز من خلال ذلك قوى جديدة فاعلة في قيادة حركة التغيير .

وقد شكل حدث الثورة تعبيرا تاريخياً عن إنهيار دعائم النظام القديم

وتهدمه من الداخل . فحين اطل عام ١٩٦٢ كانت الايديولوجية المحافظة التي يقوم عليها النظام الملكي القديم قد اخذت تنهار وتتهاوى تحت تأثير عوامل التجديد ودعاوي الحداثة . وقد مس ذلك الانهيار الداخلي كل مكونات البنية الفكرية التقليدية ، من ثقافة وسياسة ، ونظم قيمية دنيويه .

وكذا مكونات البنية الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تتسم بالركود والتخلف . وكان ذلك محصلة بديهية لظهور تطلعات جديدة لشعبنا ممثلا بفئاته المستنيرة في الانفتاح على العالم والخروج من العزلة التي ضربت عليه قرون طويلة .

لقد ظلت احداث التغيير تتراكم وتشكل اطوار نوعية عبر الجمعيات الفكرية والادبية وحركة الاحرار ، وفلسفة التنوير التي قادتها نخبة من مفكري اليمن وثواره إبتداء من مطلع الثلاثينات . وتمثلت في ثلاثة تيارات رئيسية هي حركة التنوير الفكري الادبي ، وحركة التنوير السياسي ، ثم حركة التنوير الاجتماعي . وما لبثت هذه التيارات التنويرية ان افرزت لنفسها ركائز إجتماعية فاعلة استطاعت تحويلها من مجال التفكير المجرد الى حيز الواقع العملي والممارسة الثورية . فكانت حركة ٤٨ و٥٥ تعبيرا عن هذا الاتجاه الثوري التطبيقي ، على الرغم من افتقاره حين ذاك الى عوامل النضوج والاحكام التنظيمي والعملي .

وأستمرت احداث التغيير تتصاعد وتكبر حتى تحولت الى نقلة نوعية هي ثورة ٢٦ سبتمبر التي كانت تتويجا طبيعيا وامتدادا حتميا لمجمل الدعاوي الفكرية المستنيرة والاحداث والتغييرات الجذرية في مجمل البنية الاجتماعية ريفها وحضرها وفي الوطن العربي والعالم . .

كان حدث ثورة سبتمبر اذا اعادة صياغة لمجمل تلك الاحداث وتتويجا جديدا لها ، لتصبح ، بعد ان كانت احداثاً متفرقة تياراً جمهوريا واحداً وحركة ثورية منظمة تمتلك زمام المبادرة في تكوين اول دولة جمهورية في تاريخ اليمن فكان هذا هو العامل الفاعل الذي حول حركة التغيير الى نظام جمهوري له شرعيته ، وفلسفته ودعائمه الايديولوجية ، والطبقية والدفاعية .

وتجسدت فلسفة الثورة اليمنية بوضوح في كل مجالات الحياة في المجتمع اليمني ففي مجال الفكر شكل الحدث الثوري السبتمبري جملة من الانقلابات الجذرية في النظم المعرفية للمجتمع . أما في المجال الاجتماعي فقد قلبت الثورة من أول يوم لها نظام التراتب الجامد للشرائح الاجتماعية التقليدية ، فجاءت أيديولوجية الثورة السبتمبرية صريحة واضحة في انحيازها الكلي لفئات الشعب الدنيا التي وضعها النظام القديم في أسفل الهرم الاجتماعي التقليدي .

وكان لهذا الانحياز مايبرره نظريا وعمليا ، فهو ليس انحيازا جبريا تعسفيا

مدعوما بقوة ايديولوجية وسياسية قهرية، وانما جاء على هيئة خيار ثوري، الهدف منه اعادة التوازن الى التركيب الاجتماعي التقليدي المقلوب، ومنح الفئات المقهورة والفقيرة من أبناء الشعب اليمني فرصه لتعويض حرمانها الطويل من ابسط حقوق الانسان، وعلى رأس كل هذا اعادة الاعتبار لحقها في المواطنه والعيش الكريم.

ولم يكن هذا الشعار الثوري السبتمبري مجرد ادلوجيه مجردة، وانما رافقه التطبيق الفعلي المباشر من جانب حكومة الثورة، فقد وضعت برامج عملها وفقا لمبدأ الحق العام للفئات الفقيرة والعريضة في المجتمع في الحصول على فرص متساوية مع الفئات العليا في كل المرافق: في التعليم والصحة، والاسكان، والغذاء، والعمل، والتدرج الاجتماعي السياسي. ومضت هذه السياسات تتطور سنة بعد اخرى حتى استطاعت الثورة احداث تحولات عميقة الجذور في البنية الاجتماعية الاقتصادية كلها، والغاء أديولوجية التراتب الفئوي القديم، واخلال محتوى الفئوي السلالي الى محتوى جمعي جمهوري قائم على فكرة العدالة الاجتماعية بأنقى صورها..

وفي نفس هذا الاتجاه الصاعد استمرت الثورة السبتمبرية في تنقية اطر الوعي الاجتماعي من مضامينها الغيبية والاسطورية العتيقة واحلال برامج اصلاح وتنوير قائمة على محتوى معرفي عصري، وتفسير علمي لاحداث ووقائع الحياة الفردية والجمعية، انها ثورة داخل الوعي، ووعي داخل الثورة فلم تسر هذه الانجازات بشكل عشوائي، وانما سارت وكأن يدا خفية ترسم لها الاتجاهات وتنظم خط سيرها بصورة لاتسلم تسليما مطلقا بكل ما اتت به الحضارة العصرية، ولا بكل ما تضمنته الحضارة التقليدية..

وبامكاننا العثور على العديد من الشواهد الحية على ذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت الكوارث والمجاعات، والانهيارات الاقتصادية، والامراض والاوبئه حتى الظلم والقهر والعنف السلطوي ترتبط بمفهوم الايديولوجية التقليدية بمسببات ما ورائية يكرسها النظام القديم لحماية وجوده، الى درجة اصبح معها الخروج عليه او الثورة ضده قضية ليس لها تفسيرا اجتماعيا او سياسيا او اقتصاديا وانما خرافيا تتمسح بالدين والدين منه برا، فهو لم يكن سوى نمط غريب في التطبيق السياسي لجوانب الخرافة الشعبية، والاساطير السياسية الموغلة في التخلف..

وقد استطاعت ثورة سبتمبر ان تدحر هذه المفاهيم من بنية الوعي الجمعي ولكن دون اسفاف او تجاوز الحدود والقدرات البشرية المتواضعة، فلقد ظلت الثورة بمثابة عقل رصين قادر على الموازين بين ما ينبغي التفريط به من

مكونات، الوعي، وما ينبغي الحفاظ عليه وتطويره . . وتلك هي الميزة الاساسية الكبرى لثورة سبتمبر عما سواها، من الثورات المعروفة في التاريخ، فلم تفرط ثورتنا بقضية الانتماء الحضاري العربي الاسلامي العريق لشعبنا اليمني حتى في اوج الحركة الثورية حين يغيب العقل وتتحرك العواطف وردود الافعال الغريزية تجاه موروثات التخلف، وعلى وجه الخصوص في اللحظات التاريخية المشحونة بالصراع . .

من هنا جاءت السمة التوازنية للفكر الثوري السبتمبري، من الايمان بالتجديد والحداثة مع، المحافظة على العناصر المشرقة في تراثنا العربي الاسلامي العريق، فقد اخذت الثورة تنقي الفكر الاجتماعي، والوعي الجماهيري مما علق به من شوائب الخرافة والتفسير غير المنطقي لاحداث الوجود فاستطاعت اعادة الوعي الجمعي الى نصابه الانساني القويم، مما يعزي للدنيا فهو للدنيا وما هو لغيرها فلغيرها . . وقد تحقق هذا الهدف المعرفي الكبير عبر سياسات ثقافية واعلامية، وسياسية واجتماعية تدعمها الدولة وتطورها يوما فيوم . .

وكما دحرت الثورة اليمنية كل هذه المضامين الرجعية في الفكر ارست كذلك قواعد اقتصاد وطني حديث وادارة اجتماعية حديثة ايضا، وبدأت تترجم سياساتها الى ارقام من خلال انشاء نظم ضريبية وجمركية وافردت ميزانية خاصة لمصروفات الدولة الثابتة، أو الانفاق العام على مجالات الخدمات العامة وتطوير الحياة المادية والروحية للمجتمع بهدف رفع مستوى الحياة والاعلاء من شأن الانسان . . واسهم هذا التوجه في قلب البنية الاجتماعية القديمة، واحلال نظام عادل جديد يرسي مفهوما جديدا للدولة خاليا من عناصر الموروث السياسي الفاسد . .

وامتدت الانجازات الثورية الى تحديث البنية السياسية بتغيير خريطة التراتب الاجتماعي وقلبها رأسا على عقب . فحين كان النظام القديم ينسب الحق في الحكم والسلطة لفئة اجتماعية محددة دون غيرها اصبحت الايديولوجية السبتمبرية تقضي بان يكون المجتمع بكل فئاته وجماعاته متساويا الحقوق بالواجبات منها حق الحكم والسلطة المكفول لكل مواطن وترجمة الثورة هذا الشعار الى سياسات واقعية في برامج التعليم العام وحق الترقي والحراك الفردي والاجتماعي الحر في نسق سياسي مفتوح تحكمه قوانين العقل وروح الديمقراطية وحضارة القرن العشرين . .

وترتب على هذه الخطوات ارساء قواعد نظام حقوقي مدني يتساوى بموجبه المواطنون في الحقوق والواجبات، ولكن دون التسليم المطلق بالنظم الوضعية والعلمانية المطلقة، بل ظلت الخصوصية التاريخية، والهوية الحضارية

الاسلامية لشعبنا موضع اعتبار واحترام، انها مزاوجة بين الموروث والحداثة لم تنجز بسهولة وانما بشيئ من المعاناة ودقة اختيار رسم السياسات واتخاذ المواقف . . انه العقل الثوري السبتمبري الذي جاء بالقسطاس لا افراط ولا تفريط . .

وأصبحت هذه المعادلة الصعبة اليوم من اهم مميزات الثورة اليمنية على الاطلاق فهي لم تضح بحرية الفرد بمقابل الحرية المزعومة للمجتمع كما انها لم تضح بهذه الاخيرة بمقابل الحرية الفردية المطلقة المزعومة ايضا انها فلسفة وسطية تأخذ من الموروث أحسنه ومن روح العصر ومنجزاته، الحضارية افضلها وجاءت النتيجة توازنا في الحركة المجتمعية واتساقا لم يفض الى هضم فئة ورفع شأن اخرى، تمشيا مع مقولة العدالة الاجتماعية . .

لقد ظلت الثورة اليمنية تخطو للامام بثبات وتحكم لامثيل له في عصرية النظام السياسي، بتأسيس نظام برلماني نيابي حديث يعتمد مبدأ الحرية المطلقة للشعب في اختيار ممثليه البرلمانيين وفقا لمقتضيات التوجه الايديولوجي الذي يقدمه ويجمله الميثاق الوطني . وحتى هذا الحدث الاجتماعي والسياسي الهام في تاريخ اليمن المعاصر، قد سار في نهج تدرجي، راعت فيه الدولة مستويات التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فلم يأت قفزة فوق الواقع ولا ردة للخلف، وانما شكل خطوة منطقية في سلسلة الاحداث المترابطة في التطور السياسي والاجتماعي لليمن الحديث في السعي نحو التنمية الديمقراطية والوحدة اليمنية التي ستظل تشكل غاية سامية تسعى الثورة اليمنية لتحقيقها لاكتمال هويتها ويعني هذا ان ثورة سبتمبر ما تزال تعمل العقل في رسم خط التطور بنظرة قوامها الحفاظ على الذات الحضارية ورفدها بخلاصة التجارب الحديثة في التاريخ السياسي والحضاري، العالمي الجديد، فلم تنفصل الثورة عن جذورها الاجتماعية والتاريخية في الموروث الاجتماعي والحضاري اليمني العربي ولم تظل حبيسة جوانبه المظلمة وفي نفس الوقت ظلت تحافظ على روح الاسلام الحنيف كمنبع استقي منه دستور للدولة وموجه روحي وعقلي لحركة تطور شعبنا . .

وبهذا النهج سارت التغيرات الثورية، واستطاعت الدولة (الجمهورية) تجنب كثير من المزالق التي ماخلت ثورة من الوقوع فيها كالتحيز الايديولوجي لفكر دون اخر وتطويع النظام السياسي لنوع خاص من التفسير الجبري الذي يمنح الحق السياسي لفئة دون اخرى او لطبعة دون غيرها . وكذا تجنب التفريط بالموروث الحضاري والاجتماعي، والثقافي الذي من شأنه اذا ما حدث افراغ الذاكرة الجمعية من هويتها، وبالتالي خلق مجتمع بلا هوية حقيقية . .

هكـذا دفنت الثورة بؤر التناقضات التي تلبست بالدين لتمزيق وحدة الشعب تحت ركام من الوعي الزايف بالذات والتاريخ والدين والحياة ان هذه المـواقف الايديولـوجية والاجتـماعية والاقتصادية نابعة من قضية الاحتكام الى العقل والضمير الجمعي، إنه عقل سبتمبر الذي فرض نفسه وسيطا بين مكونات المجتمـع كله ، وضميرا يقضا يعيد اليه التوازنات كلما اتجه نحو الاختلال . ولكن هذا المسلك الثوري قد ظل يتجه باستمرار نحو تدعيم عوامل التقدم في فكـر الثورة ومنجزاتها فهو لم يتراجع او يفرط بمحتواه السبتمبري كما لم يفرط بهويتـه الحضـارية الاسـلامية . وتلك هي الخصوصية التي امتازت بها الثورة اليمنية، التي يجب ان نقف عندها وقفات جادة مستفيضة ومتأنية لاستخلاص الصبر، ورصد توجيهات المستقبل والمهام المستقبلية التي ماتزال الثورة اليمنية تضعهـا في مقـدمـة اولـوياتهـا، وهي الرهان الحقيقي الذي بتحقيقه تتحقق طموحات شعبنا كله في صنع غد افضل . .

وستظل الثورة اليمنية السبتمبرية ماضية في هذا الدرب، حريصة على الاستمرار في صنع التقدم، حريصة على حماية ذاتها من النشء الحضاري المادي الجاف، أو التقوقع داخل سياج التقليدية بدعوى الحفاظ على الاصالة ليست سوى قناع يخفي وراءه الانهزامية والتراجعية والمصلحة الشخصية فردية أو فئويه وبهـذا النهـج ستبقى سبتمـبر نبراسـا يضيئ للاجيال اليمنية والعربية القادمة الـطريق نحـو صنـع مستقبـل واعد بالخير والنماء والازدهار في افقه التاريخي الانساني العام . .

وانطلاقا من هذا المفهوم التاريخي والعلمي للثورة كأداة جماهيرية للتغيير وضـع الواقع الجديد المتواصل مع كل نقاء موروث او مكتسب تتحمل مجلة الاكليل مسؤليتها الفكرية سواء في ذلك تعاطيها مع التراث من منظور معاصر ثوري ميثاقي حضاري تاريخي، او ترشيدها لمسيرة النضال السبتمبري وتسليطها الاضواء على طريق المستقبل المنشود، وعلى هذا الاساس، فقد تناول هذا العدد شطري المهمـة المـوكلة على عاتق المفكـرين والمثقفـين ايا كانت مواقعهم . . متسمين بالانجازات والعوائق لان ليس المهم ان ننظر الى الخلف لنعرف كم خطوات قطعناها في الطريق الطويل فحسب ولكن ايضا ان نحاكم الحاضر على ضوء الطموحات المستقبلية ونستشرف آفاق المستقبل لنواصل المسيرة بثقة اليقين . .

اليزنيون بين المصادر الكلاسيكية والنقوش

محمد حسين الفرح

بدأ ظهور اليزنيين كتجمع بشري يمني منذ حركة اختلاط القبائل بل الاشعب على الاصح في الهضبة الشرقية وحضرموت بالذات القريبة من البحر العربي والخليج العربي وذلك منذ بدء ظهور النشاط التجاري البحري ومنافسته للطريق التجارية البرية . . وقد بدأ بتحالف اليزنيين مع الجدنيين كقوة تابعة لملوك سبأ وحمير التبابعة بانتهاء العائلة اليزنية المتحدرة من (ملشان اريم) الى عائلة (ضيفي الملكية) بالخؤولة كما يشير الى ذلك بعض الشعراء الجاهليين والمخضرمين مثل قول جلهمة بن العراف الكندي حسب ما اورده الهمداني في الاكليل الجزء الثاني :

لم يدفع الملك عن ضيفي منيته
فملكه صار بعد الموت موروثا
قد كان شمسا على الافاق مشرقة
وتاجه محكما درا وياقوتا

قال الهمداني في الاكليل ايضا : وكان الشعراء تمدح آل ذي يزن لولادة ذهل بن عبد شمس اكثر من مدحهم لهم بالاباء ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي عمرو بن يزيد المجيدي في مدح ابن ذي يزن . .

من فرع كعب وذي اسلم
وعبد شمس جده الاشهر
اعلاه ذهل وبنا بيته
مسامي النجم لمن ينظر

واسلم هذا ابن زيد ابن الحارث ابن مالك الجدني ، ويعتبره الاخباريون الجد الاعلى للجدنيين اخوال العائلة اليزنية وحلفاؤهم وهو اول من حمل لقب ذي جدن ، وامه هي الاميرة ، ريابنت ذهل ابن عبد شمس ابن كعب . .

وقول الشاعر الجاهلي علقمه ابن زيد السحاري الخولاني في قصيدة مدح بها سيف ابن ذي يزن :

تؤم فتى من خير من حملت به
كرائم ذهل والمجيد مجيد
اقب طويل الفرع من بيت اسلم
صبور على رزء الزمان جليد
تكامل فيه منصب لم يلت به
وملك نماه طارف وتليد

الامر الذي يجعلنا ننظر الى رواية الفردوسي في (شاه نامة) باهتمام اكثر حيث قال : ان ملشان أريم (مؤسس الدولة اليزنية) كان قائدا من قواد ملك فارس في غزوته للجزيرة العربية واريتريا ذاكرا معه كذلك اسمين علمين طالما ترددا في الشفاهيات والاساطير اليمنية القديمة ونسب اليهما بناء صنعاء وهما : ازال وأسام ـ سام . .

وعلى كل حال فقد كان لليزنيين قيالة ذات شأن في عصر الاذواء ، والاقيال الذين كانوا يقيمون الممالك القديمة ، ويسقطونها في اليمن (المثامنة) كما كان لهم الدور البارز في الصراع السياسي والاقتصادي العالمي انذاك بين بيزنطة وفارس على تجارة البحر الاحمر والعربي ، والخليج في عصر تجارة الحرير التي ازدهرت منذ الفتح الاسكندري للشرق (٣١٣ ق . م) . .

ولهذا نجد نفوذ اليزنيين مكرسا في الهضبة اليمنية الشرقية وحضرموت وشرق واواسط الجزيرة العربية وعلى الاقل ابان القرن السادس الميلادي حيث كان اسلم ذوجدن من كبار قادة الملك ياسر ينعم ، وذمار على يهبر ، وثاران ينعم وكذلك كان القيل اسعد تألب ووهب ايل حسب ما جاء في النقوش التي منها نقش الملك كرب ايل وتار الاول ملك سبأ بن وهب ايل يحز ملك سبأ وغيره من النقوش . . كما استمرت اذوائية اليزنيين في عصور ملوك سبأ وذي ريدان منذ ياسر ينعم الى شمر يرعش الى ابي كرب اسعد عصر سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات والاعراب كقادة لاعراب سبأ ، كنده ، ومذحج ، وباهل وحرام ، وزيد ايل ومراد وغيرهم من اعراب الجزيرة منذ الملك التبع اسعد الكامل وابنه حسان وشرحبيل يعفر وصولا الى معد كرب يعفر ابن سميفع اشوع ابناء لحيقه يزخم الذي انتهى عهده في اواخر القرن السادس ابان الصراع اليمني الاكسومي او بالاصح البيزنطي الفارسي وهو ما عرف بعصر الممالك الصغيرة (انظر نقش عبدان الكبير) وقد صارت فيه مدينة عبدان في العوالق العليا مركزا سياسيا للاذواء اليزنيين ينافس قصر ذي ريدان وسلحين بل طغى اسم ذي يزأن على ذي ريدان بعد ان طغى على حليفه التقليدي المرادف له في النقوش القديمة وهو ذو جدن . .

كما صار يجمع بين الكلاعيين واليزنيين في القرن السادس بعد سقوط دولة اليمن الموحدة على يد الاحباش بموت الملك يوسف أسار يثار (٥٢٧ ب . م) وهزيمة من بقي معه من جيشه من الحميريين والرحبيين كتحالف امتد نفوذه من الشرق على شواطئ البحر العربي الى الركب والاشاعر على شاطئ البحر الاحمر من الغرب ، واذا نظرنا الى المدلول اللغوي لكلمة (يزأن) التي خففت فيما بعد فصارت (يزن) لاضفنا قرينة اخرى الى القرائن السابقة التي اوردها الهمداني والفردوسي وهي (يزأن يساعد ـ يمد ـ يدعم) كما جاء في النقوش اليمنية التي هي اقدم من نقش عبدان بقرون والتي جاءت في سياق التوسل مثل : وليزأن المقه ـ عثتر ـ أدمه ـ وليزأن عثتر هوفينهو ـ وليزأن تالب سعده ، وهي مشتقة من جذر المصدر (وزأ) مما يشير بوضوح الى ان (ملشان اريم) جد العائلة اليزنية قد جاء على رأس حملة مساعده او دافعة للتغلغل الحبشي البيزنطي في البحر الاحمر والشريط الساحلي وبعض المناطق الجنوبية الغربية من اليمن وحتى ارتيريا ، علما بان النقوش القديمة على عهد اليزنيين قد خلت من ذكرهم تماما سواء في شكل افراد او مجموعة مما يشير ان وجودهم فيما بعد كان طارئا ومسببا باحتدام الصراع الدولي بين العملاقين (الروم وفارس) الذي ارتبط بالصراع الطائفي بين المسيحية واليهودية لا في اليمن فحسب ولكن في منطقة الشرق العربي بما في ذلك بلاد فارس ، وتصنف الصراع في المنطقة العربية في اطار النفوذ والسلطان الاعلى لكل من الامبراطورية الرومانية التي عملت على نشر المسيحية وبعث الدعاة الغساسنة لنشرها في ارجائها . .

بحيث اعتنق الملك عبد كلال والملك اذينه وغيرهما المسيحية ـ عام ٣٣٧/٣٤٠م ـ وأصبحت المسيحية الدين الرسمي في دولتيهما (غرب اليمن ، اكسوم) اما بالنسبة للنعمان الاكبر ـ ملك الحيرة ـ فما لبث ان اعتزل الحكم ـ بعد اعتناقه المسيحية ـ وغادر الحيرة الى مكان مجهول ـ وفي وقت لاحق تولى عرش الحيرة ابنه الملك المنذر الاكبر في اطار التحالف مع الامبراطورية الفارسية . .

ومن المهم الاشارة الى الخلفية السياسية لمسألة نشر ـ واعتناق ـ المسيحية حيث اقترن ذلك بنوع من التحالف مع الامبراطورية الرومانية والاستفادة من مزايا ذلك التحالف السياسي ـ الديني وهي المزايا التي كان الملك عبدكلال بحاجة اليها لمواجهة الحملات اليزنية التي قادها ملشان اريم ذويزن وأبناؤه معه وبعده على مناطق السرو وتهامة ـ كما ذكر نقش عبدان الكبير ـ وقد سجلت النقوش الاكسومية قيام الملك اذينه بإرسال قوات اليمن استمرت فيها الى حوالي عام ٣٧٤م (١) وكانت تلك القوات لدعم الملك عبدكلال ودولته المسيحية في مناطق غرب اليمن ـ خاصة تهامة والسواحل التي تمثل أهمية تجارية بالنسبة للرومان ـ فلما تم التصالح والسلام بين الدولتين الحميريتين (الرعينية المسيحية ، واليزنية الشرقية) اثناء التصالح بين الروم والفرس عادت تلك القوات الى اكسوم (الحبشة) وذلك في اواخر عهد الملك عبدكلال الذي استمر حكمه نحو ٧٠ سنة ـ وقيل ٩٠ سنة ـ وقد ذكره نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير حيث قال :ـ

ام ابن عبدكلال الماضي على دين المسيح الطاهر المساح

● ثم تولى عرش الدولة الحميرية الرعينية (غرب اليمن) ابنه مرثد بن عبد كلال ثم وليعه بن مرثد بن عبدكلال ـ كما هو مذكور في مروج الذهب وابن خلدون والهمداني ـ ثم حدث اضطراب سياسي في اواسط القرن الخامس الميلادي ـ بعد عهد وليعه ، حيث تولى عرش الدولة الرعينية الملك عبدكلال الثاني ثم ابنه الملك فهد الثاني بن عبدكلال الثاني ، وكان نازعهما الملك اذواء من رعين (بني الحارث بن شرحبيل ابن ذي رعين) حيث استبد الأملوك يعفر بن الحارث ببعض المناطق ، ومن بعده (ذونات بن عريب بن الحارث بن شرحبيل) وربما اخرون ايضا . . وفي تلك الفترة المضطربة ، وتأييدا لهذا الفريق او ذاك ، كان للشعراء دورهم ، وكان للشعر مواقفه التي وصلنا منها القليل ، ففي مدح (بني شرحبيل) الاملوك قال الشاعر حجية بن مضرب السكوني المعافري ، و(كان ـ كما في كتاب الامالي ـ سيدا مقدما وشاعرا محسنا في الجاهلية) (٢) قال حجية قصيدة منها :ـ

اذا كنت سألا عن المجد والعلا
وابن العطاء الجزل والنائل الغمر
فنقب عن الاملوك واهتف بيعفر
وعش دار عز لايغالبه الدهر
اولئك قوم شيد الله فخرهم
فمافوقه فخر وان عظم الفخر
سموا في المعالي رتبة فوق رتبة
احلتهم حيث النعائم والنسر
أضاءت لهم احسابهم فتضاءلت
لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلو لامس الصخر الاصم اكفهم
لفاضت ينابيع الندى ذلك الصخر

وفي الجانب الاخر نجد شاعرا اسمه جندل ، يقول مادحا الملك فهد بن عبد كلال قصيدة منها :ـ

الا إن خير الناس كلهم فهد
وعبدكلال خير سائر هم بعد
هما قمرا ملك سليلا مكارم
وفيا عهود عندما ينكث العهد
وماذا عن ملك المقاول تبع
زيادهما لما وهي منه ماشدوا
فقاما بها اعيا قبائل حمير
وشدا فتوق الوهى اذ بلغ الجهد
فعبد كلال خير حمير كلها
على رغم من عادى ورجهم فهد

واستقرت الاحوال في الدولة الرعينية (غرب اليمن) التي تولى عرشها بعد الملك فهد ـ في اواخر القرن الخامس الميلادي ـ الملك الحارث بن عبدكلال الثاني ، وكان الحارث هو الملك بمدينة ظفار حين افتتحها اليزنيون وسقطت الدولة الحميرية والرعينية المسيحية على يد الدولة الحميرية اليزنية وملكها يوسف اسأر اليزني عام ٥١٥ ميلادية . .

● وكانت الدولة اليزنية قد تولى رئاستها بعد الزعيم ملشان ذي يزن ابناؤه : خولى (ذو الشوذب) وشرحبيل (وأغلس وسبيع) [وقد جاء ذكر أغلس كمشترك قبلي وذلك في النقوش القديمة التي تسبق تاريخ وجود ملشان اريم بعدة قرون] (الاكليل) وكان حكمهم مشتركا ، وقد ورد ذكر (سبيع) في واقعة الصلح اليزني الرعيني ، حيث مثل سبيع الدولة اليزنية ومثل (ميثم بن مثوب بن ذي رعين ـ شقيق الملك عبد كلال) الدولة الرعينية ، ولتلك الواقعة قصة أدبية واشعار في كتاب الامالي (٣) . .

وأما اغلس (علس) بن ملشان ذي يزن ، فكان شاعرا ، وقد سلف نص كتاب الاغاني عنه بانه (ملك من ملوك حمير) واورد له كتاب الاغاني بيتين من الشعر ـ هما غالبا مطلع قصيدة ـ وهما :ـ

مابال اهلك ياربابِ خزرا كأنهم غضاب
ان زرت اهلك اوعدوا وتهر دونهم الكلاب

وكان اهم ابناء ملشان (الشخصية الاولى) هو (خولي بن ملشان) ـ كما في النقش ـ وكان يلقب بذي الشوذب وقد ذكره الصحابي الشاعر النعمان بن بشير

الانصاري في قصيدة افتخر فيها بعظماء ملوك اليمن ، حيث قال فيها :ـ

ومنا ملوك النـاس فهـد وتبـع
وعبـدكلال والقـروم القمـاقم
وحسـان ذو الشعـبين منـا ويـرعـش
وذويزن تلك البحار الخضـارم
وذو الشوذب السمح الذي كان قد علا
تصان له حور النساء النواعم

كما ذكـره نشـوان في قصيدته عن ملوك حمير ، حيث قال :ـ
أم أين ذوغيمان أو ذو شوذب اللاهي ببيض في النساء ملاح . .
وانتقلت الـرئاسة بعد ابناء ملشان الى الاحفاد منهم ـ في نقش عبـدان ـ معـد كرب ذي يزن وتذكر المصـادر التاريخية العربية اخاه (وابن عمه) أساس ، وابنه (شرحبيل بن أساس) ثم (ذوقيفان بن شرحبيل بن أساس) وقال ابن خلدون (ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن) ـ وهو ملك مشهور في كتب التاريخ والتراث العـربي ـ ولعله ابن الـزعيم (بـريل ذويزن) صاحب النقش (٣٨ ينبق) وقـد انفرد (بريل ذويزن) بالرئاسة اليزنية ثم يأتي بعده (ذوقيفان) ـ قال المسعودي في مروج الذهب (وكان ملكه سبع عشرة سنة) وأنتقلت الرئاسة الى ابنائه وأشهرهم في المصادر العربية : ذو بيح بن ذي قيفان) وفي عهدهم اضطربت الاوضاع السياسية كما يوحي بذلـك النقش اليزني (R.5085) المؤرخ بما يوافـق عام ٤٤٥ ميلادية حيث ينـطق النقش باسرة جدنية يزنية جديدة تشترك مع الرؤساء من سلالة ملشان (اي من ابناء ذي قيفان غالبا) تشترك معهم في رئاسة الدولة ، وهذه الاسرة الجديدة هم بنو غمران (٤) كما أن النقش جاء خاليا من ذكر مناطق من المشرق كانت في النقوش السابقة تحت سلطان رؤساء الدولة اليزنية ، مما يدل على خروجها في فترة النقش ـ عام ٤٤٥م ـ وقبيل ذلك عن سلطات الدولة المركزية . .

● وكـانت تلك المنـاطق التي من ضمنهـا (البيضـاء /موكل) وقد انفصلت ـ كما يستفاد من المصادر العربية ـ كدولة بزعامة الصباح بن شرحبيل بن لهيعة بن مرثد الخير ، وهو ـ اي الصباح ـ الذي باسمه سميت منطقة ـ مخلاف ـ صباح وكان اتخذ مدينتها (موكل) عاصمة ومـركـزا لدولتـه . . قال الهمداني (وكان ـ الصباح ذا فضل ، ثم ملك بعده ابنه ابرهة بن الصباح) (٥) وكان الملك الصبـاح ممن يضرب بهم المثـل كقـول قس بن ساعده عنه :ـ

وعلى الذي كانت بموكل داره
يهب القيان وكل اجرد شاح

وقول النابغة الذبيان :ـ

ولقد نرى ان الذي هو غالهم
قد بز حمير قيلها الصباحا

قال المسعودي في مروج الذهب (ثم ملك ابرهة بن الصباح ، وكان علامة وله سير مدونة) (٦) وكذلك ذكره ابن خلدون وقال (كانت له سير وقصص) (ص ٥٨ ، ٦٠ جـ٢) ـ المبتـدأ والخبر) وذكر ابن نشوان في السيرة الجامعة (انه كان ملكا عظيما جوادا) وفيه قال لبيد :

وغلبن ابرهة الذي الفينه
قد كان يخلد فوق غرفة موكل

وقد أورد الهمداني في الاكليل اشعارا كثيرة قيلت فيه (ص١٥٨ جـ٢ ـ الاكليل) وذكر ـ في الدامغة انه)ملك بعده حسان بن عمرو) وهو (حسان بن غمران اليزني الجـدني) فقـد ذكـرنا ان «بني غمران» اصبحوا رؤساء للدولة اليزنية الى جانب بني ملشان كما في النقش (R. 5085) المؤرخ بعام ٤٤٥ ميلادية ، ويبدو انهم مالبثوا ان انفردوا بالرئاسة التي تولاها حسان بن غمران ـ ومعه غالبا ـ اخوته ـ وابناء أخيه ـ وهم كما يستفاد من التحقيق في المصـادر العـربية الحارث (بن) زرعه بن غمران وهو الملقب بهاتك عرشه واخوه جذيمة الوضاح بن زرعة بن غمران ، وقد ذكرتها اشعار كثيرة ثم تولى رئاسة الدولة اليزنية الملك عمرو بن حسان بن غمران ، ودانت له سائر ارجاء الدولة (حيث انتهت دولة الصباح في موكـل ودخلت تحت سلطانـه) . . وتشير روايات مختلفة الى ان سلطانه امتد الى نجد والحجاز وكانت له

حروب هناك ولما تتضح لنا واقعة مقتله ، وما اذا كان الزعيم (لحيعة يرخم) ـ الذي تولى الملك بعده ـ علاقة بمقتله . . كما يوحي قول الاكليل عن لحيعة انه (وثب على ملك آل حسان) (ص ١٤٢ ج ٢ ـ الاكليل) اي ملك (آل حسان بن غمران اليزني الجدني ولم يكن لحيعة ـ كما تبين من دراساتنا ـ بعيدا من الاسرة فهو ابن شقيق غمران ، ولكن الرئاسة كانت في بني غمران (حسان ـ عمرو) ثم بمقتل عمرو بن حسان اصبح لحيعة يرخم ـ ومعه أبناؤه ـ على رأس الدولة الحميرية اليزنية ، وقد اشتهر لحيعة ـ في المصادر العربية ـ بلقب ذي شناتر ، ويتبين من النقوش انه حكم قبل عام ٥٨٠ ميلادية ثم انتقلت الرئاسة الى ابنائه الذين لدينا من عهدهم نقش مؤرخ بعـام ٥٨٠ ميلادية ونقش مؤرخ بعـام ٥٨١ ميلادية تم العثور عليه في موقع حزمة ابي ثور بالجوف (٧) ويتصدر النقشين اسم (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم ذي يزن وجدن) وكان شرحبيل يكمل الشخصية الرئيسية ـ الحاكم الاعلى ـ الى جانب اخوته المذكورين في النقش مع ابنيه (سميفع اشوع ولحيعة يرخم ـ الثاني ـ بني شرحبيل يكمـل) ثم انتقلت الـرئـاسة الى ابنيه (سميفع ولحيعة) حيث نجدهما على راس الدولة اليزنية عام ٥١٠ ميلادية (النقش رقم ٤٧ ينبق) . .

● وفيما بين عام ٥١٠ و٥١٥ ميلادية تـنازل سميفـع ولحيعة عن الرئاسة ليوسف اسار بن ـ زرعة بن عمرو بن حسـان بن غمران ـ واكتفيا بأن يكونا من كبار اركان عهده وقواد جيوشه التي اشتركا في قيادتها للقضاء على الدولة الرعينية المسيحية واعادة توحيد اليمن الطبيعية عام ٥١٥م . .

وكان الصراع قد اندلع بين الدولتين ـ منذ عام ٤٨١م ـ حيث تمكن اليزنيون من مد سلطانهم الى تهامة وغـيرهـا من مناطق الدولة الرعينية ، فاستعان ملكها (الحـارث بن عبـدكـلال الثاني) بحلفائه الاكسوميين واستعـاد تلك المنـاطق ، وتمـركـزت ـ مع قواته قوات اكسـومية في عدة مناطق منها مدينة ظفار (العاصمة) حتى اكتسحتها القـوات اليزنية ـ عام ٥١٥م بقيادة يوسف أسار الذي حمل في نقوش عهده لقب (ملك كل الشعوب) (٨) وتوحدت تحت سلطانه الجزيرة العربية بل امتـد نفـوذه الى الحـيرة التي كان عليها ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي) وباتت دولته الغربية تهديدا حقيقيا وفعليا للامـبراطورية الرومانية في عقر دارها ، وشهـدت المنـطقـة بأسرهـا احـداثـا تاريخية كبرى استقصيناها في دراسة خاصة عن عهد (يوسف اسار ملك كل الشعوب) الذي استمر عهده الى عام ٥٢٥ ميلادية حث وقع الغزو الحبشي الروماني الصليبي على اليمن وهو الغزو الذي توهم كثير من الرواة والدارسين بان الاحتلال الحبشي باليمن بدأ به عام ٥٢٥م ، بينما الحقيقة ان ذلك الغزو تم القضاء عليه في ذات العام على يد الزعيم الملك سميفع ذي يزن وجدن ، وتعاقبت بعد ذلك احداث تاريخ اليمن حتى عهد سيف بن ذي يزن كما نوجزها فيما يلي تحقيقا للفائدة . .

أولا : عهد السميفع ذي يزن . . والقضاء على الغزو الحبشي ـ الروماني الاول :ـ

من الاخطاء الشائعة عن التاريخ اليمني الظن ، والقول بان الاحتلال الحبشي باليمن بدأ بالغزو الحبشي الروماني الذي استشهد فيه الملك يوسف اسار ـ المشهور بذي نواس ـ وهـو يصده عام ٥٢٥ ميلادية ، بينما ا لحقيقة خلاف ذلك فقد تم القضاء على ذلك الغزو في ذات العام (٥٢٥م) على يد السميفع ذي يزن وجدن وتولى السميفع حكم اليمن حتى وقع الغزو الثاني الذي بدأ به الاحتلال الحبشي باليمن عام ٥٣٣ ميلادية . .

ان واقعـة القضـاء على الغـزو الاول وعهـد السميفع (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) هي من الوقائع والعهود التي اعيا الـدارسـين ادراكهـا رغم وجـود النقوش والوثائق والنصوص التاريخية التي نطقت بها ، لذلك نتطرق اليها والى عهد السميفع (جد سيف ابن ذي يزن) بايجاز . .

● ففي عام ٥٢٥ ميلادية قاد الملك الاكسومي الحبشي (كـالـب) عملية غزو اليمن التي سبقتهـا اتصـالات وتحركات رومانية ومسيحية بحيث (هاج العالم المسيحي وماج ، وبدأت الاتصالات تعد لاول حرب صليبية في التاريخ (٩) وقام كبار الاساقفة (الرهبان) بدور أساسي (من اجل تنسيق الجهود المسيحية) ومنهم (الاسقف سمعـان اسقف القدس) وبطريرك الاسكندرية الانبا ثيموثاوس الثالث ـ المنصوب عام ٥١٨/٥١٩م ـ وكان الى جانب دوره في التحريض ـ بمثابة وسيط في الاتصال بين الامبراطور الروماني جوستيان Justin The First والملك الحبشي كالب) (بل) وقام بارسال بعثة

من القسس الى الملك كالب لاقناعه بالغزو مع وعد بارسال فرق من الجنود البليميين والنوبيين للاشتراك في الغزو (١٠) وكذلك كان (الانبايوتروبيوس) صاحب دور أساسي في اقناع الملك كالب بالغزو على ان تقوم الامبراطورية الرومانية ـ وبقية القوى المسيحية ـ بالدعم المادي ـ العسكري ـ اللازم ، وبوصول الدعم الروماني ـ الذي اشتمل على عدد كبير من السفن الرومانية مع جنودها الى ميناء (جيز) الحبشي الذي احتشدت فيه قوات الغزو (بدلا عن ميناء عدول ، وذلك لاحاطة الاستعدادات بشيء من السرية بعيدا عن (عدول) الميناء التجاري الذي يتردد عليه التجار والسفن) بوصول الدعم الروماني المسيحي انطلقت سفن الغزو الى ساحل اليمن ـ وكان عددها (٢٣٠ سفينة) ـ بقيادة الملك كالب ومعه عدد ـ غير قليل ـ من كبار الرهبان ـ القساوسة) والقادة الرومان (الحمر) فلما علم الملك يوسف أسار بالغزو نطلق على رأس قوة محدودة لصد الغزاة (حيث لم يدرك حجم القوات الغازية ولم يستنفر كل جيوشه التى كانت متفرقة في ارجاء الجزيرة العربية) فدارت ـ على الساحل اليمني ـ معركة بين الغزاة والقوة اليمنية المحدودة التي ادرك يوسف أسار انها لن تتمكن من صد وهزيمة الغزاة وان مصيره سيكون إما القتل على يد الغزاة ـ فيكون لهم شرف قتله ـ إما الاسر والخضوع للاحباش (السود) والرومان (الحمر) فلما تيقن يوسف اسار من تفوق الغزاة وأدرك (ألاطاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقتحمه فكان اخر العهد به) (١١)

وفي فعله ذاك ، قال الشاعر اليمني الجاهلي علقمة ابن ذي جدن في قصيدة له بعد النكبه :ـ

أوما سمعت بقيل حمير يوسف
اكل الثعالف لحمه لم يقبر
ورأى بان الموت خير عنده
من ان يدين لاسود ولا حمر

والثعالف (الحيتان) والمقصود بالاسود (الاحباش) وبالاحمر (الرومان) ولوصف الرومان بالاحمر (الحمر) ـ في البيت ـ اهمية خاصة ـ لانه الوصف الذي سيصفهم به نقش السميفع . .

● ففي عام ١٨٣٤ ميلادية عثر ضابط بحري انجليزي ـ اسمه ولستد ـ على نقش يتكون من عشرة اسطر (١٢) في موقع الحصن المعروف حاليا باسم حصن الغراب بالشاطىء اليمني الجنوبي ـ امام بلدة بير علي ـ وقد اكتسب ذلك النقش اهمية كبيرة لانه كان اول نقش يمني طويل وكامل يعثر عليه ، اما اهمية مضمونه ومنطوقه فلم يتم ادراكها ـ ولو نسبيا ـ الا في بعض الدراسات المتأخرة عن تاريخ اليمن القديم ، وهي دراسات احتار اصحابها في تكييف الواقعه التي سجلها النقش وفي تكييف وضع صاحب النقش الملك السميفع ذي يزن وجدن ، وفي ربط ـ وفهم ـ تاريخ اليمن لتلك الفترة وما تلاها . .

فماذا يقول ذلك النقش المؤرخ بشهر ذي خجتن سنة ٦٤٠ للتقويم الحميري الاخير / ٥٢٥ ميلادية . .

١ ـ يذكر النقش انه تمت كتابته في اعقاب عودة سميفع . . ومن معه ـ من الحبشه ، بعد ان قام الاحباش بغزو ارض حمير فقتلوا ملكهم وقادته (ارحبن / واحمرن) وهزموهم . .

٢ ـ ويذكر النقش مناطق اليمن التي هي تحت سلطان سميفع وتمتد من عمان (سأكل) شرقا الى الركب (تهامة ـ ساحل البحر الاحمر غربا) شاملة لضعف اليمن الطبيعية على الاقل!!

● ويؤكد ذلك ان المصادر الرومانية (بروكوبيس) تذكر السميفع انه اصبح ملك اليمن واستمر حكمه الى عام ٥٣٣م وقد أوردت اسمه بلفظ (Esimifaeos) سميفيوس (١٣) وذكرت قيامه بقطع طريق التجار البحرية على الرومان ـ في البحر العربي والاحمر ـ وصولا الى واقعة الهجوم على سفينة رومانية وقتل من كان بها ، مما ادى الى الغزو الثاني عام ٥٣٣م وهو الغزو الذي لم يتنبه اولئك الدارسون الى وقوعه والى ان الاحتلال الحبشي باليمن انما وقع بعده ، فاختلطت عليهم الامور وذهبوا الى ان السميفع كان ملك ـ مملكا ـ من الغزاة (الاحباش) في فترة حكمه (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) فلما عارضهم (وقطع التجارة البحرية على الرومان) قام ابرهة بقتله وتولى حكم اليمن بينما الحقيقة ان السميفع انما استشهد في الغزو الثاني (عام ٥٣٣م) حيث تمكن الغزاة ـ بقيادة ارياط الحبشي ـ من البلاد واصبح ارياط ملكا ثم قام ابرهة بقتله وتولى الحكم ، فالذي قتله ابرهة انما ارياط وليس السميفع . .

● ان قيام اليمنيين بقيادة السميفع بالوقوف في وجه الغزاة وملكهم كالب وقادتهم الرهبان والرومان - عام ٥٢٥م - هو أمر سجلته النقوش . وان صيرورة السميفع ملكا على اليمن - عام ٥٢٥م - ليس دليله النقش فقط وانما ايضا المصادر الرومانية . . ولم يعد عهد السميفع وملكه محل اختلاف فقد اصبح مقررا في دراسات التاريخ الاستشراقي الاكاديمي السائد مع الخطأ في تكييف كيفية صيرورته ملكا فقط (١٤) وكما في دراسة الدكتور فوزي مكاوي الذي يردف قائلا (الطريف حقا هو ان شخصية السميفع تجهله تماما المصادر العربية) (١٥) فهل ذلك صحيح؟؟!

● الواقع ان المصادر العربية لم تسلم من الوقوع في الخلط ، ولكنها لاتجهل شخصية السميفع وعهده بل ولا تلك الاحداث التي تذكر لنا تلك المصادر تفاصيلها مبعثرة في هذا المصدر وذاك - رغم الخلط الذي فرضه تماثل بعض الاحداث ، ورغم انها لاتذكر السميفع باسمه وانما بلقبه (ذويزن/ ذو جدن) وهو اللقب الذي يحمله السميفع في نقوشه وقد تذكره بعض المصادر باسم مغاير ولكن اللقب والخبر واضح في التدليل عليه كما في نص ابن خلدون ، حيث يذكر ابن خلدون مايلي نصه :-

(ولما ملك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس ، استبد امر الحبشة فساروا اليه وعليهم ارياط ولقيهم ذو يزن فيمن معه فأنهزم واعترض البحر فاقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نواس ، وولي مكانه ابنه مرثد بن ذي يزن وهو الذي استجاشه أمرؤ القيس) (١٥)

● فهذا النص واضح في ان ذي يزن - وهو السميفع - ملك اليمن بعد ذي نواس اما كيفية ملكه ، فهو مانجد طرفا منه في تاريخ الامم والملوك للطبري ومروج الذهب للمسعودي وسيرة ابن هشام ، حيث يذكرونه بلقب (ذي جدن) وانه (قاتل الاحباش بعد مقتل ذي نواس) ويذكر ابن نشوان انه (كتب الى رؤساء حمير ان يذبحوا كل ثور اسود عندهم ، وكان الاحباش انتشروا في المخاليف وهم ثلاثون إلفا فقتلوهم حتى افنوهم ، وبلغ ذلك ملك الحبشة فوجه قائدين بجيش عظيم الى اليمن يقال لاحدهم ارياط والاخر ابرهة الاشرم) (١٦) . .

● ومن ربط مختلف الروايات العربية التاريخية بنصوص النقوش والمصادر الرومانية وغيرها تنساق الاحداث وتتبدى معالم عهد السميفع ذي يزن وجدن - بن شرحبيل يكمل الاول - ذي يزن وجدن ، ويتبدى تاريخه كما يلي :-

* - كان السميفع من كبار قادة واركان عهد الملك يوسف اسار (٥١٥ - ٥٢٥م) كما في نقوش عهد يوسف اسار (١٧) ومنها النقش رقم ٢٨) ا جام - فلما وقع الغزو الحبشي الروماني الاول (عام ٥٢٥م - وهلك يوسف انسحب السميفع من المنطقة الساحلية ، واستنفر الاذواء والقبائل وجمع انصاره . .

* استمر عهد السميفع الى عام ٥٣٣م حيث شهد عهده الكثير من الاحداث الداخلية في اليمن والجزيرة العربية مما ادى الى اضعاف الدولة - ولا يتسع المجال لذكر تلك الاحداث هنا - كما منع سفن الرومان من البحر العربي والاحمر وتطورت الاحداث الى تحريك الرومان للغزو الحبشي الثاني لليمن عام ٥٣٣م في عهد الملك الحبشي (ليبساس) . .

وكان جيش الغزو (جيشا عظيما) بقيادة ارياط الحبشي ، فكتب السميفع الى الاذواء والاقيال يستنفرهم للقتال ، وسار هو على رأس القوات التي معه والتحم بالغزاة ولم يصل احد من جموع الاقيال الذين كتب اليهم - وتذكر الرايات انهم قالوا (كل واحد يحارب عن منطقته) - وكان جيش الغزاة عظيم العدد فلما ادرك السميفع انه منهزم قال (ما الفعل الا مافعل يوسف فاقحم فرسه الى البحر »ودخل الاحباش اليمن) فتولى قيادة مقاومتهم ابنه الملك معد كرب يعفر والد سيف ابن ذي يزن حيث يذكر ابن نشوان في السيرة الجامعة (ثم جمع النعمان عفير ابوسيف ابن ذي يزن جموعا من اهل اليمن وقاتل الحبشة بالسحول - بعد ظفار - فهزموه الى حقل شرعة فيمن تبعه من اهل اليمن ولحقهم الحبشه فقاتلوهم بحقل شرعة ، فلم يكن لهم (اي جنود والد سيف) - بهم - (اي بالاحباش) طاقة ، واستولت الحبشة على البلاد) (ص ١٤٦ - السيرة الجامعة) . .

وقد اقتصرت الرواية على الحروب الكبيرة في المقاومة اليمنية التي قادها معد كرب يعفر (والد سيف) ولم تذكر الحروب الاخرى التي قادها الاذواء والاقيال في مناطقهم اثناء تقدم جحافل الغزاة مما ادى الى تدمير عشرات المدن والقصور الحميرية العظيمة التي قام الغزاة بتدميرها بعد انتصارهم على الاذواء والاقيال في مناطقها كما حدث لظفار وقصر ريدان ومدن وقصور

موكل وهكر وذمار وضوران وبينون (الحدا) ثم صنعاء وقصر غمدان ثم قصور ناعط وغيرها وصولا الى مارب ، حيث دارت في كل تلك المناطق حروب كبيرة وآل الامر - بعد عدة سنوات - الى تمكن الاحباش من بسط سلطانهم ونفوذهم من تهامة غربا الى مارب وجهة حضرموت ، مع استمرار مقاومتهم وشن الحروب عليهم من المناطق الشرقية والجنوبية التي انسحب اليها معد كرب يعفر حيث صار ملكا بها منذ عام ٥٣٤ ميلادية . .

ثانيا: معالم عهد معد كرب يعفر ذي يزن وجدن

. . والاحتلال الحبشي باليمن /٥٣٤-٥٧٢م

اضطرب واختلف الرواة والنسابون في اسم والد سيف ابن ذي يزن، وذهب كثير منهم الى تسميته بـ(النعمان بن عفير) -وعفير هو تصحيف للاسم اللقبي (يعفر) فتصحف (يعفر) الى (عفير) وظنوه اسما مستقلا بينما هو جزء من الاسم المركب (. . . . . . . يعفر) فضاع بسبب ذلك الجزء الاول من الاسم (معدكرب) وحل محله اسم (النعمان!) وقد ورد اسم (النعمان) في بعض الروايات والانساب باعتباره شقيقا لسيف، ومن هنا وقع الخلط والاضطراب في اسم والد سيف الذي هو - كما في النقوش - معد كرب يعفر بن السميفع بن شرحبيل يكمل ذو يزن وجدن .

وقد ذكر الهمداني في الاكليل انه . . أي والد سيف - «الذي قام باليمن بعد ذي نواس هو وأولاده» (١٨) أي بعد ذي نواس والسميفع لان المقصود في فترة الاحتلال الحبشي باليمن حيث قام بمقاتلة الاحباش اثناء تقدم جحافلهم - كما في النص السالف - وصولا الى معركة حقل شرعه (بين يريم وذمار) فلم يكن له بهم طاقة ، فانسحب الى المناطق الجنوبية والشرقية وصار ملكا عليها، بينما واصل الاحباش زحفهم حتى ملكوا صنعاء ومأرب وبات ارياط ملكا باليمن نيابة عن ملك اكسوم، واستمرت مقاومتهم وقتالهم في المناطق التي اجتاحوها بينما ظلت المناطق الجنوبية والشرقية مستقلة برئاسة معد كرب يعفر ذي يزن وجدن حيث استمرت مصدرا لشن ودعم الحروب ضد الاحباش. . وفيما بين عام ٥٤٠و٥٤٢ ميلادية قام ابرهة الاكسومي بخلع وقتل ارياط فاضطرب المعسكر الحبشي بسبب ذلك ورفض ملك اكسوم ان يعترف بابرهة الذي اعلن نفسه حاكما ملكا باليمن (المحتلة) وارسل - أي ملك اكسوم - جيشا من ثلاثة آلاف رجل بقيادة احد اقاربه لقتال ابرهة، ويذكر (بروكوبيس) «ان القوات الاكسومية الجديدة دخلت في مفاوضات مع ابرهة دون علم قائدها ثم انضمت اليه» بينما يذكر - مصدر آخر - التحام قوات ابرهة مع القوة الجديدة وايلولة الامر الى المبارزة بين ابرهة وقائد تلك القوة وانتصار ابرهة وانضمام القوة الى جانبه ويضيف (بروكوبيس) ان ملك الحبشة «رغم كل حقده وحنقه على ابرهة لم يجرؤ مرة اخرى على ارسال قوات ضده . وبقي ابرهة حاكما منفردا حتى مات - ذلك الملك - عندئذ وافق ابرهة على ان يدفع ضرائب لخليفته . . » (١٩) وكان الملك معد كرب بن السميفع قد تحرك ابان تلك الاحداث ومنذ بدايتها (٥٤٠-٥٤٢م) لتحرير المناطق المحتلة من اليمن، وفي ذلك الاطار قام الملك معد كرب بن السميفع ذي يزن وجدن ببعث رسالة الى الملك المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (العراق) عن الثورة وتطورات الاحداث المتمثلة في مقتل ارياط والانقسام والخلاف الحبشي حول تمليك ابرهة، وقد تم العثور على تلك الرسالة حيث نشرها سيرجو sergew في كتابة نصوص سريانية واكسومية (٢٠) وتطرق اليها الدكتور مكاوي في دراسته عن تلك الفترة حيث قال ان الخطاب «يشير بوضوح الى وجود سيطرة اكسومية في جنوب الجزيرة العربية، فهو يذكر في ذلك الخطاب موت الملك الذي عينه ملك الحبشة، ويشير الى حدوث ذلك في فصل الشتاء مما أدى الى خلاف الاحباش في تعيين ملك آخر . » وقد توهم مكاوي بأن الكتاب قد يكون مبعوثا من ذي نواس - رغم اختلاف الاسم - ويعود ذلك الوهم الى الظن بان اليمن لم يكن فيها ملك بعد ذي نواس وفي هذه الفترة من الاحتلال الحبشي، بينما الحقيقة ان الاحتلال لم يشمل الا مناطق من اليمن بينما كانت المناطق الجنوبية والشرقية مستقلة بزعامة الملك معد كرب بن السميفع ذي يزن وجدن وهو الذي بعث هذه الرسالة مابين عام ٥٤٠و٥٤٢م الى الملك المنذر بخصوص الثورة التي

انطلقت لتحرير المناطق المحتلة من اليمن.. وهي الثورة التي سجل نقش ابرهة جانبا من وقائعها الاخيرة وكيفية نهايتها.. ويمكن القول ان تلك الثورة كانت هي السبب في انتهاء الانقسام والخلاف الحبشي حول ابرهة بانضمام القوات المعارضة والتي ارسلها ملك اكسوم الى صف ابرهة واضطرار ملك اكسوم الى السكوت ازاء استقلال ابرهة بالحكم كملك غير مرتبط بملك اكسوم - كما سلف في نص البروكوبيس - وانما تم ذلك الاتفاق وتحقق ذلك السكوت لانهم شعروا بخطر الثورة التي كادت ان تقضي عليهم وهي الثورة التي ذكر نقش ابرهة عنها وعن قادتها ونهايتها مايلي: (٢١)..

١- ان (اليزنيين اقيال معدكرب بن السميفع؛ (وهم) هفان، وبنوا سلم، ورؤساء ذي جرة وذي زنبور، المعترفين به ملكا بالمشرق.

واقيال (سيبان الحضارمه) وهم: مُره، وثمامه، وحنشه، ومراثد، وحفان ذُو خليل، كلها تقطن شرق اليمن حيث بعثت جذوة الثورة مشتعلة ولهذا فالنقش يقول عنهم أنهم ساندوا - وحرضوا - يزيد بن كبشه - عامل ابرهة بكنده - على التمرد، فتمرد وخالف بجزمان - أي أنضم ومناطقه اليهم بإصرار.

٢- ان يزيد بن كبشه جمع ذي اطاعوه من كنده واخذ حضرموت، وسلطات (هجان المرئ) عامل ابرهة الذي هرب ووصل صارخا الى ابرهة.

٣- ان اقيال معدكرب - والزعماء الاخرين - إكتسحوا (كدور) في دثينه واستولوا عليها.

٤- يذكر النقش ضمن اخبار نهاية الثورة اسماء زعماء ومناطق اخرى كانت مع الثورة وهم (التراخم) و (العود) و (حبيش) و (مضرفة ذأفان) و (دا) و (جبا) و (كنع) - وأذواء تلك المناطق، كما يذكر ضمن الزعماء الذين اعترفوا بابرهة ودخلوا في طاعته بعد نهاية الثورة كلا من «عادل ذوفايش، وذو ذرانح، وذوشعبين، وذو رعين، وذو ثاة وذو همدان.» وغيرهم..

[لاحظوا كيف حاولت القوى الاستعمارية تقسيم اليمن وتقاسمها حربا أو سلما الى جنوب وشمال وشرق وغرب]!!

٥- ويذكر النقش - بالنسبة لنهاية الثورة - انه (في شهر ذي القياض من العام الموافق لعام ٥٤٢ ميلادية جمع ابرهة جيشه من الاحباش واليمنيين، حيث انطلق الجيش من صرواح الى عبر (العبر/ شبوه) ثم سار الى (كدور) وكان الجيش بقيادة (علي نبط)، حيث دخل (علي نبط) في مفاوضات مع (خلفاء ذي جدن) - أي الذين استخلفهم معدكرب على (كدور) بعد فتحها - حيث جاءهم نبأ تهدم السد فأقنعهم (علي نبط) بالاتفاقية (المعاهدة) التي حمل نصوصها، فقبلوا بها، وتم ابرام المعاهدة (الاتفايقة) معهم، ثم دخل سائر الزعماء والاذواء في تلك المعاهدة والاتفاقية في شهر (فدرأن) من نفس العام (٥٤٢م)..

ولعل الاتفاق بينهم قد تم على اساس ان تبقى اليمن دولة موحدة مستقلة عن الرومان والفرس وان تستعيد سيطرتها على طرق التجارة وتأديب اعراب الشمال، ولذلك توالى دخولهم في المعاهدة والاعتراف بابرهة ملكا بموجبها، ثم وصلوا الى ابرهة (الملك) فتحاور معهم في مشروع اعادة بناء سد مأرب واتفق معهم على البدء في العمل لاعادة بناء السد اعتبارا من شهر ذي الصراب، وان يتم التقاء الجميع في مأرب لمباشرة العمل في الموعد المحدد...

وفي الموعد المحدد وصل ابرهة وجنوده كما وصل الاذواء والاقيال والرؤساء مع افراد قبائلهم الى مأرب، وتم البدء في مشروع اعادة بناء سد مأرب. وقد ساعد ذلك على انضمام بقية اذواء وزعماء المناطق (المحتلة) الى ابرهة ووصولهم للمشاركة في العمل واعلان الطاعة لابرهة، كما تدفقت المساعدات والمساهمات للمشروع في بنائه، ووصلت الرسائل والوفود [التي تتضمن الاعتراف بابرهة ملكا] من «ملك اكسوم، وملك الروم، وملك فارس، ومن المنذر - ملك الحيره - والحارث بن جبله الغساني وابكرب بن جبله الغساني - ملكي الشام -».

* وازاء تلك التطورات لم يكن بيد الملك معدكرب بن السميفع ذي يزن وجدن الا ان يقبل بنهاية الثورة - ويكتفي بوضعه كملك على مناطق اليمن الجنوبية والشرقية،... وقد استمر العمل في مشروع اعادة بناء السد عدة اشهر مكث ابرهة خلالها في مأرب، ثم توقف وانتهى المشروع لان - كما يقول النقش - قبائل اليمن والاحباش «ابدوا تظلمهم من مواصلة العمل، فرأى ابرهة ان من العدل ان يأذن بالانصراف، فانصرفوا وانصرف ابرهة» وانتهى بالفشل ذلك المشروع الذي

كان من الاسباب الرئيسية لنهاية تلك الثورة ولصيرورة ابرهة ملكا على اليمن (٢٢) .

* وتعاقبت بعد ذلك السنين وصولا الى الاحداث التي سبقت ورافقت قيام ابرهة بغزو مكة ومحاولته لهدم الكعبة (عام ٥٦٩/٥٧٠م) ثم هلاك ابرهة فور عودته الى صنعاء وتولية ابنه مسروق بن ابرهة ملكا ، . .

وكانت احداث (عام ٥٦٩ و٥٧٠م) قد هيأت الاوضاع المناسبة - سياسيا ونفسيا - لحرب التحرير التي كان من الطبيعي ان يرفع لواءها الملك معد كرب بن السميفع وان تنطلق الدعوة اليها من المناطق اليمنية المستقلة (أي الدولة اليزنية) فتوافد اليها عدد كبير من اذواء وأقيال ورؤساء المناطق اليمنية المحتلة - مع فرسانهم ورجالهم - وبدأت التحركات والاتصالات تعد لحرب التحرير الحاسمة ، وكذلك لمواجهة احتمالات مابعد التحرير المتمثلة في احتمال التدخل الروماني ووقوع غزو جديد - كما حدث عام ٥٣٣م - ولذلك (غالبا) بعث الملك معد كرب بن السميفع ذي يزن ابنه الامير سيف ابن ذي يزن الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وكسرى انوشروان ملك فارس ، ويذكر الهمداني - في الاكليل - انه بعث ايضا ابنه عمرو النعمان - شقيق سيف - برسالة الى قيصر ملك الروم (ص ٢٥٨ج ٢) بينما تقول بعض الروايات ان سيف بن ذي يزن هو الذي سار الى ملك الروم فلم يوافقه على ما اراد فسار الى ملك فارس ، ونرى ان المبعوث كان سيف فقط والى النعمان وملك فارس فقط ، وكان ذلك عام ٥٧١ ميلادية ، حيث ما لبث ان توفي معد كرب - والد سيف - وتم اعلان ابنه سيف ملكا للبلاد ، وكان معد كرب يلقب ب (ذي التاجين) كما في قول شاعر خولان علقمة النسحاري يمدح سيفا (٢٣) . .

إليك ابن ذي التاجين ، سرن ركائبا
موقعة كأنهن جنود
الى طلق لم يعقد اللؤم كفه
ومارتده في المكرمات صلود
تكامل فيه منصب لم يلت به
وملك نماه طارف وتليد
ومد اليه يوم غيمان اذ دعا
من ابناء عمرو أشبل واسود

فالى سيف ابن ذي يزن والى يوم غيمان الذي تم فيه القضاء على الاحباش عام ٥٧٢م ننتقل ، . .

ثالثا : معالم عهد الزعيم الملك سيف ابن ذي يزن ٥٧٢ - ٥٩٢ ميلادية

كانت الاستعدادات لحرب التحرير قد اكتملت حينما بعث الملك معد كرب بن السميفع ذي يزن ابنه سيف الى كسرى انوشروان ملك فارس (ح/عام ٥٧١م) بهدف الحصول على تأييد ودعم الامبراطورية الفارسية في مواجهة التدخل المحتمل من الامبراطورية الرومانية ووقوع غزو جديد اذا ماتم القضاء على الاحباش - كما حدث في عام ٥٣٣م - فلما وصل سيف الى (المدائن) التقى بكسرى حيث - كما يذكر المسعودي في مروج الذهب - «وعد كسرى انوشروان بالنصرة ، ولكنه شغل بحرب الروم» (٢٤) . .

وقد أورد المسعودي هذا التبرير ليتفق مع عودة سيف مرة ثانية الى كسرى - حسب رواية المسعودي التي توهمت ان الذي عاد هو ابن سيف بعد وفاة ابيه - ويمكن ان يكون الذي عاد هو ابن سيف ، ولكن ليس بعد وفاة سيف وانما بعد وفاة والد سيف ، حيث توفي والد سيف (الملك معد كرب يعفر) بينما سيف في المدائن ، فتم تنصيب سيف ملكا - بعده - في المناطق اليمنية الجنوبية والشرقية الثائرة التي كان يحكمها والده (اي مناطق الدولة اليزنية) والظاهر ان ذلك تم بينما سيف في المدائن ولكن من الممكن ان يكون سيف قطع مهمته - لما بلغه نبأ وفاة ابيه - فعاد الى اليمن حيث تم تنصيبه ملكا والمضى في استكمال ترتيبات انطلاق حرب تحرير المناطق اليمنية (المحتلة بيد الاحباش) ثم عاد سيف الى المدئن - أو ارسل ابنه ، ليتفق ذلك مع ما جاء في مروج الذهب حيث يذكر الكتاب ان «معد كرب بن سيف بن ذي يزن - بعد ان دخل الى كسرى - وقف بين يدي كسرى ، فسأله عن مراده فقال : انا ابن الشيخ الذي وعده الملك بالنصرة على الحبشة ، فوجه معه وهرزا صبهبذ الديلم في أهل السجون «ص ٥٥ ج٢ بينما تذكر روايات اخرى ان كسرى انوشروان استشار اهل المشورة والرأي في دولته - او بلاطه - حول الدعم المطلوب من سيف ابن ذي يزن ، فاشاروا عليه بأن يطلق له

المساجين (المحكوم عليهم ـ وكانوا ثمانمائة شخص فقط ـ) وتجهيزهم كجنود وبعثهم بقيادة وهرز ـ مع سيف ـ (فان فتحوا فلنا ، وان هلكوا فلنا) ولعل الصواب (فإن فتحوا فله ، وان هلكوا فله) اي لسيف لان كسرى انوشروان وهبهم لسيف ، وفي ذلك قال عبدالخالق الشهابي اثناء خلافه مع احفادهم (الابناء) :-

عبيد القيل ذي يزن حباهم
له كسرى ، وقل له الحباء
وشكدته التي سبقت اليه
على عمد وكالهبة الشراء (٢٥)

ولم يكن مهما بالنسبة لسيف الا وجود اي شكل ـ ولو مظهري ـ من التأييد والدعم الفارسي لان الهدف من الدعم هو ردع الامبراطورية الرومانية من التدخل المحتمل ، اما بالنسبة لحرب التحرير فكان قد احتشد لها اكثر من مائة الف من فرسان ورجال اليمن الصناديد ، ولذلك تم قبول اولئك الثمانمائة شخص وتجهيزهم كجنود فرس على ان يكون معهم مسئول فارسي كبير وهو (وهرز ـ اصبهبذ الديلم ، اي حاكم منطقة الديلم الذي هو ايضا احد مستشاري وجلساء الملك ـ المرازبه) وقد يدل اختياره على ان الثمانمائة شخص كانوا من الديلم ، وهو ماترجحه وقائع اخرى لاحقه . .

ثم انطلق سيف ـ او ابنه ـ على رأس الثمانمائة فارسي عائدا الى اليمن ، وكان انطلاقهم بحرا من شاطىء البصرة في ثمان سفن تحمل كل منها مائة شخص ـ كما تقول بعض الروايات ـ او في سفينتين تحمل كل منهما اربعمائة شخص كما ذكر ابن نشوان والمصادر اليمنية التي اعتمد عليها ، حيث (غرقت احدى السفينتين برجالها الاربعمائة ، ولم تصل الى ساحل عدن سوى سفينة واحدة برجالها الاربعمائة ومعهم وهرز) (٢٦) ويذكر ابن كثير في كتاب (البداية والنهاية) (٢٧) وابن خلدون في (المبتدأ والخبر) انهم كانوا في ثمانية مراكب وحملت كل منها مائة شخص وغرقت منها سفينتان ووصلت ست سفائن ، وكان وصولهم الى (موضع يقال له مثوب بساحل حضرموت مع ابن سيف ويبدو ان الروايتين صحيحتان وان احداهما تتصل باحداث لاحقة (عام ٥٩٤م) سيأتي ذكرها . .

يوم غيمان / والقضاء على الاحباش :-

قال ابن نشوان «وكان قد اجتمع اهل اليمن في لقاء سيف ، فحضروا معه الوقعة وقتلت الحبشة قتلا عظيما» . .

وقال المسعودي في مروج الذهب (فانكشفت الحبشة واخذهم السيف وقتل منهم نحو ثلاثين الفا وقطع رأس مسروق ورؤوس خواص الحبشة) (ص ٨٢ ج٢)

● وكان مسروق بن ابرهة قد سار لقتال سيف وجيوشه في حشد كبير بلغ مائة الف مقاتل باتفاق المصادر وذلك حين زحف سيف ابن ذي يزن صوب صنعاء ، حيث يقول ابن خلدون (وسار اليه مسروق بن ابرهة في مائة الف من الحبشة واوباش اليمن) (أهـ) وقال المسعودي (ونما خبرهم الى الملك مسروق بن ابرهة فاتاهم في مائة الف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس) (أهـ)

وقال الطبري في (تاريخ الامم والملوك) (وسار اليهم مسروق بن ابرهة في مائة الف من الحبشة وحمير والاعراب ولحق بابن ذي يزن بشر كثير) (٣٠)

وكان ممن حشد مع مسروق بن ابرهة ، مالك بن يزيد الصدفي الجذامي في من اطاعه (من الاشباء والصدف وحضرموت) ويبدو ان مالك هذا هو ابن (يزيد بن كبشه/ صاحب ونائب ابرهة المذكور في نقش ابرهة سالف الايراد) ويبدو ايضا ان مالك بن يزيد هذا كان على راس من حشدوا مع مسروق من (أوباش اليمن) على حد تعبير ابن خلدون ـ بينما كان مسروق بن ابرهة على راس الاحباش ، وقد طغت شهرة مالك بن يزيد والحرب بينه وبين سيف ومن معه ، بحيث ظنها بعض الرواة ـ وكما في الاكليل ـ حربا اخرى ، ولكن ربط مختلف القرائن والاحداث يدل على انها حرب واحدة وموقعه واحدة حيث سار مسروق بن ابرهة على راس الاحباش ، واليمنيين (مالك واصحابه) وتمركزوا في منطقة غيمان (بني بهلول/ جنوب صنعاء) ، وكانوا ـ كما سلفت النصوص ـ مائة الف مقاتل . .

بينما كان سيف ابن ذي يزن قد سار بجيوشه من

المنـاطق الجنـوبية (اليزنية المستقلة) وانضمت اليه وحشدت معه كل مناطق سروحمير ـ واذوائها واقيالها ـ كما وصلت اليه فرسـان وزعماء خولان وغيرها وانضموا الى موكب التحـرير الـذي بات يضم اكثر من مائة الف فارس وراجـل من صناديد اليمن زحفوا على جيوش العدو في غيمان حيث دارت موقعة تاريخية كبرى قتل فيها نحو ثلاثين الفا من الاحباش على رأسهم الملك مسروق وخـواص الحبشـة كما قتل عدد غير قليل ممن حشدوا معهم وفي مقدمتهم مالك بن يزيد الصدفي الحضرمي قتله الفـارس الشـاعر عمرو بن يزيد العوفي الخولاني الذي يذكر الهمداني في الاكليل انه (فارس العرب ، وحمة البلد ، وسيد بني عوف) ولسان خولان ، وشهد مع ابن ذي يزن حروبه . . وخولان تقول : لم يقتل احد مثل من قتل عمرو من السادة والعظماء) (٣١) . . ومن شعر عمرو بن يزيد العوفي عن دوره في الحرب ابيات منها قوله :ـ

اعشى الكماة اذا تراجع لحظها
لاطائشا فرقا ولا رعديدا
ولقد جلست مجالسا محمودة
وحزرت من حلق المليك وريدا
وقتلت ذا التاج المهذب (مالكا)
ولكم افت مهذبا صنديدا
ماقلت الا الحق قولا فاعلمي
ابدي بذاك براهنا وشهودا

وقد يدل البيت الثاني على ان عمرو بن يزيد هو الذي قتل مسروق بن ابرهة او ـ على الاقل ـ الذي قطع رأسه ، ويقال ان الذي قتل مسروق هو سيف بن ذي يزن ويقال وهرز وهو قول ضعيف .

وأما مالك بن يزيد الصدفي ، فيقال ان الذي قتله هو يعلى بن سعد الخـولاني ـ ص ١٨ جـ ٢ ـ الاكليل) وكان يعلى زعيم ورأس فرسان وقبائل خولان بن عمرو الذين لبوا نداء سيف ابن ذي يزن وانضموا الى موكب التحرير واياهم عنى الشاعر علقمة بن زيد السحـاري الخـولاني في قصيدته التي القاها بين يدي سيف بن ذي يزن ، حيث قال :ـ

ومد اليه يوم غيمان اذ دعا
من ابناء عمرو أشبل واسود

وقال الهمداني في الاكليل (وكان يعلى رمى بين يدي سيف ابن ذي يزن فقال سيف :ـ اغرق ـ يعلى ـ في القوم ، فلزمه ـ لقب ـ المغرق) (ص ٣٠٧ جـ ١

وكان من ابطال وقادة معركة التحرير ـ يوم غيمان ـ القيل عمرو بن الصباح بن شرحبيل بن لهيعة بن مرثد الخير (وهو ـ اي عمرو ـ حفيد الملك الصباح الذي باسمه سمي مخلاف صباح برداع /لواء البيضاء ـ قال الهمداني في الاكليل (وفيه ـ اي عمرو يقول بعض بني عمه في حرب الحبشه :ـ

نادت فوارسنا عمرو الصباح فتى
يرمي المنية لاعنها بعريد
نـادى نعامة ياعمـرو الندى فمضى
بين القيول وابناء الصناديد

ويبـدو ان عمـرو ابن الصبـاح كان على رأس فرسان ورجال مناطقه ـ (لواء البيضاء ـ لواء ذمار) في معركة التحرير التاريخية ـ يوم غيمان ـ التى كان من كبار ابطالها وقادتها القيل حجر بن زرعة بن عمرو الخنفري ـ زعيم مناطق ابين وغيرها من سروحمير ـ وربما انه كان بمثابة الرجل الثاني بعد سيف في تلك الحرب لان كثيرا من الاقيال كانوا تحت زعامته كما يستفاد من قوله :ـ

(وإنا) المقاول من حمير
لنا الفضل يطمو على من ذكر
اذا استلت البيض يوم النزال
وكـانـت لـنـا معقـلا لم نفر
لنـا فخـر غيمـان فـي مشهـد
بـدا الفخـر فيه لمن يفتخر
بكـل قضيـب مـن الـشرعبي
معـالي الكعـوب طويل العشر
وكـل فتـى انسلتـه الملـوك
كـريم المساعي عظيم الخطـر
يصفون فـي الـروع اقـدامهـم
ويعلون بالبيض فرع الصـدر

وقال حجر بن زرعة في ابيات اخرى :ـ

(كنـا) شجى لهم في الحلق منزلة
تطير منها شظاة في تراقيها
مازلت أرمي بنفسي القوم مصطبرا
حتى استفاقت وقد زالت رواسيها
جادت سحابتنا فيهـم واسعـدها
حضـور آجالهـم والمـوت حـاديـها

وقال حفيده محمد بن ابان الخنفري يذكر بلاء جده وقومه في تلك الحرب :-

وجدي الذي وافى الركايا جياده
وحامى على العز الذي اسس يشجب
ونحن نصبنا يوم غيبان عارضاً
فساد (ابن ذي شمر؟) وقد كاد يغلب
وُرحنا لواء العز يخفق فوقنا
كذات جناح في الهواء تقلب

وكذلك كان من اقيال وابطال معركة التحرير - يوم غيبان - القيل الحصين بن حريز الخنفري والقيل ميمون بن حريز الخنفري (ص ١١٨ جـ ٢/ الاكليل) . .

ومن كبار الزعماء والاذواء في تلك الحرب ايضا القيل سلامة ذو فايش وابنه يزيد بن سلامة ذي فايش (ص ٢٠٠ جـ ٢ - إكليل) وكان سلامة من كبار الاذواء وقد مدحه اعشى قيس بعدة قصائد موجودة في ديوان الاعشى ، وكانت زعامته على مناطق يحصب وما اليها من رعين ولواء إب ومناطق وصاب القريبة من (ارياب) مركز سلامة ذي فايش المشهور . .

كما كان من كبار الاقيال مر بن عامر ذي الكلاع الذي بعثه سيف بعد ذلك الى صعدة والقيل كثير بن الصلت الشهابي الكندي (قال الهمداني في الاكليل : اصل من وقع بصنعاء من بني شهاب انهم ساروا الى ابن ذي يزن منجدين وناصرين ، ثم أقطعهم هذه المكارم التي لهم بازال وما حولها) . .

وليس من ذكرناهم من الاقيال والقادة والابطال اليمنيين في معركة القضاء على الاحباش - يوم غيبان - الا قطرة من بحر اقيال وابطال ذلك اليوم الذي تردد صداه في ارجاء الوطن العربي . .

وجلس سيف ابن ذي يزن على كرسي قصر غمدان بصنعاء يستقبل الوفود العربية التي اقبلت زرافات ووحدانا لتهنئته بالنصر وبتوحيد اليمن الطبيعية ، وكان ممن وفد اليه الشاعر امية بن ابي الصلت الذي مدحه بقصيدة قال في اخر أبياتها (الصحيحة) :-

(فـأجلس) هنيئـا عليك التاج مرتفعا في راس
غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن
شيبا بماء فصارا بعد ابوالا

قال ابن خلدون (ولما استقل سيف ابن ذي يزن بملك اليمن ، وفدت عليه العرب يهنئونه بالملك ولما ارجع من سلطان قومه وابـاد من عدوهم وكان فيمن وفد عليه مشيخـة قريش فوفـدوا في عشرة من رؤسـائهم فيهم عبدالمطلب ، فأعظمهم سيف وأجلهم ، واوجب لهم حقهم ، ووفر من ذلك قسم عبدالمطلب من بينهم . . وأسر اليه البشرى بنبوءة محمد (ص) واوصاه به وحضه على الابلاء في القيام عليه والتحفظ (عليه) من اليهود وغيرهم . .

وأسنى سيف جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الـدولة وعظمتها لبعد غايتها في الهمة . . وبقاء اثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الاول ، فذكر صاحب الاعلام وغيره ان سيف ابن ذي يزن - اجاز سائـر افراد - الوفد بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشر وصائف وعشرة ارطال من الورق والذهب وكرش ملء من العنبر ، واضعاف ذلك بعشرة امثاله لعبدالمطلب) (ص ٦٤ جـ ٢/ ابن خلدون) . .

وأخبـار وفـد قريش وغيرهم من الوفود والزعماء والشعراء الذين وفدوا الى سيف ، اخبار كثيرة واشعار كثيرة تـم استقصاؤها في كتاب مستقل عن سيف ابن ذي يزن وسـائـر وقـائـع وحقـائق عهده الذي استمر عشرين سنة وذلك من عام ٥٧٢ ميلادية (الذي تم فيه القضـاء على الاحبـاش وجلس فيه سيف على كرسي غمـدان) - الى عام ٥٩٢ ميلادية او من عام ٥٧١ ميلادية الى عام ٥٩٢ ميلادية ، قال الهمداني - في شرح الدامغة (ملك سيف بن ذي يزن عشرين سنة ، ثم ملك شرحبيل ابن ذي يزن ثلاث سنين) (٣٢) . .

وشرحبيل هو (معـديكـرب) في مروج الـذهب وغـيره من المصـادر ، حيث قال المسعـودي - في مروج الذهب (واقام معديكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا على اليمن - الى ان قتل - وكان ملكه أربع سنين وهو اخر ملوك اليمن من قحطان) (ص ٨٥ ج ٢)

رابعـا : عهـد معد يكرب بن سيف ذي يزن . . والاحتلال الفارسي لليمن :-

تولى معديكرب (بن سيف بن معدكرب يعفر بن السميفع بن شرحبيل يكمل ذي يزن) تولى الحكم بعد

وفاة ابيه سيف ابن ذي يزن (حـ /عـام ٥٩٢م) ثم مالبثت ان اضطربت عليه البلاد واشتعلت حروب وفتن داخلية يدل على حجمها ومداها قول الشاعر السعدي الخولاني الذي عايشها في قصيدته بالاكليل :-

كسفت نجوم من مقاول حمير
فينـا واظلم شمسهـا وبدورها
وطوى سماحتها الزمان وهدها
بالمجحفات وغاض ثـم بحورهـا
ومضى ابن ذي يزن (وحلت) بينها
حرب عوان مايبوخ سعيرها
وتقطعت منها الاواضر بينها
ومضى سناها عند ذاك ونورهـا
ومضت قيول من سلالة زرعة
وتبدلت شرا وغـاب سـرورهـا
ورمى الزمان ديارها بأزيلم
جذع ، وهـدت دورها وقصورها
ولقد تكون انيسة مأهولة
وبهـا جمـوع مـاينـام سميـرها

وفي ظل تلك الاحـداث التي لما تتضـح كل تفاصيلها استعان معد يكرب بالدولة الفارسية وملكها كسرى أنـوشروان لمواجهـة خصومه اليمنيين ، فامده كسرى بقوة على رأسها (وهرز) ، وقد اختلط على الرواة هذا الـدعم مع الدعم السابق في عهد سيف ودمجوا الواقعتين مما ادى الى ضياع جانب كبير من الحقائق والى اختلاط وخلط الروايات التي يبدو من تأملها ان (وهرز) لم يكن مع سيف في المرة السابقة حين وهب له كسرى الثـمانمائة شخص الذين هلك نصفهم غرقا في البحر ووصل منهم اربعمائة او ستمائة شخصَ الى ساحل عدن وانما كان قدوم وهرز مع القوة التي بعثها كسرى لدعم معـد كرب ووصلت معـه - بقيادة وهرز - الى ساحل (مثوب بحضرموت) وذلك بعد عشرين سنة من الواقعة الاولى ، وكانت عدد السفن هذه المرة ثمان سفن - اما المرة الاولى فاثنتان فقط تحمل كل منها اربعمائة شخص هلك نصفهم غرقا - وكان عدد القوة هذه المرة حوالي ٣٢٠٠ جنديا (٨ × ٤٠٠) - كما تدل رواية سنذكرها فيما بعد - وكان من نتيجتها تثبيت وتمكين معديكرب من الحكم ولكن مع ارتبـاط كامـل بالفرس.تشير اليه الروايات التي تذكر ان وهرز (كتب الى كسرى بما تم وبعث اليه بالاموال فكتب اليه ان يملك ابن ذي يزن على فريضـة يؤديهـا كل عام ففعل وانصرف وهرز الى كسرى وخلف نائبا باليمن في جماعة الفرس ، وجعله بنظر ابن ذي يزن) . . فهذه الاخبار تدل على ان ذلك انما كان مع معد يكرب بن سيف ابن ذي يزن ولكن الامر اختلط على الرواة . . (٣٣)

قال المسعـودي في مروج الـذهب (واقـام معد يكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشـة حرَّابه يمشون بين يديه بالحراب ، فركب في بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمـدينة صنعاء . . فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحـرابـة من الحبشة فقتلوه بحرابهم . . وكان بصنعاء خليفة لوهرز فضبط البلد وكتب الى وهرز ، فاعلم وهرز كسرى بذلـك فسيـره في الـبر في اربعة الاف من الاساورة . . فاتى وهرز اليمن ونزل في صنعاء وملكه - كسرى على اليمن) (ص ٨٧ جـ ٢. جـ؟

وكذلك ذكر ابن خلدون - بعد خبر مقتل ابن ذي يزن - انه - بلغ ذلك كسرى فبعث وهرز في اربعة الاف من الفرس . . وامره على اليمن) (ص ٦٤جـ ٢ /المبتدأ والخبر) . .

ان الاحتلال الفارسي الذي تم فور مقتل معد يكرب قد يدل على ترتيب وتخطيط مسبق وان كان الامر كذلـك فلا منـاص من الاعتراف بذكاء الخطة وماتلى تنفيذها من تمويه لتبرير وتغطية الاحتلال الفارسي . . وقـد نقـل ابن خلدون عن ابن قتيبة ان عدد الفرس المبعوثين الى اليمن (كانوا سبعة الاف وخمسمائة) ويبدو ان هذا هو العدد الاجمالي غداة الاحتلال اي مجموع الفرس الذين كانوا باليمن - صنعاء - حين جلس وهرز على كرسي الحكم (عام ٥٩٥م) ، فمنهم الذين وهبهم كسرى لسـيف عام (٥٧٢م) وشـاركـوا مع سيف واليمنيين في حرب التحرير التي ربـما هلك فيها مائة وبقي منهم ثلثمائة - وكان قدوم هذه المجموعة بحرا كما سلف - ثم منهم (اي ال ٧٥٠٠) المجموعة التي تم بعثها مع وهرز بحرا لدعم معد كرب وكان عددهم نحو (٣٢٠٠ فارسي) وذلك (حوالي عام ٥٩٣م - او ٥٩٤م) ثم ال (٤٠٠٠) الذين قدموا مع وهرز برا للاحتلال بعد مقتـل معد كرب (عام ٥٩٥م) فيكون مجموع الفرس (٧٥٠٠ شخصا) . .

● ان معرفـة هذا التفصيل والتفريد يكتسب اهمية خاصة في معرفة ماقام به الزعيم اليمني الثائر قيس بن

مكشوح المرادي قائد ثورة (يوم ذي صنعاء) عام ٦٢٩/٦٣٠ميلادية حيث يذكر ابن خلدون وسائر المصادر انه (عمد قيس الى الفرس ففرقهم ثلاث فرق اقر فرقة منهم وأقر عيالهم ، اما الفرقة الثانية فأمر ان يحملوا في البحر ، وارسل الفرقة الثالثة ليحملوا في البر وقال لهم جميعا : الحقوا بارضكم) . .

فالذين اقر قيس بقاءهم في اليمن - اي الفرقة الاولى - هم الذين قدموا مع سيف ابن ذي يزن - كما سلف ذكر عددهم - فأقرهم وأقر عيالهم لعلاقة النسب والدين ، فاما الذين طردهم الى فارس عن طريق البحر فهم الذين قدموا مع وهرز بحرا في ايام معد كرب وعددهم ٣٢٠٠ مع عيالهم - أما الذين ارسلهم الى فارس برا وقال لهم : الحقوا بارضكم ، فهم ال (٤٠٠٠ فارسي)، الذين قدموا مع وهرز برا غداة الاحتلال والذين بقوا مجوسا حيث طردهم - مع عيالهم - برا وكان على رأسهم مهران بن باذان القائد الفارسي المجوسي الكبير الذي قتله المسلمون في معركة القادسية وكان الذي قام بقتله هو الصحابي اليمني الكبير جرير بن عبدالله البجلي الحميري قائد ميسرة المسلمين في القادسية التي كان قيس بن مكشوح المرادي من كبار قادتها الذين اسقطوا الامبراطورية الفارسية وسياتي تفصيل ذلك كله

فالمهم هنا هو بيان كيفية وقوع الاحتلال الفارسي باليمن (عام ٥٩٥م) في اعقاب مقتل معديكرب بن سيف بن ذي يزن الذي قال المسعودي (وهو آخر ملوك اليمن من قحطان) . . . - اي آخر ملوك عصور الحضارة العربية اليمنية القديمة التي تشمل :-

أ - عصور مكاربة سبأ العظمى وملوكها الاوائل من عهد سبأ بن يشجب (٣٠٠١ ق . م) الى عهد ذي مرائد (٤٥٠ ق . م)

ب - عصور مملكة سبأ من عهد ذي مرائد (٤٥٠ ق.م) الى عهد معد كرب يعفر بن حسان تبان وسقوط مملكة سبأ وسيل العرم (حـ/عام ٥٣٥م)

جـ - عصور ممالك معين وسبأ الثانية (سبأ) واوسان وقتبان وحضرموت وظفار ، وتمتد من القرن الخامس قبل الميلاد الى نهاية القرن الثالث الميلادي . .

د - عصور الدولة الحميرية اليزنية والرعينية (٣٠٠ - ٥١٥م) ثم الدولة الحميرية اليزنية من بداية عهد يوسف اسار (٥١٥م) الى مقتل معد كرب بن سيف ابن ذي يزن والاحتلال الفارسي (عام ٥٩٥م) . .

وقد اوردنا هذه التحديدات لان المسعودي اردف خبر مقتل معد كرب وانه اخر الملوك قائلا (وملكوا ثلاثة الاف سنة ومائة وتسعين سنة) وكذلك اردف ابن نشوان ذكر الملوك الحميريين بقوله (ومدى ماملكوا كثير يزيد على ثلاثة الاف سنة وثلاثمائة سنة) وكذلك قال الهمداني بعد ان ذكر عهد سيف ابن ذي يزن ثم ابنه كاخر الملوك : قال - في شرح الدامغة - (يكون جميع ماملكوا الفى سنة واحدى وثمانين سنة من الرايش سوى ماملكوا قبل ، وهذا رسمها ٢٠٨١ (أهـ) وقد اعتبر الهمداني ان الرايش هو (تبع الاكبر) وذكر التبابعة الذين تبين لنا انهم قبله ، بعده ، اي ان المدة التي حسبها هو تبدأ من تبع الاكبر (عام ١٤٥٠ ق . م حسب تحديدنا) فتكون العهود من عهده (١٤٥٠ ق . م) الى معد كرب بن سيف (٥٩٥ ميلادية) مدة (٢٠٤٥ سنة بموجب تحديدنا) ويكون الفرق مع ماذكره الهمداني مدة (٣٥ سنة فقط) هي في تحديدنا عهد ملك قبل تبع الاكبر - اي والده غالبا - اما ما ملكوا قبل ذلك فمن عهد سبأ الى تبع الاكبر (٢٠٥٠ سنة) واما الملوك قبل سبأ بن يشجب فلا يدخلون في هذا السياق الذي انتهى بمعديكرب بن سيف بن ذي يزن عام (٥٩٥ ميلادية) حيث بدأ الاحتلال الفارسي باليمن . . وهذا التحديد مايزال بحاجة الى مايدعمه من النقوش ودراسة الاثار . .

قال ابن خلدون (انتقل - ملك الحميريين بعد مهلك ابن ذي يزن الى الفرس وورثوا ملك العرب وسلطان حمير باليمن بعد ان كانوا (الحميريون) يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم ويجوسونهم بالغز وخلال ديارهم (يعني في عصور التبابعة وغيرها) ، ولم يبق للعرب في الملك (بمهلك ابن ذي يزن) رسم ولا طلل الا اقيالا من حمير وقحطان رؤساء في احيائهم (قبائلهم ومناطقهم) لاتعرف لهم طاعة ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم امر ، والا ماكان لكهلان واخوتهم بارض العراق من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس ، وملك آل جفنة من غسان على الشام بتوليه الروم) (ص ٦٥ جـ ٢) . .

وماهي الا مدة (٢٥) سنة بعد مهلك ابن ذي يزن حتى أشرق فجر الاسلام والرسالة المحمدية بهجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام الى يثرب الانصار

وقيام الدولة الاسلامية العربية فيها (عام ٦٢٠م) وماهي الا مدة ثمان سنوات لاحقه حتى اندلعت ـ في مخاليف صنعاء ـ ثورة ضد الوجود الفارسي ـ لم يكتب لها النجاح ـ وتلتها في العام التالي (٩هـ/٦٢٩م) ـ اي بعد ٣٤ سنة فقط من هلاك معد كرب بن سيف بن ذي يزن ثورة رجب اليمنية الاسلامية ـ في مخاليف الجند ـ بقيادة زرعة بن سيف بن ذي يزن فرفرفت راية الاسلام والحرية والعروبة فيها ، كما رفرفت في العام التالي ببقية مناطق اليمن ـ مخاليف صنعاء ـ وقيل للفرس : الحقوا بارضكم ، ثم رفرفت رايات العروبة والاسلام في ربوع فارس وارجاء المعمورة ، ولله الحمد من قبل ومن بعد وله الملك . .

ونذكر في المبحث التالي واقع اليمن في فترة الاحتلال الفارسي وفجر الاسلام وحقائق واسرار ثورة رجب اليمنية الاسلامية التي قادها زرعه بن سيف بن ذي يزن . .

اما الثورة السابقة وثورة قيس بن مكشوح المرادي فستكون حقائقها ووثائقها موضوع المبحث الخاص بالصحابي الثائر قيس بن مكشوح المرادي بعد ان نستكمل هذا المبحث ـ او هذه الدراسة ـ عن زرعة بن سيف بن ذي يزن قائد ثورة رجب) . .

والله الموفق

□□ الهوامش :ـ

١ ـ الاحباش بين مارب واكسوم : ممتاز العارف + المصدر رقم (٣٦)
٢ ـ ذيل الامالي ـ المصدر في الهامش رقم (٣٠)
٣ ـ الامالي ـ لابي علي القالي البغدادي ص ٩٢ و٩٣ جـ ١
٤ ـ النقش اليزني رقم (٥٠٨٥) ركمانز + اليزنيون من القيالة الى الملك بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية
٥ ـ شرح الدامغة ص ٥٤٠
٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ (ص ٧٧ جـ٢)
٧ ـ نقش قرن الاملح بوادي ضرا ـ العوالق ـ (R 4069) اليزنيون من القيالة الى الملك : بافقيه ـ م دراسات يمنية ١٩٨٨/٣١م + نقش حزمة ابي ثور (روبان ـ ص ١٨٤/١٩٨٥م ـ وهو مؤرخ بعام ٥٥٦ حميري اخير ٤٨١م)
٨ ـ نقوش عهد يوسف أسار ـ ملك كل الشعوب واهمها نقش شرحئيل ذي يزن (النقش رقم ١٠٢٨ جا م)
٩ ـ فوزي مكاوي ـ العلاقات بين اكسوم وجنوب الجزيرة العربية ـ مجلة دراسات يمنية عدد ٣ اكتوبر ١٩٧٩م
١٠ ـ فاسيليف ـ ص ٢٨٨ 37) Vasilieve/ Cambridge 1950 Justin The first
١١ ـ تاريخ الامم والملوك الطبري ـ ص ١٢٧ جـ ٢
١٢ ـ نقش السميفع ذي يزن ـ حصن الغرب (النقش رقم ٦٢١ س . اي . انش)
١٣ ـ المصدر المذكور في (٩) ومصادره
١٤ ـ بافقيه اليزنيون وخلفية الاحداث لقيام وسقوط حكم الاحباش في اليمن مجلة المنتدى ١٩٨٣م + مجلة دراسات يمنية
ـ بافقيه ـ في العربية السعيدة /صنعاء ١٩٨٧م ص ٨٣ ـ ١٠٦
ـ بافقيه اليزنيون من القيالة الى الملك ، مجلة دراسات يمنية / العدد ٣١ ـ ١٩٨٨م + المصدر في الهامش (٣٦)
١٥ ـ تاريخ ابن خلدون ـ المبتدأ والخبر ـ ج ٢ ص ٦١
١٦ ـ السيرة الجامعة ابن نشوان ـ ص ١٤٨ و١٤٩
١٧ ـ نقش شرحئيل ذي يزن المنشور برقم (١٠٢٨) في مجموعة ـ كتاب ـ جام (نقوش سبئية . . من شمال الجزيرة)
١٨ ـ الاكليل لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني ـ ٢٥٨ جـ ٢
١٩ ـ بروكوبيس عن المصدر المذكور في الهامش (٩)
٢٠ ـ سيرجو Sergew ص ١٢٩ /47) Ancient and Medievel Ethiopien History. 1972
٢١ ـ نقش ابرهة ـ متحف مارب ـ وهو منشور برقم ٥٤١ في مجموعة نقوش C.I.H. corpus inscriptions
٢٢ ـ مجلة اليمن الجديد/ علاقة اليمن بالحبشة ـ دراسة للكاتب/ العدد٤/ ١٦ ـ ابريل ١٩٨٧م
٢٣ ـ صفة جزيرة العرب ص ٣٨٥
٢٤ ـ مروج الذهب . المسعودي ص ٨٠ جـ ٢
٢٥ ـ الاكليل . الجزء الاول ـ قصيدة عبدالخالق الشهابي
٢٦ ـ ابن نشوان ـ السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان عن ملوك حمير
٢٧ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٨٠جـ ٢
٢٨ ـ المبتدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون ص ٦٣ ج ٢
٢٩ ـ مروج الذهب ص ٨٠ جـ ٢
٣٠ ـ تاريخ الامم والملوك ـ الطبري . ص ١١٨ ج ٢
٣١ ـ الاكليل ص ٣٧١ ج ٢
٣٢ ـ شرح الدامغة . محمد بن الحسن الهمداني ص ٥٤١
٣٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام المعافري الحميري ص ٧٣ جـ ١

ملخص رسالة ماجستير عن:

مَدينَة السَّوا

دراسة تاريخية أثرية *

إعداد / عبدالغني علي سعيد

درج المهتمون بتاريخ اليمن القديم وآثارها على البحث عن النشاط البشري في المناطق الشرقية والمرتفعات الجنوبية على حين لم تنل المنطقة موضوع البحث اي اهتمام يذكر من قبل الباحثين لاعتقادهم بأنه لايوجد بها آثار ترقى الى مستوى آثار المناطق المعروفة ، ولذا جاءت فكرة هذا البحث والتي تقوم على دراسة مدينة جديدة متفردة هي مدينة السوا ، وتبيان اهميتها التاريخية والسياسية والاقتصادية والاثرية من خلال اجراء مسح اثري لها لمحاولة وضع تصور للتخطيط المعماري لهذه المدينة والمنشآت التي تضمنتها ودراسة ونشر ماتبقى من آثارها الثابته والمنقولة ، وجمع ماتوفر عنها من مادة في النقوش اليمنية القديمة والمصادر الكلاسيكية وغيرها من المصادر التأريخية والمراجع العربية والاجنبية . .

ورغم ندرة المصادر التي تتضمن معلومات تاريخية عن هذه المدينة الا ان المرء يجد فيها بعض مايسعف على التعرف عليها من خلال تلك الاشارات الموجزة التي ترد فيها ، ومع ذلك فان تلك المصادر التأريخية لم تحدد موقعها في اقليم المعافر بدقة ولم تبرز بوضوح اهميتها التاريخية ، ولذلك فقد كان من الضروري استقراء تلك المعلومات في ضوء دراسة ميدانية لموقع المدينة نفسه حتى يتسنى للباحث التعرف بشكل كاف على موقع المدينة ، والالمام باطاره الجغرافي وتخطيط معالمه الاثرية وفحص ودراسة اللقى الاثرية المتنوعة التي عثر عليها في الموقع . .

وقد نشأت فكرة هذا البحث عندما بدأت أفكر في موضوع الرسالة العلمية التي أكمل بها دراستي لمرحلة الماجستير والتقدم لنيل الدرجة العلمية الخاصة بها . . فكان أن إستعرضت الكثير من المواقع الاثرية القديمة في اليمن لاسيما المعروف منها . . والتي زارها عدد من الرحالة الاجانب والعرب ، فوجدت أن معظمها لم يمسها التنقيب الاثري وبعضها لم يحظ بالمسح الاثري ولم ينل البعض الاخر حظ الزيارة الاثرية بل أن بعضها وان تكرر ذكرها لدى الباحثين الا ان موقعها لم يحدد بدقة ، وليس فيها دون اي وصف لآثاره . .

وكان من ضمن هذه المجموعة الاخيرة موقع اثري يتردد اسمه عند اساتذتي في قسم الاثار ولكن لم يزره احد منهم ولم أعلم فيما سمعت وقرأت ان احدا قد زاره . .

لذلك ناقشت الامر مع اساتذتي وأبديت رغبتي في اتخاذ هذا الموقع موضوعا لبحثي هذا رغم انني تهيبت الخوض فيه لندرة مصادره ولكن استاذي الدكتور يوسف محمد عبدالله وأستاذي الدكتور ابو العيون بركات شجعاني على تناوله وخففا عنى ماكنت اتهيب منه ، وأشارا علي بأن الموضوع جديد وما سيكتب عنه سيكون له ، أهميته في الدراسات الاثرية . . وهكذا بدأت عملي بالتعرف على الموقع ودراسته ميدانيا وجمع مااستطعت عليه من العينات الاثرية المختلفة ، ومسحت المواقع المحيطة بمدينة (السوا) لتبين علاقة المدينة بغيرها من الاماكن المجاورة فتيسرت لي مادة طيبة اعتمدت عليها في موضوع بحثي هذا الى جانب الاستفادة مما جاء في كتاب الطواف وخريطة بطليموس وخرائط اخرى وكتابي (الهمداني صفة جزيرة

* قدمت هذه الرسالة من الباحث/ عبد الغني علي سعيد لنيل درجة الماجستير في الاثار من جامعة صنعاء باشراف د. يوسف محمد عبدالله ود. ابو العيون بركات . . وتمت مناقشة الرسالة في جامعة صنعاء بتاريخ ١٩/٦/١٩٨٩م، وحصل الباحث على درجة امتياز مع مرتبة الشرف . .

العرب والاكليل) ومؤلف (ابن المجاور صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) وغيرها من المؤلفات ذات العلاقة التي دونتها في قائمة المصادر والمراجع ، كما استفدت من بعض القطع الاثرية الموجودة في متحف صالة بمدينة تعز والتي كانت قد احضرت الى المتحف من قبل ، وقد قسمت الموضوع الى ثلاثة اقسام رئيسية . .

■■ القسم الاول :-

ويعني بأقليم المعافر ومدينة السوا في المصادر . .

وكان على أن أستهل هذا القسم بالحديث عن اقليم المعافر لكونه الاقليم الذي تعد مدينة السوا احدى المدن الكبرى فيه بل وحاضرته ايضا . .

ويمكن ان اشير الى بعض النقاط في هذا القسم . .

١ - المعافر في المصادر العربية . فقد ورد ذكر المعافر كأحد مخاليف اليمن في رسالتين موجهتين من النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل اليمن يخاطب فيها الاقيال ومنهم قيل المعافر ، مما يؤكد أهمية اقليم المعافر في اليمن انذاك والهمداني يشير الى ارض المعافر بأنها تجمع مخلاف ذبحان والجو ، وجباء وصبر وذخر وبرداد، وصحارة ، والضباب ، والعشيش ، ورسيان ، وتباشعة ، ويسكن هذه المواضع نسل المعافر بن يعفر ، ومن همدان ومن السكاسك وبني واقد . . ويقول الهمداني (ومن قرى المعافر حرازة ، وعزازة ، والدمينه ، وبرداد ، وساكن هذه المواضع من بطون حمير من ولد المعافر بن يعفر) .

المعافر في النقوش القديمة والمصادر الكلاسيكية.

وردت التسمية «معافر» والتي كانت تطلق على الارض والقبيلة في بعض النقوش اليمنية القديمة . .

فالنقش السبئي (ربرتوار رقم ٣٩٤٥ جلازر ١٠٠٠أ) والذي يشير الى ان جيش كرب ال وتر قام بتدمير مدن المعافر وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد (+) كما وردت التسمية (معفرم) في النقوش السبئية في القرون الاولى للميلاد (جام ٦٣١) اضافة الى ان نقوش المعسال تشير الى انداف المعافر بأنهم الفرسان او الرماة . .

وكانت هذه الفترة اي القرون الثلاثة الاولى للميلاد هي فترة صراع مابين الدولة الحميرية من جهة وسبأ وحضرموت والمعافر من جهة اخرى واخيرا عثرنا على نقش في موقع مدينة السوا يحدثنا عن قيل المعافر الذي ذكره كتاب الطواف . .

■■ موقع المدينة :-

تقع مدينة السوا عند نقطة التقاء خط طول (٣٠ ، ٥٥ ، ٤٣ مع دائرة عرض ٣٠ ، ٢٠ ، ١٣ تقريبا من ناحية الشرق) . . وعلى الخارطة تبعا للتقسيم الفيزوجرافي للجمهورية العربية اليمنية يرتفع قصر المدينة عن سطح البحر بحوالي ١٥٦٠م . وعلى الخارطة يظهر موقع القصر باسم (عرد) وهو خطأ . . وعند ابناء المنطقة يعرف بحصن القدم . وتقع مدينة السوا غرب سوق النشمة الذي يبعد عنها بمسافة ٩ كم تقريبا ، وهو احد الاسواق الواقعة على الطريق الحديث الممتد من تعز الى التربة ويحيط بمدينة السوا مواقع اثرية كثيرة اهمها موقع الظهرة الذي يقع غرب المدينة ويبعد عنها بحوالي ٤ كم تقريبا وهذا الموقع يرجح انه كان السوق القديم . .

ومن الناحية الجيولوجية تقع مدينة السوا وما جاورها ضمن اقليم النشاط الناري والبركاني في الحقب الحديثة . .

يحيط بها واد كبير تسيل مياهه ابتداء من قاع جبأ حتى يتصل بوادي موزع الذي يصب بدوره في البحر وهو أهم وادي يخترق منطقة السوا وما جاورها . وهو من أودية اليمن الغربية الخصبة . .

■■ السوا في النقوش القديمة والمصادر الكلاسيكية :-

كما سبق الاشارة اليه ان أقدم وثيقة تاريخية تذكر مدن المعافر هي النقش السبئى السابق الذكر الذي يعود تاريخه الى القرن السابع قبل الميلاد . . ولا نعلم ما اذا كانت مدينة السوا احدى تلك المدن . . لان النقش يستخدم عبارة كل مدن المعافر دون ذكر اسمائها . . وقد عرف من خلال المصادر الكلاسيكية ولا سيما كتاب الطواف ان مدينة السوا كانت حاضرة المعافر في عهد مؤلف هذا الكتاب . واقدم ذكر لها ورد في نقش قتباني ربرتوار (٤٣٢٩) يعود تاريخه الى القرن الثاني قبل الميلاد ويتضمن هذا النقش أن الجماعة (او القبيلة) الذين يقيمون في هجر هربت (هجر حنو

الـزرير حاليا في وادي بيحان) وهـم أصلا من سكان مدينة السوا . . ونقش سبئي يعود تاريخه . .

أمـا نقش مدينـة السـوا الـذي عثـرنا عليه في ١٩٨٧/٣/٥م فهو الدليل الوحيد الذي ساعدنا على تحديد موقـع المـدينـة ، لان موقعها كان مجهولا لدى البـاحثين والمهتمين بالاثار ، ويحدثنا هذا النقش عن اسم قيل المعافر الذي كان يتبع ملك حمير في ظفار ، اي ان اقليم المعـافـر كان يتبـع اداريا انـذاك ظفـار العاصمة الحميرية وان قيلها كان يحكم باسم ملك حمير . .

السوا في المصادر العربية :-

مثلما تضمن نقش النصر ربرتوار (٣ر٤٩٤٥) = جلازر ١٠٠٠أ) اشـارة الى (هجر معفرن) اي مدن المعافر دون ان يحدد كل اسمائها ، كذلك فإن الهمداني هو الاخر يذكر على سبيل المثال مواضع في المعافر من العسير تحديدها مثل (برك الغماد) الذي ذكر انه موضع في منطقة الدمينة وعزازة على أنها من سفلى المعافر . .

والقارىء للهمداني يلاحظ اغفاله لمدينة السوا اذ يقول : وهذا ما علمناه من قصور اليمن ومحافدها سوى ماخفي عنا منها ولم نعرفه لان ابراهيم بن اسحاق بن الوليد السماني من اهل المعافر قال : رأينا بالمعافر قرب صحـارة اثـار مملكة وقصور عظيمة لشمر وهذا الموضع مما لم يذكره العلماء ، غير انه من الممكن ان تكون المخطوطة قد صحفت في صفة جزيرة العرب ، فمثلا قرأ ديفيد هينرث موللر اول محقق للصفة قرائتين (مـأثـرة جبل السر) و(مأثرة جبل السو) وفضل قراءة (مـأثـرة جبـل السر) على (مأثرة جبل السو) رغم ان القراءة الاخيرة وردت في احدى المخطوطات كذلك كرر شيخنا العلاقة القاضي محمد بن علي الاكوع كما يبدو الخطأ نفسه فقرأها (مأثرة جبل السر) اما شبرنجر فقد قرأ (مأثرة جبل السو) نقلا عن المخطوطة الاصلية كما هي عليه في الاصل ورسمهـا بالحرف العربي في كتابه جغرافية تاريخ العرب الذي الفه في اللغة الالمانية . .

امـا المصـادر العـربية الاخرى فإنها لاتتضمن اخبارا عن مدينة السوا تساعد على معرفة تاريخ المدينة وأهميتها قبل الاسلام وبعده ولكن هذه المصادر تشير الى مدينة السوا اشارة موجزة على انها حصن منيع كان يستخـدم كموقع عسكري للسيطرة على ماجاوره من مناطق وذلك في العهود الاسلامية المتأخرة ، كما ان هذه المصادر لاتحدد موقع حصن السوا تحديدا دقيقا فبعض اصحاب هذه المصادر يحدد السوا على انها حصن في جبل صبر ، والبعض يذكرها على انها عزلة والبعض الاخر يذكرها على انها مخلاف . .

■■ اهمية مدينة السوا التجارية :-

تعـد مدينـة السوا حاضرة المعافر وكانت مقرا لقيله المسمى كليبا وكـانت تتبع العاصمة الحميرية ظفار في عهد كرب إل الذي يعود عهده الى النصف الاول من القرن الثالث للميلاد ومما تجدر الاشارة اليه ان من نتائج الحرب السبئية الحميرية في منتصف القرن الاول للميلاد استيلاء الحميريين على القسم الجنوبي من مناطق النفوذ السبئية مما مهد بعد ذلك الى تحول مركز الحكم من مأرب الى ظفار واصبحت موزا فرضة ظفـار) والمنفـذ البحري للتجارة الحميرية مما أكسب مدينة السوا أهمية خاصة اذ اصبحت المحطة الرئيسية على طريق التجارة التي تربط العاصمة الحميرية بتجارة البحر الاحمر . .

ومما يشير الى ازدهار هذه المدينة اقتصاديا وتجاريا ما جاء فـي المصادر العربية من ذكر لمصنوعات منطقة المعافر والبضائع التي تتجر بها . . وقد ورد في حديث لرسـول الله صلى الله عليه وسلم ذكـر (ثياب المعافر وبروده) ويشير الهمداني الى شهرة المعافر بالمصنوعات المتنوعة . .

اما المصادر الكلاسيكية فانها تشير الى أهمية هذا الاقليم اذ يحدثنـا كتـاب الـطواف عن موزا وانـواع البضـائـع في سوق موزع والتجـار الـذين كانت لهم صلات تجارية مع الجانب الافريقي والجانب الهندي ويضيف كتاب الطواف ان ربطة كانت تابعة لموزع وأن أهل موزع كانوا المسيطرين على الملاحة البحرية ، ولهم خبرة باهل البلاد . . وفي هذه الفترة كان حاكم موزع نفسـه يعيـن من قبل قيل المعافر ، الذي كان يحكم منطقة ربطة المشار اليها آنفا . . مما يدل على القوة التي وصـل اليهـا قيل المعـافـر ، والذي يتبع رسميا الملك الحميـري في ظفار . . وهذا مايجعلنا نرجح ان موزع كانت مزدهرة في تلك الفترة وبالتالي كانت مدينة السوا تشهد نفس الازدهار خاصة ان حاكم موزع كان يتبع قيل المعـافـر المقيم في مدينة السوا . . مما اتاح المجال

لموزع ان تكون المنفذ البحري للدولة الحميرية وان تلعب دورا تجاريا هاما أكسبها تلك الشهرة والازدهار على ان أهمية مدينة السوا لايقتصر على القرن الثالث بعد الميلاد بل ان هناك نقشا قتبانيا ربرتوار (٤٣٢٩) يشير الى انها كانت ذات أهمية قبل ذلك التاريخ وبالتحديد في القرن الثاني قبل الميلاد . . ويتضمن النقش اشارة الى ان بعض سكان مدينة السوا كانوا في مدينة هربت (هجر حنو الزرير) في وادي بيحان - ويستدل من ذلك على انهم كانوا من طبقة معينة وبالتحديد من التجار ، الذين كانوا على مايبدو يستقبلون البضائع القادمة من السوا ويشرفون على تصريفها هناك اما موزع فقد جاء ذكرها في معظم المصادر الكلاسيكية المبكرة والحديثة ، الا اننا نجد معظم المصادر تخلط بين مدينة أو سوق موزع وميناء المخاء فكلاهما يقع في منطقة بعيدة عن الاخرى ولم يتحروا الدقة فبعضهم يجعل موزع كميناء على البحر . مع ان المؤكد ان المخاء تبعد عن موزع بحوالي ٣٥ كم كما ان موزع تقع على اليابسة (من الداخل تبعد عن الشاطىء بمقدار ٣٠ كم . . ولم تكن موزع كما يزعم البعض هي الميناء التي ترسو فيها السفن ولكنها كانت سوقا تجاريا . .

واذا لم تكن المخاء هي الميناء قديما فمن المرجح ان الميناء التي كانت تنقل منها البضائع الى موزع كانت تقع على الساحل المقابل لها . ومن مشاهدتنا للمنطقة نرجح ان (واحجة) التي تقع على الساحل كانت هي الميناء التي ترسو فيه السفن ، ولا تزال هذه المنطقة تسمى عند الاهالي بالمرسى . بالاضافة الى انها تقع على مصب وادي موزع المشار اليه وعلى هذا الوادي يقع السوق القديم موزع . ( )

■■ القسم الثاني :-

يتضمن دراسة اثرية لموقع مدينة السوا وما جاورها من مواقع قريبة منها وجاءت هذه الدراسة نتيجة لزيارات ميدانية متكررة حاولت من خلالها ان اتعرف على أهم بقايا المنشآت المعمارية المتنوعة ، مثل السور وتتبع ماتبقى منه ، ويستدل من بقايا السور ان مدينة السوا كانت بحكم موقعها الطبيعي محصنة لاتحتاج الى سور كامل الا في بعض الجهات منها ومن الملاحظ ان اسلوب بناء السور لايختلف عما هو معروف في اسوار المدن اليمنية القديمة ومواد البناء من الاحجار الضخمة المهندمة . .

أما المدخل الرئيسي للمدينة فكان في الجهة الشرقية لجنوب المدينة وذلك استنادا الى ماعثر عليه من الاحجار التي كانت تمثل كتف الباب . .

ثم قمت بتتبع سور القصر ، ومبنى القصر والمنشآت المحيطة به . .

يعد القصر من أهم المنشآت التي تميز المدينة اليمنية القديمة (الهجر) كما هو معروف فان القصور اليمنية القديمة كانت تحمل اسماء معينة وبالنسبة لاسم قصر مدينة السوا فقد ورد في نقش السوا وهو (شبعن) وهو اسم اطلق على بعض القصور اليمنية في مدن اخرى ويقع قصر مدينة السوا على جبل مرتفع وسط المدينة ويبدو للناظر كأنه حصن عال يقسم المدينة الى قسمين شمالي وجنوبي ويغطي قصر شبعان مساحة طولها ٣٠٠ م وعرضها ١٠٠م تقريبا ولعل الزمن يجود علينا بوثيقة نستطيع من خلالها ان نحدد تاريخ بنائه وتذكر اسم بانيه أو صاحبه من الاقيال . .

ويتميز هذا القصر بالضخامة المعمارية ، كغيره من القصور اليمنية القديمة كما ان مخططه المعماري يختلف عن المنشآت المعمارية المجاورة له وهذه المنشآت المجاورة لها وظائف مختلفة ترتبط بالقصر مثل المخازن والمنشآت المائية وغير ذلك . .

■■ المنشآت السكنية في المدينة :-

كما هو معروف ان المنشآت السكنية في المدن اليمنية القديمة كانت تقع داخل اسوارها فنجد ان المنشآت السكنية في مدينة السوا معظمها متقاربة واحيانا تكون ملتصقة ببعضها اي ان هناك جدار مشترك لمسكنين وكل مسكن له باب مستقل عن الاخر ، ويلاحظ ان هناك ممرات بين المساكن بمسافات متفاوته ربما تكون شوارع المدينة . .

■■ المنشآت المائية :-

اعتمدت مدينة السوا على الامطار الموسمية وبشكل رئيسي على مياه جبل عرد والتي كانت تخزن في كروف وبرك وخزانات نحتت في الصخر .

وكما أهتم سكان مدينة السوا في بناء مساكنهم

ومنشآتهم الاخرى اهتموا ايضا بأبنية مقابرهم التي دفن موتاهم بها . .

بعد ذلك حاولت ان اتعرف على مواقع خارج سور المدينة فاصطحبت معي بعض المتخصصين في الرسم الهندسي المعماري للتعرف على كيفية تخطيط المدينة وتخطيط القصر والمنشآت المعمارية الاخرى ، والري وبناء القبور . وقمت بتفحص مواد البناء المستخدمة كالاحجار المهندمة وغير المهندمة والقضاض الذي كان يستخدم بدل الاسمنت انذاك . . ثم وثقت الموقع واقصد به موقع مدينة السوا وما جاوره بصورة فتوغرافية الى جانب التخطيط الهندسي والخرائط . .

■■ القسم الثالث :ـ

ويتضمن هذا القسم دراسة اللقى الاثرية المختلفة التي قمت بجمعها من الموقع بالاضافة الى تلك اللقى المنقولة من الموقع ومن المناطق المحيطة به والمحفوظة حاليا بمتحف صالة بتعز ، وقمت بتصويرها ودراستها وقسمتها الى مجموعات وهي اللقى الحجرية ، الفخارية ، المعادن ، والحلي ، الزجاج ، الصدف العظام ، النقوش ، ثم اللقى الاثرية التي تم جمعها من المواقع القريبة من منطقة السوا . .

ومن الملاحظ ان تلك اللقى الاثرية في مدينة السوا لاتختلف في صناعتها واشكالها وزخرفتها عما وجد في المدن اليمنية القديمة . .

فالتماثيل لها نفس السمات والملامح العامة التي ظهرت في فن النحت اليمني القديم من ناحية الاهتمام بالوجه وصغر نسب الجسم واليدين الممدودتين الى الامام . . وايضا الاهتمام بالتماثيل الحيوانية التي كانت تمثل رموزا للالهة اليمنية القديمة والتي اعطاها الفنان او النحات كل اهتمامه لاسيما من ناحية النسب التشريحية . .

ونجد ان الفنان اليمني القديم قد ابدع في صناعة هذه التماثيل أكثر من ابداعه في التماثيل الآدمية ، ، وهذه صفة عامة في الفن اليمني القديم . .

ومما يجدر الاشارة اليه انني قد واجهت بعض المصاعب التي اعترضتني خلال انجاز هذا البحث ولعل من أهمها :ـ

١ ـ عدم توفر دراسات سابقة لموضع البحث . .

٢ ـ العبث المستمر بالموقع ومحتوياته من قبل الاهالي مما ادى الى ضياع الكثير من المعالم الاثرية . .

٣ ـ الزحف الزراعي المستمر والمتمثل في استصلاح الاراضي .

٤ ـ عدم وجود تنقيبات اثرية من قبل بالمنطقة . .

وعلى الرغم من هذه الصعوبات وغيرها فقد وفقني الله الى انجاز هذا البحث المتواضع والذي توصلت من خلاله الى النتائج التالية :ـ

١ ـ لم يكن اقليم المعافر من قبل يقتصر على منطقة الحجرية حاليا ولكن نفوذه يمتد احيانا ليضم المنطقة من اقصى شرعب شمالا الى الصبيحة جنوبا ومن خدير وماوية شرقا الى البحر الاحمر غربا ، اي انه كان يشمل معظم محافظة تعز اليوم . .

وفي حوالي القرون الثلاثة الاولى للميلاد كان يخضع لنفوذ المعافر ايضا الشاطىء الافريقي اي المنطقة الواقعة على الساحل الافريقي المقابل لليمن . .

٢ ـ كان إقليم المعافر احد المخاليف المهمة في اليمن منذ العهود السبئية القديمة كما لعب دورا مهما في عهد الدولة الحميرية وكان مركزا اشتهر بالكثير من الصناعات وبقى كذلك الى العصور الاسلامية . .

٣ ـ ان رسالتي النبي صلى الله عليه وسلم الى اقيال اليمن ومنهم قيل المعافر ، تؤكد أهمية هذا الاقليم كواحد من أقاليم اليمن . .

٤ ـ يعد موقع منطقة السوا بما فيه المدينة احد المواقع الاثرية الهامة في اليمن القديم ، ويعود ظهورها الى ماقبل الميلاد ، ورغم ذلك لم يحظ هذا الموقع بعناية الدراسين والمتخصصين ولم يستطع احد ممن ذكروا مدينة السوا في مؤلفاتهم تحديد موقعها من قبل او ابراز أهميتها مع انها لعبت دورا هاما في الناحية التجارية عند تحول التجارة الى سوق موزع واشرافها اداريا على المنطقة الواقعة على الساحل الافريقي المقابل لليمن لاسيما في الفترة التي كانت فيها السوا حاضرة لاقليم المعافر ومقرا لقيله . .

٥ ـ لعبت مدينة السوا دورا هاما أكثر أهمية كعاصمة لاقليم المعافر منذ تحول التجارة من ميناء قناء الى سوق موزع وذلك منذ حوالي القرن الاول للميلاد . .

٦ ـ يفصل اكثر المؤرخين بين ميناء المخاء وموزع

وموشج ، والصحيح كما ثبت لدينا ان موزع في مصب وادي موزع وان لم تكن على الساحل فلها مرسى . وهي السوق التابعة لقيل المعافر في السوا وكانت مقرا لجمع البضائع ، وهي غير ميناء المخاء أو ميناء موشج . .

ومن خلال بحث المعالم الاثرية لمدينة السوا نوجز النتائج التالية :-

١ - تخطيط مدينة السوا لايختلف في مجمله عن تخطيط اي مدينة يمنية قديمة اخرى خاصة المدن الواقعة على المناطق المرتفعة مثل (مدينة ظفار) وغيرها من حيث السور والقصر وما حوله من منشآت معمارية مثل المساكن والمنشآت المائية والمعابد والمقابر والطرق . .

٢ - يتشابه اسلوب البناء ومواده المستخدمة في مدينة السوا مع غيرها من المواقع الاثرية الاخرى من حيث استخدام الاحجار المهندمة والاخشاب والقضاض والآجر وغيره وكذا رصف الطرق بالاحجار . .

٣ - تتشابه مدينة السوا مع غيرها من المواقع الاثرية الاخرى من حيث اقامة منشآت الري في المناطق الجبلية مثل الكروف الصغيرة والكبيرة والبرك والسدود . .

٤ - لفت اهتمام العلماء والباحثين الى قيام مدن راقية في المرتفعات الجنوبية يرتبط ازدهارها بالحركة التجارية في البحر الاحمر وتتأثر بالاوضاع السياسية ومن المدن الحميرية . واثارة فضول العلماء في آثار موزع والسوا وما جاورهما ، وابراز اهمية تلك الاثار المنسية في دراسة تاريخ اليمن القديم والجزيرة العربية ، وفي دراسة العلاقات التأريخية القديمة في منطقة البحر الاحمر وبحر العرب في عصر ماقبل الاسلام . .

ومن خلال دراسة اللقى الاثرية يمكن ان نوجز النتائج التالية :-

١ - يرجح ان المعبودات المعروفة في منطقة السوا هي نفس معبودات المناطق السبئية مثل المقه وغيره استنادا الى ماعثر عليه من اثار منحوته مثل رأس الثور ، ونقوش الوعل على اعتبار انها كانت الرموز الرئيسية لاله القمر اله سبأ الرئيسي . . وفي فترة متأخرة عرف عن أهل السوا عبادتهم للاله ذي سماوي اله منطقة أمير وهو إله كان يعبد في عدد من المدن على طرق التجارة . .

٢ - ان اللهجة السبئية كانت هي اللهجة الرسمية لسكان المنطقة وذلك استنادا الى ماعثر عليه من نقوش اثبتت ذلك . .

٣ - عرف اهل السوا أعمال النحت والزخرفة ، وتتشابه صناعة الفخار والمعادن عندهم مع ما عرف عن غيرهم من سكان المواقع القديمة الاخرى في اليمن ، وذلك ما ظهر في اشكال الاواني الفخارية والمصنوعات الاخرى التي عثر عليها مثل المنحوتات الحجرية التي منها المذابح والمباخر والتماثيل والمصنوعات المعدنية ، وان دل ذلك على شيء فإنه يدل على تشابه الملامح الحضارية بين هذه المدن وغيرها ، الا ان هناك بعض الاختلافات في الصناعات الفخارية تنحصر في طريقة الحرق والمادة التي استخدمت في الصناعة . . وقد ظهر كل هذا التشابه والاختلاف من اللقى الاثرية التي تم جمعها من الموقع ومن المواقع المجاورة له . . وقد ساعدت دراسة هذه اللقى مع المسح الاثري للموقع على استخلاص الدور التاريخي والحضاري والاقتصادي لهذه المدينة . .

«سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم» . .

صدق الله العظيم

أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب

في القرون الثلاثة الأولى للهجرة

ملخص ماجستير مقدمه من الباحثة : نوبه مجالي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

المقدمة :-

يعد البحث في دور العرب اليمنية في التأريخ الأسلامي بصفة عامة من الموضوعات التي بدأت تستهوي الباحثين في الحقبة الاخيرة ، وذلك لماكان لليمنية من دور فعال في مجال الفتوح ونشر الدعوة الاسلامية ، وإقامة حضارتها . . فساهموا فيها بقسط وافر سواء في المشرق أو المغرب . . وقد بدأت تظهر عدة دراسات عن دورهم في المشرق كرسالة الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي تحت عنوان أهل اليمن في صدر الاسلام ، دورهم وإستقرارهم في الامصار . . ولقد طبعت في بيروت عام ١٩٧٨م . . . أما عن المغرب فلم تظهر حتى الآن أية دراسة خاصة باليمنية . والذي لفت انتباهي هو ان كل الذين كتبوا عن الفتوحات العربية لبلاد المغرب يقرون ان معظم الجيش العربي الفاتح كان يتكون من اليمنية ، غير ان هذه الدراسات لم تتبع هؤلاء بعد ان أنتهت عملية الفتوح ، للكشف عن دورهم السياسي والحضاري . .

فبعد ان شاركوا بقسط وافر في عمليات الفتح باشتراكهم باعداد كبيرة في الجيوش كما كان قواد الفتح الثمانية (عمرو بن العاص السهمي ، عبدالله ابن سعد بن أبي سرح العامري ، معاوية بن حديج السكوني ، عقبة ابن نافع الفهري ، ابو المهاجر دينار مولى الانصار ، زهير بن قيس البلوي ، حسان بن النعمان الغساني ، موسى بن نصير اللخمي) منهم خمسة من اليمنية . معاوية بن حديج ، ابو المهاجر دينار ، زهير بن قيس البلوي ، حسان بن النعمان الغساني ، موسى بن نصير اللخمي ، وكان لهؤلاء دور في التقدم بعملية الفتح باتباعهم استراتيجية تختلف عن التي اتبعها القواد من القيسية ، باشراكهم البربر في الجيوش الفاتحة ، وبمبادرة احدهم وهو معاوية بن حديج في اتخاذ قاعدة للمسلمين ببلاد المغرب ، قبل ان ينشأ عقبة قاعدته . .

وبعد ان أنتهى الفتح وأستقر العرب نهائيا ببلاد المغرب وكان اليمنية هم غالبية هؤلاء العرب المستقرين ، لذا كان الدور الاوفر هم الذين قاموا به في احداث هذه الولاية . . فكان لصراعات العصبية القبلية التي كان اليمنية الطرف الثاني فيها ، السبب الاساسي في انتقال بعض الاحزاب المعارضة من المشرق الى المغرب ، كحزب الخوارج (الاباضية والصفرية) الذين فجروا الثورة في طنجة عام ١٢٢هـ نتيجة سؤ السياسة التي مارسها الولاة من القيسية على بربرها الذي اسكنهم الوالي موسى بن نصير بها بعد ان اختطها لهم ، فكانت هذه السياسة لاتهدف الى اساءة البربر واضطهادهم بقدر ما كانت تهدف الى الاساءة الى آل موسى بن نصير .

ترتب على هذه الاحداث دخول دفعات جديدة

من الجيوش العربية لاخماد هذه الثورات ، فكانوا يأتون من الشام ومصر على العهد الاموي وعلى العهد العباسي دخلت عناصر جديدة من العراق وخراسان ، من عربها وعجمها . . بالاضافة الى عرب الشام ومصر . واستمرت هذه الصراعات بين الولاة العباسيين بعد إنتقال الخلافة اليهم . . وبين الخوارج الى أن تم القضاء على كل محاولاتهم للاستيلاء على قاعدة المغرب القيروان ، على يد الوالي الازدي يزيد بن حاتم بن المهلب بن ابي صفرة (١٥٥ - ١٧١هـ) .

وكان المغرب ملجأ لكل الفارين السياسيين من المشرق ، خوارج وعلويين فالخوارج بعد فشل محاولاتهم في الاستيلاء على القيروان الصفرية عام ١٤٠هـ . والاباضية عام ١٤٤هـ . لجأوا الى المغربين الاوسط والاقصى وأسسو دولا لهم ، فالصفرية اسسوا دولة سجلماسة (١٤١هـ) والاباضية أسسو دولة تاهرت (١٦٢هـ) . أما العلويون من آل ادريس بن عبدالله فلقد لجأوا الى المغرب الاقصى وأسسوا دولة لهم بفاس عام ١٧٢هـ . . كما سبق هذه الدولة في الظهور دولة يمنية حمرية على شاطىء الريف بالمغرب الاقصى هي دولة آل صالح ، أسسها احد القواد الذين شاركوا في الفتح ثم إقتطع هذه المنطقة لنفسه وأسس عليها إمارته (٩٢هـ) وجعل عاصمتها نكور . .

وبعد أن تأسست هذه العواصم الجديدة انتقل بعض عرب افريقية وقرطبة اليها بعد فشل ثوراتهم على حكامهم ، فانضموا الى حكامها وسكانها، ولعبوا فيها دورا سياسيا بارزا . .

لم يقتصر دور اليمنية على الناحية السياسية فقط ، بل حتى الدور السياسي نفسه لم يقتصر على الولاة والقواد والجند فقط ، بل شارك فيه الفقهاء بقسط وافر الى جانب دورهم العلمي . فلقد كان العلماء من محدثين وفقهاء يقفون موقف المعارض من الولاة والأمراء . سواء في سياستهم الداخلية او الخارجية ، كموقف الفقيه البهلول بن راشد الرعيني (ت ١٨٣هـ) من الوالي محمد بن مقاتل العكي بسبب علاقته بالأمبراطور البيزنطي . .

شارك هؤلاء الفقهار وكان أغلبهم من اليمنية في انشاء المدرسة الفقهية المغربية فالصحابة منهم والتابعون قاموا بادخال السند العلمي ، فوضعوا بذلك أسس هذه المدرسة ، ثم يأتي من بعدهم المحدثين والفقهاء فيدخلوا المذهب المالكي ويقومون بنشره بين سكان المغرب الى أن يسود .

وبذلك اصبحت هذه المدرسة مدرسة فقهية مالكية بعد ان قضى شيوخها على اصحاب المذاهب الاخرى من احناف وخوارج ومعتزلة ثم شيعه في اواخر القرن الثالث والقرن الرابع الهجريين . وكان الذين قاموا بهذا الدور هم الفقهاء من اليمنية ، ابتداء من عبدالرحمن بن زياد بن انعم المعافري (ت ١٦١هـ) والبهلول بن راشد الرعيني (١٨٣هـ) وابن ابي حسان اليحصبي ومعاوية الصمادحي المعاصرين له ، وتلميذهم سحنون بن سعيد التنوخي (ت٢٤٠هـ) فقيه المغرب بدون منازع ، وإنتهاء بجبلة بن حمود الصدفي الذي عاصر الغزو الشيعي . .

ولقد حددت الفترة الزمنية لدراسة هذا الدور السياسي والحضاري بالقرون الثلاثة الاولى للهجرة ، من الفتح حتى سقوط الدولة المستقلة على يد الشيعة الفاطميين في اواخر القرن الثالث الهجري . .

ولقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

المقدمة وتحتوي تعريفا بالموضوع ودراسة لاهم المصادر المعتمد عليها في هذا البحث . .

أما الفصل الاول فلقد خصصته لدورهم العسكري ، وجعلت هذا الفصل خلفية لباقي المواضيع التي درستها في الفصول الاربعة اللاحقة ، ولقد قسمت هذا الفصل الى قسمين ، ، القسم الاول درست فيه مدى مشاركة اليمنية في الجيشو العربية الفاتحة كجند . أما القسم الثاني فلقد خصصته لدراسة دور القادة الفاتحين من اليمنية في التقدم بعملية الفتح . وليس الهدف من وراء دراسة هذا الموضوع (اي دور القادة) اضافة جديدة فلقد درس هذا الموضوع كثير من طرف الباحثين عرب وأوربيين بل هو في الواقع ابراز ورصد اعمالهم حتى تكون هذه النقطة خلفية للمواضيع اللاحقة كما ذكرت في السابق . .

أما الفصول الثلاثة اللاحقة وهي الفصل الثاني والثالث والرابع ، فلقد خصصتهم لدورهم السياسي ابتداء من انتهاء عملية الفتح حتى سقوط الدولة المستقلة في اواخر القرن الثالث الهجري . .

خصصت الفصل الثاني للعهد الاموي ودرست

فيه الصراع بين العصبيتين القيسية واليمنية ، والمتمثلة في تصفية آل موسى بن نصير ، وآل بشر بن صفوان الكلبي وما ترتب على هذه الصراعات من ظهور صراعات مذهبية وتمثلت في ثورات الخوارج التي فجرها بربر طنجة موالي موسى بن نصير عام ١٢٢هـ.

أما الجزء الثاني من هذا الفصل فلقد خصصته لدراسة دور الولاة من اليمنية في القضاء على ثورات الخوارج كالوالي حنظلة بن صفوان الكلبي (١٢٤ - ١٢٧هـ) وختمت هذا الفصل بدراسة تناولت فيها عودة الصراع بين القيسية واليمنية ، عبدالرحمن بن حبيب الفهري العائد من الاندلس والوالي حنظلة بن صفوان الكلبي واستيلاء عبدالرحمن على الحكم وقطع الخطبة للخلافاء العباسيين وانتهت هذه الاحداث باستيلاء الخوارج الصفرية على القيروان عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م .

أما الفصل الثالث : فخصصته لفترة الولاة العباسيين ابتداء من دخول أول والي لهم الى المغرب وهو محمد بن الاشعث الخزاعي (١٤٤هـ) حتى انفصال دولة الاغالبة عنهم . فدرست دور الوالي ابن الاشعث في القضاء على الخوارج بافريقية واسترجاعها الى سلطة الخلافة. ثم تناولت بعد ذلك ثورات العصبية ، ثورة اليمنية على القيسية وثورة القيسية على اليمنية ، كما خصصت جزءا من هذا الفصل لدراسة الولاة المهالبة ودورهم في انهاء كل محاولات الخوارج للاستيلاء على افريقية على عهد الوالي يزيد بن حاتم ١٥٥ - ١٧٢هـ . وختمت هذا الفصل بدراسة عن الوالي محمد بن مقاتل العكي وثورة القيسية والعامة والجند عليه ، ثم افتكاك القيسية من الحكم واستقلالهم بافريقية على يد ابراهيم بن الاغلب عام ١٨٤هـ .

أما الفصل الرابع : فلقد درست فيه دورهم على عهد الدول المستقلة جعلت القسم الاول من هذا الفصل دراسة دولة الحميريين آل صالح بنكور من ظهورها عام ٩٢هـ حتى سقوطها عام ٤١٠هـ . ولقد اعتمدت في دراستي هذه بالدرجة الاولى على الجغرافي البكري الذي تعد روايته أقدم رواية مفصلة الى حد ما عن هذه الدولة . .

أما الجزء الثاني من هذا الفصل فلقد خصصته لدورهم في الحياة السياسية بسجلماسة على عهد المدراريين . والجزء الثالث جعلته لدراسة نفس الدور في تاهرت الرستميين ، ومدى مشاركتهم في الصراعات التي عرفتها هذه الدولة سواء في الجزء الغربي منها (طرابلس) او في العاصمة نفسها تاهرت . . .

اما القسم الرابع فلقد درست فيه دورهم السياسي في فاس الادارسة من انشاء هذه العاصمة وتطويرها الى حين سقوطها على يد الشيعة الفاطميين . .

أما القسم الخامس والاخير فلقد خصصته لدراسة دورهم في قيروان الاغالبة وما قاموا به من ثورات محاولين بذلك افتكاك الحكم منهم الى حين سقوط هذه الدولة على يد الشيعة الفاطميين عام ٢٩٦هـ . .

أما الفصل الخامس والاخير فلقد خصصته لدورهم الحضاري . درست في القسم الاول منه دورهم في تأسيس المدرسة الفقهية بالقيروان ابتداء من دخول الصحابة والتابعين على عهد الفتح ، ثم تابعت تطور هذه المدرسة لابراز دورهم في ادخال السند العلمي الى افريقية ، الى حين ظهور طبقة الفقهاء الاولى وهم الذين قاموا بادخال المذهب المالكي بلاد المغرب ، كالمحدث عبدالرحمن بن زياد بن أنعم المعافري (ت ١٦١هـ) ومن أخذ عنه كالفقيه البهلول بن راشد الرعيني (ت ١٨٣هـ) ومن عاصره من الفقهاء كابن ابي حسان اليحصبي ، ومعاوية الصمادحي وغيرهم. كما خصصت قسما لفقيه المغرب الاول اليمني سحنون بن سعيد التنوخي لابراز الدور الهام لابراز الدور الذي قام به من أجل ان يسود المذهب المالكي ببلاد المغرب ، ولقد حاولت من خلال ذلك ابراز صراعاتهم مع الامراء الاغالبة وانصارهم من الاحناف ثم صراعهم ضد الشيعة حين أستولوا على إفريقية عام ٢٩٦هـ كما خصصت جزءا لدورهم في تطوير النظم القضائية ببلاد المغرب .

أما القسم التالي فلقد خصصته للنحويين والشعراء حيث كانوا هم الرواد في ذلك ولقد حاولت ابراز دور الولاة المهالبة في تشجيع هذا النوع من الدراسات ، كما ابرزت كذلك دورهم في بعض التنظيمات الاقتصادية ودورهم في النشاط العمراني من بناء مدن وانشاء المساجد وتوسيعها. وأنهيت هذا

الفصل بوضع خريطة للمناطق التي تجمعوا فيها وأصبحت بذلك تحمل أسماء شخصيات أو افراد منهم . كقرية الانصاريين وقرية خولان ومقبرة قضاعة . .

أما الخاتمة فلقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث وأركزها في النقاط التالية :-

١ - أنهم كانوا يشكلون غالبية الجيش الفاتح

٢ - القادة الخمسة وهم اليمنية من بين ثمانية الذين قاموا بعملية الفتح هم الذين خطوا بالفتح سريعا وذلك بكسب البربر الى جانبهم عن طريق اشراكهم في الجيش . . ويمبادرة احدهم وهو معاوية بن حديج ببناء قاعدة للمسلمين في الداخل (معسكر القرن) ثم بناء حسان ابن النعمان القاعدة البحرية تونس . .

٣ - هم الذين قضوا على معظم ثورات الخوارج بالمغرب ، حنظلة ابن صفوان الكلبي على عهد الامويين (١٢٤-١٢٧هـ) وعلى عهد العباسيين كل من محمد بن الاشعث الخزاعي (١٤٤هـ) ، ويزيد بن حاتم بن المهلب عام ١٥٥هـ كما كان الخوارج الاباضية كل زعمائهم الأوائل بالمغرب من اليمنية ، مثل عبدالله بن مسعود التجيبي ، وعبدالجبار بن قيس المرادي ، والحارث بن تليد الحضرمي ، وأبو الخطاب عبد الاعلى بن السمع المعافري . .

٤ - وفي عواصم الدول المستقلة سجلماسة وفاس وتاهرت والقيروان كان لهم دور سياسي بما تولوا من مناصب ، ولما قاموا به من ثورات وعمران . .

٥ - نجح اليمنية في تكوين دولة لهم في الريف بالمغرب الاقصى عام ٩٢هـ ، واستطاعت هذه الدولة أن تعيش طويلا حتى ٤١٠هـ بمقاومتها الشديدة لكل الغزوات الخارجية .

٦ - دورهم في الحياة العلمية ، فلقد كان الفقهاء الذين لعبوا دورا بارزا وتركوا أثارا واضحة على المدرسة الفقهية المغربية من اليمنية . .

والله ولي التوفيق

أبحاث في ... اللسانيات وعلم اللغة

الفصل الأول

[الحلقة الثانية]

تأليف/د. محمد عبد الرضى قدوح

إتجاهات وأساليب علم اللغة في القرن العشرين

الأسلوب التاريخي المقارن :-

ويعتبر العالم الفرنسي أ - مايي من الرواد الأوائل في هذا الاتجاه. فبرأيه ان الدراسة التاريخية المقارنة تحقق هدفين هامين في البحث اللغوي : فهي تكشف عن القوانين العامة ، وتوصل إلى معلومات تاريخية تساعد على دراسة تاريخ اللغة أو اللغات المتقاربة . ولدى مقارنة اللغات يقتضي أخذ مجموعة عناصر، ولا يجوز الاعتماد على المصادفة أو على الأمثلة النادرة والقليلة . يتوجب كذلك على الباحث كقارنة الأصوات والنحو والتركيب والمفردات بشكل عام ، وللحصول على نتائج صحيحة يطلب من الباحث ، بواسطة هذا المنهج ، ان يقابل بين الكلمات والأشكال والصيغ الأكثر قدماً، لأن اللغات المتقاربة قد تكون ناشئة من لغة واحدة. وقد يكون من الضروري مقابلة مجموعة من هذه اللغات المتقاربة من أجل إثبات الصلات والمميزات الخاصة .

ان مقابلة لغتين فقط قد لاتعطي النتائج المرجوة ، وربما تضل الباحث عن الحقيقة ، فلدى مقارنة مايسمى باللغات (السامية) يستحسن مقابلة العربية والإثيوبية والعبرية والسريانية والآرامية. وكلما تعمقنا في المقارنة بين هذه اللغات واللغات الأكثر قدماً كالفينيقية والأشورية والسومرية والمصرية القديمة وغيرها كلما وصلنا إلى نتائج أصح وأدق. ولدى مقارنة اللغات المشتقة عن اللاتينية والجرمانية والسلافية يستحسن إجراء المقارنات مع اللغات الأكثر قدما مثل اللاتينية والإغريقية والسنسكريتية وغيرها من اللغات المشتقة عن الهندية ، وعلى سبيل المثال ، لو أخذنا كلمات تدل على المعنى وضده في العربية نرى أنها تدل على احد المعنيين في العبرية أو السريانية ، فمن العربية مثلاً : الهَدر (القاموس المحيط). الهَدْر والهادر بمعنى الساقط في العبرية (هدور) بمعنى فخم، بهي ، جليل . من السريانية بهي سني . ولدى مقارنة كلمات عديدة في العبرية والآرامية والسريانية والعربية نرى أن بعض الأصوات قد تحولت إلى أصوات متشابهة في اللغات الأخرى وبقيت المعاني واحدة. وبالطبع إن مثل هذه الظاهرة تدل على علاقة القرابة البعيدة بين هذه اللغات (أَخل) من العبرية (أَخَل) من الارامية . إخل. من السريانية أكل . من العربية.

ويلاحظ في هذه الأمثلة تغير حرف الوسط خ - ك أما في الكلمات التالية قرد من العبرية قردا من الأرامية وردا من السريانية وَرْد من العربية يلاحظ تغير الحرف الأول من الكلمة ق - و ولدى مقارنة بعض الكلمات من الروسية الحديثة bereg شاطىء Zoloto ذهب مع مثيلاتها من السلافية القديمة breg . Zloto يظهر بوضوح التغير الصوتي ere- re- olo- lo.

ويمكننا رؤية هذه القرابة اذا قارنا مجموعة من اللغات «السامية» القديمة والحديثة ، ولتصح المقارنة

يجب ان نحدد مجموعة من الكلمات المفترض منطقيا أن تكون أكثر إستعمالا في العصور القديمة وأقل تغيرا مع البعد الزمني. كأن تقارن مثلا مجموعة من الكلمات الدالة على القرابة والنسب أو أعضاء الجسم أو مظاهر الطبيعة وأسماء الحيوانات المعروفة في المنطقة الجغرافية المعينية أو مقابلة الأعداد والضمائر وأسماء الإشارة وغيرها. **انظر الجداول المرفقة**

وقد تتضح صلة القرابة إذا قارنا بعض الكلمات في اللغات المنتمية للهندو أوروبية فكلمة «واحد» في الايطالية والفرنسية un, une وفي الاسبانية uno, una وفي الروسية odna, odin والبلغارية edin وفي الانجكليزية والألمانية One وكلمة «عسل» في السنسكريتية madhu والانكليزية القديمة medu والسلافية القديمة medu والالمانية القديمة metu وكلمة (حاجب) في السنسكريتية bharu والانكليزية القديمة bru وفي الروسية brov وكلمة «دخان» في السنسكريتية dhuma واللاتينية fumus واللتفية والسلافية القديمة dumai (١) وهناك آلاف من الكلمات المشتركة في هذه اللغات.

إذن فالأسلوب التاريخي المقارن يساعد على كشف النواحي الوراثية للغة، ويسهل فهم مراحل تطورها. ويهتدي العلماء بواسطة هذه الطريقة إلى كشف جوانب هامة من تاريخ اللغات والشعوب. وقد أشار مايي إلى أن أهم سلاح في يد عالم اللغة، لمعرفة تاريخ اللغة المعينة، يعتبر المقارنة. والمقارنة قد تبدأ بالأصوات والتحقيق في تغيرها من لغة لأخرى، وفي المفردات والاشتقاق والصرف والنحو والنظم وغيرها. ففي اللغات «السامية» نرى أن الاصوات: ث، س - ت، ش، تتناوب باستمرار، وكذلك الأصوات، ص، ض، ظ، ط، وهكذا: (أنظر الامثلة السابقة)، وكذلك الحال في المجموعة الهندو أوروبية. ففي كلمة «ضيف» الجذر اللاتيني host والروسي gost يمكن القول بأن h تعادل g.

إن مقابلة الأصوات تساعد بصورة خاصة في حال فقدان الآثار المكتوبة، في فترات مختلفة، كما هو الحال مع اللغة العربية. وبذلك فإن مقارنة الألفاظ والتحقيق في أشكال التبادل وغيرها من وسائل المقارنة تعطي نتيجة هامة في دراسة تاريخ اللغة. وقد تساعدنا المقارنة انطلاقاً من فهمنا لطبيعة كل لغة على تحديد مراحل التطور. فقد نتنبأ من خلال مقارنة ضمير الرفع المخاطب بأن النون في anti,anta هو خاص بالمجموعة الجنوبية للجزيرة العربية، أي أنه خاص بالعربية والحبشية والسبئية - المعينية، أما في البابلية - الآشورية والعبرية والآرامية يمكن إدغامه فيما بعده atti (atta).

إن مقارنة مثل هذه الحالات قد توضح فترات التطور من خلال مقارنة مجموعة ملاحظات متساوية توصل إلى تحديد اتجاه معين في حقبة معينة في التطور. أي إن الإدغام والتشديد والإتجاه نحو حله، وإيجاد أصوات فاصلة تسهل عملية اللفظ، كل ذلك ينبيء بأن هذه اللغات قد مرت بفترات مختلفة، أي ماقبل التشديد، ثم التشديد، ثم إبطاله ثانية، إن العربية الآن هي المرحلة المتطورة، أي المرحلة الأخيرة في هذه العملية. وقد نرى أن التشابه القائم بين اللغات الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية كالتشابه بين العربية الفصحى والعربية الجنوبية والحبشية - الاثيوبية في بعض النواحي.

والأسلوب المقارن يساعدنا على معرفة اللغة الأم التي تفرعت عنها اللغات المتقاربة، لأن عملية التغيير والتطور في اللغة تتم بشكل متنوع وجزئي. فهي لاتشمل اللغة بشكل عام ودفعة واحدة، إنها عملية تطور بطيء يمكن مراقبة مراحلها عبر هذا الأسلوب الذي يعطينا أفضل النتائج من أجل فهم اللغات القديمة وأصولها المندثرة. ومن رواد هذا الإتجاه - كما قلنا أنطوان مايي الفرنسي، الذي أبدع في الدراسة المقارنة بادئاً بمقابلة اللغات الهندو أوروبية وواضعاً تقسيم اللغات إلى مجموعات وعائلات وقد كتب العديد من المؤلفات والمقالات في اللغات المختلفة. وأخذ يتخصص في اللغات السلافية.

وإستفاد كثيرا من دراسة اللغات القفقازية والأرمنية وغيرها. ولقد حرص مايي على نهجه هذا في علم اللغة الإجتماعي رافضا الاتجاهات الفاشية أو العرقية، ويمكن القول إن المدرسة الفرنسية تعتمد في الأساس التقاليد السابقة لمايي، إلا أن أنطوان مايي يعتبر بحق العَلَم الاساسي لهذه المدرسة التي اختلفت عن بعض المدارس الأخرى في أوروبا وأمريكا، وقد درس اللغة بأسلوب تاريخي مقارن عدد كبير من العلماء الغربيين مثل: غريم وبوب وفرتوناتوف وغيرهم.

وتجدر الإشارة إلى أن قرابة اللغات لاتعني دائماً قرابة الشعوب والأصول الجنسية . فإن شعوبا عديدة اتخذت لغات مختلفة على مر العصور ، وعلى سبيل المثال، اتخاذ القبائل العبرية للهجة الكنعانية وهو لايعني قرابة هذه القبائل من الناحية الجنسية والعرقية للكنعانيين سكان البلاد الأصليين المنحدرين من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكذلك الحال بالنسبة للأحباش الذين اتخذوا لهجة عربية جنوبية قديمة لغة لهم .

مدرسة جنيف اللغوية :-

مؤسس هذه المدرسة فرديناند دي سوسيور وهو واحد من كبار العلماء اللغويين الذين أثروا على إتجاهات علم اللغة بشكل عام . بدأ حياته العلمية في باريس مدرسا، ثم إنتقل إلى جنيف ، وقد نشر محاضراته في علم اللغة العام في سنة ١٩١٦ في كتاب ترك أثره البالغ على تلامذة سوسيور من بعده . وأفكار سوسيور Saussure تطورت في أعمال ش . بال وأ. مابي وج. فندريس وأ. بنفينيست . والخدمة الجليلة التي قدمها سوسيور لعلم اللغة تتلخص في كونه ربط اللغة بالفلسفة ربطا وثيقاً بحيث توجه بشكل خاص نحو ضرورة دراسة اللغة ككل مؤلف من عناصر مترابطة ، ومتعلقة فيما بينها، وليس من العبث أن يختم سوسيور كتابه بعبارة شهيرة تشير إلى أن الموضوع الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو اللغة بحد ذاتها ومن أجل ذاتها ، وقد أوضح سوسيور بأن أهم شيء في دراسة اللغة هو دراسة العلاقات اللغوية ، لأن اللغة بمفهوم سوسيور هي نظام رموز . فالزوائد والجذور والأصول في الكلمات تصبح ذات قيمة معنوية فقط أثناء تحليل عناصرها وتركيبها تجزيئاً وجمعاً . حتى إن علم اللغة بحد ذاته هو مجموع علوم حول اللغة والكلام ، كعلم اللغة الداخلي ، وعلم اللغة الخارجي ، وعلم اللغة المعتمد على دراسة اللغة بحاضرها وبتطورها التاريخي . ولذا يمكن القول بأن سوسيور أدخل في علم اللغة مفاهيم فلسفية جديدة معتمدة على العلاقات الداخلية والخارجية ، على التنافر والإتحاد على تجزئة العناصر وتركيبها . لقد حدد مفهوم اللغة كنظام رموز وعلاقات . ورغم أن سوسيور أعطى علم اللغة في القرن العشرين إندفاعا كبيراً ، بحيث تأسست فيما بعد مدارس واتجاهات اعتمدت على تعاليمه فإن النقد يوجه لنظرية سوسيور من حيث أنه قلل من أهمية الاعتماد على الدراسات التأريخية . واعتبر وضع اللغة الحالي أهم بكثير من دراسة وضعها في مراحل تطورها التأريخي .

كما إنه قلل من القيمة الإجتماعية للغة وبالغ في جعلها نظام عناصر ورموز وجرد هذه العناصر لدرجة فقدانها معناها المادي . وهكذا على أساس تعاليم سوسيور نشأ علم اللغة البنيوي .

يقول سوسيور في خصائص اللغة : إنها موضوع محدد جيداً في المجموع المزيج لوقائع الملكة اللغوية ويمكن تعيين موضعها في القسم المحدد للحلقة حيث تقترن صورة سمعية معينة بمفهوم معين . فهي الجزء الاجتماعي من الملكة اللغوية الموجودة خارج الفرد الذي لايستطيع أن يوجدها لوحده ، ولا أن يعدل فيها ، فهي لاتوجد إلا بفضل نوع من عقد قد تم إجراؤه بين أعضاء الجماعة . ويحتاج الفرد ، من جهة أخرى ، إلى عملية اكتساب لكي يعرف أنظمتها والطفل لايتمثلها إلا رويدا رويدا . إنها شيء مميز إلى درجة أن رجلا فقد استعمال الكلام يظل يحتفظ بها شريطة أن يفهم الإشارات الصوتية التي يسمعها .

إن اللغة ، التي هي مميزة عن الكلام ، موضوع تمكن دراسته على حدة ، فنحن لم نعد نتكلم اللغات الميتة ، ولكننا نستطيع جيدا تمثل جهازها اللغوي ، وليس في مقدور علم اللغة أن يستغني عن العناصر الأخرى للملكة اللغوية وحسب ، بل يستحيل قيامه إذا اختلطت هذه العناصر به .

وبينما الملكة اللغوية خليط فإن اللغة ، كما حددناها ، ذات طبيعة متجانسة ، إنها تنظيم إشارات حيث الأهمية تكون لاتحاد المعنى بالصورة السمعية وحيث قسما الإشارة هما نفسانيان الواحد كما الآخر .

اللغة مثلها مثل الكلام موضوع ذو طبيعة محسوسة وهذا نفع كبير بالنسبة إلى الدراسة . فبالرغم من أن الإشارات اللغوية نفسانية بشكل أساسي ، فهي ، مع ذلك ، ليست تجريدات . إن التداعيات التي أقرها التراضي الجماعي والتي يؤلف مجملها اللغة هي حقائق مقرها الدماغ . وبالاضافة الى ذلك ، فإن إشارات اللغة هي ، بكلام ما ، ملموسة . بإمكان

الكتابة تثبتها في صور اصطلاحية بينما يستحيل تصوير كل تفاصيل الكلام ، إذ أن النطق الصوتي لكلمة ما مهما صغرت ، ينطوي على حركات عضلية لاعد لها ومن الصعب جدا معرفتها ورسمها . أما في اللغة فعلى العكس من ذلك لم تبق إلا الصورة السمعية وهذه بالإمكان ترجمتها إلى صورة مرئية ثابتة (٢) (٣٢ ؛ ٦٣) .

حلقة براغ اللغوية :-

أو مدرسة براغ لعلم اللغة الوظيفي وقد نشأت في ١٩٢٦ واستمرت حتى ١٩٥٢ ، ومن روادها : ف . ماتيزيوس، ب - ترنك ، ب . غافرانيك ، يا . موكار جوفسكي ، ف . سكاليتشكا ، ن . تروبتسكي ، ر . ياكسون وغيرهم ، وقد توقفنا عند هذه المدرسة ، لأنها تعتبر مرحلة هامة في تطور علم اللغة وخاصة في تطوير تعاليم سوسيور حيث إنها درست اللغة على أساس وظيفي ، وفصلت بين اللغة والكلام . وقد استطاعت أن ترتئي الخلل في نظرية سوسيور. فجعلت العلاقة ضرورية أثناء دراسة اللغة بواقعها الراهن أو الحاضري بواقعها التاريخي . واتجاه هذه المدرسة ساعد على وضع دراسات قيمة في تحليل مقارن للغات المتقاربة والمتباعدة للكشف على المظاهر اللغوية المشتركة والمختلفة ، وهذه الدراسات ساعدت مستقبلا على وضع تصنيف اللغات في العالم على أساس جديد قائم ليس على العائلة اللغوية فقط وإنما على الاتحاد اللغوي ، الذي يجمع لغات من عائلات مختلفة ، يعتمد الاتحاد هذا على أساس تقارب هذه اللغات من حيث بنائها الصوتي أو النحوي والصرفي. وقد أشارت هذه المدرسة كذلك في فصلها بين اللغة والكلام، الى أن دراسة الكلام تختلف عن دراسة اللغة. فإن دراسة الاصوات مثلا هي مجال العلوم الطبيعة ، على اساس أن الأصوات في الكلام هي شيء مادي ملموس ودراستها تتم عبر وسائل علمية حديثة ، تعكس الواقع المادي للأصوات وعلاقاتها ، ضمن دراسة علم الاصوات phonetics phonitique أما أصوات اللغة فتدرس من قبل الفنلوجيا phonology - phonologie وتعكس هذه الأصوات الواقع اللغوي الحاضر والماضي أي الوجود المادي الواقعي والأصوات في ماضيها غير الواقعي المتصور .

واختلفت مدرسة براغ عن إتجاه سوسيور بكونها أولت إهتماما خاصاً بالناحية الاجتماعية للغة ، واوضحت أن العلاقات اللغوية والواقع الإجتماعي مترابطة وهامة، خاصة أثناء دراسة الأساليب الانشائية .

ولقد اعتمد مفهوم وظائف اللغة في مدرسة براغ على تعاليم وآراء العالم الألماني ك . بيولير صاحب الكتاب الصادر عام ١٩٣٤ «نظرية اللغة . النموذج البنائي للغة» . وبرأي بيولير إن القدرات النفسية عند الانسان في كونه يفكر ، يشعر ويعبر عن إرادته ، إن هذه القدرات خلقت وظائف لغوية ثلاث : وظيفة التواصل - التفاهم ووظيفة التعبير والعرض ، وهذه الوظائف بدورها تتعلق بأشكال ثلاثة للجمل : الإخبار ، التعجب وما شابهه ، والطلب . إن الوظائف اللغوية ساعدت هذه المدرسة في دراسة واقع اللغة الأدبية واللغة الشعبية . ولقد أظهرت بعض التعاليم عندها تكون الأساليب اللغوية كلغات تختلف عن اللغة الشعبية العامية . وساعدت بالطبع في إظهار علم الأسلوبية وعلاقته الهامة بعلم اللغة (٤٩) .

حلقة كوبنهاغن اللغوية :-

أو علم اللغة الوصفي . مؤسس هذا الاتجاه لوي هيمسليف (١٨٨٩ - ١٩٦٥) ، وكان أستاذا في جامعة كوبنهاغن ، ومن أهم مؤلفاته «طريقة التحليل البنيوي في علم اللغة» و«اللغة والكلام» ومن المروجين لهذا الاتجاه بريوندال (١٨٨٧ - ١٩٤٢) ، وهو مؤلف علم اللغة البنيوي ، وأولدال (١٩٠٧ - ١٩٥٧) ، وهو مؤلف أسس علم اللغة الوصفي . وهذا الاتجاه يعتمد على الأسس الفلسفية ، المرتكزة على المنطق والمنطق الرياضي بشكل خاص . ويرى هذا الاتجاه ان علم اللغة يجب ان يدرس دائما بناء العناصر الداخلية الخاصة بكلام الانسان بشكل عام وليس الخاصة بلغة معينة ، أي أن هذا الاتجاه يحصر دراسة علم اللغة بالتركيب البنيوي الكامل للغة .

وهذه النظرية تعتمد على جمع الأشكال والوظائف والعلاقات اللغوية في إطار نظامي أقرب إلى

الجبر والرياضيات . وهذا التوجه وضع بالفعل حجر الأساس لقيام علم اللغة الرياضي فيما بعد .

علم اللغة البنيوي الأمريكي :

أو علم اللغة الوصفي الأمريكي ، ومن أعلام المدرسة الأمريكية سيبير (١٨٨٤ - ١٩٣٩) ، وبلومفيلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩). وقد تأسست هذه المدرسة نتيجة لتوجه علماء اللغة الأمريكيين لدراسة اللغات المحلية للهنود ، سكان البلاد الأصليين . ولتلك اللغات التي تختلف بشكل واضح عن اللغات الهندو أوروبية ، والتي تحتوي على نواح بدائية جعلت اتجاه علماء اللغة يتركز على دراسة اللغة بشكل وصفي دون اللجوء إلى تحليل تاريخي ، أو دون شروحات معتمدة على المقارنة التأريخية ، والاتجاه الأمريكي عرض في كتابي «اللغة» لسبير وبلومفيلد . إن أفكار هؤلاء العلماء تأثرت بدون شك بالفكر الأوروبي وبفكر سوسيور بشكل خاص ، لذلك تعتبر امتدادا للمدرسة البنيوية في دراسة علم اللغة ، ويوضح سيبير في كتابه «اللغة» الفوارق بين النظامين اللغويين المادي الفيزيائي والمثالي . وبرأيه إن كل لغة تمتاز بنظامها الصوتي المثالي الذي يحتوي على النموذج الصوتي في أصله والذي يمكن أن يسمى نظام الذرات الرمزية وكذلك ينطبق الوضع على النظام القواعدي .

وبلومفيلد طرح مسألة المستويات اللغوية . وأشار إلى أن وصف اللغة يجب أن يبدأ من أبسط المستويات : من المستوى الفنولوجي ، والمستوى الدلالي برأي بلومفيلد يأتي في المرتبة الثانية وينقسم إلى القواعد والمفردات . وهو يعتبر أن الأصوات المحددة والمرتبطة بمعان محدده ، هي أيضا أشكال لغوية ، وكل الاشكال المتساوية تنقسم عنده إلى مرتبطة وهي أجزاء الكلام وحرة أو مستقلة وهي الكلمات البسيطة والمركبة ، وبلومفيلد لايعطي أهمية للمعنى اللغوي بقدرما يولي الأهمية الخاصة للفوارق المعنوية بين الأشكال والكلمات . فهو بذلك أستطاع بلورة المفهوم اللغوي حول مجموعة أشكال كلامية منفردة ومركبة في جمل .

إن أفكار بلومفيلد أثرت على الأجيال اللاحقة في أمريكا فقد تفرعت اتجاهات ثلاثة وكلها انطلقت من علم اللغة البنيوي : الاتجاه الأول تمثل بأعمال تريد جبير «بحث في التحليل اللغوي» ١٩٤٢ ز. هاريس «الاسلوب في علم اللغة البنيوي» ١٩٥١ و«تحليل الكلام» ١٩٥٢ . وهذا الاتجاه يعتمد على فصل المستوى الصوتي والنحوي عن علم المعاني ؛ أما الاتجاه الثاني فيتمثل في ك. نايك ويو. نايد مؤلف «النحو» ١٩٥١ وتش فريز مؤلف «بناء اللغة الانكليزية» ١٩٥٢م . وهذا الاتجاه أقتبس طريقة بلومفيلد في تحقيق وجمع المواد اللغوية وبحثها معتمداً على حصيلة جمع المواد اللغوية في مناطق الهنود الحمر في أمريكا الشمالية ؛ والاتجاه الثالث يتمثل في نوام تشومسكي ور. ليز وغيرهما ، وينطلق من دراسة النص على أساس تحليل تركيبي للكلمات والجمل . وبناء هذه التراكيب وتجزيئها يقتضي معرفة العنصر الأساسي أو الوحدة أو الذرة البنيوية في عملية التكون وإعادة التكون . وبعبارة مختصرة يمكن القول إن هدف المدرسة البنيوية الأمريكية يتلخص في أسلوب التحليل اللغوي المعتمد بدرجة أساسية على وصف اللغة وعلى النظرية التوليدية والتحويلية . وتشومسكي يعتبر من أبرز علماء اللغة الأمريكيين في القرن العشرين . نشر تشومسكي عام ١٩٥٥م مقالاً في مجلة «اللغة» بعنوان علم التراكيب الرياضي وعلم الدلالات ، ورد على مقال هيلل تحت نفس العنوان ، فيشير إلى أن علم التراكيب المنطقي وعلم الدلالة الشكلي لايكونان موضوع الدراسات الألسنية ، فالمنطق الرياضي على حد تعبيره لايصلح في تحليل ميزات التنظيم اللغوي الذي يكتبه الانسان والذي يستعمله في أدائه الكلامي . واللغة الشكلية تختلف عن اللغة الانسانية (٣) .

وألف تشومسكي سنة ١٩٥٥م كتابا حول «البنية المنطقية في النظرية الالسنية» ، لكنه لم يستطع نشره في حينه لمعارضة دار النشر التابعة لمعهد ماسشيوست التكنولوجي . لكنه أستطاع نشر عمله في هولندا (٤) ، وأستطاع من خلال نشر كتابه تعريف القراء بنظريته التي دعيت فيما بعد بالنظرية التوليدية والتحويلية ، وبذلك اختلف عن نظرية بلومفيلد الوصفية البنيانية المرتكزة على دراسة المستويات اللغوية وتحليل الكلام من خلال المواقع والتوزيعات . فالدراسة الوصفية الموضوعية التجريبية لم تهتم بالمتكلم أو بدوره في تكوين الكلام ، لكن تشومسكي ركز إلى جانب نظرية بلومفيلد على التجريد العلمي في صياغة

فرضيات مؤثرة قادرة على تحليل المعطيات اللغوية. وتشومسكي يتخطى هدف الوصف منتقلاً لتفسير اللغة وتحليل تركيب البنية اللغوية ومكوناتها وتحولها من بنية لبنية اخرى. وإذا كان بلومفيلد لايهتم بالمتكلم فإن تشومسكي يركز عليه جيدا ويستمد الألسني ، بنظره مادة بحثه من مساءلة حدس متكلم اللغة ولا يلجأ إلى اللغة بشكلها المدون (٥) ونشر تشومسكي نظريته في العديد من المقالات والكتب وأقرتها المؤتمرات الدولية .

علم اللغة السوفياتي :-

لقد قلنا علم اللغة السوفياتي لأنه يصعب القول باتجاه محدد ، فعلم اللغة عند السوفيات وإن يتوافق مع النظرية الماركسية - اللينينية . فهو قد تأسس وتطور معتمدا على علماء اللغة الروس منذ القرن الثامن عشر ومستندا كذلك على غيرهم من علماء اللغة الاوروبيين . ولما تكونت الدولة السوفياتية في مطلع القرن العشرين وضمن هذه الدولة شعوبا مختلفة من الناحية الحضارية واللغوية ، فإن علماء اللغة السوفيات أصبحوا يملكون أكبر مادة حية لدراسة اللغة ومقارنتها. فإلى جانب اللغات السلافية التي تكونت من ناحية تاريخية معتمدة على السلافية القديمة ومتفرعة إلى عدة لغات ، كالأوكرانية والبيلوروسية والروسية ، هناك مجموعة اللغات الأخرى المنتشرة في المناطق الاسلامية من أذربيجان وطادجكستان وأوزبكستان وكازاخستان وتركمانيا وغيرها. ولغات هذه الشعوب تتصل بالإيرانية والتركية والاردو. وهناك مجموعة لغات شعوب البلطيق القريبة من الألمانية والفنلندية ، ومجموعة لغات الشعوب القريبة من الحدود الصينية وشعوب أرمينيا والقفقاز وشمال سيبيريا والأسكمو. أي أنه على الأراضي السوفياتية توجد شعوب عديدة تتكلم لغات تنتمي إلى مجموعات من العائلات اللغوية المختلفة. وهذا الواقع ساعد على انتشار الاتجاهات والأساليب المختلفة ، فالأسلوب التاريخي المقارن، والاتجاه الوصفي والبنيوي وغيرها تنعكس بشكل واضح في جميع الأبحاث السوفياتية. ويجب القول بأن العلماء السوفيات يأخذون بشكل خلاق كل ما تنتجه المدارس اللغوية الأخرى ويصهرونه بطريقتهم المعتمدة على نظرية المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية.

فهم لايتحيزون لاتجاه معين وفي جميع دراساتهم لايغفلون الطبيعة الاجتماعية للغة ، وهم ينطلقون في دراساتهم من الربط الموضوعي للتطور الحضاري والاجتماعي مع التطور اللغوي . ففي الاتحاد السوفياتي تطورت الدراسات بشكل واسع حول موضوع اللغة الادبية والقياس اللغوي والازدواجية اللغوية ، أي تكلم واستعمال لغتين أدبيتين في آن واحد : لغة قومية ولغة شعب معين. ولغة الدولة الأساسية ، اي اللغة الروسية التي تجمع حولها جميع الشعوب من مختلف القوميات. وفي الاتحاد السوفيتي معاهد مختصة باللغات المختلفة وبعلم اللغة. وإلى جانب الأسماء العديدة لعلماء اللغة في المدرسة السوفياتية هناك شخصيات ثلاث أكثر بروزا ، ولقد قدمت أعمالاً كبيرة وهامة في مجال اللغات المحلية وغير المحلية وساعدت على تطوير النظريات اللغوية المختلفة وهم ؛ أ. أ ميشانينوف ، ل. ف شيربا وف . ف . فينوغرادوف . فالأول صاحب مؤلفات «تعاليم جديدة حول اللغة ، التصنيف المرحلي» ١٩٣٦ وعلم اللغة العام.

وحول المراحل في قضية تطور الكلمة والجمل ١٩٤٠ وعناصر الجملة واقتسام الكلام ١٩٤٥ وغيرها، وقد اعتمد العالم هذا في دراسته على المعطيات الوافرة في بلاد السوفيات المترامية الأطراف. أما شيربا فقد اعتمد على تعاليم بودوي دي كورتوناي وطور الدراسات في علم الاصوات ، وفي سنة ١٩٧٤م جمعت مؤلفاته في أعمال مختارة. وأما فينوغرادوف وهو تلميذ شخماتوف وشيربا فقد قدم أعمالاً جليلة لعلم اللغة السوفياتي ، ومن أهم ابحاثه «اللغة الروسية تعاليم قواعدية» ١٩٤٧م «حول لغة الفنون الأدبية» ١٩٥٩ ، وأبحاث في اللغة الروسية الأدبية (من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر) ١٩٣٤ ، وغيرها من المؤلفات والمقالات العديدة في اللغة والأدب (٤٥ ، ٤٨).

الاتجاهات اللغوية عند العرب :-

في القرون الأخيرة التي تطور فيها علم اللغة في أوروبا وأمريكا وحتى في عصرنا هذا يمكن القول إن الاتجاهات العربية لم تأخذ طابع الاستقلالية بل كانت تتأثر بالتراث العربي الإسلامي الكلاسيكي وبالنهضة

الأوروبية. ولذا يمكن نسبياً فرز اتجاهات ثلاثة :ـ

■ أولا : ـ الأبحاث اللغوية الوصفية التطبيقية المعتمدة على المدارس الدينية مثل الأزهر في مصر والنجف في العراق وغيرهما من المدارس الدينية في البلاد العربية الأخرى كانت الأبحاث اللغوية تنحصر في شرح القرآن لغوياً وإعرابه ودراسة الصرف والنحو وغيرها من ميادين اللغة وكان أسلوب الدراسة كلاسيكيا تقليديا حسب ماهو معروف في القرون الوسطى عند العرب بعد ظهور الإسلام وإبان الحكم العثماني ومعظم هذه الأبحاث تبتعد عن الغوص في الجوانب الفلسفية المعقدة.

■ ثانيا : ـ في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أخذت تظهر دراسات لغوية متأثرة مباشرة بالمدارس الغربية . ومن جهة اخرى اعتمدت على فقه اللغة العربي المتطور في القرون الوسطى ، محاولة إيجاد مايتلاءم والعلوم الحديثة للغة . وبذلك كانت الأبحاث اللغوية تطرح بعض الجوانب من وجهة نظر غربية وبعض الجوانب الأخرى من وجهة نظر عربية . وبذلك انطبعت بعض الأراء بازدواجية الرؤيا.

■ الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه المدرسي الأكاديمي . مع النهضة العربية الحديثة تأسست المدارس والجامعات والمعاهد والأكاديميات اللغوية ، وقد تخرج عدد كبير من الأساتذة العرب في بلاد أوروبا وأمريكا وعادوا يعملون في مجالات مختلفة ، وفي مؤلفاتهم يتجلى بوضوح التأثير الغربي على منهج البحث، وكتبت مؤلفات عديدة في علم اللغة هي في الواقع كناية عن ترجمات وشروح للمدارس العالمية في علم اللغة . بعض هذه الأعمال طرح علم اللغة بالمقارنة مع فقه اللغة عند العرب . وفي النصف الأول وبداية النصف الثاني من القرن العشرين برز صراع حاد قد اعطى قيمة لبعض الأعمال حول مشاكل اللغة العربية مثل قضية الفصحى واللهجات العربية المحلية أو قضايا الإعراب والنحو والكتابة وغيرها من المشاكل اللغوية. والجدير بالذكر أن بعض الأعمال كانت تتسم بالسطحية أو بالتعصب دون عمق في دراسة اللغة بأساليب جديدة متطورة ودون الغوص في أبحاث لغوية علمية كما كان الحال في الغرب . ومع هذا كله ، فإن الدراسات اللغوية وإن لم تصبح على مستوى الدراسات الغربية المتطورة ، فأنها تقدمت بشكل واضح منفصلة عن الاتجاه الأول ومتخلصة في بعض الأعمال من ازدواجية الرؤيا . وقد جرى تحديث لبعض المناهج التعليمية في البلاد العربية ، غير أن الأبحاث اللغوية مازالت في مرحلتها الأولى من التطور المعاصر وسوف تتقدم بلا شك نحو مراحل أعلى ومستويات أرفع نتيجة للتطور المطرد في مجالات العلوم المختلفة في سائر البلاد العربية (٦).

●●●

وبعد أن عرضنا أهم المدارس والاتجاهات فاننا نعرض كذلك بشكل سريع تصنيف اللغات لأن هذه المسألة على علاقة أيضا بالاتجاهات اللغوية من جهة . وتتسم بأهمية خاصة في أبحاث علم اللغة من جهة اخرى.

تصنيف اللغات :ـ

تصنيف اللغات يجري في اتجاهين أساسيين : الأول يعتمد القرابة والأصول الجنسية والعائلية وغيرها من صلات القرابة المتعارف عليها ، والثاني يعتمد أسلوب تصنيف اللغات على أساس تشابهها وتباعدها دون اللجوء إلى الأسس العرقية والجنسية ، ويتفرع عن كل اتجاه عدة تصنيفات سنذكر أهمها :ـ

التصنيف الجنسي أو العرقي :ـ

من الصعب تحديد عدد اللغات في العالم ، رغم تطور علم الأجناس والإحصاء ، ورغم مساعدة الأمم المتحدة وتخصص منظمات علمية عالمية بمعرفة ذلك ، والسبب الأساسي في هذه الصعوبة يعود إلى عدم القدرة على التفرقة بين اللهجات العديدة واللغات في مناطق مختلفة من العالم . ولذلك يمكن إعطاء رقم نسبي لعدد اللغات في العالم . وهذا العدد يتراوح بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ لغة.

إن التصنيف الجنسي أو العرقي أو السلالي هو أكثر التصنيفات إنتشارا وتعارفا بين علماء اللغة . وقد قسمت اللغات على هذا المبدأ إلى مجاميع وعائلات ؛ إلى أصول وفروع ووضعت لها شجرات أنساب . ومن هذه المجموعات مثلاً : «السامية» (ولنا إعتراض على

هذه التسمية سنعرضه لاحقاً) والأرية ، الهندية - الصينية والملايوبولونيزية ، الاسترالية ، الأمريكية وغيرها . ويتفرع عن كل مجموعة عدد كبير من التجمعات اللغوية الأخرى . ونذكر على سبيل المثال المجموعة «السامية» والتي تدعى أحياناً «الساحامية» محتوية لغات «حامية» إفريقية حيث يصعب فصل بعض اللغات «الحامية» عن «السامية» لعلاقات القرابة في ميادين لغوية مختلفة . . وتتفرع «السامية» إلى ثلاثة أقسام أساسية :

- القسم الشرقي : البابلية ، الاشورية (الكلدانية) .
- القسم الغربي : الكنعانية ، الفينيقية ، العبرية القديمة ، الآرامية ، السريانية ، التدمرية ، النبطية وغيرها . .
- القسم الجنوبي : ويتفرع إلى فرعين : العربي والحبشي ويضم الفرع العربي : العربية القديمة ، القحطانية ، الحميرية المعينية السبئية العدنانية المغربية أو القرشية (اللغة العربية الفصحى) . ، والحبشية تضم الأثيوبية والنيجرية والجفرية والهررية . وجميع هذه اللغات المسماة بالسامية تستند إلى أساس لغوي هو اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى التي نشأت في شبه الجزيرة العربية والتي أنقسمت في المدى التاريخي البعيد إلى بضع لهجات ، ثم تكونت هذه اللهجات على شكل لغات مستقلة ، سرعان ماتفرعت عنها أيضاً لهجات جديدة ، ومن ثم تحولت إلى لغات مستقلة من جديد ، وهكذا استقر الوضع اللغوي على الحال القائم اليوم . وقد ماتت لغات كثيرة ، وتطورت لغات اخرى ، والجدير بالذكر ، ان عدد اللغات في العالم ينقص بإستمرار ، وأن حياة اللغات مرهونة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية وإعادة تكون الدول على أساس اتحاد تجميع الشعوب .

ولهذا فإن لغاتاً ضعيفة وغير منتشرة بشكل واسع ستندثر تدريجيا .

ولنأخذ مثلا ، الاتحاد السوفياتي ، حيث يعيش في هذه الدولة أكثر من ١٣٠ قومية كبيرة وصغيرة ، ورغم المحافظة على اللغات القومية ، فإن الروسية تصبح رويداً رويداً اللغة الأم لجميع هذه القوميات ، ويصعب على الجيل الناشىء معرفة لغته الأساسية . وكذلك الحال في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تصبح الانكليزية اللغة الأم لمختلف الأجناس البشرية القاطنة هناك . وقد تحولت العربية منذ عدة قرون إلى لغة أم لشعوب مختلفة الألسنة في شبه الجزيرة العربية وبعض مناطق إفريقيا . ورغم أن العلم الحديث قد يحافظ على جميع اللغات في العالم ، لا بل يساعد على تنظيم وتطوير بعضها ، غير أن التوجه العام للعالم في تكتله واتحاداته وتطوره الطبيعي المحتم والموجه نحو الوحدة الكاملة سيجعل عدد اللغات يتقلص بشكل كبير.

والمجموعات اللغوية الأكثر انتشارا في العالم هي الهندو أوربية والصينية - والتبيتية والأوسترانيزية و«الساحامية» . ومن أهم لغات الهند أوروبية الهندو إيرانية والسلافية والايطالية والكيلتية والجرمانية والبلطيقية وغيرها ، وقد درست هذه الفروع ولغاتها دراسة جيدة في الأونة الاخيرة ، ووضعت أبحاث عديدة في مقارنة هذه اللغات ، ونعرض شجرة لمجموعة الهندو أوروبية ذاكرين بعض لغاتها : انظر الشكل [١]

وفي الأونة الأخيرة ساعدت أبحاث المستشرقين والعلماء العرب واليهود على كشف علاقات القرابة بين اللغات «السامية» و«الساحامية» ، وتحتاج الأبحاث في هذه اللغات إلى جهد كبير من قبل الناطقين بها ودراسة تاريخها . ومقارنة لغاتها تعتبر من أهم القضايا اللغوية الملحة ، اذ أنه من الغريب جداً أن تكون لغة عظيمة الانتشار كالعربية غير مدروسة بشكل جيد من ناحية تاريخها ومقارنتها مع اللغات السالفة . إن الملاحظات العامة حول تاريخ هذه اللغة غير كافية لمتطلبات العلم اللغوي الحديث ، ونعرض شجرة اللغات المنتسبة إلى العربية الأم أو الأولى ذاكرين أهم اللغات المنتمية إلى ما يسمى «السامية» . انظر الشكل [٢]

التصنيف الجغرافي :-

ويعتمد دراسة اللغات ومجموعاتها في مناطق جغرافية محددة . كالدول والقارات والجزر وغيرها ، ويرسم خرائط جغرافية لتوزع اللغات على البقع الجغرافية في العالم .

التصنيف الوظائفي :-

ويتوقف جلياً على بحث علاقة اللغة بالشعب

الذي يتكلمها والوظائف التي تؤديها هذه اللغة في المجتمع المعين ، وإنتشار اللغة خارج المناطق الخاصة بنشوء اللغة ، فمن حيث علاقة اللغة بالشعب ، عادة يتم إبراز المراحل التالية لتطور اللغة : لغة القبيلة ، لغة الشعب ، ثم لغة الأمة. أما من الناحية الوظيفية فيمكن عرض اللغة الادبية (لغة الكتابة) واللغة دون المرحلة الكتابية. وكذلك يمكن في هذا المجال عرض الاساليب اللغوية . .

أما من جهة انتشار اللغة ، فهناك اللغة المحلية اللغة الضيقة الانتشار ، والواسعة الانتشار ، لغات الأمم المتحدة ، اللغات العالمية وغيرها، وإلى جانب هذه التصنيفات هناك تصنيفات هامة تعتمد على المستويات اللغوية وتشابهها (مثل القواعد ؛ من نحو وصرف وقوانين تركيب الجمل وغيرها) .

التصنيف النوعي :-

ويعتمد على الأنواع اللغوية في أنظمتها الداخلية : فليس مهماً لهذا التصنيف قرابة اللغات أو تباعدها سلالياً (عرقيا) أو جغرافياً أو وظائفياً ، انما يتم التصنيف على أساس تشابه القوانين اللغوية في مجال الاشتقاق مثلاً ، أو النحو ، ولذلك يعتمد هذا التصنيف على تقارب الأشكال اللغوية ويعتبر الأخوان ف . شليغيل Schlegel و أ. شليغيل من الاوائل في تصنيف لغات العالم على مبدأ جديد. وذلك في بداية القرن التاسع عشر ، وقد قسمت اللغات بموجب هذا المبدأ إلى لغات تحليلية وأخرى تركيبية ، ولغات غنية تعمر طويلا ، ولغات لواحقية تمتاز بالفقر والصنعة . وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد على يد مجموعة من العلماء مثل هومبولت وشليخر وفينك وسيبير وسيريبرينيكوف وميشانينوف وغيرهم. وقد أخذ في تصنيف اللغات بمقارنة جميع المستويات بما فيها الأصوات والمآخذ الأساسية على هذا التصنيف انه يوجد في كل اللغات من أغناها إلى أفقرها ومن أكثرها تعقيداً إلى أبسطها علامات وظواهر مشتركة ، إلا أن التقسيم يأخذ بما هو أساسي ويحاول مقابلته تاركا النواحي الجانبية الأخرى.

وهذا الأسلوب أفاد كثيراً من الأسلوب التاريخي المقارن واعتمد عليه ، إلا أنه شمل نواح أكثر اتساعاً وخلق أبحاثا جديدة اعتمدت الشمولية.

الاتجاه اللغوي العمومي :-

ويعتمد على أخذ العام والمشترك بين اللغات المختلفة وقد نشأ هذا الاتجاه قديماً وتطور حديثاً وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث عقد مؤتمر خاص بدراسة هذا الاتجاه في نيويورك في عام ١٩٦١ . والاتجاه اللغوي العمومي يساعد في مقارنة القواعد وتقسيم الكلام إلى أجزاء ودراسة وجود هذه الأجزاء أو عدمه في اللغات المتنوعة في العالم كالفعل والإسم والصفات ، وضمن هذا الاتجاه غالباً تجري مقابلة المنطق اللغوي العامل الاساسي في جسم كل نظام لغوي. وتجري دراسة القوانين والظواهر اللغوية ومقابلتها.

وتكون هذه الدراسة بسيطة بحيث تقابل لغتان ، أو عدة لغات.

والاتجاه العمومي يأخذ بدراسة اللغة بواقعها الحاضر وبتطورها التاريخي ويعتمد ثلاث عموميات تتوزع على المستويات اللغوية الثلاثة : المستوى العمومي الصوتي ، والقواعدي والدلالي المتعلق بالمعاني والمفردات.

علم النفس اللغوي :-

لقد تطورت العلوم في القرن العشرين تطوراً سريعاً ، وشملت مختلف مجالات الحياة وتطور بشكل خاص علم النفس ، حيث تشابكت فروعه وأتصلت بشتى العلوم ، وقد نشأ في الخمسينات علم النفس اللغوي في الولايات المتحدة ثم أنتشر في أوروبا والاتحاد السوفياتي وسائر دول العالم. وعلم النفس اللغوي يعتمد على نظرية الرموز والمصطلحات المتنقلة لجهاز الدماغ والرد عليها . إن النشاط الكلامي يقوم عند الانسان على أساس الناقل أو المتكلم والمتلقي أو المستقبل للكلام بواسطة أجهزة تصدر الكلام وتتلقاه. إنها بصورة أخرى عبارة عن المتكلم والكلام والسامع أو عبارة عن مراحل ثلاث : الكلام او الكتابة ، الادراك ثم الفهم.

وعلم النفس اللغوي هو علم ناشيء ؛ وفي مرحلة تطوره المعاصرة يساعد على كشف جوانب هامة

من لغة الطفل ونموها ، ويساعد كذلك على فهم المترادفات المعينة في لغة الأفراد والمجموعات البشرية. إنه يعالج الأساليب وغيرها من مجالات علم اللغة. وينتظر أن يتسع مجال علم النفس اللغوي ليطال كل جوانب اللغة.

علم الاجتماع اللغوي :-

وينطلق هذا العلم من خلال علاقة اللغة وأشكال الكلام بالمجتمع وبالبناء الاجتماعي وبالوضع الاقتصادي والحضاري ، بالوضع الفكري والديني والأخلاقي. ويتعلق كذلك بالسياسة وتغير الأشكال السياسية والإدارية في الدولة ، وبالطبقات الاجتماعية ، وبكل ما يتعلق بالانسان ، كونه كائنا إجتماعيا ، ومع أن اللغة خاصة إجتماعية بشرية فأنه من الخطأ جعل اللغة خاصة بفئة بشرية معينة ، أو الحكم على المجتمع وتطوره وتخلفه من خلال لغته ، لأن اللغة لاتملك طابعاً عرقياً . وان كان التصنيف اللغوي على أساس جنسي عرقي يصح غالبا ، إلا أن شعوباً عديدة اتخذت لغات غير لغاتها الأصلية ، وتطورت بشكل منفرد عن تطور أبناء اللغة هذه. وعلى سبيل المثال : لغات الشعوب المستعمرة التي اتخذت الفرنسية أو الانكليزية أو الإسبانية أو البرتغالية. وكذلك لغة بعض الدول الاتحادية ، التي تصبح لغة الدولة والشعب بمختلف قومياته ، مثل الروسية ، وكذلك الحال بالنسبة للقبائل العبرية التي اتخذت من الكنعانية لغة لها ، وكذلك الفلسطينيون القدماء الذين أقاموا في بلاد كنعان وتخلوا عن لغتهم الاصلية كالقبائل العبرية . إن تاريخ هذه الشعوب والقبائل يختلف عن تاريخ اللغة المتخذة ، غير أن الفترة اللاحقة تصبح هامة ومعبرة عن مراحل تطور الشعب المعين ، وهذا ينطبق على اللغة العبرية التي أشتقت عن الكنعانية وأصبحت في المراحل اللاحقة تعبر عن حياة اليهود وتاريخهم وتطور علاقاتهم مع الشعوب المجاورة.

ونتيجة لهذه الظروف فإنه من الصعب تعميم الرأي القائل بأن اللغة تعتبر روح الأمة وكذلك يقتضي بنا القول ، بأن البناء الصوتي والنظام اللغوي بشكل عام لا يعبران عن مراحل تطور المجتمع اقتصاديا وسياسيا . إن تطور الأنظمة اللغوية أبطأ بكثير من تطور الأنظمة الاقتصادية والأجتماعية. وقد تحصل قفزات وطفرات في التطور اللغوي لاترتبط بمثلها في الميادين الاجتماعية والسياسية والطبقية . إن تطور البناء اللغوي هو ثمرة لحركة القرون العديدة من الزمن. ولربما مرور مئات السنين لايحرك النظام اللغوي قيد أنمله في حين أن عشرات السنين تقلب قواعد لغة رأسا على عقب. إن عملية التطور هذه لاتخضع لقانون ثابت. وإنما تعتمد قوانينها الخاصة ، التي تعتبر في أغلب الأحيان عشوائية ، حتى إن اتخاذ لهجات وإقرارها كلغات قومية يعتمد على وضع قواعد لنظام اللهجة (اللغة المقرة) حديثاً والتي يتضح تدخل المجتمع أو الافراد في صنعها ، لكنها تغدو بعد إقرارها وحدة تنمو وتتطور ببطء وبواسطة قوانين تخرج عن قدرة صانعيها وإرادة مقريها ، وذلك يعود لكون اللغة ليست ملكاً لفرد بعينه. إنها ملك الجماعات والمجتمعات البشرية التي تتفاعل فيها بينها بعوامل نفسية واجتماعية وتترابط بعلاقات اقتصادية وسياسية وثقافية وغيرها .

□□ الهوامش :-

١ - حول مقارنة الهندو أوروبية أنظر سيميريني.
Oswald Szemerenyi Einfuhuing in die vergleichende SprachWissens chaft W.B.D. 1970

٢ - انظر : د: ميشال زكريا الألسنية (علم اللغة الحديث) بيروت ١٩٨٤م ص ٧١؛
F.De Saussane . Cour de Linguistique generale Paris : Payol 1962.

3 - Noam Chomsky : Logical syntax and semantics: thein Linguistic Rele vance in Languge 13. 1955 pp.36-45.

4- Noam Chomsky : Syntactic structures the Mague : Mouton 1957.

٥ - للمزيد عن تشومسكي إقرأ د : ميشال زكريا . الألسنية التوليدية والتحويلية وكتبه الأخرى في الألسنية .

٦ - أنظر أعمال علي عبدالواحد وافي محمد المبارك وصبحي الصالح وابراهيم السامرائي ومحمود السكران وكمال بشير. ومحمود حجازي ومحمد أبو الفرج وعباس حسن ، وعثمان أمين ومهدي المخزمني وابراهيم أنيس وعبده الراجحي ومراد كامل ، أنيس فريحة ، عبدالقادر الفاسي الفهري وغيرهم من الأساتذة والباحثين الجدد .

لغات جنوب شبه الجزيرة والحبشة	سرياني	عبري	أشوري - بابلي	عربي
أب	أبا	أب	أبو	أبٌ
بن - بر	bra برا	ben بن - بر	بنو	ابنٌ
eḫu أخو	eḫa أحا	أح	أخو	أخٌ
أمّ	ema أما	em ام	أمو	أمٌّ
وَلد يلد	ايلد، يَلد	yeled يَلدَ	وُلد	وَلد، يَلد
راس	ريشا	roš روش	Rešu رشو	رأس
سعرت	سَعْرا	seɛaR سعر	شرتو	شعر
عَين	عَينا	عَين	enu أنو	عينٌ
أزن ezn - اذن	أودنا	Ozen أزن	أزنو	أذنٌ
أنف	أبّايا	أف	أبو	أنفٌ
أف	بوما	beh به	پو	فمٌ
سن sen	šena شنا	šen شن	شِنو	سِنٌّ
لسان lesan	lešanaلشنا	lašon لشون	ليشانو	لسانٌ
أد - يد	إيدا	يَد	إدو	يد
كبد	كَبْدا	كِبد	كبتو	كَبدٌ
كرْش	كرْسا	keRes كَرس	كرْشو	كرشٌ
دم - دمو	دما	دَم	دَمو	دمٌ
عضم	عطما	Ɛesem عصم	Ɛasemtu عصمتو	عظمٌ
يوم Yom	يوما	Yom يوم	أمو	يومٌ
ليله	lelya ليليا	lel لَيْلَه	ليتو	ليلٌ

لغات جنوب الجزيرة	أرامي	عبري	بابلي - أشوري	عربي
سنيت	تُرين	ثنايم	ثينا	إثنتان
شلاس	تْلاث	شلوش	شلاشو	ثلاثُ
أربع	أربع	أربع	أربعو	أربعٌ
خمس	حمشا	حمش	خمشو	خمسٌ
سسو - سنة	شتا	شيش	شيشو	ستٌ
شبعو	شبع	شبع	سبو	سبعٌ
سماني - ثماني	تمانا	شمونه	شمانو	ثمانٍ
تسع	تشع	تشع	شيشو	تسعٌ
عشرو	عسر	عسر	عشرو	عشرٌ

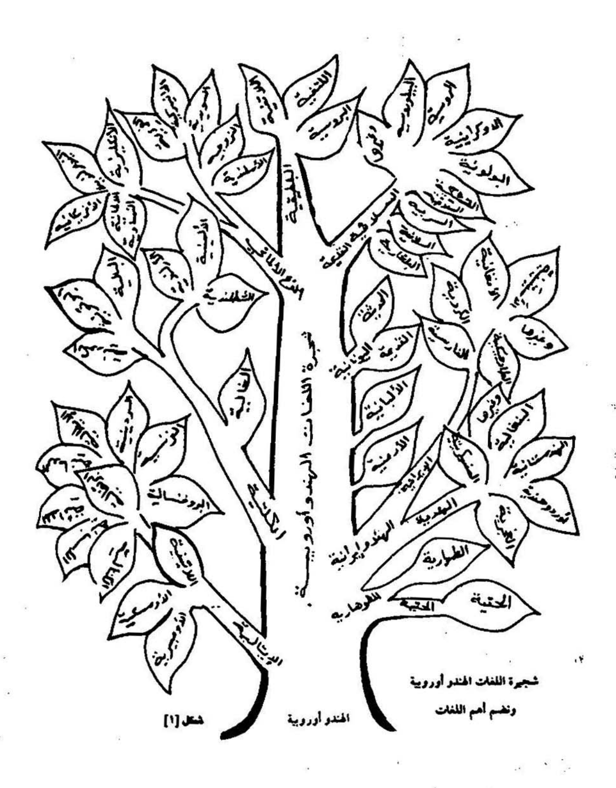
عربي	أشوري - بابلي	عبري	سرياني	لغات جنوب شبه الجزيرة والحبشة
أرض	أرصتو eRṣetu	ارص ereṣ	اوعا اوفا	ارض — ارض
كوكبٌ	كاكبُو	كوكب kokab	كَوكَبا	كوكب
سماءٌ	شَمُو	شمايم	شْمَايا	سَماي
ظِلّ	صلو	صَل sel	صلا	صُلُلوت
جملٌ	جملو	جَمَل	جْمَلا	جَمَل
حمار	إمُور	حمور hmor	حمارا	حمار
كَلبٌ	كَلْبُو	كلب keleb	كلبًا	كلب
ثورٌ	شورو	شور soR	تورا	سورsoR — ثور
خنزيرٌ	خمسر	خزير	خزيرا	خنزير
ذئب	ريبو	زاب zeb	دابا deba	زاب Zeb —

مقارنة الضمائر وأسماء الإشارة(١)

عربي	بابلي - أشوري	عبري	آرامي	سبئي معيني	حبشي
أنا — انك	anaku	anohi,ani	ena, (eno)	ana	ana
انتَ، أنتما	atta	atta	atta (ant)	anta	anta
انتِ، أنتما	atti	att,(atti)	att (anti)	anti	anti
هو، هما	Su	hu	hu	hua	we étu
هي، هما	Si	hi	hi	hia	ye, étu
نحن	aninu	anaḥnu	enna, ḥnan	naḥnu	neḥ na
نحن	naḥnu		ḥnan	naḥnu	neḥna
أنتم، أنتما	attumu	attem,attema	attun	؟	antemmu
أنتن، أنتما	attina	atten,attena	atten	؟	anten
هم، هما	sunu	hemma, hem	enoun henoun	hamu	emuntu we'etomu
هن، هنّ	Sina	hena, hen	enenen henen	huna	emantu we'eton
ذا. هؤا	Suatu	Zè	hona	Zan	Ze
-	Satu	Hallaze	—	—	—
ذه، هذه، ذات	siati	Zot	hode	Zat	Za
ذلك	ulu	hahou	hau	hua	Zekū, Zekuetū
تلك	ullitu	hahi	hoi	hia	entakti, enteku
أولاء. هؤلاء	ulluti	hahen	holen		ellektu, ellekuetu

(١) أنظر: الدكتور ربحي كمال. اللغة العبرية ص ١٦ - ١٨.

أ. ولفنسون (أبو ذؤيب). تاريخ اللغات السامية. بيروت دار العلم ١٩٨٠.

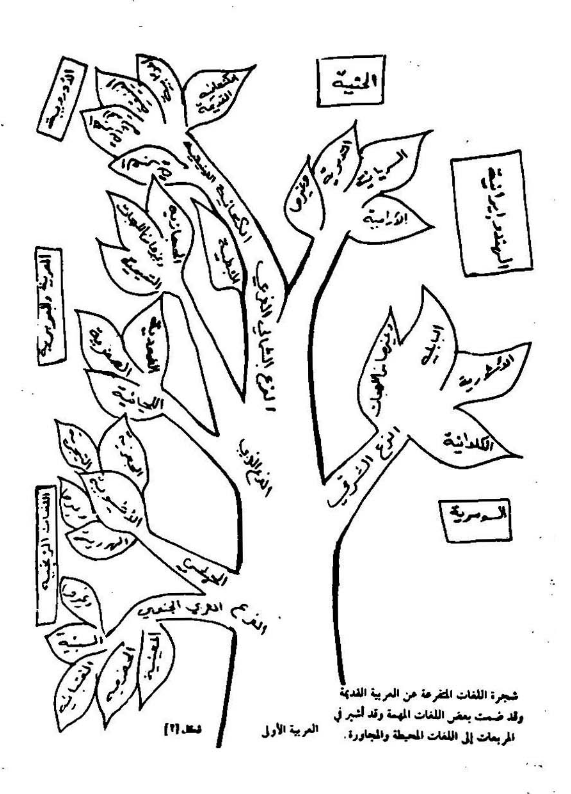


شجيرة اللغات الهندو أوروبية

وتضم أهم اللغات

الهندو أوروبية

شكل [1]



شجرة اللغات المتفرعة عن العربية القديمة وقد ضمت بعض اللغات المهمة وقد أشير في المربعات إلى اللغات المحيطة والمجاورة.

شكل [٢]

فرديناند دي سوسير

المناخ المعرفي الجديد المتجدد

د/ عبدالوهاب راوح

* أن أية فقرة في الإلسنية اليوم تقع / ولا تقع ضمن نظرية دي سوسير ونحن نشير الى مبدأ واحد .

مارتن جوس

* اذا كان كتاب سيبويه كتاب الناطقين بالضاد والمشرعين لنحو العربية ، فكتاب دي سوسير كتاب كل من وضع ويضع - في هذا القرن - مؤلفا في علم من العلوم الانسانية فكلاهما ختم بخاتمه جميع المؤلفات (في النحو والالسنية) التي حررت خلفا .

د. عبدالرحمن أيوب

* ان دي سوسير أرسى القواعد الاصولية للبديل الذي سينقض مقولة «الزمانية» في سلطتها المعرفية المطلقة .. ويجر الى نهجه سائر العلوم بما سيولده من رؤية جديدة للظواهر ، هي الرؤية البنيوية ، من حيث هي المركب الفلسفي الذي محركه «الانية» .

د. عبدالسلام المسـدي

* لايمكننا أن نصف الالسنية بكلمة واحدة ، بعد عام ١٩٠٠م الا أن نقول : واخيرا جاء سوسير .

جورج مونان

يرجع ميلاد العالم اللغوي الشهير (فرديناند دي سوسير) Ferdinand De Sussuer الى عام ١٨٥٧م ، وذلك في مدينة (جنيف) بسويسرا وقد أستقى معارفه الاولى في (لايبزج وبرلين) خلال عامي ١٨٧٦ - ١٨٧٨م ثم رحل بعد ذلك الى باريس حيث عمل مديرا في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، خلال الاعوام ١٨٨٠م - ١٨٩١م. ثم عاد الى مسقط رأسه (جنيف) ليدرس في جامعتها خلال الاعوام ١٨٩١م - ١٩١٣ ، وهو عام وفاته .

ويلاحظ مما تقدم أن حياته مرت بثلاث مراحل : إحداها مرحلة التكوين الثقافي والعلمي ، التي تمت في المانيا ، حيث التقى هناك بقادة علم اللغة التاريخي والمقارن . .

والمرحلة الثانية هي مرحلة التدريس لعلم اللغة في باريس إذ كان أشهر تلاميذه اللغويان الشهيران (انطوان مايه ، وجوزيف فندريس) .

أما المرحلة الثالثة ، التي اعقبت عودته الى جنيف فهي (الفترة المعضلة الوحيدة في ترجمته) كما يقول جورج مونان (١) .

ففي هذه الفترة حدث انقلاب جذري في بنية أفكاره كان له انعكاس مباشر على مجريات حياته ، إذ «انغلق تدريجيا على نفسه الى درجة الصمت شبه التام ، وأعلن انه مصاب بمرض اسماه مرض الخوف من البحث» (٢) .

وقد إختلفت الاراء في تفسير حالة الانكفاء هذه ، حيث ترجعها بعضها الى «وسواس الكمال الذي سيطر عليه ، حين كان همه تقديم القضايا بشكل كامل ونهائي» (٣) .

وبعضها ترجعه الى «انهياره أمام عدم الفهم الذي أحس به عندما حاول شرح أفكاره الثورية لأعز رفاقه بين عامي ١٩٠٦ - ١٩١١م» .

والذي يمكن الركون اليه ماذهب اليه الالسني التونسي الدكتور/ عبدالسلام المسدي حين أرجع انقطاع دي سوسير في سنواته الاخيرة عن مواصلة الأبحاث الاكاديمية الى «موقف نقدي تجاه المنهج الذي ساد المعرفة اللغوية ، وسبق له أن كان صوتا أمينا من أصواته ، ولئن لم يتبلور ذلك بالبحث العلمي المتعارف عليه فإن دروسه قد كشفت وعيه الحاد بالمأزق المعرفي الذي آلت اليه اللغويات التاريخية» (٤)

ومما يزكي احتمال كون إغترابه يرجع إلى طبيعة الانقلابات الجوهرية التي حدثت في بنية أفكاره أن أفضل تلاميذه الباريسيين (إنطوان مايه) لم يشر في كلمته التأبينية المنشورة عام ١٩١٣م وفي تقريره المنشور عام ١٩١٦ إلى أبسط القضايا الجديدة التي جاء بها أستاذه ، مما يعني أنه عرف دي سوسير التاريخي استاذه في باريس (١٨٨٠ - ١٨٩٠) ولم يعرف دي سوسير في مرحلة الانقلاب المنهجي التي عاشها بعد ذلك فجاءت ملاحظاته حول كتاب دي سوسير مشيرة «بشكل قاطع الى عجز واضح عن إستيعاب هذا الكتاب بأبعاده الحقيقية» (٥) مما يعني حدوث الانقلاب المنهجي بعد مغادرته باريس .

وعلى كل حال ، فأن سوسير يعد أحد عظماء الفكر القلائل الذين لم تتردد أراؤهم في الآفاق الا بعد وفاتهم .

وليس ذلك بالمستغرب ، إذ أن العباقرة هم الذين يستطيعون بفضل ما أوتوا من نفاذ بصيرة ، أن يتجاوزوا أسوار بيئاتهم الفكرية والمعرفية ، فيحسوا بالاغتراب المتمثل في الحرمان من دفء المجموع ، الذي يولده اعتناق السائد .

ودي سوسير من هؤلاء : فقد عاش في كنف المناخ الذي يمثله مشروع علم اللغة التاريخي والمقارن ، فمارس حياته العلمية والعقلية ، في ظل هذا المناخ ، بنشاط عادي ، وفجأة يحدث إعصار منهجي في حياته الفكرية ، إنتهى به الى مايشبه القطيعة المعرفية مع جهود قرن بأكمله ، ليرسم بدايات جديدة .

ولا شك أن السلطة المعرفية التي كانت تسود أوروبا في حينه كانت من القوة بحيث لم تمكنه من تسطير ارائه بشكل أبحاث ومذكرات منتظمة فتحول إلى لون من الصراع الداخلي الذي تجلى في إتلافه بعض مذكراته (٦) الى جانب عدم سماحه لنفسه بالاسترسال بالبحث حين صرح بأنه مصاب بمرض «الخوف من البحث» .. ولعل قاعة المحاضرات في جامعة جنيف كانت منبره الوحيد في اطلاق أرائه غير محتسب ماسيترتب عليها من ردود .

●●●●

ولكي نستبين مدى ما احدثه سوسير في بنية التفكير اللغوي وبالتالي التفكير الانساني العام ، يحسن أن نعرض بإيجاز للخصائص العامة التي كانت تشكل جسم المشروع المعرفي للقرن التاسع عشر ، بما في ذلك

الإطار المنهجي العام الذي كان يدور في داخليته البحث اللغوي على عمومه .

فباختصار يمكن أن يقال : إن الصفة المهيمنة على مختلف الدراسات التي جاءت بها عقود هذا القرن هي صفة (التغير) حتى وصف بحق بأنه (قرن التغير) فهو قرن الكشف عن (المنابع) الاولى لكل ظاهرة ، موضوع درس ، في الطبيعة والحياة والفكر ، وهو قرن الكشف عن السيرورة التاريخية للظواهر والقوانين العامة التي تحكم هذه السيرورة وبذلك اهتزت أركان الثبات التي ظلت تلون أحكام المعرفة البشرية قرونا طويلة بعد أن اصبح مفهوم (التغير) صادقا على كل شيء في الحياة والمادة وتحددت التحديات التي تمثل إشكالية المعرفة في المحاور الثلاثة الاتية :ـ

ـ ماهي الفصيلة التي تنتمي اليها الظاهرة ، موضوع البحث ، وماهي الوحدة الأولى التي صدرت عنها، وما علاقاتها القرابية بباقي الظواهر المشابهة لها؟ ويتمثل هذا المحور بمحور (تصنيف الظواهر) .

ـ ماهي مظاهر تغير الظاهرة ، موضوع الدراسة ، عبر مسيرتها في خطها الزماني؟

ـ ماهي القوانين العامة ، الداخلية والخارجية ، التي تحكم هذه الظاهرة؟

وإذا اتينا الى الحقل الالسني في هذا القرن ، نجد أنه تأثر كثيرا بالنزعة التطورية التي كانت سائدة لدى علماء الطبيعة والبيولوجي ، فنظر الى اللغات على أنها كائنات يمكن تصنيفها وفق (أنواعها) وتتطور تطور النبات ، والحيوان ، تحت تأثير قوانين عمياء .

كما ساد في هذا القرن منهجان هما : المنهج التأريخي ، والمنهج المقارن : حيث يدرس الاول الظواهر اللغوية بهدف الوقوف على جوانب التغيرات التي لحقت بها عبر الزمن في أصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالاتها ، مع رصد القوانين (الداخلية) التي تقف وراء هذا التغير .

وقد عرف هذا المنحى بالنحو التاريخي His to-rical Grammar أما المنهج الثاني فهو المنهج المقارن Compartive Grammar فيسعى إكتشاف صلات القربى بين اللغات المنتمية الى أصل واحد (Proto) ، تلك الصلات التي تتجلى في الاتفاقات الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية . . الخ بهدف الوقوف على الاصالة والتطور لهذه الظاهرة في إطار الفصيلة اللغوية الواحدة . . فاذا كانت اللغتان ، موضوع المقارنة ، غير منتميتين الى أصل واحد ، فان هذا المنهج لايعد منهجا مقارنا ، وانما يعد منهجا تقابليا ، وهو منهج حديث العهد لم يعرفه القرن التاسع عشر .

هذا هو التوجه العام الذي ساد البحث اللغوي في هذا القرن وكان من ثمرته الكبرى ، تصنيف اللغات الى فصائل ، كل فصيلة تنحدر من (أصل مشترك) زال من الوجود .

ومن أشهر هذه الفصائل فصيلة اللغات (الإندو ـ أوربية) وفصيلة اللغات السامية كما يوضح المخطط (رقم ١) الذي يبين شجرة اللغات الأندو ـ أوروبية . .

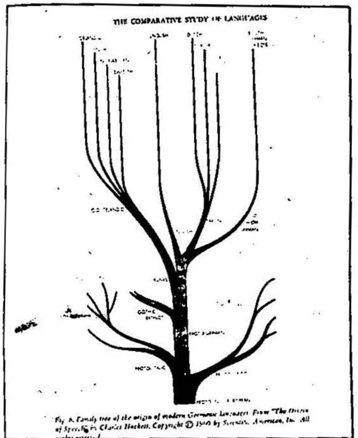


Fig. 6. Family tree of the origin of modern Germanic languages. From "The Origin of Speech," by Charles Hockett. Copyright © 1960 by Scientific American, Inc. All rights reserved.

كما كان من ثمرته على صعيد (التنظير المنهجي) «الجزم بأن تغير اللغات لايتعلق بارادة الانسان بقدر ماهو وليد اقتضاء (داخلي) في ذات اللغة . . وأن تبدل الالسنة تحكمه علل طبيعية ، أكثر مما تستثيره الاسباب الحضارية» (٧) .

وعموما فقد اتسم الفكر اللغوي في هذا القرن بالخصائص الاتية :ـ

١ ـ نشأة مفهوم (التغير) واختفاء مفهوم (الثبات) .

٢ ـ نشأة مفهوم العلاقة (العرقية) أو السلالية بين اللغات وإختفاء فكرة (الاصل الالهي) التى روج لها

التوراتيون في القرن السابع عشر.
٣ - السعي نحو استكشاف النواميس العامة التي تتحكم في مصائر اللغات .
٤ - الأخذ بمنهج علماء البيولوجي في رؤية اللغة ككائن حي ، يولد ويموت ويتفرع الى فصائل ، أولها ما للكائن الحي من خصائص وسمات تعكس كل منها مرحلة من مراحل تطورها عبر الزمان والمكان .

في هذا المناخ الذي يحكم نظامَ الفكر فيه (الابتستمولوجيا) مفهوم (التغير) واكتشاف (مظاهره) في الظواهر (وقوانينه) نشأ فرديناند دي سوسير فكان الوفي لروح عصره وثقافته ، وأمتثل لمناهجه التاريخية والمقارنة ، فكتب أطروحته الاولى بعنوان «مذكرة حول النظام البدائي لاحرف العلة في اللغات الهندية - الاوروبية» .

كما جاءت أطروحته للدكتوراه بعنوان (حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية) (جنيف ١٨٨١م وهما المؤلفان الوحيدان المنشوران له في حياته . (٨) .

وبهضمة مناهج عصره تولد لديه موقفه النقدي الاصولي نحوها ، وقدم هذه المراجعات في محاضراته في جامعة جنيف خلال الاعوام ١٩٠٧م - ١٩١٣م عام حياته ، وبعد ثلاث سنوات من وفاته ١٩١٦م نشر بعض تلاميذه هذه المحاضرات فيما أطلق عليه (درس في اللسانيات العامة) (٩) . . ذهب سوسير غير واع بما أنجز بل أن معاصريه لم يدركوا رسالته في عمقها الفلسفي ، فظلت ثورة كتابه هذه ثاوية وراء صراع المعارف التأريخية فما الذي جاء به سوسير . ؟

للإجابة عن هذا السؤال ، يحسن أن نقدم بين يديه مثلا يبين ، تقريبيا ، المنطقة المعرفية التي حول اليها دي سوسير اهتمام الباحث الالسني ، وبالتالي اهتمام الباحث في مختلف الدراسات الانسانية وأرى هذا المثل التقريبي في (لعبة كرة القدم) .

فهذه اللعبة يمكن ان تدرس من الوجوه الاتية :-
١ - من الوجهة التأريخية ، وذلك من خلال تتبع تاريخ نشأتها وكيفية تطورها عبر المراحل التي مرت بها حتى وصلت الى الصورة المتعارف عليها في الاوساط الرياضية .

٢ - من الوجهة النفسية ، وذلك من خلال تتبع المصاحبات النفسية التي تقف وراء جوانب الاثارة والإمتاع فيها . .
٣ - من الناحية التربوية ، وذلك في حال التركيز على أثارها الايجابية والسلبية على النشء ، من حيث كونها إحدى وسائل التنشئة الاجتماعية .
٤ - من الناحية الصحية ، وذلك بتتبع قيمة هذا النشاط في تنمية المهارات البدنية والعقلية . . وكذلك فيما اذا درست من النواحي الاقتصادية والسياسية ، والثقافية والسياحية . . الخ

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على مجمل هذه البحوث على اختلاف مناهجها وأهدافها، نجد أنها ذات قيمة وجدوى غير منكورة .

غير أن علامة الاستفهام ماتزال قائمة ، وذلك اذا طرحنا السؤال : ماهي لعبة كرة القدم؟ أي ماهي المنظومة التي تمثل كيان هذه اللعبة ، بقواعدها ونحوها الذي يحكم عناصرها ويحدد العلاقات القائمة بين هذه العناصر والمكونات التي على مجموعها يقوم نظام اللعبة . ؟

فبإمكان المتابع أن يقرأ هذه البحوث جميعها ، ومع ذلك فهو لايزال يجهل قواعد اللعبة جهلا كاملا .

هذا من حيث المتابع والقارىء ، ومن حيث الباحث نجد أن كل باحث ينتمي الى حقل معرفي مختلف عن حقل زميله . . مما يعني إمكان إجراء الدراسة مع عدم ضرورة ان يحاط الباحث سلفا بقواعد اللعبة، اذا أستثنينا الباحث التاريخي .

ومن حيث اللاعب يلاحظ أن معرفته بتاريخ اللعبة وبالخوض الحضاري الذي ولدت فيه والمراحل التي مرت بها . . لاتزيد من نوعية مهارته أو معرفته بقواعدها التي تحكم أداءه أثناء اللعب .

بهذا ندرك أن هذه البحوث ، على أهميتها وتغطيتها جوانبها، إلا أن الظاهرة موضوع الدراسة مازالت غير مدروسة في قضاياها الجوهرية .

فإذا ما أتى باحث فحدد مفهومها ، وبين قواعدها المتعلقة بحركات اللاعبين ، وبالمكان وأطواله وأبعاده . والزمان وتقسيماته . . الخ . فقد أستطاع بهذا أن يجيب عن السؤال : ماهي لعبة كرة القدم؟

وتاريخيا اذا كان هذا الباحث يعد أول من أتى بهذه المحاولة ، فإنه بلا شك يعد رائدا في مجاله ، وذلك لسبب بسيط واضح المعالم ، وهو أنه نقل البحث الى

(داخلية) اللعبة بعد أن كان يتناولها من (خارجها).

وهذا مافعله سوسير مع اللغة...

فقد كان البحث اللغوي قبله يعرض للغة من خارجها ويسكب أهدافه خارجها ، على حين ظلت الشبكة اللغوية تنتظر من سيأتي لها ، وقد أكد ذلك سوسير حين وصف هذه البحوث الخارجية بالقصور لأن «المشاكل الجوهرية في الالسنية العامة ماتزال قائمة الى يومنا هذا تنتظر من يحلها» (١٠) فهل تمكن سوسير من حلها ..؟

ذلك ماتسعى هذه المحاولة إلى أن تعرض له من خلال عرض بعض الخطوط العامة التي طلع بها كتابه الشهير (دروس في الالسنية العامة) .

* * * * * *

ينطلق التأمل عند دي سوسير من اللغة نفسها ، ويتخذ اللغة ـ ولا شيء سوى اللغة ـ مادة لدراسته ، فاللغة تدرس (معتبرة في حد ذاتها ولذاتها) وهنا يحدد حقل الالسنية بالمهام الآتية :ـ

ـ الاولى : وصف جميع اللغات المعروفة زمانيا وآنيا .

ـ الثانية : استكناه القوانين العامة التي تحكم جميع اللغات .

ـ الثالثة : تحديد مجال الالسنية نفسها وتعريفها . (١١)

وقد علق (إميل بنفنست) على هذا المدخل المنهجي بقوله : «لم يأبه أحد الى الغرابة الكامنة وراء هذا المظهر المتعقل للبرنامج فإن هذه الغرابة هي التي تعطيه قوته وجرأته في نفس الوقت . ان المهمة الثالثة التي تسندها الالسنية الى نفسها هي أن تعرف نفسها ، وهذه المهمة اذا أردنا أن نفهمها في شمولها تحتوي المهمتين الاوليين ، وتكاد تلغيهما . . لانها تجعل اكتمالهما مشروط باكتمالها بوصفها علما» وهنا تكمن الجدة في البرنامج ، حين يؤكد أن الالسنية لايمكن ان تنشأ إلا من خلال تعريفها لنفسها عن طريق اكتشافها مادتها» . (١٢)

□□ تحديد خصوصية الظاهرة اللغوية وتحديد موضوع الالسنية :ـ

وقد ترتب على هذا الوعي الذي تمثله المهمة الثالثة (مهمة التعريف وتحديد المجال) وعي آخر لايقل أهمية عن منطلقه وذلك أنه اذا كانت الالسنية لاتستطيع أن تعرف نفسها الا من خلال تعريفها وتحديد مادتها الخاصة وهي (اللسان) فإنها لاتستطيع أن تقوم بهذا التحديد إن لم تدرك بوعي تام (الخصوصية) التي تميز اللسان عن غيره من المواد التي تدرسها العلوم . وما يود تأكيده سوسير هنا هو مالاحظه في بعض (موضوعات) العلوم من حيث أنها واضحة ومحددة سلفا قبل (العلم) الذي يدرسها ، وبذلك لاتعاني هذه العلوم من اشكالية تحديد المجال (منطقة العمل) .

وتتميز هذه الحقول المحدودة سلفا بأنها هي التي تحدد (وجهة النظر) التي تتناولها ولكن (اللسان) على العكس من ذلك فلا يمثل (منطقة عمل) محددة سلفا حتى تحدد وجهة النظر حولها ، وإنما هو (مفعول) ومحدد من قبل (وجهة النظر) السابقة عليه وهذه هي خصوصية الظاهرة .

وقد عبر عن ذلك بقوله : «وعلى نقيض أن الموضوع يسبق وجهة النظر ، قد نقول إن وجهة النظر ربما اوجدت الموضوع» (١٣) .

فما هو موضوع الالسنية من منظور دي سوسير؟؟

يرى دي سوسير إن هناك ثلاثة مستويات ، تشكل مجتمعه مايعرف (بالظاهرة اللغوية) .

ـ المستوى الاول (الملكة اللغوية) ويطلق عليه مصطلح (Langage) وتفضل ترجمتها بمصطلح «اللغة» ويريد بها القدرة على الترميز المودعة لدى الانسان من الدلائل المتميزة ، المطابقة لأفكار متميزة (١٤) .

ـ المستوى الثاني (اللسان) ويطلق عليه مصطلح (Langue) ويريد به الظاهرة النوعية التي تعد إحدى تجليات (اللغة أو ملكة الكلام) وتعرف من خلال إضافتها الى مجموع المنتفعين بها ، فيقال : اللسان العربي ، اللسان الصيني . . الخ .

ـ المستوى الثالث (الكلام) ويطلق عليه مصطلح (Parole) ويقصد به الاستعمال الفردي للظاهرة النوعية .

وبذلك ندرك «أن اللغة مفهوم كلي واللسان مفهوم نمطي نوعي ، والكلام مفهوم إنجازي» ، (١٥) فنقول بناء عليه (اللغة البشرية اللسان العربي كلام عمرو) فقولنا (كلام زيد) يضعنا في مستوى الحدث

الفردي الذي هو فعل الكلام منطوقا ومسموعا ، ولكن اذا قلت (لسان زيد) فالمقصود استعماله الفردي للظاهرة النوعية التي هي لسان العرب مثلا ، فإن قلت (لغة زيد) فالمظنون أني أشير الى ممارسته للفعل اللغوي الذي هو خصيصة بشريه من خلال نطقه لجمل هي من مواصفات المتكلمين باللسان العربي» (١٦) .

بعد أن تيسر لنا فض الاشكال المفهومي بين هذه المراتب الثلاث للظاهرة اللغوية ، تأتي الخطوة التالية المشروعة نحو تحديد (منطقة) عمل الألسنية ضمن هذه المحاور الثلاثة (اللغة ، اللسان ، الكلام) .

■■ اللغة langage.

إن المتأمل للملكة اللغوية (اللغة) يلاحظ أنها شبكة من الثنائيات التي لايقوم جانب منها مع غياب الأخر. وذلك على الوجه التالي :ـ

أ ـ إذا نظرنا في العناصر الصوتية نجد أن ثنائيتها تتمثل في أنها (منطوقة / مسموعة) فلا وجود للصوت (N /ن) الا بتطابق هذين المظهرين اي لا وجود لهذا الصوت في حال اختفاء احد الجهازين (النطقي / السمعي) فإذا كان وجوده متوقعا على كليهما فإن دراسته بالتالي متوقفه ايضا على كليهما بالضرورة .

ب ـ إذا سلمنا ببساطة (الصوت) فهل هو الذي يكون اللغة (Langage) ؟؟

كلا وهنا تبرز ثنائية أخرى تتمثل في أن الصوت «ماهو الا اداة للفكر ، ولا وجود له لذاته» (١٧) وهنا نعقد ثنائية جديدة وخطيرة الى جانب الثنائية الاولى ، تتمثل في أن «الصوت ـ الوحدة النطقية ـ السمعية المركبة ـ يؤلف بدوره مع الفكر وحدة معقدة ، فسيولوجية ـ ذهنية» (١٨) .

جـ ـ ثم إن لهذه الملكة ثنائية ثالثة : جانب فردي (شخص ناطق) وجانب إجتماعي (لسان بحسب قواعده ينطق) ولا يمكن تصور احد هذين الجانبين مع غياب الآخر.

د ـ ثم إن هذه الملكة تنطوي في الوقت نفسه على نظام مستقر ، وعلى تطور فهي في كل حين مؤسسة حالية (= نظام مستقر) ونتاج للماضي (= نظام تطور)

هذا هو الواقع الثنائي للظاهرة اللغوية فما هو الجانب الجدير منها بأن يشكل موضوع الالسنية الكامل؟ .

إن هذه الثنائيات تضعنا أمام خيار مزدوج ، ننتهي بعد مراجعته إلى استبعاد أن تكون (اللغة) أو الملكة اللغوية موضوع الالسنية وبيان ذلك :

ـ «إما أن نقصر اهتمامنا على جانب واحد من كل مسألة ، وبذلك نتعرض لخطر إغفال الثنائيات المشار اليها أعلاه .

ـ وإما أن ندرس الملكة اللغوية من جوانب عديدة في آن واحد (١٩) .

ولا شك أن كلا هذين الخيارين يوصلان الى طريق مسدود ، وذلك إذا أخذنا بالخيار الاول فإن موضوع الالسنية «سيتحول الى ركام مبهم من أشياء متباينة لاصلة فيما بينها» (٢٠) على حين ان الخيار الثاني من شأنه أن يسمح «بفتح الباب على مصراعيه امام علوم عديدة كعلم النفس والانثربولوجيا والنحو المعياري والفيلولوجيا . . . . الخ وقد تطلب بعض هذه العلوم ـ تحت تأثير خطأ منهجي ـ ان تضم الملكة اللغوية الى ميدانها» . .

بل إن الملكة اللغوية (= اللغة) على ضوء واقع الثنائيات المشار اليها أعلاه ، لايمكن ان تندرج تحت أي علم . فهي نقطة تقاطع تخترقها علوم مختلفة «بما فيها الفيزيائي والفسيولوجي والنفسي ، منتمية في الآن نفسه إلى المجال الفردي والجماعي ولذلك يصعب تصنيفها ضمن أي من المقولات الكلية التي تندرج تحتها الظواهر الإنسانية ، اذ يستحيل استكناه وحدتها» (٢١) .

وبعد جهد في تحديد المنطقة الجديرة بأن تشكل موضوع الالسنية يرى أنه لاحل في رأيه إلا قصر الاهتمام على ميدان (المظهر الاجتماعي) فهو وحده منطقة الالسنية وهو وحده الذي يجعل للملكة اللغوية وحدتها أو تحقيق مظهرها . وقد اطلق على هذه الحلقه اسم (اللسان (Langae) فلننظر كيف تمكن من التقاط هذه الحلقة واستلها من ضمن الوقائع التي تمثل (دورة الخطاب) :ـ

لنفترض أن شخصين (أ) و(ب) يتخاطبان ولنقل إن نقطة الانطلاق في دماغ (أ) سنجد أن الدورة تتمثل في الحلقات الاتية :ـ

١ ـ انطلاق مفاهيم ذهنية ، مقرونة بتمثلات الاشارات اللغوية (أو الصور السمعية) للتعبير عن هذه المفاهيم (وهذه الحلقة نفسية صرفة) .

٢ - تتبع هذه الحلقة بإصدار الدماغ دفعا مترابطا الى أعضاء النطق لتحرك أوتارا معينة، لتأمين نقل هذه الدفعة إلى الخارج (وهذه حلقة فسيولوجية).
٣ - تنتشر الموجات الصوتية من فم (أ) الى اذن (ب) (وهذه دورة فيزيائية صرفة).
٤ - بعدها تمتد الحلقة في (ب) في ترتيب معكوس : نقل من الأذن إلى الدماغ (= نقل فسيولوجي).
٥ - ربط ذهني في الدماغ بين (الصورة الكلامية والمفاهيم) المناسبة . . هذه هي الحلقات الجوهرية في دورة الخطاب.

ولكن. ولكن هذه الدورة تقوم حين يكون هناك لسان مشترك بين (أ) و(ب) فما دورهما في هذه الحلقات الا دور المنفذ للسان موجود.

وهنا يطرح دي سوسير ملكة أطلق عليها ملكة (التداعي والتنسيق) وتظهر تجليات هذه الملكة حين يتعلق الأمر بذلك الاتفاق بين الجماعة اللغوية الواحدة بربط (صورة لغوية ما) بمتصور ذهني ما (= التداعي) ثم يدخل هذا المركب في علاقات مع مركبات أخرى باتفاق جماعي ايضا به يتشكل تنظيم اللسان.

هنا ينتقل الموضوع من إطار الفرد ليتحول الى ظاهرة اجتماعية.

فما الذي جعل هذه العملية تصبح عملية اجتماعية؟ وأي جزء من أجزاء الدورة يمكن اعتباره المتسبب في ذلك. ؟

- هل هو الجزء الفيزيائي؟

لا . . لأننا حينما نستمع إلى لسان نجهله نسمع اصواته (= البعد الفيزيائي) ومع ذلك يبقى خارج الظاهرة الاجتماعية.

- هل هو الجزء النفسي؟

لا . . لأن هذا الجانب تنفيذي ويتم في مستوى الفرد الذي يتحكم فيه دائما ويعرف هذا الجانب الفردي التنفيذي (بالكلام Parole) واخيرا يحدد منطقة اللسان بأنها تقع في (ذلك القسم المعين من الدورة، حيث تقترن صورة سمعية ما بتصور ذهني ما) (٢٢).

وبذلك يكون اللسان هو (الجانب الاجتماعي من (الملكة اللغوية/ اللغة) الخارج عن نطاق الفرد الذي لايستطيع إيجاده وحده أو أن يعدل فيه . وهو لايوجد الا بمقتضى نوع من التعاقد يتم بين اعضاء المجموعة البشرية الواحدة (٢٣) ويمكن التمييز بين (اللسان) و(الكلام) على النحو الاتي :-

١ - اللسان واقع اجتماعي ، ثابت ، في حين أن الكلام عمل فردي متغير.
٢ - اللسان مجموعة من ألقواعد والعلامات المودعة في العقل الجمعي ، ولا تنطق لأنها ليست فردية ، وليس في الكلام ماهو جمعي ، فكل ما فيه شخصي وتوي.
٣ - اللسان هو جهاز من الحروف والكلمات والصيغ والعلاقات النحوية المتواضع عليه في مجتمع ما ، يتعلمه الفرد إكتسابا ، فيدخل بذلك في زمالة اجتماعية أما الكلام فهو التنفيذ الفعلي الفردي لهذا الجهاز.

٤ - اللسان يمتلك حقيقته (= بنيته) المستقلة عن المجتمع الذي أوجده وعن الفرد ألذي ينطقه ، بل عن الجانب التصويتي الذي يمثل غطاءه المادي. فاستقلاله عن مجموع المتفعين به يتضح من «قدرتنا على تمثل بنية اللغات المنقرضة تمام القدرة رغم اننا لم نعد نتكلمها» (٢٤) أما حقيقة إستقلاله عن الفرد فواضح من وجوده قبله وبعده واكتسابه إياه سلبا ، من بقية افراد مجتمعه. أما استقلال اللسان عن غطائه المادي المتمثل في الصور الصوتية/ السمعية ، فيتضح من إمكان مناجاة المرء نفسه دون أن ينبس ببنت شفه . فاللسان يمكن «أن نقارنه بسمفونية ، حقيقتها مستقلة عن الطريقة التي بها يعزفها العازفون فالأخطاء التي قد يرتكبونها لاتنال البتة من حقيقتها» (٢٥).

وبذلك فاللغة (شكل /صورة Form) لا (مادة Substance) ولتوضيح استقلال بنية اللسان ، يشبهه بلعبة الشطرنج التي إذا استبدلت قطع اللعب فيها من خشبية إلى عاجية . . الخ لايكون لهذا التغيير أثر في التنظيم ، على أنه إذا زاد عدد القطع أو نقص كان لذلك تأثير عميق في نحو اللعبة . .

ونفهم من هذا أن الجانب المادي المتمثل في الكلام لايحدد قواعد اللعبه اللغوية لاستقلال هذه القواعد عن جانبها المادي (الكلام) الذي نتحقق من خلاله).

كما يريد أن يقول : إن اي تغير في اي عنصر من عناصر اللعبة (= التنظيم) ينجم عنه تأثير واضح في التنظيم ككل، وذلك لوجود علاقة جدلية بين العنصر المتغير والتنظيم.

ينتهي دي سوسير من هذا إلى التأكيد على أن الدراسة العلمية للالسنية يجب أن تتحدد في (اللسان) لا في (الكلام) وذلك لسبب واضح بسيط يضاف الى ماتقدم وهو أن (اللسان) ثابت ويمكن استكناه وحدته ، في حين أن (الكلام) متغير ، ويتألف من عدد غير محدد من الحقائق الفردية ، مما يعني أن وصفه ، بناء على ذلك ، سيكون غير محدد.

ثم خطا خطوة اخرى اكثر أهمية في تحديد منطقة عمل الألسنية ، وتتمثل هذه الخطوة في أن الالسنية لاتدرس (عناصر) اللسان كلا على حده وانما تدرس (العلاقات) التي تربط بين هذه العناصر . بمعنى أن العنصر ليس هو المهم ، وانما المهم هو (العلاقات) القائمة بينه وبين غيره من العناصر والتي بفضلها يتحدد شكل النظام ، على إعتبار أن الكل ليس الا الناتج المترتب على تلك العلاقات.

ومن هنا يعد دي سوسير رائد المدرسة البنيرية ، تلك المنهجية التي تقول «بسيطرة النظام على عناصره ، وتهدف الى استخلاص طابعه النسقي من خلال العلاقات القائمة بين عناصره»

إذن لدينا :ـ

١ ـ نظام (= بنية).

٢ ـ هذا النظام / البناء مؤلف من عناصر.

٣ ـ هذه العناصر ترتبط عضويا بعلاقات تجمع بينها ، حتى تؤلف في مجموعها نظاما.

وفي هذه المنطقة الثالثة ، تنصب الدراسة العلمية للالسنية ، وتتركز الدراسة البنيوية لمختلف الظواهر التي تعرض لها : كشف العلاقات بين عناصر النظام طريق الوصول الوحيد الى معرفة النظام.

يقول تشومسكي :ـ

«إن الطفل «يكتسب» قوانين اللغة بسهولة والباحث «يصف» هذه القوانين بصعوبة.
والبنيوي (يكتشف) العلاقات القائمة بين هذه القوانين بصعوبة فذة.

التزامن / التعاقب :ـ

إذا كانت الثنائية (لسان / كلام) ترجع الى طبيعة الظاهرة موضوع الدراسة فإن الثنائية (تزامن / تعاقب) ترجع الى طبيعة (المنهج) الذي يعرض لتلك الظاهرة موضوع الدراسة.

فإذا كان (اللسان) يمثل (الوحدة) وراء (التعدد) الذي يمثله (الكلام) فإن محاولة الوقوف على هذه الوحدة تقتضي رؤيتها في إطار زمانين فأكثر أو مكانين فأكثر تجعلنا لانمسك بها أبدا وإنما هي «محاولة جمع بين ظواهر متنافرة . . وإقدام على عمل من ألاعمال الوهمية» (٢٦) هنا تحتم الفصل بين منظورين :ـ

ـ منظور يتجه نحو دراسة الظاهرة في خطها التتابعي / التطوري بهدف الوقوف على العلاقات والمظاهر بين الحالات المتعاقبة للظاهرة ، عبر الزمن وقد اطلق عليه سوسير مصطلح (Diachronic)

ـ ومنظور يتجه نحو دراسة نفس الظاهرة في إطارها الاني / الثابت بهدف الوقوف على العلاقات التي تربط بين عناصرها المتواجده / المتزامنة/ المتعاصرة في فترة معينة مع إقصاء كامل لبعد الزمن وقد أطلق دي سوسير على هذه الرؤية.
مصطلح (Synchronic)

وذلك كما يوضحه الرسم الاتي :

ـ فالمحور (أ ـ ب) يمثل المحور الافقي (التزامني / الاني / التعاصري / الوصفي) وفيه تقوم العلاقات بين الاشياء (= العناصر) المتواجدة على أساس ثابت سكوني Static ليس للزمن فيه اي مدخل.

ـ والمحور (جـ ـ د) يمثل المحور الرأسي الذي تقوم فيه العلاقات بين الاشياء (المتعاقبة) في إطار مجرى الزمن.

وبذلك يتحدد بصراحة دقيقة مشروع كل محور ، ويصبح التمييز بينهما ضرورة عملية لكل العلوم المباشرة للقيم.

ـ فالالسنيه الآنية (السنكرونية) تهتم بالعلاقات

المنطقية والنفسية التي تربط بين عناصر (متواجده) مكونة لنظام قائم كما يدركه وعي جماعي واحد.
- والالسنية الزمانية (الدياكرونية) على عكس ذلك، تهتم بالعلاقات التي تربط بين عناصر (متتالية) لايدركها وعي جماعي واحد، ويعوض بعضها بعضا بدون أن تكون فيما بينها نظاما قائما.

ويرى دي سوسير «أن الحقيقة الآنية لاتنفي الحقيقة الزمانية» (٢٧) اذ لكل منهما مشروعها واهدافها وفلسفتها الا انهما (أمران متميزان (٢٨) وهذا يعني ان التركيز على احداهما (يكون بمثابة ادراكنا لنصف الحقيقة فقط) (٢٩)

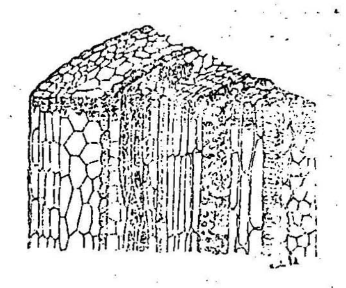
وهذا ما يأخذه على النحو التقليدي المعروف بالنحو التأريخي: منزع القرن التاسع عشر كما تقدم.. كما لاحظ على اللغويين قبله أنهم «ظلوا يخلطون في الالسنية بين هذين الصعيدين طيلة عشرات السنين، وغاب عنهم ان منهجهم هذا منهج لاخير فيه»

مؤكدا في النهاية انه «سواء وجهنا الملاحظة.... وجهة آنية او زمانية فإنه يلزم أن نحل كل ظاهرة من الظواهر في صعيدها الخاص بها، وألا نخلط بين المنهجين كلفنا ذلك ماكلفنا» (٣٠)

وقد ركز دي سوسير اهتمامه على احلال (الآنية) محل (الزمانية) على اعتبار أنها الوجهة التي تعمل في (داخلية) الظاهرة وبالتالي فهي الاقدر على وضع مبادئها الأساسية، وضبط العوامل المكونة لها، ولعل اللسان من حيث كونه يمثل، نظاما مغلقا، فإنه يتحتم على الالسني أن يدرك «أن اللسان نظام من القيم المحض ألذي لايحدد حقيقته شيء، باستثناء الوضع الذي تكون عليه عناصر ذلك النظام في زمن معين»، (٣١)

وبهذا النص تكتسب المقولة (الآنية) مشروعيتها، ويتحدد مشروعها في نفس الوقت. وعليه يقوم صرح البنيوية مع كل انسلاخاتها التصورية.

ولتوضيح الفرق بين التفاصيل التي تقدمها المشاهدة الآنية والمشاهدة الزمانية أننا إذا عمدنا إلى قطع ساق بعض النباتات قطعا أفقيا، وقطعا رأسيا فالقطع الرأسي يكشف لنا عن الالياف التي تكون النبتة، اما القطع الافقي فيكشف بعض مابين الالياف من علاقات، لن نستطيع ادراكها البتة من خلال المستوى العمودي فقط (٣٢).



ولعل أدق نموذج يوضح الفارق بين الرؤيتين الاستعانة بلعبة الشطرنج التي كثيرا مايقارن بينها وبين اللغة، حيث يقول:

« إن تحويل قطعة من مكان إلى آخر يعد عملية متميزة تميزا مطلقا عن حالة التوازن السابقة وحالة التوازن اللاحقة لها مباشرة.. وذا أردنا وصف وضع القطع في هذه المرحلة، لم نكن بحاجة البتة الى أن نذكر بما حصل قبل ذلك بلحظات معدودات.

وكذلك الحال مع اللغة: فاللفظ لايقوم أبدا إلا على أساس حالة من حالات اللغة، اما التغيرات الطارئة بين حالة واخرى فلا محل لها فيه» (٣٣)

ذلك ان «تعاقب الظواهر اللغوية في الزمن امر لا وجود له بالنسبة الى المتكلم، الذي يجد نفسه دائما امام حالة لغوية ما. ولذلك يجب على الالسني، الذي يريد أن يدرك حقيقة هذه الحالة اللغوية. أن يضرب صفحا عن جميع الامور التي احدثتها اي أن يتجاهل الزمانية.. لانه ليس من شأن التأريخ والزمن إلا أن ينحرفا بأحكامه عن الصواب.» (٣٤)

وبذلك يرى مؤرخو البحث الالسني الحديث .. «أن جزم دي سوسير بان حقيقة اللغة كامنة في ذاتها أكثر مما هي كامنة في تاريخها، يعد إعلانا عن قطيعة معرفية، يتجاوز أثرها حدود العلوم اللغوية الى مجال العلوم الانسانية الاخرى.. ولقد تأسست الفلسفة (الزمانية) على مبدأ القول بأن حقيقة الظواهر كامنة في غيرها لا في ذاتها، لانها مستمدة من العلل والاسباب

السابقة في وجودها . . على حين اعترضت (الآنية) بالقول: إن حقيقة الظواهر كامنة في ذاتها لا في غيرها . ، وهكذا قامت (الزمانية) على تقديرها في وجودها : فجوهر الشيء هو وجوده ، ووجوده كامن في بنيته ونظامه» (٣٥) كما أستطاعت الالسنية بفضل مقولة (الآنية) أن تحول موقعها من موقع التابع الى موقع (الرائد) المتبوع ، وأن تعبر الجسر الفاصل بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية على حد تعبير شيخ البنائيين (ليفي شتراوس) . .

الالسنية الداخلية / الالسنية الخارجية :ـ

عرفنا فيما تقدم ، من خلال تمثيلنا بلعبة كرة القدم ، ، أن هناك مجالات لدراستها من الوجهات : النفسية والتربوية ، والصحية والاقتصادية والتاريخية . . . . . الخ ، وأن جميع هذه الدراسات ، على أهميتها في معالجة إشكالياتها ، لايمكنها أن تجيب عن سؤال : ماهو نحو لعبة كرة القدم ، على حين أن الدراسة التى ستعرض لقواعد هذه اللعبة واجروميتها هي الدراسة التي بامكانها أن تجيب عن هذا السؤال . وعليه فالدراسات الاولى ، على تنوعها ، تقع (خارج) اللعبة ، على حين أن الدراسة التي تعرض لبيان نحو هذه اللعبة ، تقع داخلها .

وإذا أتينا الى الحقل الالسني نجد دي سوسير يضع أسس الفصل بين الدراسات الداخلية للظواهر والأنظمة ، والدراسات الخارجية لها ، بطريقة منهجية ثاقبة ، غير مسبوقة في تاريخ التفكير العلمي بهذا الاستواء من القصدية والنضج . .

ـ فاللسان ـ على المستوى الخارجي external عبارة عن دراسة للعلاقات القائمة بينه وبين الدوائر المؤثرة عليه ، كالحضارة والتاريخ السياسي ودور اللغة في المجتمع وأثرها في تشكيل قوالبه الفكرية (= الالسنية الاجتماعية) كما يمكن أن يدرس اللسان من الوجهة النفسية (الالسنية النفسية) من الوجهة الجغرافية والانثروبولوجية والدراسات التطبيقية في مجال تعليم اللغات والدراسات الادبية والترجمة الآلية . وقد تشعبت هذه الدراسات في الآونة الأخيرة ، وتعرف جميعها بالالسنية الخارجية لأنها آتيه من حقول خارج اللسان وتصب في احواض خارج اللسان في نفس الوقت فهي معارف غريبة عن الجهاز العضوي للسان وبنائه الداخلي . .

ويمكننا كما يرى دي سوسير «أن تكدس التفاصيل دون أن يحصر اصحابها انفسهم بين فكي إطار دراسة نظام» ، ، (٣٦) كما أن تنظيم هذه العلوم أمر راجع الى الدارسين انفسهم ، الذين يتخذون ما يشاءون من (تنظيم) يهدف الى البيان والوضوح . . غير أن الالسنية الداخلية لاترتضي اي تنظيم «فاللسان ، لايخضع لغير نظامه الخاص» (٣٧) . .

ثم يجري مقارنة للسان مع لعبة الشطرنج : فأن تدرس على انها إنتقلت من بلاد فارس الى اوروبا فهو امر خارجي . اما الداخلي منها فهو على العكس من ذلك يتعلق بنظام هذه اللعبة وقواعدها .

وبذلك اعطى الاولوية او الصدارة للالسنية الداخلية على إعتبار ان المهم هو التنظيم الباطني للسان (= قواعده الداخلية) لاتاريخه أو نشأته . أو مراحل تطوره (= مظاهره الخارجية المتعاقبة عبر الزمن) وإذا كانت الدراسات الخارجية وثيقة الصلة بدراسات اخرى ما زالت في دور التكوين ، كاللغويات السيكولوجية واللغويات السوسيولوجية . . الخ ، فإن الدراسة الداخلية للسان قد قامت خارج نطاق الافتراضات الفلسفية المسبقة»

بهذه المنهجية مهد السبيل لظهور البنيوية ، ومشتقاتها ، مثل الدراسة الاسلوبية ، وظهور نظرية (التناص) وهي مقولات تعتمد اقصاء الارتباطات الخارجية للنص ، وتنظر إليه «ككيان مستقل بذاته ، حامل لمعنى ملازم له حيث يقوم كل عنصر ، وظيفيا ، بضبط العلاقة مع الكل . . » (٣٨) . .

■■■■

تلك بعض المقولات الكبرى التي طلع بها دي سوسير في مطلع هذا القرن وقد آثرنا الاكتفاء بها مراعاة لنفس القارىء على أمل المتابعة في اعداد قادمة إن شاء الله . .

■■■

□□ الهوامش :ـ

١ ـ جورج مونان . علم اللغة في القرن العشرين . ترجمة د. نجيب غزاوي . سوريا . وزارة التعليم العالي ٤٧
٢ ـ نفسه ٤٧

٣ ـ نفسه ٤٧
٤ ـ د . عبدالسلام المسدى ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م ص ١٢٠ .
٥ ـ علم اللغة في القرن العشرين ٥٣
٦ ـ نفسه ٥٦
٧ ـ اللسانيات وأسسها المعرفية ، ١٥ ـ ١٦
٨ ـ علم اللغة في القرن العشرين ٤٨
٩ ـ جمع هذه المحاضرات اثنان من طلبته ، وهما (بالي Pally) (وسيشهي Sechehaye) حيث اعتمدا على أمليات سجلها الطلاب ونشرت لاول مرة عام ١٩١٦م بعنوان :ـ (Cours de Linguistigue general) (دروس في الالسنية العامة) وقد ترجم هذا الكتاب الموصوف بانجيل علم اللغة الى جميع اللغات تقريبا ، وعرفه القارىء العربي عام ١٩٨٥م مترجما من قبل الأساتذة : صالح القرمادي ، محمد الشاوش ، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها.
١٠ ـ دروس في الالسنية العامة ٢٣
١١ ـ نفسه ٢٤
١٢ ـ سيميولوجيا اللغة ، إميل بنفنست ترجمة سيزا قاسم ١٩٨٦م ص ١١٢ مدخل الى السميوطيقا) دار الياس العصرية ١٩٨٦م ص ١١٢
١٣ ـ دروس . . . ٢٧
١٤ ـ نفسه ٣٠
١٥ ـ اللسانيات وأسسها المعرفية ٨٦
١٦ ـ نفسه ٨٤
١٧ ـ دروس . . . ٢٨
١٨ ـ نفسه ٢٨
١٩ ـ نفسه ٢٩
٢٠ ـ نفسه ٢٩
٢١ ـ نفسه ٢٩
٢٢ ـ نفسه ٣٥
٢٣ ـ نفسه ٣٥
٢٤ ـ نفسه ٣٦
٢٥ ـ نفسه ٤٠
٢٦ ـ نفسه ١٣٤
٢٧ ـ نفسه ١٤٧
٢٨ ـ نفسه ١٤٨
٢٩ ـ نفسه ١٤٨
٣٠ ـ نفسه ١٥٢
٣١ ـ نفسه ١٣٧
٣٢ ـ نفسه ١٣٩
٣٣ ـ نفسه ١٢٩
٣٤ ـ اللسانيات ١٢٩
٣٥ ـ دروس ٤٦
٣٦ ـ نفسه ٤٧
٣٧ ـ نفسه ٤٧
٣٨ ـ مارك انجينو ، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجد.١ (في أصول الخطاب النقدي الجديد) ترجمة د . احمد المديني بغداد ١٩٨٧م ص ١١٢

●●●●●



أيمكن أن يقال عن لسان ما ـ إنه جميل؟

اندره مارتينه*
ترجمة: د/ فهد عكام

حين يولع عالم اللغة المعاصر باستنباط السمات المميزة للسان ما، لاشيء أبعد عن اهتماماته من أن يعرف هل هذا اللسان جميل أو قبيح والامر على هذا النحو، لأن كل تقدير جمالي قد يجره إلى تنظيم الوقائع المشهودة وتنسيقها لاتبعا لدورها في الابلاغ Communication، بل تبعا لتفضيلات شخصية قد لايكون لها والحالة هذه أية قيمة، ولا نستطيع ان ننتظر من عالم اللغة اليوم ان يهجر تحيزة للموضوعية: فهو يعلم اي اهمية كانت لعزوفه عن وجهات النظر التي فرضت عليه وعن الاحكام التقويمية في بناء نظامه، فما ينبغي له ان يعدل عنه ولو لحظة واحدة.

ومع ذلك، لايراد من هذا ان عالم اللغة لابد له من أن يعرض عن أن يسأل بينه وبين نفسه اسئلة تتصل بالمظهر الجمالي لوقائع اللسان، ففي مقدوره لفائدته وربما لفائدة الاخرين، ان يتساءل اي معنى، وأي قيمة للتصريحات التي تفيد أن هذا اللسان جميل، ظريف، عذب، وأن ذاك قبيح، منفرٌ، خشن. ولا يستطيع بطبيعة الحال، الاكتفاء بتدوين الاحكام التي يسمعها من حوله وعرضها مستغنيا عن اخضاعها الى نوع من النقد.. أما استجاباته الشخصية فهي وان نأت عن التقويم بتجربته المهنية، قد تصطبغ بها، وبذلك تغدو على خلاف مع أكثر الاراء شيوعا من غير ان يستطاع الادعاء بأنها افضل منها على صعيد الجمالية. ومن الواضح ان عالم اللغة لايتميز عن معاصريه بأنه ارهف منهم إحساسا بألوان الجمال والقبح في الالسن Langues التي يدرسها بل يتميز عنهم لأنه مؤهل أكثر منهم للاحظة استجابات اشخاص اختيروا ممثلين حقا للجماعة ولفرز هذه الاستجابات وتصنيفها.

وعالم اللغة ليس له بديا أي ميزة ليبدي رأيه مؤيدا او رافضا فكرة افلاطون الخاصة بجمال مطلق أبدي beaw eternel لامناصٓ للاشياء والاناسي من الاشتراك فيه او فكرة جمال beaute يميز الاشياء قبل وعي البشر لها، وعالم اللغة اذ هو ماهو، يحظُر على نفسه كل تجريد فلسفي ومع ذلك يشاهد ان الجمال beaute ذاتي بمعنى انه ليس بكمية قابلة للتسجيل والقياس كما هو حال الارتفاع النغمي hauteur melodique والشدة intensite والديمومة duree

---

* ANDRE MARTINET اندره مارتينه مؤسس المدرسة الوظيفية في اللسانيات المعاصرة في فرنسا ولد في السافوا عام ١٩٠٨ ودرس في جامعة السوربون منذ عام ١٩٦٠ وهو مؤلف كثير من الكتب تناول فيها علم الصوتيات ووظائفها... وعلم اللغة العام.. وهو منذ عام ١٩٤٨ احد المديرين المسئولين عن مجلة اللغويات في نيويورك: Word من كتبه الهامة:ـ

١ ـ Economie des Tohangements phanetiques
٢ ـ Traite de Phanologie diachronique
٣ ـ Elements do tenguistique generale

في كل جزء من الجملة الملفوظة enonce على سبيل المثال. ففي مقدور آلة ما ان تقول لنا اذا ما كان مقطع صوتي ما منطوقا بجرس timbre أعلى من مقطع آخر وان تعرفنا حيث أظهر التحليل ان هنالك مستويين من لارتفاع مميزين اذا ما كان علينا ان نهتم بنغمة الصوت ton المنخفضة او بنغمته المرتفعة (١)، ولكن لابد من حكم تقويمي، اي تدخل انسان، قبل ان نستطيع التصريح بجمال جزء segment ما من الكلام. ومؤدى هذا أن كل بحث في هذا الميدان لابد ان يقوم على تسجيل الاحكام التقويمية وفحصها. ومن الملائم، فضلا عن الاستجابات اللغوية ملاحظة سلوك الاشخاص امام الاشكال formes والمقولات الملفوظة enonces والنصوص، والالسن langues التي قد يراد تقدير قيمتها الجمالية.

ولابد ان نميز منذ البدء، بين نمطين من الاستجابة reoution الجمالية للافعال اللغوية، فمن ناحية، الاستجابة الى لسان ما من حيث هو كل، ومن ناحية اخرى، الاستجابة الى نص ما او جزء من نص قضي بأنه جميل (او أقل جمالا) بتعارضهما أو تضادهما مع نصوص اخرى او أجزاء أخرى من اللسان نفسه، فمن الناحية الاولى على سبيل المثال التصريح بأن الايطالية ظريفة ومن الناحية الاخرى الاعجاب الشديد بفن بودلير boudelaire أو التقدير الذي نقفه على أربعة أبيات للمؤلف نفسه. وههنا طرازان ordres من الابحاث لابد من الحكم بأنهما بالتأكيد على جانب من الاهمية والقيمة غير المتكافئتين، فالطراز الاول ليس له أي نظام statut معترف به، والثاني هو، على خلافة، في قلب نظام قديم هو الاسلوبية lastylistique التي ربما لم يحدد بعد ميدانها تحديدا كاملا، ولا طرائقها المركزة حقا، ولكن تحققت فيها الوان من التقدم محسوسة جدا خلال السنوات العشر الاخيرة.

وليس في وسعنا أن نزعم أننا نعالج هنا أي قضية من القضايا التي يطرحها تمثل الاسلوبية او ممارستها. وخلافا لذلك قد يكون مجديا ان نتبين على اي شيء تقوم الاحكام التقويمية المتصلة بجمالية الالسن المدركة على أنها كليات يضاد بعضها الاخر، وفضلا عن ذلك ليس من المستحيل ان تشرق المشاهدات -constata tions الملاحظة في هذا الميدان بنور جديد آخر الامر على بعض المظاهر في ميدان الاسلوبية.

●●●

وفي وسعنا التأكيد حقيقة، حتى على أساس فحص سريع للقضية ان معظم الاحكام الجمالية التي تتناول الالسن مرهون بشيء آخر غير الميزات الذاتية لادوات الابلاغ والتعبير هذه، فهذه الاحكام تقوم في الواقع على العواطف التي يحس بها المرء نحو الامة التي تستخدم هذا اللسان، وعلى طبيعة الصلات التي اقامها مع اهله، وعلى الحب الذي يكنه للبلد الذي سمعه فيه، وعلى جاذبية الادب الذي هو دعامته، الجاذبية التي تنجم، ولا سيما في لغة أجنبية، عن فحوى substance الرسالة المبلغة message اكثر مما تنجم عن الشكل الذي تلبسه هذه الرسالة في هذا اللسان. وهذا يصدق بالطبع على الاحكام الجمالية التي يطلقها الفرد على لسانه الخاص، وهذا مما قد يجردها من كل قيمة اذا ما أراد المرء ابداء رأيه اخر الامر في المطلق.

وهذا الخلط بين اللسان نفسه ومظاهر العالم الذي يكشف عنه أو يرمز اليه يكاد يكون عاما. ولاقامة تميز ههنا ليس هنالك سوى علماء اللغة المتهنين واولئك الذين جربوا في هذا المجال ميلهم للتحليل. وحتى اليوم، قليل من الناس يدركون انه من الممكن دراسة اللغة le languge والالسن بصرف النظر عن علاقاتها بالاشياء وممارسة علم للغة scïene du lan guge يتجاوز فقه اللغة philologie الذي لم يقصد مطلقا الا الى البحث في اللسان عن واقع غير لغوي، الواقع بكلمة مختصرة والعثور عليه.

ومهما تكن اهمية ما نستطيع تسميته شرطا خارجيا للاحكام الجمالية الخاصة بالالسن فليس بأقل أهمية ان طبيعة اللسان المعالج، من حيث البنية او الوظيفة، يمكن ان تقوم، في هذا الامر بدور لايمكن اهماله. ولابد بادىء ذي بدء من ابراز الحالات التي تنوب فيها بعض الافعال اللغوية حقا نوعا ما عن غيرها.

وحين يعترف بأن لسانا ما جميل لاسباب ليس لها في احدث تحليل اي علاقة مع الطبيعة الحقيقية للشيء نفسه، يمكن للسمات الخاصة بهذا الشيء Objet ان تنعت بأنها جميلة لمجرد انها تميز لسانا صنف بأنه جميل

، ولنأخذ ، على سبيل المثال ، الايقاع الضعيف النبرة uythme peu marqve في الجملة الفرنسية ، فلا شيء يشير الى ان هذا الايقاع في ذاته اكثر أو أقل جمالا من إيقاع السن ينتهي فيها وجود نبرة حقيقية reel accent للكلمة الى مفارقات contrastes أكثر وضوحا. ومع ذلك ففي المواطن التي تتمتع فيها اللغة الفرنسية بالحظوه ، كثيرا ماتضفي قيمة جمالية عظيمة على مايمكن ان يغري اناس اقل تفقها فيها بالحكم عليه حكما قاسيا من مثل الرتوب وغياب الرونق والجلاء . وبناء على حكم اي انسان انتهى به الامر الى استحسان الايقاع الضعيف النبرة في الفرنسية فأن ايقاعا مشابها شوهد في لسان آخر يمكن ان يؤدي الى تقويم هذا اللسان تقويما جماليا . .

ونقيض ذلك حق بالطبع : فمواطن من السافوا sawoyourd (٢) ، بمقدار مايرى اللهجات الاقليمية Patois التي استطاع سماعها من حوله فظة وجديرة بالاحتقار ، يحكم حكما صارما على ايقاع الايطالية وبخاصة لان كثرة التشديد اوقع على ماقبل الاخير من حروف الكلمة أم في موطن إخر في هذا اللسان لابد ان تذكره ببعض سمات اللغيات الريفية الدارجة Pour ler ru stigue في مقاطعة . وسمات الايطالية هذه اذا ما ارتبطت رأسا في الذهن ، بروعة مناظر شبه الجزيرة الايطالية او بسحر الحواضر في توسكانا ، تستطيع ان تغدو رمزا لها. وكل هذا طبيعي فما ينبغي ان نلح عليه كثيرا . .

وبعد ان توطدت كما ينبغي اهمية العوامل الخارجية الخاصة بظرف التحكم لابد لنا من معالجة القضية الاساسية في رأينا: الى اي حد تستطيع السمات التي نكشف عنها في اللسان الانساني ان تتحكم بحضورها او غيابها في لسان خاص. بالاحكام الجمالية التي نضفيها على هذا اللسان؟ والقول ان هذا التحكم كامل قد يتضمن ان الناس جميعا يتصرفون تصرفا متماثلا . . وهذا ليس بسليم في كل الاحوال، لاننا نعلم ، بالتجربة ، ان السمة نفسها ، كتواتر النبر على الحرف السابق للحرف الاخير في الكلمة ، وتواتر التشديد على سبيل المثال ، يمكن ان يثير احكاما تقويميه متضادة كل التضاد . ولكن اليس من الممكن العثور على سمات تبعث الجاذبية او النفور ، مهما يكن مزاج الشخص المعتبر وتجربته لغوية وغير لغوية ، واحكامه السابقة وأمياله؟

ماقد يحمل على الاعتقاد بذلك . انما هو وجود رمزية عالمية في حالة بعض اصوات اللغة وهذه الرمزية التي لم تكن لعهد طويل سوى فرضية محتملة تبدو اليوم موطدة الاركان . والافراد يمكن ان يكونوا ازاءها على درجات متفاوته من الحساسية ، ولكننا لانشاهد ان استجاباتهم متناقضة حين تتم الملاحظة مع جميع الضمانات اللازمة: فجرس الصائت (i) على سبيل المثال يكافىء مفهوم الضآلة والصغر ، وهذا لايلغيه لا big (كبير) ولا small (صغير) الانكليزيتان ، وجرس الصائت (u) (ou الفرنسية) يستدعي طبعا مفهوم الضخامة والثقل ، وليس ههنا سوى أشد السمات اثارة للدهشة في هذه الرمزية ، ولكنها تكفي لتبيان مقصدنا . وليس المرء في حاجة لان يكون مثقفا بارعا في علم الاصوات المنطوقة كي يفهم سبب مثل هذا التحديد لهوية الاصوات : فالصوت (i) هو الصائت الذي من أجله تجهد اعضاء التصويت لانشاء تجويف الرنين الاصغر ما أمكن قريبا من القسم الامامي من الفم وذلك بدفع كتلة اللسان نحو القسم الداخلي من الحنك وسحب الشفاه الى اقصى حد فوق اللثات ومن اجل الصائت (u) ، يحدث خلاف ذلك ، فكتلة اللسان تنسحب نحو الخلف والشفاه تدفع الى الامام بحيث يكون تجويف الرنين اوسع مايمكن . فالمعادلتان الرمزيتان (i) = ضآلة و (u) = ضخامة لهما أساس فيزيولوجي واضح وهذا الاساس انما هو الذي يسمح لنا بان نفترض انهما من صنع جميع البشر ، مع ان الملاحظات التي تعتمد عليها لاتستند الى مجموع الانسانية ، ونحن بعيدون عن ذلك . .

واذا ما وجدت رمزية عالمية للاصوات ، اليس بوسعنا التفكير في أن الانسان اذ هو ماهو فيزيولوجيا ونفسيا ، لابد ان تبدو له فطريا بعض السمات في لغته اكثر اغراء واخرى اقل ظرافة؟ قد يغرينا الاعتراض بأنه اذا ما كان الامر كذلك ، فأن الالسن ، منذ بدء تطورها ، لابد لها من الجنوح الى تحبيذ السمات الاكثر اغراء واهمال ماعداها بأسره . . ولكن هذا يعني نسياننا ان الاهتمامات الجمالية هي بالتأكيد ، في ممارسة اللغة متممة لحاجات اكثر الحاحا منها وقد يكفي هذا لكي

نفسر لمَ لمْ يجر الانسان الى استحسان سمات ايجابية جماليا في لغته على حساب السمات الاخرى استحسانا مفرطا.

ومع ذلك ، لابد لنا من أن نلاحظ ان العلاقات الطبيعية التي نكشف عنها بين بعض الاصوات وبعض المفهومات لاتفترض ولا تفرض مطلقا حكما تقويميا نهائيا جماليا كان ام خلقيا : فالضآلة petitesse يمكن أن تؤول نعومة finesse ورقة delicatesse ولكن قد تؤدي ايضا الى لطف متكلف mieurerie وخسة mesqwinerie ومهما تكن الطريقة التي تعالج بها قضية جمالية الالسن فإننا مقادون حتما الى ملاحظة ان الجمال ليس هو في الشيء objet بل في إستجابة الفرد للشيء . . ومع ذلك ، يظل من المحتمل ان بعض الاشياء هي بطبيعتها اكثر أهلية من سواها لاثارة حكم تقويمي ، ولهذا فإن المشروع الذي نتابعه هنا ليس بعديم الجدوى فيما نقدر فهنالك مظاهر في بنية الالسن تكاد تتدخل بالضرورة حين نشرع في هذا الصدد بتوزيع الذم او المديح وهذه المظاهر انما هي التي سنبذل الجهد في استعراضها.

ان اعظم مايدهش مباشرة حين نسمع لغة اجنبية انما هو بكل تأكيد إيقاعها rythme (٣) وكثيرا ماندركه في ظروف نجد فيها عناء كبيرا لتحديد هوية الاصوات الخاصة ، وعلى سبيل المثال في قطار يجري على مسافة ما ، وهذا الايقاع هو من حيث الجوهر ، تحت سيطرة ما يسميه اللسان المألوف langue ordinairs نبرة نغمية accent toniqne (٤) ، أي منح قيمة لبعض المقاطع الصوتية فى خطاب منجز نطقا dis-cours realise بوساطةوسائلمنوعة ، تختلف من لسان لآخر ، ولكنها تكاد تشترك دائما في القوة النطقية energie articulatoire ، والارتفاع النغمي hauteur melodiqne أو ديمومة المقاطع dwree des syllabes ، وبين العناصر الفريدة التي تبرز النبرة لابد من ذكر الاختناق المزماري etranglement glottal الذي يبدأ به العطس والذي يمنح ايقاع لسان ما كالدانماركية طابعا خاصا جدا . وكذلك يمكن ان تتدخل ، لوسم الايقاع بسمة خاصة ، حركات المنحنى النغمي Cpwrbe melodique التي ندل عليها بلفظ الاداء النغمي (٥) وحركات الخطوط الخاصة بديمومة المقاطع التي لاتشترك في ابراز النبرة ، وبطبيعة الحال ، الوقف pawse في أنواعه المختلفة وهذه السمات كلها تخص الميدان الذي يصفه علماء اللغة اليوم بما فوق المقطعية suprasegmental أو الذي يشيرون اليه بتعديل المراد بلفظ اكثر قدما تعديلا طفيفا وهو (العروض) prosdie.

وعلى الايقاع المحدد على هذا المنوال انما تستند جوهريا احكام اولئك الذين يغامرون في الاصغاء اليه على لغات لايعرفونها ولم يصنعوا قط سوى سماعها من غير فهم . ومن الواضح انه بقدر ما تكون دلالة ماقيل غير واردة في الحسبان لايمكن للحكم أن يشمل الكلمات التي تأخذ قيمتها من معناها . أما الاصوات sons المتتابعة فأن مدتها لاتجاوز بعض أجزاء المئة من الثانية ، وهذا مايكفي اولئك الذين يترصدون قيمتها المميزة لادراكها ، اي اولئك الذين يحاولون الفهم ، والاجنبي كلية لن يدركها ادراكا فرديا الا في ظروف فريدة وحين تماثل سمة ما من تجربته السابقة .

وعناصر هذا الايقاع لاتؤلف بنية لغة ما إلا على درجات مختلفة كل الاختلاف . . والحوادث النبرية fouts accentuels بالمعني الدقيق للكلمة تؤلفها على درجة عالية . . فمكان النبرة في داخل الكلمة ليس بمتروك لتعسف المتحدث ، وهذا المتحدث يستطيع ان ينسق تنسيقا متباينا مختلف نبرات مقولة ملفوظة enonce ولكن حسب قواعد موطدة كل التوطد . وخلافا لذلك ان استخدام سمات الاداء النغمي يتوقف توقفا كبيرا على مزاج المتحدث ، وتأويل منحنيات الاداء النغمي يتم بالرجوع الى مظاهر من الطبيعة الانسانية اكثر مما يتم بالرجوع الى عادات خاصة بطائفة معينة . أما التكرارات الكمية في البحر ، او تكرارات الوحدات الصوتية في القافية ، هذه التكرارات التي هي عناصر الايقاع الشعري الاساسية في بعض الالسن ، فأن استخدامها عناصر اساسية أو بصفة عرضية ، يتوقف طبعا على اهميتها في بنية اللسان ولكن كثافة استخدامها في الشعر لايميز اللسان عامة . وعليه لابد من التنبؤ بأن الانطباع المكون اعتمادا على الاجنبي يمكن ان يتنوع تبعا لسماعه هذا الشخص او ذاك . وتبعا لتحدث هذا الشخص مع اصدقائه او حديثه امام الجمهور ، او القائه للشعر .

وفي هذا الطراز من الافكار ، كثيرا مانسمع في الاحكام الجمالية اللاذعة ، التمييز بين لسان ما ينطق به الرجال واللسان نفسه تنطق به النساء ، فالانكليزية اذا ما أصغينا الى بعض الفرنسيين ، ليست جميلة حين يتحدث بها الرجال ، ولكنها ظريفة اذا مانطق بها النساء . . والحكم نقيض ذلك في حالة الاسبانية . واذا ما كانت بعض الابحاث الرصينة تؤكد استمرار مثل هذه الاحكام ووفرتها ، فما ينبغي ان نتسرع ونستخلص من ذلك ان هنالك بعض الوان التنافر من جهة بين البنية الصوتية للانكليزية وجرس جليل timbre grocee ، ومن جهة اخرى بين بنية الاسبانية وأصوات النساء . يجب الا نستخلص من ذلك سوى ان ذلك هو الانطباع الذي تخلفه اللغة العادية parler للفئات الاربع التي اخذناها بعين التقدير في فرنسيين يتحكم فيهم لسانهم الخاص ، وبالطبع اراؤهم المسبقة عن سلوك الجنسين الطبيعي ، لغويا كان أم غير لغوي . ومن جديد ينتهي بنا الامر الى ضرورة التمييز دائما بين الوقائع القابلة للملاحظة والاحكام التقويمية التي تثيرها هذه الوقائع .

●●●

واذا ماكانت الاصوات الفردية ، كما رأينا ، لاشأن كبيرا لها في الحكم الذي نخص به لسانا لانفهمه ، فأن طبيعة المقاطع الصوتية في المقولات الملفوظة enonces يمكن أن تقوم بدور لانها مجتمعه تمنح الخطاب discours لونا ما وليس من النادر أن يتحكم بانتباه الأجنبي نمط نطقي ما غير معروف أو قليل الاستعمال في لسانه ، ولكنه غزير التردد في اللسان الذي لابد له من ان يبدي رأيه فيه . لنأخذ ، على سبيل المثال ، الصوامت التي قدم مخرجها من الحنك الصلب palatalisees (٦) في الروسية والبولونية . فهي على غزارة عظيمة ، في هذين اللسانين ، لأن واحدا على اثنين من هذه الصوامت هو رخو molle وليس هنالك مايشابه ذلك في الالمانية والانكليزية تلفظ بعض الاصوات من الحنك في العبارتين المألوفتين don't you (ألا) و did you ألم مثلا . اما الفرنسية فأنها تحتفظ في gn من soigne يعتني أو agneaw حمل بشئ ما قد يقترب عند سماعه بالاذن ان لم يكن في النطق ، من الاصوات الرخوة في اللسان السلافي ولكن الاصوات الحنكية لاتملك قطعا لا في الانكليزية ولا في الفرنسية غزارة الاصوات المنطوقة قريبا من الحنك الصلب في الروسية والبولونية ، ونتيجة لذلك فأن هذين اللسانين الاخيرين لهما كل الحظ في ادهاش الالمان او الانكليز او الفرنسيين كألسن ذات امالة mouillure وبالطبع لاينجم آليا عن هذا حكم تقويمي ، وحكم تقويمي موحد . فحسب الامزجة وحسب الاراء المسبقة فردية أو قومية تمتدح هذه الامالة وكأنها العذوبة أو تعاب وكأنها الرخاوة molless.

في هذه المواد ، قد لايكون ممكنا على الارجح توطيد الخطوط الكبرى لتصنيف اصوات اللغة تصنيفا يقوم على درجة عمومية هذا النمط من النطق أو ذاك . . فنحن نجد في كل موطن تقريبا صوامت شفوية labiale ، ولثوية oyricoiles وظهرية dorsoiles (او اذا ما أردنا صوامت ال (K't'p) ولكن الصوامت التي تنطق من اعماق الجهاز الصوتي وهي الصوامت التي تعرفها العربية على سبيل المثال هي اقل انتشارا بكثير والاصوات المقرقعة clicks من حيث هي عناصر في المقولات العادية لاتوجد الا في السن افريقيا الجنوبية ، وقد يكون وجود بعض الانماط غير العامة في لسان ما في أساس بعض الاحكام التقويمية .

وما يمكن ان يدهش ايضا عند سماع لغة ما انما هو طابع الاصوات المتتابعة المرنان والمحدد بوضوح او ، خلافا لذلك ، جنوح كل من هذه الاصوات للتغير خلال النطق وللتكيف مع الاصوات المجاورة لها في السلسلة المنطوقة . . والفرنسية والانكليزية توضحان كل التوضيح هذين النمطين, فمن جهة هنالك صوائت يمكن لهويتها من حيث علاقتها الضمنية مع غيرها paradigmoctique أن تكون غير معينة (فالمقطع الاول من maison منزل أيملك e أو e ولكنها تحتفظ بالجرس نفسه خلال اذاعتها وصوامت متجانسة ندرك ادراكا تاما مبدأها ومنتهاها . ومن جهة اخرى هنالك صوائت تنجم ، لا عن ثبات الاعضاء كما هو الحال في الفرنسية ، بل عن حركة انغلاق الفم وانفتاحه ، وصوامت تجمع بين الانفجار explosion والاحتكاك friction مثل cherch كنيسة و judge (قاض) (٧) أو تتراكب مع الصوائت التي تليها من

جراء اتصالها بالهاء aspiration وفي الفرنسية اذا ما كان صائت ماخيشوميا nocsalisee ، فهو كذلك بدون تغيير من البدء حتى النهاية ، كما هو الحال في vin خمر van ناقلة خيول vont يذهبون و un واحدا واذا ماكان كما يقول علماء الاصوات فمويا orale فمجاورته للصوائت الخيشومية nasales فهو كذلك لن توثر عليه : فالصائت في meme ذات الشيء ينطق كما هو الحال في Tete(راس) والامر خلاف ذلك في الانكليزية ، فالصوائت في man رجل men رجال monday الاحد متأثرة بما يجاورها .

والطابع الذي تضفيه السمات المختلفة التي بيناها منذ حين على النطق الانكليزي كثيرا مايلاحظ ، وغالبا ماحكم عليه الفرنسيون حكما قاسيا . والماني ، يتحدث هو نفسه لسانا تزدوج فيه الصوائت a diphtongues وتلتقي فيه الصوامت مع الهاء -a con sonnes acspirees أو تلتقي فيه الصوامت الشديدة مع الرخوة affriquees هو أقل تحسسا بهذا الطابع من الفرنسي ووضوح المقاطع المتتابعة نطقا في الفرنسية ادى على الارجح الى ماشهر به هذا اللسان من وضوح . ولكننا قد نصادف اناسا قد يحلو لهم ان يصوغوا احكامهم على الفرنسية بنعتها بالجفاف والرتوب . .

●●●

والاحكام التي تطلقونها على لسان ما حين يكون أجنبيا لاتبدركون منه سوى الاصوات من غير فهم للرسالة المبلغة messege ليس من الضروري إعادة النظر فيها حين تحاولون الحصول على معرفة حقيقية لها. ومع ذلك فمن البين ان الانطباعات الاولى تصطرع غالبا مع التجربة الباطنية التي يقتضيها اتقان اللسان وتنتهي في الغالب الى الخضوع لها. فحين تغدو الاصوات المنطوقة قريبا من الحنك الصلب في الروسية ، عند الطلب ، ماهي عليه قبل كل شيء عند من يستخدم هذا اللسان : اي عناصر مميزة وظيفيا فالتأثير الايجابي او السلبي الذي استطاعت هذه الاصوات ان تؤثره على السامع الساذج تتضاءل اهميته على الاقل الى المحل الثاني. وحين نمارس بيسر لسانا ثانيا نتذكر احيانا مع شيء من الابتسام الانطباع الاولى الذي استطاعت هذه السمة او تلك من اللسان ان تبعثه فينا ، السمة التي لم تبق اليوم سوى وسيلة من وسائل اداة الابلاغ ، والتي غدت لا تخطر في الذهن ، والامر طبيعي ، شيئا يذكر . وهذا بالتأكيد لايعني ان احكاما تقويمية قديمة اوضحت أم لا لاتترك آثارا ما. على ان اكتساب لسان ما يكافىء تجربة انسانية غنية ومنوعة فما ينبغي لاستجابة اولية لسماته الخارجية ان تظل قاطعة في حكم جمالي يطلق اذا ماغدا هذا اللسان ناقل رسائل messages وما يمكن ان يحدد على هذا المستوى احكاما تقويمية يخص ، والامر طبيعي مظاهر في وسع الناطقين باللغة وحدهم ادراكها . .

صرف الكلمة (أو بنيتها) morphologie (٨)

اي تعقد عناصر الخطاب من حيث الشكل يقوم بدور مؤكد في تقويم الالسن تقويما ذاتيا، وهذا التعقد يتضمن على وجه الدقة والتحديد ان اللغة تقتضي ، للتعبير عن مفهوم بالذات ، اشكالا تختلف باختلاف السياق ، فلنفكر على سبيل المثال ، في تنوع الاشكال التي تتوافق في اللاتينية حالة الجر بالاضافة genitif وهنالك السن بنية كلماتها متطورة جدا كالالسن الهندية الاوروبية القديمة ، والالسن التي نسميها على العموم اعرابية وهنالك السن تكاد تكون خلوا من الصرف كألسن اسيا الشرقية وأسيا الجنوبية الشرقية والمفارقات controcstes في إطار أوروبا المعاصرة أقل بروزا ، ولكنها تظل واضحة إذا ماقربنا الروسية على سبيل المثال من الانكليزية . والمكانة الممتازة التي حظيت بها الالسن القديمة langues classiques أدت على العموم الى ان يعد وجود صرف معقد ما في لسان ما سمة تزيد في قيمته . ومع ذلك فأن وجود تيار معاكس هو من القدم بحيث يكفي لكي يشعر بعض المثقفين بأن لاشيء يمنعهم من إطلاق العنان لتفضيلهم الشخصي لمصلحة بنى ضئيلة الصرف او خلو منه . ويمكننا التمييز في هذا الميدان ، بخطوط عريضة بين اولئك الذين تقوم البساطة الوظيفية عندهم بدور كبير في الوان التقديرات الجمالية ، واولئك الذين قد لايكتشفون الجمال المطلق le beau الا فيما يفر من قيود الحاجات الاولية فيخيل انه يفتح حقلا حرا لقرار الانسان . وفي الوقت الحاضر ، كل اعتقاد بحرية ما للانسان هو وهمي ، لأن الصرف يمثل مجموعة من القيود الاجتماعية . ولكنه نموذج هذه الهوامش marges التي لا وظائف لها (٩) ولا تتخذ وسيلة لغيرها والتي يقدر كثير من الناس انه من الممكن ان تتأكد فيها كرامة الانسان . .

وبمعالجتنا لميدان تركيب الجملة syntance نجدنا في قلب اللغة نفسه وقد نظر اليها من زاوية وظيفتها والتراكيب يمكن ان تكون مسهبة redandantes ومتسلطة awtoritaures حين لايكفي حرف الجر على سبيل المثال للدلالة على وظيفة لفظ ، بل حين لابد ، زيادة على ذلك ، من دمج هذا اللفظ في نظام ثابت . ويمكن ان تكون متحررة liberocles لا اسهاب فيها econmiques حين يمكن للناطقين بها في كل مرة ان يستخدموا من الطرائق افضلها تكيفا مع طبيعة العلاقة المعبر عنها وتكرارها. وهنا أيضا قد يمكن لما هو غير وظيفي ان يحظى بالتفضيل . ولكن هوية التعقد التركيبي ليست بأسهل تحديدا من هوية التعقد الصرفي ، والحرية في هذا السبيل ترادف عند الكثيرين المرونة والاناقة . .

وعلى صعيد مختلف بعض الاختلاف ، نستطيع التمييز بين السن تأتلف فيها الكلمات بحرية لتكوين رسائل جديدة nouveaux messuages وأخرى قلما يتلاقى فيها كثير من الكلمات خارج السياقات المأثورة. وفي الواقع ان الاتجاه الى تجميد بعض الزمر التركيبية يوجد في الالسن كلها ، ولكن مأثورا أدبيا قويا يمكن ان يسهم في تنميته. ولسان على مرونة كبيرة في تأليف الكلام auticulation يمكن ان يخلف انطباع الجهل الثقافي incultwre في نفوس أولئك الذين ألفوا هذا النمط من التجمد.

بقي علينا ان نعالج مفردات اللسان le lexique (١٠) التي يمكن ان تكون غنية أو فقيرة قابلة للاتساع او محدودة ، قابلة للتأثر او مغلقة دونه ، معللة للغاية او على شيء من التعسف.

ولسان فقير في المفردات يستدعي استخدام الدلالات المتعددة استخداما واسع النطاق ، فكل كلمة تبدو في استخداماتها المختلفة متأثرة كما هي بالسياق. وهذا مايولد اتجاها الى تجمد السياقات الضرورية لتحاشي الوان الالتباس. ومعجم لسان مايتسع اما باستنباط الفاظ جديدة من تراثه الخاص، وأما بالتفتيش في السنة اخرى عما هو بحاجة اليه من هذه الالفاظ ودمجه فيه. والالسن تختلف اختلافا كبيرا في هذه المواد : فبعضها تخلق بسهولة موارد لنفسها وذلك بالتركيب او الاشتقاق وأخرى تلتجيء بالحري الى الاقتباس ؛ وأجرى أخيرا تستخدم بدون تحفظ طرائق الاغناء المختلفة ، والمعجم اللغوي الفرنسي على حظ ضئيل من الاتساع ، وربما كان ذلك بسبب تحفظ اكتسب خلال تعلم اللسان حيث روقبت بقسوة مبتكرات الطفل اكثر مما هو بسبب نقص الوسائل : فتحت تصرف الفرنسي مجموعة من اللواحق suffisces المستخدمة في الاشتقاق ، ولكنه لايجرؤ على استخدامها إلا في الميادين التقنية وقلما تنبه الى ان في وسعه تشكيل أشد المركبات اختلافا بيسر كبير (طريق الابحار الشراعي chemin do haloge ، علبة موسيقى boilt a musique ، صندوق الغليون casse pipe . . الخ . .) والفرنسي كثير الانفتاح على العناصر المقتبسة من اللغات القديمة clocsiques ، وتطوره في هذا السبيل لاغبار عليه، ومع ذلك قلما يكون هذا التطور تحت تصرف غير اولئك الذين اتصلوا بعض الاتصال بالاغريقية واللاتينية . وهذا الانفتاح الخاص، الذي يرافقه ميل متنام الى الاستغناء عن موارد التركيب والاشتقاق أدى الى اضفاء طابع ضئيل التعليل على مفردات اللسان الفرنسي : فمن المستحيل ان نتعرف الى aweugle أعمى في cecite (عمى) ومن العسير اكتشاف aeil عين في aculowre (عيني) في الواقع ، معجم المفردات الفرنسي هو بالحري فقير وقليل القبول للاتساع باستخدام موارد داخلية ، وهو على انفتاح محدود لأن الاشخاص الذين يعرفون كيف يقتبسون من الالسن القديمة لاتكف ندرتهم عن التزايد ولأن الحراس الشرسين يسدون الطريق مكللين بالنجاح في الغالب ، على الوان التجديد الوافدة من موطن آخر ، وهذه المفردات اخيرا من التعسف بمكان او هي ، اذا شئتم على شيء ضئيل من البناء فهي بناء على ذلك عسيرة الاستعمال . .

وفضلا عن ذلك ، لاشيء أسهل من تقديم الملاحظات المشهودة نفسها بعبارات مدحية لاتحقيرية : معجم المفردات الفرنسي هو على غاية من التنظيم لانه يسمح ، بوسائل محدودة بإرضاء جميع حاجات الابلاغ في المجتمعات المعاصرة شأنه في ذلك شأن الالسن الاخرى وربما افضل منها : والامة الفرنسية اذ تحدث من المبتكرات الفردية تتجه الى صيانة العلاقة بين الاجيال المتعاقبة وفهم آثار الماضي الادبية ، واللسان يجده من انفتاح معجمه يظل خلوا من كل عنصر دخيل

، وتعايش جذور radicowsc مختلفة ، كجذور aeil عين aculocire (عيني) aphtalmologique متعلق بطب العيون له أهمية ثقافية واضحة ولم يقل إن مركبا معللا compose motive كالمركب الالماني fernsprecher (هاتف) هو آخر الامر مفضل على ماهو أكثر تعسفا telephon (هاتف).

مجموع الحجج التي قدمنا لايقصد الا الى توضيح العاطفة التي هي عاطفة كثير من الفرنسيين حين يوازنون بين موارد مفرداتهم والموارد التي يستشفونها من الفاظ اللسان الانكليزي، وأن يكون المقصود ، في معظم الحالات مقصورا على بذل الجهد لتسويغ تفضيل طبيعي للسان الذي من خلاله عرفنا العالم ، ذلك مؤكد. ولكن حين نشاهد حكما مماثلا يصدر عن ناطقين بالانكليزية اتخذوا الفرنسية لغة ثانية واستجابات مضادة عند فرنسيين بدؤوا بتعلم الانكليزية في سن الحادية عشرة تتفق على ان هنالك في هذا الصدد اكثر من مجرد فكرة مسبقة تحبذ اللسان الاصلي maternell.

●●●

أيعني هذا كله أنه ليس من الممكن ان نقرر في المطلق ، اذا ماكان لسان ما جميلا . . أو . . أقل جمالا؟؟ هذا لاشك فيه لاننا استطعنا ، من أجل كل سمة من السمات التي حددت موضوعيا، ان نذكر استجابات محبذة واستجابات منكرة او نتنبأ لها. فالقضية على الارجح ليس لها من معنى . ، الا ـ وهذا ليس بالمؤكد ـ اذا ما تنبأنا ، نظرا لكونها طرحت في لسان ما، بجواب لايقيم وزنا الا لاستجابات اولئك الذين يستخدمون استخداما طبيعيا هذا اللسان ولمزاعمهم المختلفة ولكن هنا ايضا لابد من التنبو باستجابات منوعة.

وعلى صعيد مختلف عن الصعيد الذي اخترناه هنا يقال عن اللسان الفرنسي منذ قرنين ونيف ، انه لسان واضح. وليس لهذا القول من معنى اذا مانظرنا الى بنية اللسان نفسها: ففي هذا اللسان المتميز بالجناس calambour كثيرة هي موارد الابهام com-fusian ، وليس في وسعنا ان نقول ان اللسان الفرنسي واضح إلا بإقرارنا بأن ماهو غير واضح ليس هو بفرنسي. ماهو حق هو أن المثل الاعلى لهؤلاء الذين كانوا يستخدمون الفرنسية كان لعهد طويل إشراك الاخرين بما يشعرون أكثر من التعبير عنه فواجب الانسان إزاء نفسه كان أقل من واجبه إزاء المجتمع . وأفكار هؤلاء الذين سموا الفلاسفة les philosophes كانت في غر شك أقل عمقا من أفكار الفلاسفة الالمان الذين جاؤوا في أعقابهم ، ولكنها أثرت في جمهور عظيم، فغيرت بذلك وجه العالم. ماكان واضحا لم يكن اللسان الذي أستخدمه هؤلاء الفلاسفة ، بل الافكار التي كانوا يعرضونها وطريقة إستخدامهم اللسان من أجل هذه الغاية.

وعلى غرار ذلك تقريبا أمكن أن يستهوينا إطلاق صفة الجمال على السن استخدمها وسائل للتعبير كتاب وشعراء كانوا يقصدون إلى الجمال كما كان (فلاسفتنا) يقصدون الى الوضوح ، ونخطىء في الحالتين بنسبتنا الى اللسان ماليس سوى نجاح شخصي تم انطلاقا من مواد كانت تحت تصرف الجميع . فما من جمال يوهب دفعة واحدة للسان ما بسبب آثار أدبية استخدمته . الاثر بوحدانيته انما هو الجميل وليس اللسان (١١) .

□□ الهوامش

١ ـ ton النغمة التي يتميز بها صوت الاسنان او الصوت اللغوي ، فهناك نغمة صوتية حادة او جليلة او صارخة . . والنغمة ارتفاع نغمي howteur melodique قد يستخدم لغايات تمييزية على شكل وحدات منفصلة كأصغر الوحدات الصوتية phonemes ففي لسان ذي نغمات langue a tons لاتتحدد هوية كلمة تحديدا كاملا الا اذا استنبطنا نغماتها بوحداتها الصوتية الصغرى ، فالكلمة الصينية (لي) تعني جاصة اذا مانطقت بنغمة صاعدة وتعني كستناءه اذا مانطقت بنغمة هابطة.

٢ ـ السافوا savoie مقاطعة في الجنوب الشرقي من فرنسا على الحدود الايطالية وتمتد في مقاطعات متعددة من جبال الالب.

٣ ـ الايقاع rythme هو في السلسلة المنطوقة ، عودة انطباعات سمعية عودة منتظمة انطباعات متشابهة تخلقها عناصر عروضية مختلفة. ففي البيت الاثني عشر alexandrin الاتباعي في الشعر الفرنسي ينشأ الايقاع عن :ـ

١ ـ القافية rime أي وجود مقطع هو الثاني عشر ، متماثل في

بيتين او أكثر ، يرافقه هبوط الصوت .

٢ ـ الوقف Cesure اي صعود الصوت حين نطق المقطع السادس

والايقاع الكمي rythme de quantite يقوم على اتضاد بين مقاطع طويلة ، هي ذروة الايقاع ، ومقاطع قصيرة . . ويوجد هذا الايقاع في العربية القديمة والالسن الهندية الاوربية . . القديمة وفي عدد كبير من الالسن كالرومانية والعربية الحديثة عوض عن الايقاع الكمي بايقاع نبري rythme accantuel قوامه التضاد بين مقاطع منبرة ومقاطع غير منبرة . .

٤ ـ النبرة accent tonique النغمية يقال في الصوتيات : ان مقطعا يحمل نبرة accent حين يتميز عن المقاطع الاخرى بشدته intensite او ديمومته dwree او ارتفاعه . hawteur

والنبرة في بعض الالسن هي نبرة علو فقط. والنبرة على خلاف ذلك في اللسان الفرنسي ، فهي في آن واحدة نبرة شدة وديمومة وعلو وتعطي عادة اسم النبرة النغمية ، او نبرة الشدة او نبرة الايقاع .

٥ ـ الاداء النغمي intonation يراد به تنوعات ارتفاع النغم الحنجري التي لاتشمل أصغر وحدة صوتية phoneme أو مقطعا syllabe بل سلسلة اطول (كلمة ، سلسلة من الكلمات وتكون منحنى الجملة النغمي . وهي مستخدمة في التصويت phonation لنشر انباء متممة في معزل عن مجرد البيان enonciation انباء اعترف النحو بأبسطها : الاستفهام (الجملة الاستفهامية) الغضب ، الفرح (الجملة التعجبية) الخ . . والاداء النغمي يحمل عناصر الاعلام الانفعالية والايحائية والجمالية التي تتحد العواطف والانفعالات بسببها مع التعبير عن الافكار . .

٦ ـ الصامت المسمى palatalisee هو صامت يقترب مخرجه من الحنك الصلب. وعلى هذا النحو ، فان الصامت اللهوي (k) هو pocloctoclisee في الكلمات الفرنسية Cin- quieme qui وتطلق هذه التسمية ايضا على الصوامت التي تملك مخرجا ثانيا من الحنك .

٧ ـ يكتب اللفظان صوتيا كما يلي (d3 A d3)'(ts: ts) وكل منهما يبتدى وينتهي بوحدتين صوتيتين اولاهما (اي التاء والدال) انفجارية وثانيتهما (اي الشين والجيم) احتكاكية .

٨ ـ الصرف morphologie هو العلم الذي يعالج الكلمات مستقلة عن علاقاتها في الجملة ، فيمكن تقسيمها الى مايسمى بأجزاء الكلم (الاسم والفعل) . . كما يعالج التغييرات المختلفة التي تلحق هذه الكلمات حسب قواعد متعارف عليها خاصة بالتذكير والتأنيث ، والافراد والتثنية والجمع وتصريف كل من الاسماء والافعال . .

هذا عند علماء الغرب ، اما عند العرب فهو العلم الذي تعرف به ابنية الكلام المختلفة وما يشتق منه كأبواب الفعل وتصريفه ، وتصريف الاسم، وأصل المشتقات (الفعل او المصدر) ، والمصادر بأنواعها والمشتقات (اسم فاعل ، اسم مفعول ، والمصادر بأنواعها والمشتقات (اسم فاعل ، اسم مفعول ، صفة مشبهة أفعل التفضيل ، اسم الزمان واسم المكان واسم الآله والتصغير والنسب.

٩ ـ لأنها تنجم عن إختيار الانسان ولا تتصل بالعلاقات في الجملة كما رأينا في الملاحظة السابقة ومن هنا نفهم المقصود بلفظ مجاني groctuil الوارد في العبارة التالية .

١٠ ـ تدل كلمة lescique إذا ما كانت لفـــا لغويا ، على مجموع الوحدات التي تكون لسان طائفة او نشاط بشري متحدث .

١١ ـ المتن الاصلي للنص خال من الشروح التفسيرية وقد لجأنا اليها معتمدين على كتب مارتينه بخاصة تيسيرا للفهن على القارىء العربي الذي مازال بعيدا عن اللسانيات الحديثة . .

قِصَّة :

عيونٌ لَمْ تَرَهَا الشَّمْسُ

«قصة من واقع مجتمع ماقبل الثورة اليمنية»

عبدالوهاب المؤيد

عاد الى البيت ـ من المسجد بعد صلاة العشاء ـ وصعد الى غرفته في الطابق الثالث ، وكالعادة كانت امه في الجزء الشمسي الذي يتوسط غرف الطابق ، وهي جالسة فوق سجادتها ، تلبس قميصها الفضفاض (قميص الصلاة) وغطاء الرأس الذي يلتف ـ بإحكام ـ على شعرها وعنقها . كان يراها كالشبح بعد ان ستر الظلام كل شيء تقريبا ، عدا زرقة السماء الصافية الموشاة بالنجوم المتألقة في ليلة صافية من ليالي الصيف في القرية ، وقف في مدخل هذا الجزء العلوي من البيت قبل ان يحيي أمه ، وظل صامتا يلتقط انفاسه بهدوء بعد صعود مسرع لسلم البيت ، وحانت منه التفاتة الى السماء ، فأثارت ـ في داخله ـ ذكرى يرتاح لها ويسخر منها في نفس الوقت ، يتذكر أيام طفولته ، عندما كان يجلس الى جانب امه في نفس المكان ، من اذان المغرب وحتى يعود أبوه الى البيت بعد صلاة العشاء في المسجد وتذكر ـ بالذات ـ تلك الحكاية التي كثيرا ماكررتها له أمه عند ان تحين منه التفاتة الى السماء فيسألها عن النجوم ، فترد عليه بثقة واعتقاد ثابتين :ـ

ـ يامحمد ، يابني . . كل انسان في الارض ، له نجم في السماء . فإذا رأيت نجما يهوي ، فهذا معناه ان صاحبه مات . والدليل على هذا . . المثال الذي يقول: فلان هوى نجمه . كلنا للموت يامحمد . . لايبقى الا الله .

ثم تردف له جملتها تلك التي هي واحدة من الجمل التي يسمعها من أمه كل يوم ، وربما عدة مرات :ـ

ـ هيا . ارفع رأسك من فوق ركبتي حتى اصلي العشاء ، ثم أحضر القهوة لابيك حتى لايعود الآن ولا يجدها .

ودار بنظرته الى (شبح) أمه ، والجو هادىء لايسمع إلا دقات حبات مسبحتها ، فأتجه نحوها ، وقال :ـ مساء الخير ، يا أماه .

ـ مساك الله بالخير والعافية يابني . والله لكأني قد احسست بوجودك قبل قليل .

واتجه نحوها ليلثم ركبتها كالعادة ، وليجلس معها دقائق فوق سجادتها تحدثه بموجز سريع لأخر أخبار القرية التي سمعتها اثناء لقاءاتها العصرية مع النساء ، على ان تقدم التفاصيل لزوجها في الجلسة العامة المسائية (السمرة) التي تجمع ـ في غرفته ـ كل أهل البيت ، عدا الليالي التي يكون فيها لديهم ضيوف .

ومحمد ـ دائما ـ يرتاح ـ بل ويشيد ـ باهتمام امه بتتبع الاخبار اليومية للقرية ، ويحبها لإلقاء هذه الاخبار في مناسبة وغير مناسبة ، وقدرتها على اسلوب السرد الذي يثير العاطفة أو الشفقة ، أو الضحكة أو السخرية . بحسب طبيعة الخبر . وكثيرا ماردد محمد معلقا وموجها الكلام لمستمعي أمه من الاسرة ، عبارته : أمي ـ ياجماعة ـ تصلح لان تكون مذيعة في اذاعة (لندن) . كان يقول هذا ، بعد ان انتشرت

أجهزة الراديو الصغيرة ، وصار الناس يرددون الاخبار التي يفهمونها عن اذاعة لندن ، موضع الثقة .

واتجه نحو أمه ، وقبل ركبتيها ، وهي تدعو له الدعوات الصالحة التي يعرفها منها ، ثم جلس الى جانبها متكأ على إحدى ركبتيها ، قالت :ـ

ـ أين ابوك ؟ هل سيتأخر؟

ـ لا .. فقط ، وقف خارج باب المسجد مع أحمد سامر ويحيى شتوي بسبب مشكلة بينهما ، يريد ان يصلح الموضوع بالتي هي أحسن.

ـ هاه .. عرفت. بسبب حسن بن أحمد سامر ، وزوجته فاطمة بنت يحيى شتوى!

ـ نعم .

ـ حرام عليهم .. هذه فاطمة طيبة ومسكينة ، وصغيرة . وزوجوها بحسن وهي لاتريد (ريحته) . وقد قالت لي اول يوم ، ولكن اباها قال من أجل (القرابة) لان حسن ابن خالتها ، وقال ابوها : وهذا الزواج سيقرب ويصادق اكثر بين الاسرتين . لكن لاحظ ـ الآن ـ النتيجة ، اذا لم يصبحوا اعداء بسبب هذا الزواج (الاغتصاب) فلن يعودوا اصدقاء كما كانوا.

وأضافت الام :ـ

ـ وبالمناسبة .. هل تعرف ماذا حدث لسلامة؟

ـ من (سلامة) .

ـ سلامة التي لايوجد غيرها .. سلامة بنت (الدوشان) . . .

وكأنما سلطت على اعصابه تيارا كهربيا فجرت ـ في داخله ـ تراكمات ، ذكريات ، اشياء وأشياء تشبه . . . اشياء يخرس تفكيره عن تصنيفها .. مزيجا من خليط من تراكمات من أحزان من حديث لم يعد صالحا للحديث من ذكريات يخاف تذكرها ، من حريق قد أحرق وربما قد احترق . من . . . من . . ! لامبرر .. او لا وقت .. لهذه الوساوس. وعاد بنظره الشاخص الى امه .. بعد ان قطع حيرته صوت سقوط حبة من سبحتها من بين اصابعها ، اثناء تمتعها بالتسبيح .. عاد .. وقد انكمشت شفتاه عن تلاشي بسمة مجاملة كان يداعب بها امه ، ونقلته (حدث لسلامة ..) من المزاح الهازل ، الى حالة اضفت على رؤيته لظلام الليل لونا اسود محفوفا بأشباح تشبه تلك الاشباح التي كان يتخيلها تحيط به وهو طفل عند ان يصعد سلم البيت المظلم فيسرع أكثر حتى تختفي عنه عند أن يرمي برأسه بين يدي امه وهي تنتظر صلاة العشاء .

يبدو . وكأنه قد عرف ـ من (حدث لسلامة) ما حدث لسلامة . كأنه كان يتوقع هذا الحدث وان لم يكن يتوقعه .

وقطعت أمه تمتماتها ، واردفت :ـ

ـ طلقها زوجها .. طلقها عبدالله مرعي ، طلقها اليوم . هيا قم .. وستعرف التفاصيل .

لم يتكلم .. تركها وانصرف نحو غرفته ، وبين شفتيه : (حدث لسلامة) طلقها عبدالله مرعي .. طلقها طلقها .. طلقها .

كانت زوجته ـ كالعادة ـ موجودة في الغرفة قد اشعلت مصباح الجاز بعد ان مسحت (قلنسوته) الزجاجية من صدأ البارحة وملأته بالجاز . هذه الزوجة التي لم يشعر انها زوجته الا مرة واحدة .

ليلة أن قالوا (وصلت الحريوة) ، ودخل نفس الغرفة وهي جالسة محفوفة بزوجات عميه وأخويه الكبيرين ، وباخته .

وبعد هذه المرة .. اصبحت كأي انسان ، أو كأية واحدة من تلك الوسائد الموجودة في الغرفة والتي لم تتحرك من مكانها ولم يتغير لونها . كان قد اصبح شعوره نحوها ينحصر ـ تقريبا ـ في انها تشاطره النوم في الغرفة ، وتقوم بتنظيفها ، وتغسل له ثيابه .

تزوجها قبل ثلاث سنوات وهو في سن السابعة عشرة وهي تصغره بعام او عامين . ولماذا؟ (لانها ابنة اكبر شخصية في اسرته الكبيرة .. وما أحسنها من فرصة .. «جرادنا .. في تنورنا». «والبنت باتسبر وتصلح» . و «اذا نقص الخد .. وفاه الجد» . وهي الابنة الوحيدة ليحيى عبدالرحمن ، وهذا يكفي) . وغير هذا من الكلام الذي يسمعه ممن حوله .

ومن جانبه لم تكن لديه اية ممانعة من هذا الزواج ، بل على العكس .. كان فرحا به ، يتمنى لو يستعجله من يوم الخطوبة الى يوم غد . كانت مراهقته تملي عليه هذا الفرح وهذا الاستعجال . لانه سيصبح رجلا مكتمل الرجولة .. وشخصية مستقلة ذات هيبة ووقار ، مثل أخوية ، ستكون له غرفة خاصة ، وفيها امرأة هو سيدها ، الأمر والناهي لها ، والمتصرف الوحيد في شئونها .. وسيتحدى بها (نسوان البيت) ويتخلص من ديكتاتوريتهن البغيضة الى نفسه ..

(أنت اسكت .. عادك صغير) (أنت اجلس .. عادك صغير) (انت ارقد في اي مكان .. عادك صغير) ثم إن الزواج المبكر هو سنة الاسرة التي هي من الاسر القليلة المشهورة والغنية - نسبا - والحريصة على ان تحافظ على ابنائها من (الزوغان) بالزواج المبكر. ثم إن افرادها ليسوا كالآخرين الذين يبذلون الجهد فوق الجهد سنوات، للحصول على (رأس) المرأة، وتجميع تكاليف دخولها البيت.

ان (عتيقة) هذه التي يطلقون عليها زوجة .. لايحس انه تزوج فيها شيئا انها لاتثير في داخله اي شيء. وفي الوقت نفسه، فهو لايستطيع ان يقول او يفعل تجاه هذه الزوجة شيئا. بل لم يفكر ان يحاول عمل شيء. ربما لانه لم يكن مؤهلا لعمل شيء من هذا النوع، وربما لانها بنت أكبر شخصية في الاسرة، واقرب صديق الى ابيه، وأن أباه وأمه يحبانها. وربما لكل هذه الأشياء مجتمعة. كان يراها بعين المجرد من كل القواميس الروحانية نحو حجر مقدس في وسط مجتمع وثني، فهو لايملك غير مالا يملك لجماحه كبحا، وهو الهروب بعواطفه ومشاعره الى ... لايدري. ولايملك ان يدري. إنه يحسد .. أو يتقزز من عميه وأخويه عندما يختصر أحدهم هو وزوجته الجلسة العامة المسائية (السمرة) وينسلان الى غرفتهما ليقضيا وقتا اطول من (السمرة) منفردين. بينما تركبه الهموم عند ان تقترب نهايتها ويضطر أن يتجه مع زوجته الى غرفته.

في نظره - عند ان يبرر تصرفاتهم من منطلق هذا التقزز - ان عميه وأخويه مغفلون يضيع كل منهم أطول وقت مع زوجته، وكأنه وإياها آدم وحواء، لايشعر ان أحدا من حوله.

قد يجد فرصة للهرب بجلده مؤقتا، عند ان يذهب الى بيت أخواله في القرية التي تبعد عن قريته بمسافة ثلاث ساعات ليتغذى (ويقيل) لديهم حتى العصر ثم يعود، ولكنه يجلس حتى اليوم الثاني. وتكرر الحال عند ان يذهب الى قريب او صديق. ابواه يجاملانه .. ولكن أخاه الاكبر أحمد (وهو أبرز الاسرة في زهده وتقاه وعلمه بالفقه والحديث واللغة) لايهاوده، فهو أستاذه ويطلب منه ان يحفظ فصولا من (المتون) عن ظهر قلب. لان (العلم ماحفظته الضمائر، لا ماحوته الدفاتر) و (التعليم في الصغر، كالنقش في الحجر). وبين هذا وذاك .. فهو يجد - نوعا ما - مايشغل وقته ويصرف باله. وبين كل هذا .. تختلج في داخله .. وتراود تفكيره، وتسيطر على نزعاته، وتغازل عواطفه، أشياء يصعب - بل يستحيل - عليه تصنيفها، فكيف لمناقشتها او مواجهة شيء منها، ورغم كل هذا .. فإنها لم تقض على نزعة مغامرة وطموح تتقد جذوتها في خلاياه لتخمد، وتخمد لتتقد في ساحة صراع محتدم لايتيح له فهمه القاصر وبيئته المحافظة واسرته المتميزة - في القرية - التعبير عن هذا بأكثر من التفكير السارح الا في حالات نادرة ومحدودة ومكبوته.

اذا .. سلامة ستعودة الى القرية .. تعود او لا تعود، ومالذي يهمني منها؟ أنا كنت أتوقع هذه النهاية لزواجها .. هذا الزواج الذي كان معجزة، لانه اخترق المستحيل، قبيلي من أسرة وقبيلة معروفتين يتزوج (دوشانة). بلى كان - كما قالوا عنه - مشكلة بل فضيحة .. فعلا فضيحة، فالزنى أقل منه.
إن الدواشين - اذا - كالعبيد بل إن الكثيرين يسمونهم عبيداً .. بل أخطر من العبيد فالزواج بالجارية المملوكة ليس عيباً .. كثير من الكبراء والملوك تزوجوا جواريهم. كثير من الكبراء والملوك كانت امهاتهم جواري. خلاص .. وأنا ما الذي يهمني؟ .. لكن سلامة بالذات تهمني .. تهمني لأن اباها - محمد هادي الله يرحمه - كان يحب ابي وينفذ خدماته في الليل والنهار. وأبي كان يحبه ويعطف عليه ويعطيه الحب والفلوس والملابس له ولأهله .. ولا يزال يعطف عليهم من بعد أن مات محمد هادي بالرصاصة الطائشة الملعونة. وسلامة وسعيد أخوها .. كم عاشا وعملا معنا في البيت .. سلامة كانت لا تتردد عن خدمة أمي .. تجلب لها الحطب من (المحجر) والماء من البئر. وتطعم البقرة وتحلبها. لا أنسى ليلة أن قتل ابوها - يوم العيد - برصاصة طائشة من بين البنادق التي كان قد اعدها بعض شباب القرية ابتهاجاً بالعيد، والناس يزجلون (بالمغرد او الزامل) وهو أمامهم - كالعادة يضرب في (الطاسة) المعلقة في رقبته الى الأمام - كان عيداً اسود كانت امها (هرجة) تقول وهي تصرخ وتبكي (يا فلسي .. يا فلسي .. يا عيد اسود .. يا عيد اسود .. يا عيد الجن. و. (ام الصبيان).

كان ثلاثتهم في بيتنا تلك الليلة - الأم هرجة وابناها

سعيد وسلامة - وأمي تحتضن سلامة بنت العاشرة حينها ، ودموع البنت تسيل على وجهها ، والرعب يهدد كل شيء فيها . . وقد أخفت الارهاق نحيبها ، واضنى الشهيق أنينها . كانت امي تحتضن البنت ، وتحاول - دون - فائدة تهدئه صراخ وبكاء امها بقولها : (اتقي الله يا هرجة ، هذا الصياح ما ينفعش ولا يجوز لشن من الله كلنا للموت ، قولي يالله تعصم قلوبنا بالصبر) . .

الله . . زمان . . اين ذلك العيد الاسود وحزنه ؟ . . أين هو من عصر ذلك اليوم الذي افلتت - فيه - من يدها البقرة وهي عائدة بها من «المرعى» الى بيتنا ، فانثنت سلامة - بعطف تحكي قفزة السيل من العالي ، وجرت خلفها كالمهرة الجموح ، وأنا مع ابي أمام باب الحوش من الخارج واقفان - حتى امسكت بذيل البقرة وإعادتها الى البيت ، كان اهتمام وحديث ابي عن البقرة وسلامة مقبلة تقودها . بينما احسست ان كل شيء في قد تجمع في عيوني وانا ارمق قطرات العرق تتراقص على جبينها الذي ظهر كمطلع الفجر في فلق ممطر . وقد انحسر (مصرها) أو غطاء الرأس - الى الخلف ليكشف عن مقدمة شعرها الذي خيل الى أنه اتسع اتسع اتسع . . حتى اصبح سفحاً مخضباً ينم عن مجاهيل مخيفة . ومن تحت (المصر) تبدأ الطفائر الكثيفة المرتاحة على صدرها . وفي هذه الضفائر الكثيفة المرتاحة على صدرها . وفي هذه الظفائر رأيتني اقرأ عنوان رواية تبدو طويلة . . . ولكني لم اعرف نهايتها . .

وعيناها . . وصدرها . . وظهرها . . لتكن كيفما كانت . ، فقد كانت . زمان مر وانتهى . . كانت هذه الافكار والذكريات تناجي مخيلته في هدوء يناسب هدوء وصمت الليل في القرية التي يطل على جانب منها من نافذة غرفته الصغيرة . . والتفت الى ورائه . . فوجد زوجته قد خرجت ولم يسمع بخروجها ، فسحب الباب وراءه ، ولحق بها في (المجلس المركزي للعائلة) ديوان (السمرة) لينضم الى ابويه وبقية افراد الأسرة ، كان آخر من دخل على غير عادته . .

أبوه في صدر المكان ، متكيء والى يساره (الراديو ابو موج) قابع على صندوق خشبي يضع فيه كبير العائلة الوثائق و«البصائر» منها ما هو مودع لديه ، ومنها أوراق طلاق وزواج وبيع ومصالحة . الخ . . تمثل نماذج من هموم ومشاكل أهل القرية الذين يقفون ويتزاحمون به لمثل هذه القضايا . ابوه لا يزال يخلص كتابة «ثيقة» ، يكتبها - عادة بالقلم (اليراع) ويمدها من المحبرة . او الدواه السوداء على الورق (الجلد)(بفتح وكسر اللام) . . الورق المتين . وضمن الجمل والتعابير المكررة المصطلح عليها . والتي كان محمد قد حفظها غيباً لكثرة ما سمع اباه يقرأها امام المتخاصمين أو المتصالحين (حضر لدينا الحاج فلان بن علان واشهدنا وهو في حالة الصحة والاختيار بأنه قد باع من الحاج علان بن فلان اربع (حَبل) من الجربة المسماه جربة . . . والتي يملكها . ويحدها من الشرق والغرب و . . . بثمن محتوم ومعلوم قدره ومبلغه . . . ريالا النصف من ذلك . . . تأكيداً للأصل وحفظاً للجملة . بيعا صحيحاً شرعياً نافذاً صارماً لا قيلا فيه ولا خيار قال البائع بعت وقال المشتري اشتريت ، وضمن البائع كل ما اختل وبطل ضمان درك والتزام . . و . . .) . الرجال (عماه واخواه) يجلسون في اعلى المجلس من حول ابيه . والنساء فيما يليهم الى اسفله ، وهمس تعلوه ضحكات يتبادلنه واصوات رشف القهوة و«الجمين» وهي تملؤ الفناجين . . بينما كان عماه واخواه يتبادلون جملاً عن حديث منقطع وغير مرتب وكأنما كانوا ينتظرون انتهاء (كبير الاسرة) من عمله ليبدأ الحديث المنظم .

ومن خلال همس النساء . . أكتشف أن الحديث كان يدور - أو بدأ يدور - حول (سلامة بنت الدوشان وما حدث لها) . وفجأة نظرت اليه زوجة أخيه الاوسط يحيى وابتسمت نظرة وابتسامة كانتا مليئتين بالخبث ، وشيء من السخرية والغمز والعودة الى (زمان انتهى) واردفت بصوت هادىء (. . احسن لسلامة تجلس تخدم امها ، و . . تجيء تزورنا وتعاون عمتي) . . احس بأنها وخزته في اعماقه فازداد وجوما وصمتاً وحول نظره الى اخيه الاكبر احمد الذي كان يقرأ في كتاب (مقامات الحريري)، فرفع اخوه أحمد نظره من الكتاب معلقا على عبارة زوجة يحيى اخيه التي اخذها مأخذاً عاديا ، (ما حدث لسلامة عادى . . لأن كل زواج يبنى على العشق والمعشاقة وقلة الخير ينتهي بمثل هذه النهاية . .) .

وهنا التفتت أمه مغضبة :-

- لا . . مايجوز لك يا أحمد يا بني . . سلامة أنا اعرفها . . وكلنا نعرفها ، هي خبزي وعجيني . شابة

نظيفة طاهرة ، ما قطعت لله فرض من يوم علمتها الصلاة وهي صغيرة . . . لا . . ما يجوز لك . . وانت - ماشاء الله - دارس في المدرسة العلمية ، وعارف كل شيء . . ويتقول لنا ان غيبة المسلم حرام . . قاطع احمد امه :-

- يا أمي . . أنا ما قصدت هذا . . بس ليش كانت تسمح لعبدالله مرعي يلاحقها الى فوق البئر ، ويجيء الليل يسمر معها في بيت امها ، ويهب لنا الهدايا ، و (الزلط) قبل الزواج . . هذا حرام ولا يجوز . صرفت الأم نظرها عن احمد ، وكأنها اعتبرته يحمل الموضوع أكثر مما يستحقه . . وقالت :-

- مضيبة سلامة - مسكينة - أنها جميلة ، والا انت عارف ان الاختلاط بين الرجال والنسوان عادي عند كل العوام وغيرها عمل أكثر منها !

وانتهى الأب (كبير العائلة) من الكتابة ، فتأوه ووضع ورقته وقلمه ودواته فوق الصندوق ، ورفع نظارته الغليظة المتكئة أرنبة أنفه واتجه الى الراديو ليفتحه ويبحث عن اذاعة وهو يقول ساخرا :-

- هياه . . انتهيتوا من الحديث عن سلامة ؟ وردت زوجته :-

- فكيف تشتي تتحدث ؟ وانت تكتب في أوراقك وترجع تفتح (الرادي) . . أنذر بأبوه وخلينا نجابركم ما معنا إلا العشي .

- بس . . نشتي نسمع اخبار لندن .

- ما مع ابوه اخبار . . ما معه الا (تيتو ونهروا وعبد الناصر وعدم الانحياز ، وبنات سويد) . وخرج محمد من وجومه منفجراً بضحكة عائلية وهو يقول .

- يا أمي . . تيتو ونهرو وقناة السويس ، ماهي بنات سويد . . .

- قناة والا بنات . . ! (مالنا حاجة منهم قطع الله من قناهم) .

- وصلت سخرية أم احمد الى اذني زوجها ، فابتسم وهو محملق بعينيه في وجه جهاز الراديو يبحث فيه عن اذاعة لندن . واستغل احمد ابتسامة ابيه ليواصل الحديث عن (سلامة) او بالاصح عن مطلقها عبدالله مرعي ، فاغلق المقامات التي اتعبته أكثر مما أتعبت (الحريري) ووضعها عن يمينه . . وقال موجها الحديث لأبيه :-

- انا استغرب ان عبدالله مرعي هذا قد اشتهر بقلة الخير من زمان عند كل الناس . . دائم يتبع السمرات الليل ، ولا يفوته (هَوْد) (ختان) او زواج الا وهو الأول ، واشتهر بالملعون (المزمار) الذي لا يفارق جيبه ، و (بالمزيقة) واللعب والرقص ، ويقطع الصلاة بينما ابوه (مرعى بن مشعب العامري) رجل طيب ومتدين وصاحب خيرية ، حج ثلاث مرات ، ويؤدي الصلاة في اوقاتها ، ويصوم - الى جانب رمضان - (الست الصبر والثلاث البيض) من كل شهر ، وهو من قرية آل عامر ، وهو عارف إبنه عبدالله ، وأعماله وعبدالله ساكن عنده ، وهو ساكت على كل الاعمال (الفجارة هذه) .

- رفع ابوه طرفه الى اعلى واطلق نفسه في صوت متردد ، وتكلم في شبه سخرية بقصور معلومات ابنه احمد :

- (صحيح . . مرعى بن مشعب هداه الله وقد هو كبير في السن ، وهو الان من خيرة الناس . ولكن . . أنت ما تعرف - يا احمد - مرعي بن مشعب . (يا أوله اولا) . . مرعي بن مشعب اليوم غير مرعي بن مشعب قبل ثلاثين سنة . . ليت انك عرفته - يا أحمد - أيام زمان يمكن امك تذكر شيء من ماضيه) .

وقاطعت أم احمد زوجها ، وهي تدير مسبحتها في يديها ، وتقول :

-(أوه . . مرعى كان على كل لسان ، حتى غنوا فيه النسوان) .

وشد حديث الأب أنظار واشتياق الجميع ، وتمنوا لو يدفعونه أكثر للإستمرار في الحديث ، خصوصا محمد الذي مد عنقه إلى أبيه ، وعيناه شاخصتان في وجهه . بينما لاحظ أبو أحمد هذا ، وأستمر يقول جملا عامة عن مرعي بن مشعب :-

- صحيح . . دأن بن مشعب على كل لسان ، كان يعمل في البيع والشراء ، وتوجه الى التهريب ، وله مغامرات هايلة ، بعضها ما نجا منها الا بمعجزة ، وكان وسيم ، ويلبس ملابس كاملة ونظيفة (قميص وزنة بيضاء ، وغترة سوداء ، أولا ما (نجعت) الغتر السود الغالية و(برقع ومضمك فضة على غلاف الجنبية و(طراش) صنعاني ، ومعه حمار (صبياني) أبيض . وكان معارف ومصادق لكبار الموظفين في (صعده) و (السنارة) وكثير من المشائخ والتجار بحكم عمله في التجارة ، وفي التهريب بالذات . وقد حبسوه عدة مرات في قضايا تهريب كبيرة ، ولكنه يخارج نفسه بسرعة ، حتى انه

مرة بحبسوه وما استطاع احد (يطلقه) وجاء امر باطلاقه من (ناظرة الشام) . . أول ما عرفته في (عانة) من آل عامر لناجي بن راشد في قرية (دار حسين) ، ومرعي بن مشعب مثل (البازل) وسيم وقوي وهو لابس قميص وزنه وغترة سوداء عاصب لها على رأسه عصبة جميلة .

ولا انسى منظره ذاك اليوم ابدا وهو وسط المبترعين في (المغروبة) .

- بعد ما طووا آل عامر (المدماك) وصلوا ، ورجعوا (للبرع) وهم يبردوا (عيده) (والعة عرضت عصراً .

ما خلفت القناص يرميها

زادها مقلة السمرا

والليل تضوى في مخابيها)

الله . . ما احلى ذلك الايام .

وقال محمد في انبهار :

- عجيب . ؟

- نعم . . ورافقه - في كثير من مغامراته محمد حطهان .

- وبادر محمد اباه :

- محمد حطهان ابن ساري ؟ .

- ايه . . ابن ساري . . وهو عارف قصص غريبة وعجيبة عنه ، ومنها قصة حدثت له مفجعة قتلته قتل . وكانت سبب تركه لكل هذه الاعمال والمغامرات ، ويمكن انها - ايضا - السبب في سكوته عن اعمال عبدالله ابنه .

- واستند محمد ابيه يسأله بلهفة .

- وكيف القصة . . ياأبه ؟

- رد الاب بتلكؤ يشوبه حزن عميق لهذه الذكريات التي كأنها كانت تنعي اليه شبابه .

- أنا . . الحقيقة . . يمكن . . اعتقد . . اني نسيت كثير منها ، ولا أشتي اتذكرها ولا اتحدث عنها . . محمد حطهان يعرفها ، وهو مطلع على كل تفاصيلها .

بدأ الاب يتثاءب ويرفع حاجبيه عن عينيه ، وكأنه يعلن انهاء (السمرة) وبداية الذهاب الى النوم . وكالعادة . . قامت زوجته متكئة على ركبتيها وهي تنطق باسمه قائلة .

- نروح نرقد ، غد جمعة (الله يلهمنا ذكره) ومعنا عمال (في الغرايس) .

- هم اثنين عمال بس ! !

- اثنين والا خمسة . . المهم انهم بحاجة قهوة وزاد .

- وذكرت . . محمد حطهان بايجي غد .

وكأن الاب وجه هذه الكلمة الى ابنه محمد .

ومحمد حطهان صديق لأبيه (سيدنا ابراهيم) وهو له شبه مستشار في شئون الزراعة والحراثة والبذر والري لخبرته الطويلة .

وذهب الجميع الى النوم يلملمون ادوات وفناجين القهوة . وذهب محمد الى غرفته وقد قلبت (السمرة) افكاره وذكرياته راسا على عقب . وصار يفكر في مرعي بن مشعب ، ويتصور شخصيته (قبل ثلاثين سنة يوم كان مرعي بن مشعب . .) وكيف يمكن ان تكون هذه القصة السخيفة والمرعبة لهذا الرجل الوسيم القوي صديق كبار المواطنين ، وصاحب المغامرات والعجائب ؟ . . كيف يمكن ان تكون حتى وصلت به لدرجة ترك كل شيء . . الى ان جعلت منه حمامة المسجد بعد أن كان يعيش المغامرات النادرة ؟ ثم ما هي هذه المغامرات بالتفصيل ؟ او كيف تركته واحدة منها يبتعد منها كالهازة هل تعرض لموقف كاد يموت فيه ؟ . . لا ام عرفت عنه الحكومة وقبض عليه واودع السجن ؟ ايضا . . لا . . فكل هذه حصلت له عدت مرات كما قال ابوه . ولم تؤثر حبه للمغامرات ، او تخيفه من الحكومة اذا ما هي ؟

ثم . . ماذا يعني انها كانت ذات اثر على سلوكه عن ما يفعله اخيه عبدالله من اعمال سيئة . وكيف تركته يسمح لأبنه بزواجه من سلامة بنت الدوشان . . ؟ اسئلة كثيرة لم يعرف كيف يطردها من تفكيره حتى الصباح الذي يزداد شوقا اليه ليعرفها من محمد حطهان .

سمع محمد - وهو في فراشه - صوت امه وهي تتحدث مع زوجة اخيه . . وصوت امه صوت مميز يختلف عن كل صوت . صوت يوقظه من عميق نومه وان كان الصوت هادىء حين لا يوقظه صراخ الاخرين . امه تحبه كثيرا بوصفه ابنها الاصغر ، ولانه اعاد اليها الكثير من ثقتها بنفسها وعلاقتها بزوجها حين جاء اجمل اخوته . ولكنها لا تهاوده في الصلاة . وبالذات صلاة الفجر قبل طلوع الشمس .

نهض - من فراشه - مسرعا الى الصلاة وعاد اليها وهي في (الديمة) والقهوة تغلي فوق (الموقد) النحاسي ورائحة البن المتصاعدة تعطر اجواء البيت وتوقظ الاحساس ، وتطهر الاذهان من بقايا النوم ، وزوجة

اخيه (صفيه) تشعل النار في تنور لتخبز (القفوع) - وجبة الصباح . .
- صبحش الله بالخير . . يامه !
- صبحك الله بالعافية . . هيا خذ القهوة لابوك واخوك احمد .
اخذ القهوة (بموقدها) الى المجلس . وابوه واخوه كلاهما يقرأ القرآن في مصحف بصوت خافت .
- صبحكم الله بالخير .
- صبحك الله بالعافية .
وضع الموقد في الوسط وبدأ يصب القهوة (البن) لابيه ثم لاخيه وملأ فنجانا واخذه ليضعه الى جانبه امام النافذة .
صباح جميل . . الشمس مشرقة والاشجار تضحك بأوراقها الخضراء البراقة ، وتغني بعصافيرها المتلهفة للانطلاق . كان ربيعاً خصباً ممطرا . . الناس وابقارهم في اجازة ممتعة . . فالامطار اغنت الجميع عن (السالي) على البقر لجلب مياه الري من الابار ، والحقول لم تجف معظمها مع بعد ارتوائها بالسيول ، فلم يحن الوقت لحرثها . وشباب القرية يتجمعون ويضحكون ويلعبون - جماعات جماعات في الوادي - (المحاجلة) و (المشاوعة) و (سبر) وغيرها .
عند ان تحمى أشعة الشمس . . يتجهون نحو الابار التي امتلأ معظمها حتى (الوزاء) للسباحة فيها . والبقر والغنم ترعى على اطراف الحقول ، والاطفال يخبطون الوادي - في القرية - ذهابا وايابا ، ويمارسون العابهم (المسابقة) و (المقامشة) ويضحكون ويتخاصمون ويبكون ويتفرقون الخ . .
والنساء ينتهزن فرصة هذه الاجازة الربيعية ، فيتفرغن للعمل المنزلي - اخراج جميع فرش المنزل الى السطوح او الاحواش لتنظيفها من أوساخ وغبار السنة وغسل ما يلزم منها على أمكنة تجمعات مياه السيل في الوادي (العوارض) - و (الصهار) و (البياض) . . تلبيس سلم وارضيات الحجرات والغرف بالطين المعجون مع مخلفات الابقار لتقويته وخلطه بالطينة البيضاء لتجميله وفي جمع أكبر كمية من الحطب . . الخ . .
لاحظ محمد العاملين التابعين لهم ، وقد وصلا الى موقع العمل لترميم بعض اسوار مزرعة العنب يخلعان الملابس العادية ، ليلبسان ملابس العمل المتسخة المهترئة ، وليبدأ في اصلاح الجدران التي هدمها المطر . .
ولاحظ . . و . . و (سلامة) تدخل من باب الحوش آتية اليهم . رشف بقية فنجانه بسرعة ، وقام كالمتثاقل أمام أبيه واخيه ، ليذهب الى امه في المطبخ قبل أن تصل سلامة اليها حتى لا يفسر مجيئه بشيء اخر . وخصوصا من قبل زوجة أخيه . . تمطأ وهو يخطو نحو الباب ويقول بصوت متقطع :-
- نروح نسألهم عن قهوة العمال . . !
وقف أمام امه وزوجة اخيه . وباب المطبخ (الديمة) الى خلفه .
- هاه . . قد قهوة العمال و (قفورهم) - الافطار حاصل . . ؟
قال هذه الجملة ، وبأعصاب مشدودة وكأنما هو يتوقع انفجارا سيدوي من ورائه الآن .
- ردت أمه :
- ذلحين يحصل . . ما ترى يد واحدة مننا في العجين والثانية في التنور ؟ ما عاد احنا احر من النار . . يابه .
- صبحكم الله بالخير . . !
جاء صوت سلامة من خلفه مدويا ولكن بشكل مختلف ، مدويا كما أحسه هو . كصوت الرعد ، بقدر ما يكون قويا ، يكون له وقع آخر في النفس لأنه صوت يبشر بقدوم المطر ، يمتلىء دويه الهائل بالأمل والتفاؤل والحياة والفرحة والابتسامة .
رد الجميع :
- صبحش بالخير والعافية ، حيا الله من جاء . .
تقدمت سلامة في خجل لمصافحتهم ، مبتدئة بالأم التي صافحتها بساعدها لاشتغال كفيها (بالعجين) وواصلت الام :
- حيا الله من جاء . . كيف حالش يا سلامة ؟
- الله يحييش يا أمه آمنة - وأنتي كيف حالش ؟
- بخير نحمد الله . اقعدي هنا يا سلامة .
جلست سلامة على الأرض مع الأم آمنة وقد اختلطت التحيات والاسئلة عن الحال المتبادلة . وظل محمد واقفاً لا يدري ما يقول ، وقد احس بشيء من الاحراج لوقفته التي لم يعد لها مبر ر في نفسه ، في الوقت الذي دخلت - فيه زوجته (عتيقة) التي كانت - لتوها تقوم بكنس وترتيب الغرف كون هذا العمل أقل صعوبة يتناسب مع صغر سنها وحداثة عهدها بالبيت

... هكذا قررت عمتها (آمنة) وهي توزع عمل البيت اليومي للدورة الحالية ..

.. انحنت (صفية) - وهي بجانب (التنور) لتأخذ قطعة من العجين وتخبزها . وهي تقول وتبتسم ابتسامتها (الخبيثة) التي لا يعرف معناها غير محمد :

- محمد .. مالك واقف روح إدعى واحد من العمال يجيء لقهوتهم و (قفورهم)!

.. أنصرف ليدعو احد العاملين .. بحقد يتزايد على زوجة أخيه ..

- كيف تتخاطب معي هذه المرأة بهذا الاسلوب العجيب؟ لماذا تتعمد الطعن في أعماقي بكلماتها وبسماتها الكريهة؛ ماذا تريد مني؟ هل تمزح؟ لكن هذا ليس مزاحا .. هل تحاول إشعار أمي وأبي ، وأهل البيت بطريقة غير مباشرة - بشيء ما؟؟ بشيء أنا بعيد عنه .. وماهو هذا الشيء ؟ ومادخلي بسلامة؟ اذا .. لماذا تفزعني كلماتها ، وتجرحني بسماتها؟ فلتتكلم ولتبتسم مع الشيطان اذا أحبت وأنصرف ليدعو أحد العاملين من النافذة ، ولكن كان قد وصل . وكان أبوه وأخوه احمد قد صعدا الى سطح المنزل ، شمس مشرقة دافئة تعكس - من سماء صافية جميلة - طراوة الحقول والاشجار ، ولعل الاب كان يريد ان يتعرف - من سطح المنزل - على الحقول التي قد تكون - بعد السيل - صالحة للحراثة ، وكان شتوي بن حطمان (مستشاره) قد وصل وصعد اليهما ، ثم تبعه محمد وبدأوا - جميعا - يتناولون طعام الافطار والحديث عن الزراعة . بينما كانت سلامة تجلس الى جانب (أمها) أمنة - كما تدعوها - كالقلعة الحزينة ، تتحدث معهن وترتشف فنجان البن ، وتحاول اغتصاب البسمات لتغطية مشاعر الالام والبؤس والخيبة التي تمزق أحشائها .. وأن كانت عيناها تفيضان بالحزن وبآثار دمع جارف .

- كانت أشباح الرعب التي عاشتها الليلة السابقة بلاتنزال ماثلة أمامها تهدد حاضرها ومستقبلها .. شبابها وجمالها .. نهاية قاتلة لاتستطيع مواجهتها ..

- في الليلة المشئومة .. سمعت عمها مرعي يصعد (درج) البيت عائدا من المسجد بعد صلاة العشاء يصعد ومعه اخرون ظنت - بداية الامر - أنهم ضيوف من (الموطاة) - ساحة بجانب مسجد أية قرية ، يوزع منها أمين القرية الوافدين الغرباء على أهل القرية بالتناوب - ولكن لم تلبث ان سمعت عمها ينادي :-

- هاتو سراج .. هاتو سراج ..

فهرعت عمتها(ام زوجها بالقازة) .. (علبة مع فتيلة تضيء على الغاز) .. وسمعت سلامة أصواتا عرفت بعضها ..

- ... أنت عاقل ياحاج مرعي ، ومالك حق ترضي لابنك بهذه الفضيخة ..

- ياجماعة صلوا على النبي .. ندخل (الديوان) ونتحدث ، وما يكون الا خير انشاء الله ..

سمعت سلامة هذه الجمل ، فأحست بإحتراق في اعماقها . عرفت انها المقصودة بكلمة (الفضيحة) كانت تعرف أن زواج (القبيلي) من (دوشانة) أمر لايقره العرف القبلي ، وكانت هي وأمها قبل زواجها ورغم حبها لعبدالله - قد تمنعتا فترة ونبهتاه على هذا الامر الذي قد يكون خطرا عليهما لكن عبدالله كان - في كل محاولة - يتحدى كل قبائل وأعراف الدنيا . وكانت - بهذا الزواج - تلزم البيت في معظم الحالات ، عدى حالات اداء الاعمال الخارجية . ومع هذا فقد سمعت كثيرا من الالسن تلوكها ، بل وتصارحها حتى أصبحت حديث الناس . كان البعض يلوح بالكلام - أثناء وجود زوجها معها - ولكنه يثور ويهيج حتى يسكت هذا الكلام ويطرد أصحابه . ولكن الكلام لم ينقطع . هي مستعدة لابتلاع اي كلام رغم مرارته ، وأكثر مايؤلمها هو تحمل زوجها كل هذه المصادمات من أجلها ، وهي تعتقد - في نفس الوقت - ان هذه الضجة عاصفة مستمرة ..

مرعى (عمها) لم يكن يواجه بكثير من هذا الكلام .. لكنه يحس ويسمع ويعرف كل شيء . كانت عبارته التي يرددها : الصبر ما أحسن منه .. وما هو مقدر لازم يحصل ..

عمتها (غصنة) - أم زوجها - شجاعة يهابها كل أهل القرية .. وعندما تخوض في الموضوع تردد : مالا حد حاجة .. أنتى مرة عبدالله على روسهم .. ماعيب الا الحرام ..

أم عبدالله تحب ابنها لدرجة الجنون ، لانه وحيدها ، ووحيد أبيه ، وهي تحاول بذل ماتستطيع من أجل اسعاده حتى ولو تزوج (دوشانة) ورغم انها كانت ضد رأي ابنها في الزواج ، وبشدة . الا انها ضعفت امام اصراره على الزواج بسلامة ، وإصرار ابيه على

عدم ابداء اي رأي . يردد - فقط - ماهو مقدر لازم يحصل .
سمعت الحديث - بين عمها ووجهاء القبيلة الذي اتوا اليه - يزداد هيجانا . ولحسن الحظ . . كان عبدالله لايزال خارج البيت . كان مما سمعته :-
- إلا ياعم مرعي - فضيحة وعشرين فضيحة ، وحرام وعشرين حرام . ابنك قبيلي منا بأصله وفصله . يتزوج دوشانة من الدواشين . . الخدم . . العبيد . . الذي مالهم أصل ، ولا قد تزوج منهم قبيلي قبل ابنك . .
- ياحاج مرعي . . هذه فضيحة لنا بين كل القبائل . وماهي في ابنك والا فيك وحدكم . . هي في كل واحد منا . . والغاوي يسووه الرجال . .
- حظوا البنات - يامرعي - مالقى عبدالله الا بنت الدوشان؟ أنت تقول هذا الكلام لان الفاعل ابنك . . لو كان واحد منا فعلها ، ماكان هذا كلامك . . وانت رجال عاقل، وعارف اسلاف واعراف القبل . .
- احنا سكتنا هذه المدة . . لان احنا كنا ننتظر انك باترقع ثوبك بنفسك ، وتغسل وجهك بيدك . لكن ماصح منك شيء احنا - بعد اليوم ما احنا ساكتين . .
- ياحاج مرعي - اسكتوا ياجماعة - احنا جينا الى بيتك ، واحنا على فراشك معزة لك . . وقال ذاك (المثل) اقل الكلام احلاه . . انت مخير بين ثنتين . . أما يطلق ابنك بنت الدوشان . . والا فاحنا عارضين قولك من تختار من مشايخ وعقال القبيلة ، ولك مهلة اسبوع . . ها خاطرك . .
عند ان عاد عبدالله . . وقف حائرا أمام ما ردده له ابوه . . ورأى دمعتين تترقرقان من عيني ابيه وهو يقول :
- ياعبدالله . . خذ سلامة الى أمها حتى يحلها الله . .
- دارت هذه الرؤ ى المخيفة في رأس سلامة ، وسمعت (أمها) أمنة وهي تقدم (الجمنة) - اناء القهوة من الفخار - لتملاء فنجانها :-
- أيش حصل بينش انت وعبدالله - ياسلامة - وعادش ماقد (رديتي الجد)؟ ترد الجد ، تعنى اول زيارة تقوم بها العروسة لأهلها . .
- ماحصل بيننا شيء . . لكن . . لكن . . لكن ودي أقعد عند أمي . . قد (ضجرت) سئمت . . أحست أمنة ان سلامة - وهي تبلع ريقها بحثا عن اي جواب - لاتريد - أو بالاصح لاتطيق رواية ماحدث الان . . فأعفتها من الحرج . . وقالت :-
- احسن لش . . اقعدي عند أمش وعندنا . . والله يختار مافيه الخير . .
- يامه آمنه . . قالت هذا سلامة وكأنها تحاول ان تخرج من جو هذا الكابوس الذي يسيطر عليها - انا جيت أسلم عليش وأعاونش . . ذالحين ، انزل أحلب - لش - البقرة واخرجها من (الحر) - مكان المواشي في اسفل البيت - واطرح لها علف . . ؟
- قد نزلت صفية . . وأنتي عادش ضيفة عندنا . !
- لا . . لا . . أنا باأنزل اعاون صفية وأهب لش (دفرتين) - نقلتين - ماء من البير . .
كان محمد يراقب محمد حطهان بدقة اثناء طعام الافطار . . يتخيل ماذا يمكن ان يرويه محمد حطهان عن حادثة مرعي بن مشعب . . يتمنى لو يسأله . . ولكن الوقت غير مناسب ، والحديث كان - في مجمله - عن الفلاحة . .
قال أبوه موجها الكلام لمحمد خطهان .
- عندك يابو يحيى . . أن (الجرب) - الحقول - العليا قد (اصلت) - جفت بعد السيل واصبحت صالحة للفلاحة؟؟
- لا . . يابو احمد . . الله يعافيك . . عادها (خلب) . . !!
- كم عادها - عندك - لما (تصلي)؟؟
- عادها (بحدة) تقريبا اسبوع والا عشرة أيام هذا اذا شعفت (صحت السماء من الغيوم) . . وعندي انها باتشعف الان ذيه النجم ماتمطر . .
وأضاف ابو احمد . . وقد تذكر عملا مهما غاب عن باله . .
- الا . . وعاد السنن (جمع سنة ، وهي راس المحراث الذي تجره البقر) والفرس (جمع فرسه ، وهي المحراث اليدوي) كلها باتحتاج مذكرها (يعيد الحداد تقوية وصقل رؤ وسها) . . تقول من نرسلها له؟؟
- ارسلها مع احمد راشد الى عند اليهودي يحيى سالم ، هو احسن واحد في صناعته ، وخلي احمد راشد يسرح بها الصبح بحين لان يحيى سالم مزحوم وأعماله كثيرة لان عمله جيد . .
وأبتسم الحاج ابراهيم ، وقبض بيسراه على لحيته وكأنه يستعيد حدثا مر ، وقال :-

ـ يابو يحيى . . قال المثل (ليش شيخوه ؟؟ مالقوه الا هوه . .) . ماهـو لان صنـاعته جيدة . . لكن ماعاد معنا الا هو وقليل من اليهود بعدما (قدسوا) ذهبوا الى القدس . .

وأضاف :

تتذكر كيف كان اليهود يطوفوا كل قرية يدوروا أي عمل خراز والا حدادة والا اي شيء . . وما يشترطوا فلوس ، يأخذوا حب والا دجاج والا بيض والا أي حاجة . .

ـ صدقت . . والله ان احنا نجمع البيض والادياك لما نحتاج اليهودي يقطع لنا بسط (البسط من فراء الغنم) ونديها له . .

ـ واستطرد محمد خطهان :ـ

ـ تقول ـ يابو احمد ـ ان صحة اليهود وقوة اجسامهم وحمار وجيههم . . هو من الدجاج والبيض؟؟

ـ من (العرفي) من (الزقزقة) يابو يحيى . من الخمر . .

صدق منه . . لعنـة الله عليهم . . لكن عملهم أحسن عمـل . يضيفـوا الحلية من الفضـة ويعملوا في النحاس وفي تصليح البنادق وفي الحرازة . . وفي اي عمل ، ولا عندهم عيب من اي مهرة (مهنة) مثلما عندنا .

كان محمد قد شرد ذهنه ، وظل ـ اليا ـ يصب لهم قهوة القشر في الفنـاجين . . وإعاد انتباهه محمد خطهان وهو يستطرد :ـ

الله يابـو احمد . . من غيضه بن يومين . . (بنيامين) هاذاك اليهودي ماقد بهر عقلي مثله . . ولا رأيت اشطر منه ابدا في كل شغله . .

وقاطعه الحاج ابراهيم ضاحكا . . :

ـ بن يومين . . صاحبك انت ومرعي بن مشعب . . !

وضحك الاثنان ضحكة عالية . . وبدأ لمحمد في كلامهما الرمزي سرا قديما . .

وأضاف محمد حطهان :

ـ انت عارف ياحاج ابراهيم . . أمانة أني كنت احصل في الشهر اكثر من خمسين ريال . .

ـ كنت تسافر بها المغرب . . هاه؟؟ .

ـ كنت اسافر بها المغرب . . خولان ورازح وتهامة . . وما ارجع الى وقد صرفتها كلها . ولا احد درى بها ابدا . . صناعة طبق الاصل . .

كان محمـد يفكـر في هذه الالغاز ماعساها ان تكـون؟؟ (صرفتهـا كلها) (صناعة طبق الاصل) . . وهو لايجروء ان يسأل اباه . . او حتى محمد حطهان في وجود أبيه . . بل ـ كعادته عند ان يسمع اباه يتحدث مع الاخرين ـ يشعر بعدم الاهتمام بالحديث ، وحتى وهو يتابعه كلمة كلمة . .

كان أخوه احمد يطوف بأطراف السطح بعيدا عنهم . . ومحمـد ينتـظر متابعة الحديث فلعله يعرف شيئـا من هذه الاسرار . . ولكن احمـد التفت اليهم ضاحكا ونادي :ـ

ـ ابـه . . أبـه . . منيل ، منيل (لقب يطلق على عسكري الدولة ، حيث كان معظمهم يرتدون الملابس المطلية بالنيل . .

ـ منيل ؟؟ عسكري؟

ـ ابه عسكري . .

ـ من هو منفذ عليه؟

ـ قال على اهل القرية . .

ـ على اهل القرية ؟؟ قله يطلع ، انزل ـ يامحمد ـ الق العسكري ، وقل لهم يعملوا له القهوة؟؟

قام محمد وهو يلعن ـ في نفسه ـ هذا العسكري ومن ارسله .

وصل العسكري المنيل وهو يلهث . .

ـ السلام عليكم . .

ـ وعليكم السـلام . . حياك الله أجلس ، قالها الحاج ابراهيم وهو يفكر فيما قد يكون سبب ارسال هذا العسكـري الى اهـل القرية . . الزكاة . . مسلمة . . الفطرة؟ كذلك . . خلافات أو غيرها ؟؟ لايذكر شيئا وهو ملم بكل مشاكل وقضايا القرية ، وحتى العلاقات بين افرادها ومشاكلهم الصغيرة! صمت . . الا من كلمات ترحيب بسيطة ، وانضم اليهم احمد ليعرف السبب . .

وأحس العسكري بأن دوره قد حان ـ بعد ما التقط انفاسه ـ ليقول لهم ما جاء من اجله . . فانحنى ليخرج ورقة صغيرة مطوية بجانب العسيب (غلاف الجنبية) وقد صار الجزء الخارجي منها ازرق لاحتكاكها بالقميص المنيل ، وناولها للحاج ابراهيم ، بعد وضع بندقيته العثمانية على فخذية وهو يقول :

ـ انا منفذ على اهل القرية ، وقالوا لي اجي الى عندك ياحاج ابراهيم ، وهذا الامر . .

تنـاول الحاج ابراهيم الامر ، ونشره ونظر اليه

تحدقـا بعينيه باقصى مايستـطيع لان نظارتـه في المجلس . . وبدأ يقرأ بصوت نصف خافت (نامر أهل القرية جار وقرار الاصيل والدخيل بتسليم اجارة الشقاة (العمال) الذين عملوا في اصلاح جدار لجامع والصوح والبرك في مسجد القرية بدون تأخير أو مماطلة او مراجعة ومن تمرد كان التنفيذ عليه . . والله الموفق . .

عامل الوقف

ورفع نظره الى وجه العسكري ، وعلامات الاستنكار تظهر على وجهه . . بينما بادر ابنه احمد يقول :

ـ عجيب . . هذا بعدما وافقوا اهل القرية يدفعوا النصف وعلى الوقف النصف ، واليوم يأمر بدفع كل الغرامة ، وكان اللازم يدفعها الوقف كلها . . ؟

وأحس العسكري بحرج ، وكان ربما لم يعرف ان القضية بهذه الصورة وكأنه حاول ان يعتذر عن نفسه ـ وهو يرتشف فنجان القهوة التى وضعها محمد امامه بقوله :ـ

ـ انت عارف ـ ياحاج ـ اني عسكري ماعلي الا اوصل الامر . . ولا بيدي شيء .

وكان محمد حطهان يحاول النهوض ومغادرة المكان . .

ـ ها . . لاتنسـوا ماترسلوا السنن والفرس غد الى اليهودي . . وانا باروح الى عند البدوي اذا اشترينا لكم المدمنة (كومة مخلفات الاغنام تستخدم سماد للارض) . . برأياكم . . !!

ـ في أمان الله . . لكن غد سبت ، وبايكون اليهودي (مسبت) . .

ـ هاهـ . . نسنا . . ها . . يوم الاحد .

ـ وبانتلاقي في المسجد وقت صلاة الجمعة . .

ـ انشاء الله . .

بعـد صلاة الجمعـة . . تعـود اهل القرية ان يخرجـوا الى السـاحة الملاصقة للمسجد ، يتحدثون حديثا جماعيا ، وثنائيا ، وعلى شكل مجموعات صغيرة . . عن الـزراعـة ، وعن الـدولة . . عن المهاجرين الـذاهبين والعائدين . . ، يستمعون الى خلاف بين شخصين فيحاولون ـ مع الحاج ابراهيم ـ حله وانهائه ، يتفقـون على شراء ثور أو بقـرة فلان . . وذبحـه والاشتراك في لحمه . . الخ . .

وقد أستنكروا وجود العسكري وعرفوا ان هنالك امر يهم احدهم او بعضهم او كلهم مع الدولة . . بدأوا يتسائلون ، ولم يطل تساؤلهم . . فقد صمتوا واستمعوا بانصات الى الحاج ابراهيم (أمين القرية) وهو يخبرهم بسبب مجيء العسكري ، ويسلم أمر ارساله الى ابنه احمد ليقرأه عليهم . .

ما ان أكمـل احمـد قراءة (الامـر) حتى ثارت مشـاعـر الاستغـراب والاستنكـار والشجب والتنديد واختلطت بينهم ـ لهجـة السخرية بلهجات الغضب والرفض والاستهتار . .

ـ نسـاعـد الـوقف بدفع النصف من خسارة اصلاح المسجـد ، ويرجعوا يطلبوا منا دفع النصف الثاني ، وهم ياكلوا اموال الوقف في بطونهم . . ؟

ـ عجيب ياعامل الوقف . . بعد ماجلس عندنا ثلاثة ايام واحنـا بنـأكله شحم ولحم ، ونتبرع بدفع نصف الخسارة يرجع يشتي النصف الثاني . ؟ .

ـ قولوا لهم احنا (مبطلين) ما احنا مسلمين بقشة (وحدة الريال) ياخذوا المسجد لهم ويجيى عامل الوقف يلفه ويخزن فيه (تبن) . . ؟

حاصلات وقف القرية وحدها . . يقدروا يبنوا فيها اربعة مساجد . . ماهو عاجز عن اصلاح جدار . . فين يشلوا مال الله . . ؟

كان الحاج ابراهيم يستمع الرهج الذي يوجهونه اليه ، بوصفه (أمين القرية . . وعاد ـ في وسط الضجيج ـ يهدؤهم . .

ـ ياجماعة اسمعوا . . حصل خير . . هذا ماهو جواب عاقل . . احنا لازم نمتثل لأمر الدولة ، قالها وهو ينظر الى العسكري الذي وقف مبهوتا ، حتى لاينقل هذا الكلام الى المسئولين في المدينة وواصل الحديث ـ احنا بانسلم اجـرة العسكـري وانا باادخل الى عند عامل الـوقف ، انـا والحاج ضيف الله مانع غد السبت ، وخلوا المسألة علينا . .

وفي الوقت نفسه . . جاء اليه ـ من بين الواقفين ـ محمد حطهان ، وهو يضم قميصه الى صدره ، وتظهر على جسمه ارتعاشة غير عادية . .

ـ ياحاج ابراهيم . . انا احس ببرد ورعشة ، واظن انها ضربتني الشمس واحنا جالسـين الصبح فوق الريم (السطح) . . وانا باروح البيت . . اذا قدرت جيت لك يوم الاحد . .

ـ هاه . . يمكن انها شمس . . كان نشتي انك تتغدا معنا اليوم . . ولكن الله يفتح عليك ، روح البيت وقل لراعية (زوجته) تعمل لك جمنة قهوة محورة (مخلوطة بالزنجبيل) أشربها ، وباترشح (تعرق) وتتعافا انشاء الله . .

في الصباح الباكر ـ اليوم التالي السبت ـ خرج احمد ومحمد يودعان اباهما وهو يغادر الى المدينة وظفوا له الجهار ، وركبه وهو يوصيهم :ـ

ـ يا احمد . . خلي العمال يكملوا عملهم في بناء جدر (جدار) العرائس وانتبهوا للبيت ، وارسل محمد يزور الحاج محمد حطهان ويسأل عن حاله . .

ـ حاضر . يابه . .

ـ هيا في امان الله . .

ـ الله يفتح عليك . .

ـ انا باارجع الليلة انشاء الله . .

حاول الاخوان أن يؤديا واجبهما الذي أوصاهما به الاب .

وفي ظهيرة ذلك اليوم . . تذكر أحمد كلام أبيه ، وكان محمد يذكر تلك الوصية بالذهاب الى بيت محمد حطهان للسؤال عن حاله ، ولكنه ـ دائما ـ كان يمل تنفيذ هذه المهمة ، ويتثاقلها ، لانه يعرف بيوت اهل القرية ، وظلمتها حتى في منتصف النهار ، ودرجات سلمها المعوجة والمستهلكة لدرجة ان مثله ـ واحد من أبناء القرية ـ لا أن يسقط أثناء الصعود ، ويضرب برأسه في احد الحيطان وتقع احدى يديه ـ أو كلتاهما ـ على قاذورات عندما يحاول التشبث او التمسك الاضطراري خلال السقوط .

ثم ماذا تنفعه كلمات التأسف والاعتذار من (أمه) راعية وهي تردد (يعفرياني) (يافلسي) يامحمد هذا بالاضافة الى روائح فضلات الصغار ، وبقايا الاكل ، ومخلفات الحيوانات ، وما تنشره من أسراب الذباب التي لاصوت ـ في البيت ـ يعلو فوق صوتها .

وبعد الغدا ـ وهو بادىء في الجلسة مع أخيه أحمد في (الخلوة) ـ الغرفة ـ المطلة على القرية . . دخلت صفية ـ زوجة احمد ـ تحضر لزوجها ـ كالعادة ـ المداعة (النارجيلة) وهي تقول :ـ

ـ عمي . . (أبو زوجها) قال تزوروا محمد حطهان . . أنتو زرتوه . ؟

وفجأة . . هب احمد ـ وهو نصف متمدد ـ يخاطب اخاه الصغير بانفعال من نسى شيئا مهما:ـ

ـ محمد . . نسينا ماتروح تزور محمد حطهان .

ولم يكن أمام محمد الا ان يبادل أخاه هذا الانفعال المفتعل ، ويستعد للذهاب الى بيت مستشار ابيه ، وهو يلعن هذه (الصفية) التي تؤكد له ـ كل يوم ـ ان الله خلقها بصدرا وحيدا ـ وقد يكون شرعيا ان طال الزمن ـ لكل مشاكله وغيضه والامه . . في الوقت الذي تظل ـ صفية ـ بريئة وعلى حق ، دون أن يملك الدفاع عن نفسه بكلمة واحدة .

لماذا تبحث ـ هذه المرأة ـ لي عن المتاعب بكل الوسائل ، وتقدمها ـ الى ـ في الوقت المناسب ، وبصورة تكون كلمتها رصاصة تخترق جسمي ، وبسمتها طعنة تمزق اعصابي . . انا لم اسيىء اليها ، ولا أستطيع . هي زوجة أخي الاكبر الذي يعتقد ان الله خلقها بأسلوب مختلف عن خلقه لهذا العالم . .

امي ـ منذ ان جاءت صفية الى البيت ـ تردد : لولا صفية . !! أما صفية . . ! قالت صفية . . !!

ابي يعتقد ان (فوز) احمد بصفية ، لم يكن خاضعا لناموس العلاقات البشرية بين الرجل والمرأة . . ولكنه كان استجابة مباشرة لدعاء احمد الذي يردده ـ كل يوم ـ بعد الصلوات الخمس ، وفي الصباح والمساء ، انا . . انا . . لا اعتقد هذا . . وشيئا من هذا . . وايضا ـ لا املك ان اعتقد غيره . .

سحب نفسه ، واتجه لبيت محمد حطهان الذي يبعد عن بيتهم بمساحة ميلين تقريبا ، وأمام الباب . . صرخ :ـ

ـ ياأمه راعية . . يامه راعية!!

ـ ياعفرياني . . (كلمة شعبية تعني التأسف) انت يامحمد . . ؟ ادخل ادخل . . والله . . ياولدي . . ان عمك محمد ـ من امس لا أكل ، ولا اوى (بتشديد الواو بمعنى أوى) تحت سقف من حين رجع من عندكم بعد صلاة الجمعة . . الا بشرب ماء . . ماء . . ولم تتح له الفرصة للسؤال عن حال العم محمد . . بل استمرت . .

ـ درعناه بكبش صبح اليوم (بذبح الطلي ويسلخ ويلف جلده على جسم المريض ، علاج شعبي) ولا نفع . . الله أعلم ايش هذا المرض ، ياولدي . يتلوى ـ في مكانه ـ مثل الحنش (الثعبان) ويذف (يهذي) كلمة في

جم وكلمة في غير (كلمة صحيحة واخرى خاطئة) ولا درينا ايش نسوي له . .

والحين أقدر أزوره؟؟

ـ أدخل . . ادخل . . يابه . . ربنا على مريك العافية ان شاء الله . . (رأينا برؤ يتك العافية تفاؤلا) . . ودخل محمد باب (الخلوة) . ومحمد حطمان متمدد في احد جوانبهـا . . فعـلا (مثل الحنش) يتحرك يمينا وشمالا ويتأوه وينفخ بقوة ؛ بجثته الكبيرة ، ولونه الاحمر ، رائحـة الغرفة تخنق الداخل اليها خليط من روائح السمن المتعفن ، والعرق الغليظ ، ومخلفات الاغنام ، وفي الغـرفـة . . نافـذة واحدة صغيرة مغلقة باحكام (حتى لايتسرب الهواء فيضر المريض ، كما يرون) وهي ـ تقريبا ـ نصف مظلمة . .

ـ السلام عليكم . . كيف حالك ياعم محمد . . ؟؟

ـ من ؟؟ من . . ؟

وعرفه ، فردد بصوت محشرج . .

ـ أهلا وسهلا يامحمد . . هو أنت ؟؟ أنا مريض . . مريض مرض مقـد عرفت مثله ما أنـا داري ايش هوه . . هي . . وكل عضو في جسمي . . كل عضو في جسمي يوجعني . .

ـ احنا . . ما احنا عارفين انك مريض كثير ابي دجل المدينة . . وقال اجي ازورك وأسأل اذا أنت تحتاج شيء . .

ـ زارتـك العـافية يامحمـد . . انـا ما احتـاج الا الله يرحمني . . أنـا خايف يامحمد . . خايف ، يمكن ما أقوم من تيه (هذه) المرضه . .

إضـطر محمـد للجلوس بجـانب رأس (عمه) محمد وقد أذهله مايرى . في اربع وعشرين ساعة تغير محمد حطمان . . اصبح هذا الضعيف الخائف كالطفل الضـال . . كالحـمامـة (المصقـورة) . . لم يعـد رجل (المهمات) كما كان يقول ابوه . . لم يعد ذلك الليث الذي يدعس الليل (يدوس الليل كناية عن اختراقه الافاق ليلا) . .

مسكـين محمد حطمان . . بهذه السرعة سوف ينتهي؟؟ عجيب . . وتـذكر محمد أسرار هذا الرجل ومغامراته مع مرعي بن مشعب ، ومع اليهودي . . هذا السر الـذي لايعـرفـه . . (كنت اصرفهـا ولا يعرف احد) . . كنت احصل حوالي خمسين ريال في الشهر الواحد . . ؟؟

ـ لاتخاف ياعم محمد . . الله كريم . . الله بايشفيك ان شاء الله . .

قال هذه الكلمات ، وقـد اصبـح هو يرتجف خوفا . . قالها ليدفع عن نفسه حالة الذهول التي حلت به . . ودخلت (أمـه) راعية تقدم له القهوة وجاملها بمداعبة فنجان ، وسمع محمد حطمان نفخة كبيرة ، وهو يتحول بوجهه اليه ، ويقول :ـ

ـ راعية . . أنـدري (أنـزلي) دخـلى الغنم ، وخليني وحدي أنا ومحمد . . .

قامت راعية زوجته . . واحس محمد انه يوجه الكـلام اليهـما ، فحـاول القيام . . ولكنـه اردف ـ بصوت هادىء . .

ـ لا . . يامحمد . . أقعد ، أقعد أنا بحاجتك ، وعاد محمد . . فبدأ الحاج محمد حطمان . . يقول :ـ

ـ يامحمد . . ياولدي انا قد عملت أشياء كبيرة وكثيرة وأشتى اقل لك بها ، ومن قر بذنبه لا ذنب عليه (من اعترف مثل شعبي) ، الله بايغفرها لي؟؟ . . لكن . . احلف لك ـ من قبل خمستعشر سنة ، من يوم حجيت ـ بطلتها ، ولا دخلت ـ بعدها في محذور . .

صارت الفرصة مواتية لمحمد ليسمع القصة التي تمنى سماعهـا ، وبدأ محمد حطمان يحكيها له تفصيلا وهو يتنحنح ، ويسعل ، بين جملة واخرى ، وكانت القصة :ـ

كان مرعي بن مشعب صديقي ـ ولا زال ـ وقد عرفته وهو في عنفوان شبابه . . وكان مشهورا ومعروفا لدى الناس والدولة في المنطقة ، اول ماتعرفت عليه ، عن طريق احمد بن معلي صديقه ـ توفي رحمه الله ـ جاء الاثنـان الي في بيتي ، وطلب مني ـ مرعي ان ابيعـه مجمـوعه من الكباش التي كنت أربيها ، ولم يساومني كثيرا ، ولم يطلب منى تأجيل دفع المبلغ او بعضه ـ كما تعودنـا ـ بل وافق ودفـع ما طلبت نقـدا . . شيء ادهشني ، وتـركني اكبره في نفسي كثيرا ، وتمنيت لو يكون صديقا لي . . لو يطلب منى اية خدمة استطيع ان أوديها بدون مقابل . . احببته من حينها . .

ومرت أسابيع أو شهران تقريبا ، وأعلن صالح هادي ـ ان أخي ـ بيع جربته (حقل) الملاصقة لجربتي من جهتين . .

وهذه الجربة هي ملك ابي وجدي من زمان . . وهي جزء من أملاكنا . وكم عملت فيها صيفا وشتاء

الى جانب أبي رحمه الله . . وخروج احدى عيني - عندي - أهون من خروجها من املاكنا . . والله اخي هذا شاذ ومستهتر ، ولا يقدر هذه الناحية لدي ، ولا يعرف شيئا عن الرحم أو القربى . . كل همه هي الفلوس التي دفعته الى ان يتزوج امرأة - ثرية من آل مطيع تكبره باكثر من عشر سنوات ، وحياته اصبحت معها وفي قريها ، لم يعد يفكر في قريتنا هذه . . وكان يريد بيع الجربة من صالح مظفر المطيعي ، من أقارب زوجته بمبلغ مأتي ريال فرنسي نقدا . وشفعت البيع (اعلنت أحقيتي به بحكم الجوار) وقد اقر لي البائع والمشتري بالشفعة ، وطلب ابن اخي المبلغ نقدا ، وكما يقولون (الشافع دافع) واعطاني مهلة مدة اسبوع .

وسعل محمد حطمان سعلات متتابعة ، وحاول تغيير وضعه وصمت برهة كأنما يسترجع الماضي . . ثم تأوه وأستمر :-

اعطاني مهلة اسبوع ، وضاقت بي الدنيا فأنا لا أملك المبلغ ولا نصفه ولا ربعه ، ولا أعرف اين اتجه ولا أعرف اين اتجه ، وتعرف حالة الناس المادية ، وخصوصا تجاه مثل هذا المبلغ الكبير ، لي اصدقاء ومعاريف . ولكن . . ليسوا في مستوى هذا المبلغ . ومعي كباش ، ولكنها لاتزال بهما صغار لاتفي بمبلغ ، الى جانب ان بيعها في هذا الثمن - فيما لو وجدت مشتريا - يعتبر اهدارا لثمنها الذي ستعطيه بعد شهر ونصف او شهرين . .

ذهبت يمينا وشمالا ولم أحصل على غير التعب . . اذكر مرعي بن مشعب ، ولكن علاقتي به البسيطة والقريبة ، لاتسمح لي بأن أطلب هذا المبلغ ، ولا تدفعه هو الى تقديمه لي حتى لو طلبت ، كانت زوجتي تتابع محاولاتي وتشاركني همي وألمي وحيرتي . وفي اخر يوم من مهلة الاسبوع وكنا نفطر فوق سطح المنزل . ونتحدث في الموضوع ، وقد خيل الي ان كل هموم الدنيا تخيم علي - صرخت في قائلة :-

القضية لاتستحق منك مثل هذه الحالة التي تعانيها ، اترك ابن اخيك هذا يبيع جربته لمن شاء ، واسترح وارحنا من هذا القلق الذي حرم عينيك النوم سبع ليال . وكأنما رمت - بكلماتها - كل ما اعانيه من حيرة وضيق ، وانفتحت الدنيا في عيني ، واحسست بسعادة لم أحس بها من قبل وقلت : صدقت ياأم يحيى . ونزلت فلبست ملابسي ، وكان يوم جمعة - وقررت الذهاب الى آل مطيع اعلن لابن اخي عدم رغبتي في الشراء ، ثم اعود لأصلي الجمعة في (الطاع) ومضيت ، وفي الطريق شعرت ان سعادتي تلك كانت مؤقته ، وأنها تبخرت وذهبت ، وان الكآبة والحزن قد عادت مظلته فوق رأسي أكثر من قبل . كنت احدث نفسي وأبرر عدم شرائي للجربة ، وان هذا فوق طاقتي . . ولكن دون جدوى . .

وفي مدخل قرية آل مطيع . . رأيت مجموعة من الناس في الوادي جالسين يتناولون القهوة ، وعندما اقتربت ميزت بعضهم ، وكان من بينهم مرعي ، وأحسست بجاذبية نحوه غير عادية ، ومن مسافة غير بعيدة رفعت صوتي بالسلام عليهم فدعوني للقهوة معهم ، فأتجهت نحوهم ، وصافحتهم وجلسنا نتحدث وأنا شبه غائب عنهم بذهني ، ولا شك في ان ملامح الخيبة والتعاسة ظاهرة على وجهي . ولكني شعرت بمتنفس صغير ومؤقت للحديث الذي اخرجني من وحدتي ووساوسي . وعرفت - من خلال الحديث - أن مرعي جاء يشتري من احدهم غنما (كباش) والعمل هذا - كما ذكرت - جزء من اعماله وتجارته - وقمت بعد فنجانين أو ثلاثة - مودعا لمواصلة سيري . وقام مرعي معي يودعهم لينصرف ، ولكنه اقترب مني - وهو يحكي معهم بعض الجمل واقفا - وقبض بيدي اليمنى بيساره ، وتركناهم معا قبل ان يقول لي شيئا ، واخذني نحو الشجرة التي ربط حماره ، ظننت انه يريد مني غنما . . وما ان مضيا بضع خطوات . . حتى التفت الى ضاحكا وهو يقول : ياإبن حطمان . . مالك اليوم؟؟ احد (يعني من الاهل) مريض والا حاجة ؟

- لا والله . . مابه شيء . . مابه الا . . الا . .

- الا يامحمد . . به شيء وأشياء باينة على وجهك ، قل لي . . قل لي . .

وصلنا الى الشجرة فجلس وطلب مني ان اجلس امامه فجلست . .

- هاه . . قل لي . .

- أنا مستعجل - يابو عبدالله - وأنا بأمر من عندك وأقول لك .

- ما أنت راكن علي يابن حطمان؟؟

شعرت بأن عبارته هذه تخرج من أعماقه ، وبعبرة متردد ، لا ادري كيف جاءت ، وصمت

قليلا . . ولم اجد بدا من مصارحته ، فشرحت له كل شيء . .

وبعد ان أكملت . . ضحك مني ضحكة عالية اغضبتني، ولكني ظللت صامتا ، وأنتظرت منه ان ينصحني بعدم الاهتمام الى هذا الحد ، وان . . وان . . الخ . .

ولكنه قام الى حماره وهو يقول لي: اتبعني الى البيت اسلمك المبلغ ، وركب حماره ومضى ، لم أكن أصدق ماقال ، وتبعته حتى بيته ، اتجهنا الى المسجد وصلينا الجمعة ، وبعدها اصر على ان اتغدا لديه. وبعد الغدا سلمني مأتي ريال نقدا وبكل بساطة. حاولت ان نستدعي احداً يكتب له سندا ولكنه رفض وقال ضاحكا:-

- ياإبن حطهان. . وجهك عندي أغلى من كل شيء وطلب مني اعود اليه بعد إسبوع .

كان محمد يستمع الى الحاج محمد حطهان بانصات ودهشة ، وهو يحكي بداية علاقته الصاحبة مع ابن مشعب. يحكيها والسعال يقطع بعض كلامه . .

بعد اسبوع واحد - وفي يوم الجمعة - بكرت الى مرعي ابن مشعب في بيته . ودعاني الى الدخول ، وكان في مخزن في البيت، يكيل كومة من القشر (قشر البن) تقدر بحوالي عشرين قدحا . .

(القدح مقياس لمكيال الحبوب وما اليها) . . وظل يكيل وأنا أسكب من (جمنته) وأشرب القهوة حتى أكمل الكيل ، وصعدنا معا الى غرفته. وهنا كشف لي مرعي كل خفاياه. وكان - بالطبع - قد أمتلك كل مشاعري بدون منازع . .

- اسمع يابن حطهان. . انا احببتك واعجبت بك من أول يوم تعارفنا فيه. ولا يزال اعجابي يزداد برجولتك وصدقك. ومن أول يوم عرفتك فيه ، ظننت انك الرجل الذي سيساعدني في عملي ، والذي بحثت عنه كثيرا ، واليوم اقول لك حقيقة عملي هذا بأنه يحتاج الى شيئين هامين جدا هما : الشجاعة والسرية ، الشجاعة والمغامرة وكتم كل شيء وعن كل الناس ، وفي هذا العمل الذهب الخالص. سنستفيد معا. فما رأيك؟

- يابو عبدالله. . انا لا انسى جميلك علي حتى أموت. وأنا مستعد للعمل معك مهما كانت خطورة هذا العمل . .

- وثق بي كما تثق بنفسك.

وبدأ ابن حطهان يعمل مع مرعي في التهريب . . تهريب طبعا متبادل مع عملاء لابن مشعب في الجانب الاخر .

تهريب كلبن و(القشر) والسلاح والذخيرة ومواد غذائية اخرى . .

- كنا نمضي عند الظهيرة ، حتى نقترب من مناطق الخطر فنقف نتقهوي ونتعشى ونتحدث حتى ينتصف الليل ، وحينها نتحرك ونواصل السير في طرق غير معروفة ولا مسلوكة . . ننزل الشعاب ونصعد الجبال في حذر وصمت وبنادقنا جاهزة على أكتافنا ، وقد شددنا افواه الحمير والجمال بخيوط خاصة حتى لايخرج منها صوت. . وفي كهوف معروفة لنا وللعملاء . . نلتقي نسلمهم ما معنا ويسلمونا مامعهم من سلع ونقود (قيمة السلع التي سبق ان سلمناها اليهم او سلموها الينا) ونعود فلا نقف الا في نفس المكان الذي وقفنا فيه عند الذهاب وهكذا . . كانت هذه المغامرات تدر علينا نقودا كثيرة وكم صادفنا اثنائها عدة مشاكل مرة تهطل علينا الامطار حتى تعجزنا عن الاستمرار في المشي ونضطر للتوقف في مناطق الخطر والاختفاء بين صخور أو أغوار حتى المساء الثاني ، ومرة نخطىء الطريق ، فلا نعرف الا ونحن قريبا من دوريات الحدود . ومرة . . ومرة. . . الخ . .

وذات مساء. . كان ابن حطهان لدى مرعي في بيته واستمرا يتحدثان حتى أقترب منتصف الليل . . وحينها لبس مرعي حزامه . ، وقام قائلا:-

- قم معي يابن حطهان

- استغرب ابن حطهان وخصوصا انهما لم يكونا - هذا الليلة - على موعد مع احد . .

- الى أين؟؟

- قم وسأخبرك في الطريق . .

- احضر لي بندقيتين.

- لسنا بحاجة الى بنادق، المشوار قصير جدا . .

ومضى معه الى حيث لايعلم وفي القرية نفسها، وقف مرعي على باب بيت وطرقه بخفة .

باب بيت يهودي اسمه يحيى سالم، وهو مشهور بصياغة الفضة .

خرج يحيى سالم نفسه ففتح الباب بسرعة دون ان يقول شيئا ، وأوما لنا بالدخول فدخلنا غلق الباب

باحكام ثم مضى امامنا ونحن ورائه . . دخلنا باب البيت الداخلي ثم بابا واخر مغلقه باحكام يفتح كل باب ثم يغلقــه ونحن ورائــه حتى أوصلنا في نهاية الدهاليز وهو يضيىء لنا ب(قازه) - الى غرفة تحت الارض تقريبا ، وفيها ادوات ومعامل من نوع معامل الصياغة التي يستخدمها في صياغة الحلي ، او هي هي ، وأغلق باب هذه الغرفة من الداخل ، ثم ضحك وقد ظهر عليه الاطمئنان ، وقال لنا :-

- اجلسوا

- جلس مرعي مطمئنا لايظهر عليه اي قلق او خوف وكانت شجاعته نادرة لم اعرف مثلها في رجل ، حتى وقت الشدة والخطر ، ابدأ احس بالقلق والخوف ثم أقترب منه - ونحن في الجبال والوديان يمضي ليلا - فأجده هادئا يهنهن - بصوت خافت - باغان من أغاني رعاة الغنم او المناسبات . .

وذهب يحيى سالم الى زاوية يفتش عن أشياء لا أعرف ماذا سيخرج علينا به وقال ابو عبدالله :-

- ياجار . . (كلمة يطلقها اليهودي على المسلم في اليمن والعكس تحل محل يا أخ أو ياصديق) كيف تصنعون الخمر؟؟

- هل تريد ان أعلمك صناعته ، يابو عبدالله؟؟

- لا . أعوذ بالله . . هذا عندنا أحرم الحرام . .

وعاد يحيى سالم فوضع بين أيدينا حوالي عشر بقش نحاسية جديدة تلمع ، من البقش (البقشة - حينها - عمله معدنية تساوي الان حوالي ريال يمني) من البقش الجديدة التي قلما كنا نراها . .

أخذ منها ابو عبدالله مجموعة وبدأ يقلبها على ضوء القازة ، ويسلمها الي لانظر فيها وانا لا ادري مايحدث ، ولا ماهو وجه الاهتمام بهذه البقش ، ثم قال لي :-

- هاه . . ما رأيك؟؟

- رأي في ماذا ؟؟ انا لا أفهم شيئاً

- هل ترى ان هذه البقش يمكن ان تعرف بسهولة؟؟

- طبعا . . تعرف بسهولة كسائر البقش!

- وهل أنت مستعد لصرفها؟؟

- جدا مستعد . .

وأخذت بعضا منها - وأنا في حالة دهشة مشوبة بالانفعال والاستغراب - وناولتها ليحيى سالم ، وقلت : ياجار . . اعطيني زبيبا بهذه البقش وزيده شويه . .

وانفجر الاثنان ضاحكين مني ، وفجأة . . عاد مرعي الى جده وقال :-

- هذه البقش مصنوعة هنا عند يحيى سالم ، اتفقت عليها معه من فترة ، وهذه عينات عملها نريد ان نعرف مدى مطابقتها - بدقة - للبقش حق الدولة . اتفقت معه على ان يقوم بصناعتها ، ونقوم - انا وأنت - بتوزيعها وصرفها ، والربح مناصفة بيننا وبينه ما رأيك؟؟ هل عرفت الآن . ؟

- عجيب . . عرفت . . عرفت . .

- مالك؟؟

- لا شيء . . ولكن فيها خطورة بالغة .

- طبعا خطورة ، لكن (ماتجي الفلوس اليك الا بعد ماتروح لها) .

وطلب مرعي من اليهودي مهلة الى الليلة القادمة حتى نتأكد من مطابقتها .

وفعلا . . أذكر اننا - في اليوم التالي - خلطناها ببقش حكومية ، وصرفنا منها اكثر من مأة بقشة دون أي شك او شبهة فيها من قبل احد . .

ونجحت الفكرة و(البقشة) وكان أساس نجاحها ابن حطهان الذي كان يأتي ليلا الى منزل (اليهودي) فيأخذ منه ماسبكه (صنعه) من البقش ، ثم يسافر به الى المناطق الغربية . . رازح خولان ، تهامة ويعود . . وقد أستبدلها كلها بريالات فضية (عملة ماري تريزا الفرنسية) . .

أستمر ابن حطهان في هذه المغامرات بشجاعة وجرأة واقدام ، ينفذ توجيهات رئيسه ابن مشعب بكل دقة ، يرد ويصدر عنه . .

ولكن . كان في داخله تراكمات من الشعور بالذنب . . شعور بانه يمارس عملا محرما ، عملا غير مشروع عملا يعاقبه عليه الله ، ويسبب دخوله الى نار جهنم ظل هذا الشعور يزداد ويتكاثر ، وهو يحاول ان يلوي له فابن مشعب صديق بل أكثر من صديق ، شخص اعطاه زمام اموره وولائه تعرفه ، بكل حب وصدق يدفعانه الى التفاني اكثر في حبه وتنفيذ مايريده ، بصرف النظر عن انه كان يوزع ويستفيد استفادة مادية لم يكن ينتظر الحصول عليها . .

وجاءت ليلة لم يكن اي من الاثنين ينتظر مثلها ، ليلة غيرت حياة الاثنين تغييرا كاملا وكانت مفاجئتها بداية فصل جديد وجديد منها ، ونهاية لمرحلة مرت .

الورقة الأولى :

المسيرة الديمقراطية عبر المؤتمر الشعبي العام

«أمانة سر اللجنة الدائمة»

استطاعت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة ان تغير وجه الحياة في الارض اليمنية وتحرك عجلة التاريخ من جديد ليؤدي الشعب دوره الريادي في بناء الحياة على الاسس الحضارية التي ترتكز عليها شخصيته المبدعة . .

والتغيير الثوري الذي احدثته ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة في اليمن ارضا وانسانا عبر مسيرتها النضالية العملاقة بفضل الارادة الوطنية الثورية والعمل الثوري الحاسم وتضحيات الشهداء الابرار تجسد في عظمة المنجزات والمكاسب التي غيرت طبيعة الحياة في بلادنا عما كانت عليه قبل قيام الثورة الظافرة من حياة عانت من وطأة الظلم والتخلف والفساد الى حياة تتسم بالحرية والكرامة والديمقراطية والسيادة الوطنية وتحقيق المنجزات والمكاسب التنموية وتحديث مؤسسات الدولة وتطوير أساليب عملها وادائها وتمكين الشعب بارادته الثورية الاصيلة من صنع حاضره ومستقبله بعد ان استطاعت الثورة ومسيرتها التحديثية الحضارية من الاهتمام بالانسان بإعتباره هدف التنمية ووسيلتها فعملت بكل اقتدار على صياغة الانسان اليمني الحضاري الجديد من خلال التغيير الذي احدثته في نفسية المواطن وحياته واسلوب ممارسته لها فعززت ثقته بنفسه وبقدراته على بناء وتطوير حياته بإرادته الحرة عبر الوسائل والاساليب الحضارية التي عكست فعالية مشاركته القادرة خلال مسيرة الثورة التي واجهت التحديات والصعوبات والتي تجاوزت انفاق الزمن المظلم الى رحاب البناء والانجاز والحرية والديمقراطية . .

وفي السابع عشر من يوليو (تموز) ١٩٧٨م تحمل الاخ الرئيس الامين العام للمؤتمر الشعبي العام العقيد/ علي عبدالله صالح مسئولية القيادة ليزداد بذلك الوهج الثوري وضوحا ، والانجاز السبتمبري تقدما على درب التحديث والبناء .

فتعززت التحولات الثورية واخذت ابعادا حضارية اكثر عمقا وابلغ مدى في مجالات العمل التنموي والديمقراطي اذ تجسدت القيم الانسانية العظيمة المتصلة بالحفاظ على كرامة الانسان وحريته ومشاركته بترسيخ الحرية والمساواة وتكافوء الفرص والعدالة الاجتماعية مع الاستمرار الطموح في تحقيق المنجزات والمكاسب التنموية والديمقراطية وتحديث كامل مؤسسات الدولة وتطوير أساليب عملها وادائها . . الامر الذي أكسب الثورة انطلاقة أقوى في المضي بخطوات اهم بعد ان تحقق لها رسوخها وثباتها والنمو الجاد والسريع صوب تحقيق اهدافها ومبادئها الستة . . واخذت حركة التاريخ اليمني تتجه في مسارها المستقيم صوب التطور الثوري السليم .

ويتعالى طموح شعبنا وقد حققت ارادته العامة اكبر انتصار في مجال العمل الديمقراطي تمثل في صياغة الميثاق الوطني دليل عمله السياسي واسلوب هذا العمل الذي تحدد عبر خياره الديمقراطي المتمثل في المؤتمر الشعبي العام الذي اتسعت قاعدة عضويته فامتد الى كل قرية وعزلة وحي ومدينة في عموم الجمهورية .

ان من اعظم ماتحقق عبر مسيرة الثورة هو تأكيد ذاتية الانسان اليمني وتأصيل حقه في المشاركة الشاملة

من خلال الوسائل الديمقراطية التي اخذت في التطور عبر مسيرة الثورة والتي ازداد نطاقها وتوسعت معطياتها الديمقراطية بانبلاج عهد الميثاق الوطني وقيام المؤتمر الشعبي العام الكيان الجماهيري المستوعب لمشاركة الشعب وفاعلية ابداعاته لتحقيق اهداف المجتمع العليا وليدافع شعبنا عن منجزات الثورة ويدفع بأهدافها الى التطبيق الكامل في مختلف مجالات الحياة العامة .

فقد جاءت مرحلة الميثاق الوطني لتكرس هذه السمة الحضارية بتحشيد الجماهير وتعبئتها في موقف واحد وارضية فكرية واحدة نبعت من ذات - شعبنا الاصيلة وتجسدت في ميثاق وطني تعاهد الشعب عليه ليصوغ نهجه الديمقراطي في حياته المعاصرة سبيلا للمشاركة العامة ونهجاً يؤكد الوحدة والاستقلال والسيادة وتحقيق المساواة والمشاركة الشعبية والعدالة الاجتماعية ليغدو العمل الديمقراطي سلوكا تمتد فاعليته في كل اجزاء البنية الاجتماعية والى مختلف مجالات حياتنا العامة .

ولقد جاءت تجربتنا السياسية المتمثلة في المؤتمر الشعبي العام خيار شعبنا الديمقراطي استجابة للمطالب الحضارية التاريخيه الراسخة في ضمير الشعب وتحقيقا لما جاء في البيان الاول للثورة الذي اذيع صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر في إقامة تنظيم شعبي واحد يحشد الجماهير للدفاع عن الثورة وتحقيق اهدافها وترسيخ الحياة الديمقراطية في حياتنا العامة.

وفي هذه الورقة نسلط الضوء على ابرز ملامح العمل السياسي الديمقراطي في الجمهورية العربية اليمنية :-

□□ اولا : الحركة الوطنية والنضال من أجل التحرر والديمقراطية :-

لم يعرف اليمن قبل قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة وفي عهد الاستبداد الكهنوتي اي شكل من اشكال الديمقراطية أو العمل الشعبي المنظم .

فالامام هو مجمع السلطات ومحتكر القرار بل هو مصدر كل امر صغر أو كبر فغاب مع ذلك كل أشكال التنظيم وامتد هذا الغياب الى كل أوجه الحياة باستثناء جهاز الجباية والضبط ، فلم يكن هناك دستور يحدد شكل النظام والسلطات ويحدد اختصاصاتها بل لم يصدر قانون أو مرسوم ينظم الادارة ويوزع لاختصاصات .

ان التخلف الدستوري والتنظيمي الرهيب كان جزءا من حالة التخلف العام وكان غياب دور الجماهير يجسد آحادية القرار وسلطة الفرد المستبد ولما لم تثمر الخطوة الاولى في عملية الاصلاح والتي تمثلت في توجيه النصح للامام ونظامه باستيعاب مقتضيات العصر وتحقيق مطالب الشعب والخروج به من شظف الحياة وظلمة الجهل والدخول كسائر الشعوب الى حياة القرن العشرين فإن الاحرار وأمام قمع الإمام وتهديده ساروا صوب العمل المنظم لتعبئة الجماهير وتنويرها : . وتشكل العديد من الجمعيات الادبية والثقافية والاجتماعية كخطوة أساسية للمعارضة وتقويض عرى الاستبداد من خلال الشعب نفسه وتنوعت أشكال وأساليب الارهاب والقمع التي واجه بها النظام المستبد حركة الاحرار وتنوعت وقويت في نفس الوقت أساليب العمل الرافض للظلم والقهر والتخلف والجهل والمرض وازداد اليقين الثوري رسوخا بالاعتماد على كل المستنيرين واتسع نطاق العمل المنظم (للقضاء على الحكم الفردي الاستبدادي واستبداله بحكم دستوري يقوم على المؤسسات الدستورية .

وأشرقت ارادة شعبنا بالانتصار واسقطت الطاغية وتوج جهاد الاحرار بقيام ثورة ١٩٤٨م التي قضت على الامام يحيى واعلنت قيام الدولة الدستورية وحكم الشورى واعلان (الميثاق المقدس) وارادت هذه الثورة ان تنفذ باليمن الى عصر النور وتؤكد على ذاتية الانسان وحقه في البناء والمشاركة من خلال المؤسسات الدستورية التي اوضحها الميثاق الوطني المقدس لتساير الامم المتحضرة بما لايخالف ادنى مخالفة للتعاليم الاسلامية السمحة الصحيحة .

وعلى ان يتم قيام السلطة على الرضا الشعبي باعتبار الشعب هو صاحب الحق في تعيين الحاكم أو اسقاطه فنص (الميثاق المقدس) على ان تعيين الحاكم يبنى على البيعة من ممثلي الشعب وبالشروط التي تؤكد على التزامه باحكام شرع الله والالتزام بتحقيق مصالح الشعب العليا ، كما حدد (الميثاق المقدس) السلطات وبين اختصاصاتها ومهامها واكد على شوروية النظام بالعمل لاعداد مشروع انتخاب مجلس الشورى (الهيئة

التشريعية) من قبل كل اليمنيين في الداخل والخارج والتأكيد على ارادة الامة في العمل ومحاربة الجهل والفقر والمرض وتجاوز تركة التخلف المتراكمة التي خلفها عهد الاستبداد الحميدي واقامة العهد الجديد مؤسسا على المجد والنهوض بتعاون ومشاركة كل اليمنيين .

وهكذا حاولت هذه الثورة الدستورية بكل معطياتها وامكاناتها ان تشكل مسارا تاريخيا جديدا في حياة الشعب وتؤكد على أهمية الشورى باعتبارها إحدى الاسس التي يبنى عليها النظام السياسي في الاسلام باعتباره مطلبا سياسيا من ناحية وواجبا دينيا من ناحية اخرى ، هذا الى جانب كونه احد مقومات شخصية شعبنا الحضارية التى لاتنفك عنه أبدا ومهما حاولت قوى الاستبداد والتخلف طمسه او تقليص دوره في ظروف أو فترات زمنية معينة فإن الشعب يستمر في تحقيق ذلك المطلب العظيم .

وعلى الرغم من ان سقوط هذه الثورة قد ارجع اليمن الى حظيرة التخلف الشامل والاستبداد والتسلط وطغيان الفرد وتغييب المشاركة الشعبية ، الا انها قد احدثت هزة عنيفة في أعماق الشعب اليمني ثم اصبحت بمرور الزمن قوة دفع ايقظت وعي الشعب لقضيته وحقوقه الوطنية ودفعته في طريق الثورة لتحقيق طموحاته في حياة افضل وكانت التضحيات الجسيمة التي حدثت إثر فشل الثورة واستمرار حكم الطغيان والاستبداد والتخلف مقدمة هامة للانتفاضات التي تلتها .

ولم يكن عهد احمد حميد الدين اقل قسوة من عهد ابيه بل لقد ران ـ على نظامه ايضا اصناف من التخلف والاستبداد والظلم وسفك الدماء والجهل ولم تعرف اليمن ايضا خلال حكمه اي شكل من اشكال التنظيم او التشريع فلا دستور ولا قانون ولا لائحة منظمة بل كان هناك استبداد الامام وطغيانه وظلمه وما يعانيه الشعب من ويلات الجوع والجهل والمرض ظلمات بعضها فوق بعض .

ولقد ساقت انتفاضة ١٩٥٥م بما احاط بها من عوامل وملابسات حركة الاحرار الى منعطف حاسم ، والى نقلة هائلة في التفكير ، اذ جعلتهم يراجعون مواقفهم ، ويقررون تجاوز الامامة الدستورية كمرحلة ، ويعلنون دعوتهم لقيام النظام الجمهوري الاسلامي الديمقراطي ، على أساس ان هذا النظام هو نظام الحكم الاسلامي المناسب لهذا العصر .

وتواصل نضال شعبنا عبر العديد من المحاولات الثورية ، كمحاولة العلفي واللقية والهندوانة ، وتمرد القبائل المختلفة وبعض وحدات الجيش ، ومظاهرات الطلاب ، وغيرها من الانتفاضات التي شكلت ارهاصات للثورة حتى قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م المجيدة لتحقيق هذا المعطى التاريخي الهام لتغيير الواقع اليمني في مجالات الحياة العامة ، وقد جاءت اهدافها ومعطياتها الثورية ، لتمثل خلاصة نضال شعبنا من أجل الحرية والتقدم الشامل .

وقد ورثت الثورة واقعا متخلفا ، تجسد في ذلك الكم الرهيب من ارث الجهل والفقر والمرض . . كما واجهت تراكمات كبيرة من التخلف العام وتحديات استهدفت النظام الجمهوري .

غير ان قوة شعبنا كانت اكبر من كل التآمرات وفوق الخيانة والتحدي ، وبصمود كل ابناء الشعب المخلصين ، انتصرت الارادة الثورية لتشكل بذلك تحولا تاريخيا عظيما في حياة شعبنا . . الذي تماسك وناضل حتى انتصرت الثورة . . واستقر النظام الجمهوري ، والى الابد .

واحتل البعد الديمقراطي جانبا أساسيا من أهداف الثورة السبتمبرية وتطلعاتها في التغيير والبناء . . فمع انطلاقة شرارة الثورة الاولى ، التي حطمت الاستبداد ، اخذ شعبنا يعمل ويناضل لتأسيس مجتمع الديمقراطية ، ليحقق احد اهداف ثورته المجيدة ، الذي ينص على :ـ (انشاء مجتمع ديموقراطي تعاوني عادل مستمد أنظمته من روح الاسلام الحنيف) . .

ولأن النظرة الى الامل لاتعني تحقيقا آليا له . . فقد مضت مسيرة الثورة في مرحلة المعاناة التطبيقية ، مفتقدة للوجود الديمقراطي الصحيح . . وهو امر ليس بجديد ، فغالبا ماتفشل الانظمة الثورية في تحقيق التوازن بين متطلبات الدفاع عن مشروعها الثوري وبين الديمقراطية ،كشرط موضوعي لنجاح العملية الثورية المتكاملة . . ولم تشذ ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عن ذلك ، خاصة وان الحرب الشرسة والحاقدة التي واجهتها من لحظة انفجارها ، قوت مبررات الحزم وشغلت الثوار عن قضايا التثوير الكلي

لمفردات الواقع ، واستحثت همتهم في معركة الدفاع عن الثورة وتثبيت النظام الجمهوري .

ولقد واكب هذا الغياب للديمقراطية ، والذي اسفر عن كثير من الاخطار ، وصول عناصر مشبوهة ، انتهازية الى مراكز السلطة ، مستغلين انشغال القوى والعناصر الوطنية بمعارك الدفاع عن الثورة والجمهورية . . وكادت الثورة ان تتعرض للفشل الكامل ، بسبب الممارسات الخاطئة التي حدثت باسمها . . لولا الارادة الشعبية الحرة ، التي مثلت السد العظيم الذي حمى الثوره ونصرها الجمهوري . .

وهي الاردة التي وقفت بالمرصاد لمحاولات اجهاض الثورة او تحوير خطها الاساسي بعد ان نمت في ذاتها روح التحدي ، التي تأججت في أتون المصاعب والمشاكل والمآسي وشدة الهجمة الحاقدة . . لتعصف بكل التحديات ، وتزداد تماسكا ونضالا حتى انتصرت الثورة واستقر نظامها الجمهوري والى الابد .

ان الظروف العامة التي مرت بها مسيرة الثورة في مراحلها التكوينية الاولى لم تمكن من توافر الظروف الموضوعية التي تتأكد في العملية الديمقراطية في واقع اليمن وبناء المجتمع الديمقراطي الذي نص عليه الهدف الرابع من اهداف الثورة . . ومع ذلك فإن مسار الطموح الديمقراطي ، الذي كان ينبع من طبيعة المرحلة ويتماشى مع واقع الاحداث ، كان يتجسد في العديد من المؤتمرات النوعية والعامة ، التي كانت تهدف تأكيد فاعلية العمل الشوري ودعم العمل الوحدوي للانطلاق من موقف موحد يتجاوز الصراعات والتناقضات بمسعى من الارادة الثورية لابناء الشعب والمبادرات الشعبية التي هيأت الثورة اسبابها وأملت الاوضاع وقائعها .

وفي هذا السياق جاء مؤتمر خمر من ١ ـ ٤ محرم ١٣٨٥هـ الموافق ٢ ـ ٥ مايو ١٩٦٥م . . وتوالت العديد من التكوينات السياسية الشعبية على هيئة مؤتمرات نوعية وعامة . . حيث انعقد المؤتمر العام للاتحاد الشعبي الثوري في صنعاء في الفترة ١٨ ـ ٢٠ يناير ١٩٦٧م ، وانعقد كذلك مؤتمر سبأ في ١٩٦٧/٣/٣م كما انعقد مؤتمر لعلماء اليمن في يناير ١٩٦٨م ومؤتمر المقاومة الشعبية بصنعاء ١٩٦٨/٣/٤ ومؤتمر القوات المسلحة والامن بصنعاء في ١٩٦٩/٣/١١م والمؤتمر الشعبي المنعقد في صنعاء ١٩٦٩/٣/١٤م وغيرها من المؤتمرات * التي تدارست اوضاع المرحلة الجديدة ووضع التصورات والمقترحات لصياغة المستقبل ووضع القواعد للحكم الشعبي الشوروي .

وبانتصار الثورة ودحر الاعداء . . مضت الثورة في مسيرة البناء وتأسيس قواعد الدولة المركزية الحديثة ، ونجحت في احراز خطوات ديموقراطية كان ابرزها وجود دستور دائم للبلاد وقيام (مجلس الشورى) مجلس الشعب التأسيسي فيما بعد ، والذي مثل نواة طيبة للممارسة الديمقراطية .

وبرز كذلك على الدرب الديمقراطي قيام هيئات التعاون الاهلي للتطوير . .

□□ المسيرة الديمقراطية عبر المؤتمر الشعبي العام :ـ

تؤكد الشواهد التاريخية بأن شعبنا لم يصنع حضارته وتاريخه العريق الا في ظل كيان قوي ومتماسك وفي ظل حكم قائم على اساس شوروي ديمقراطي يستمد صلابته من المشاركة الشعبية ويرفض ويقاوم كل اشكال التسلط والهيمنة التي تقود الى الصراع والتمزيق . . ومنذ ان انتصرت ارادة شعبنا يوم السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة وهو يناضل ويدافع عن الثورة ومبادئها الخالدة ومن أجل الحياة الديمقراطية التي جعلتها الثورة من ابرز اهدافها تحقيقا لطموحات شعبنا في التطور والتقدم .

ولما كان النضال الثوري يكتسب اهميته بمدى تعبيره عن القطاعات الشعبية الواسعة من جانب ومدى مشاركة هذه القطاعات في صياغة الاحداث والتحولات من جانب آخر .

لهذا ادرك الأخ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح منذ تحمله المسئوليات القيادية خطورة تغييب الجماهير وازاحتها عن المشاركة في صناعة القرار وما يترتب عليه من جر العمل الثوري الى مزالق الارتجال والاستبداد .

كما ادرك الاخ الرئيس القائد الامين العام ان تقييم الوضع الناجم عن غياب الدور الشعبي لايأتي بدون الوضع النظري الذي يجنب العمل الوطني مغبة

* وفي هذا السياق كان قد إنعقد مؤتمر عمران والجند كما أنعقدمؤتمر الشباب في صنعاء في مارس ٦٩ بمقر المجلس الوطني آنذاك وأذيعت قراراته وتوصياته والذي عني بالموقف الوطني بعد المصالحة الوطنية . . «الاكليل» .

الوقوع في دوامة التجريب والضبابية الفكرية وفي ضوء الادراك وبجسارة القائد الذي لايتهيب امام مايرى انجازه ضروريا لتطوير الاداء الثوري وتوفير شروط انجاح المسيرة الوطنية كان لابد من ايجاد وثيقة وطنية يتوفر لها الاجماع الشعبي مبلورة لاهداف الحركة الوطنية والمبادىء السبتمبرية الخالدة واستكشاف اسلوب متطور للممارسة الديمقراطية لتأطير الجماهير في وعاء سياسي يتحمل مسئولية العمل السياسي بصورة تكفل النجاح والتفوق وتحقيق البعد الثوري الذي تم الاعلان عنه صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر في بيان الثورة الاول الذي اكد على تنظيم جماهيري موحد يشارك في عملية البناء الثوري ويرسخ اهداف الثورة المباركة .

ولقد مثل اقرار الميثاق الوطني ضرورة كان لابد من انجازها للمحافظة على المسار الوطني ولما تقتضيه الظروف الواقعية لشعبنا والاحتياجات الوطنية وما يمليه منطق الثورة من ضرورة مراجعة التجارب والمواقف وتحديد المعالم السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بصورة اوضح واعمق انطلاقا من اهداف الثورة وتحقيقا لطموحات الجماهير في التطور والتقدم ولتجاوز مرحلة الفراغ الفكري والسياسي التي سبقت مرحلة الميثاق الوطني والتي شكلت منعطفات خطيرة تهدد مسيرة الثورة واستقرار شعبنا ووحدته الوطنية بفعل التراكمات السلبية والاعباء الجسيمة التي تحملتها الثورة وغياب الرؤية الواضحة لمسيرة العمل الوطني .

ومن هذا المنطلق كان لابد من وجود ميثاق وطني يستمد مباداه من شريعتنا الغراء وينسجم مع اهداف الثورة المباركة ومنهاجا يعبر عن آمال وتطلعات جماهير الشعب وحصانة من كل عوامل الاختراق التي تستهدف عقيدتنا ومبادىء الثورة . . ويستجيب مع ماتقتضيه مرحلة البناء الثوري والتي تقتضي ضرورة (البحث الجاد والصادق عن افضل السبل لبدء الانتقال بالثورة من مرحلة الشعار الديموقراطي الى مرحلة التطبيق الديمقراطي) وهو مايتطلب وضوح الهدف وسلامة الوسيلة .

وحين اعلن الاخ الرئيس القائد الامين العام إثر الدراسة المتأنية الناضجة مع رجال الدولة ومختلف فئات الشعب عن ضرورة وجود ميثاق وطني يكون نواة للوحدة الفكرية تشكلت من أجل ذلك لجنة من مجلس الشعب التأسيسي ومن خارجه ضمت مختلف الكفاءات والقدرات الوطنية وانبثقت من تلك اللجنة لجان فرعية شملت مختلف التخصصات ، واجريت اللقاءات وأقيمت الندوات والحوارات ، وتمخض عن تلك الجهود الفكرية مشروع الميثاق الوطني الذي قدم للاخ الرئيس القائد فأحاله على المجلس الاستشاري للمناقشة وبرزت من خلال نقاشه ملاحظات جعلته مشروعا اشمل ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل قرر الاخ الرئيس القائد ضرورة طرحه في اجتماع موسع ضم المجلس الاستشاري ومجلس الوزراء ومحافظي الالوية وغيرهم من المسئولين في المؤسسات الرسمية والعسكرية والمدنية والشعبية ، وصوت الجميع عليه كمشروع يعرض على الشعب .

وايمانا من القيادة السياسية بزعامة الاخ الرئيس القائد الامين العام على تمكين كل ابناء الشعب من ممارسة حقهم في الاسهام في صياغة فكرهم الوطني صدر القرار الجمهوري رقم (٥) لسنة ١٩٨٠م بتشكيل لجنة الحوار الوطني والتهيئة للمؤتمر الشعبي العام ضمت مختلف عناصر الفكر الوطني لتقوم بعرض مشروع الميثاق الوطني على جميع المواطنين وتقصي ارائهم ووجهات نظرهم فيه عبر المؤتمرات الشعبية المصغرة التي انعقدت في جميع مناطق الجمهورية وواصلت اللجنة اعمالها مايقرب من عامين عبر الحوارات وتم عرض المشروع على الشعب لاستبيان رأيه وتمت عملية الاستبيان باسلوب ديمقراطي شارك فيه الجميع بروح مسئولة وواعية باشراف اعضاء لجنة الحوار على عملية الاستبيان وعادات الاستمارات الى اللجنة بعد ان ادلى كل مواطن برأيه في كل باب وفصل من المشروع ، وقامت اللجنة بفرزها وتفريغها الى مجالاتها وأبوابها وعلى ضوئها اعادت صياغة مشروع الميثاق الوطني ولم يكن الاكتفاء بذلك بل جاء القرار الجمهوري رقم (١٩) لسنة ١٩٨١م بتحديد اعضاء المؤتمر الشعبي العام بألف عضو يمثلون الشعب على ان يتم انتخاب ٧٠٪ من اعضائه من قبل المواطنين انتخابا حرا و٣٠٪ يتم اختيارهم من قبل الدولة لمراجعة مشروع الميثاق الوطني في ضوء نتائج استمارات الاستبيان واقراره في صيغته النهائية وتحديد اسلوب العمل لتطبيقه . .

- وأصدر الاخ الرئيس القائد الامين العام قرارات جمهورية تتعلق بذلك وهي :-

١ - القرار الجمهوري رقم (٢٨) لسنة ١٩٨١م بتكليف اللجنة العليا واللجان الفرعية لانتخابات هيئات التعاون للموسم الانتخابي التعاوني الثالث بالاشراف على انتخابات ممثلي المواطنين في المؤتمر الشعبي العام.

٢ - قرار رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة رقم (٥٣) بانتخاب ممثلي المواطنين في المؤتمر الشعبي العام.

٣- قرار رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة رقم (٥٤) لسنة ١٩٨٢م - بالدعوة لانعقاد المؤتمر الشعبي العام.

وبحمد الله وتوفيقه انعقد المؤتمر الشعبي العام في الفترة من ٢٤ - ٢٩ اغسطس ١٩٨٢م واتخذ عددا من القرارات الهامة والايجابية . . وفي مقدمتها اقرار الميثاق الوطني بصيغته النهائية واقرار استمرارية المؤتمر الشعبي العام ، كأسلوب للعمل السياسي الشامل لكل الشعب .

ونجد من الضرورة هنا ان نسلط بعض الضوء على الحوار الوطني الذي اثمر هذه النجاحات التاريخية الرائدة في مسيرتنا الديمقراطية .

والذي فتح ابوابه واسعة الاخ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح . . أمام كل الفعاليات والعناصر الوطنية ليتأكد كسلوك حضاري ثوري سليم ، وكسبيل امثل لتحقيق حياة افضل للجميع . . ولتبرز من وسط معطياته العديد من المؤشرات منها:-

١ - تأصيل الحوار كبديل للفرقة والانقسام وخطر التصدع في البنية الوطنية .

٢ - توضيح حقيقة أن الاختلاف في الرأي ، وتعدد الاجتهادات في الحل ، امر طبيعي ، يتفق وحقائق الحياة ومتغيراتها ، وتجدد الظروف الخاصة بالعمل الوطني . . وبالمقابل الموضوعي ، يكون التشديد الجاد على ان اي اختلاف يمكن معالجته بالوسائل السلمية عن طريق للحوار الموضوعي الحريص على الوحدة الوطنية والذي لايمكنه أن يفرط في الثورة ومكتسبات الشعب .

٣ - تأكيد أن الحوار وفي اطره المشروعه وفي مناخات ديموقراطية ، هو السبيل الدائم لمواجهة اية معضلات . .

٤ - التأكيد على أنه مع الايمان باهمية مبدأ الحوار . . الا أن هناك امورا استراتيجية لاتقبل المساومة ، كعقيدتنا الاسلامية والثورة وأهدافها . . وكذا استقلال الوطن وسيادته .

٥ - التأكيد على انه بقدر ما جاء الحوار الوطني ليمثل البديل الموضوعي لمحاذير الفرقة والانقسام ، والخيار الامثل لتحقيق حياة افضل للجميع . . وبقدر ماجسد في مضامينه الحق الشعبي الشامل في المشاركة السياسية وصنع القرار ورسم طريق المستقبل . . فإنه بحق مثل محكا ثوريا ديموقراطيا في هذه المرحلة ، من أجل ان يسهم الجميع بعيدا عن المزايدة ، وفي اطار من الشرعية والوضوح في بناء صرح اليمن المتقدم وتعزيز مسيرته الثورية الديموقراطية /.

وهكذا بإقرار الميثاق الوطني ، الاطار الفكري الذي يمتلك في مضامينه وابعاده مقومات الاسس اللازمة لضمان المسيرة الثورية ، بآفاقها الروحية والمادية . . انتصرت الارادة الشعبية وتحدد خيارها ايضا باقرار المؤتمر الشعبي العام كإطار عام لممارسة العمل السياسي لكل جماهير الشعب ، بما يتفق مع واقعنا وظروفنا ويجسد قوة الوحدة الوطنية ، بوحدة الفكر والاسلوب ، استجابة للمسيرة الشعبية التي تفرض الانتقال الى مرحلة متقدمة تنسجم مع مضامين الميثاق الوطني في التطور والنمو المتكامل ، لمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، باسلوب ديمقراطي عبر المؤتمر الشعبي العام ، الذي يجسد الرؤية لآفاق التطور المتواصل لتجربتنا الديمقراطية الرائدة . . فالمؤتمر الشعبي العام كأسلوب للعمل السياسي وخيار ديمقراطي تتميز عضويته بجملة من الخصائص .

- فعضوية المؤتمر الشعبي العام عضوية ناشئة عن انتخابات وسط الجماهير وبملء ارادتها وبالاقتراع السري الحر المباشر على أساس ديموقراطي يعتمد على التمثيل السكاني، فهي عضوية موزعة على كل ربوع الوطن في وجود متكافىء الى جانب توفر عنصر الارادة للشخصية والاختيار والحماس للعمل والعطاء .

- وعضوية المؤتمر الشعبي العام محكومة بواجبات ، ومحددة بشروط ومؤطرة بحقوق ، وكل من الواجبات

والحقوق والشروط منطلقة من نظام اساسي ارتكز في قيمه ومبادئه وأهدافه وتصوراته التنظيمية على الميثاق الوطني وتم اقراره بصورة جماعية من قبل جميع اعضاء المؤتمر الشعبي العام ، وان ماحدد من المهام والواجبات والشروط والحقوق لعضوية المؤتمر الشعبي العام لم يكن عملية قسرية مفروضة من فرد أو فئة أو جماعة بقدر ماتشكل ارادة جماعية واتفاقا مشتركا .

ـ وان مايبعث على الاطمئنان ويعطي حالة تميز للمؤتمر ، وصفة انتماء الى جماهير الشعب في عضويته ، أن هذه العضوية تمارس نشاطها وفاعليتها منطلقة من منهج أقرته الارادة الشعبية كنظرية عمل وطني وهو الميثاق الذي لم يكن نظرية جاهزة ولا املاء فوقيا ، ولا هو تعبير عن جماعة او فئة وهذا يعني أن كل نشاط للمؤتمر الشعبي العام لم يكن محسوبا على فئة او جماعة ، ولن يكون من الميسور ان تسطو عليه اي منها . .

ـ وبقيام المؤتمر الشعبي العام واستمراريته امكن العمل على معالجة الفراغ السياسي الذي كثيرا ماجرى البحث عن أنسب الصيغ والأساليب لمعالجته منذ قيام الثورة السبتمبرية الخالدة . .

ـ ولقد اخذ المؤتمر يمارس نشاطه السياسي في اطار المهام والاختصاصات المحددة في النظام الاساسي واللائحة الداخلية للمؤتمر الشعبي العام وتكويناته وتحقق بفعل استمرارية المؤتمر وتوسيع عضويته نشاط سياسي اخذ ينمو شيئا فشيئا ، واضحى منبرا للديمقراطية في اطار فكر الميثاق الوطني ومضامينه ولم يعد بعد قيام المؤتمر الشعبي العام مجال لاي ممارسة حزبية .

ـ ويمكن القول أن المؤتمر الشعبي العام حقق خلال السنوات الماضية نجاحا متطورا في الساحة الداخلية والخارجية تمثل في ملء الفراغ السياسي والحد من التعصبات الحزبية واتخذ مكانه بين التنظيمات والاحزاب السياسية في الاقطار الشقيقة والصديقة ، واضحت للمؤتمر علاقات متنامية معها واخذ يحتل موقعه في المحافل العربية والدولية بعد أن كان الحضور التنظيمي لبلادنا غائبا وعرضة للمزايدات .

□□ المؤتمر الشعبي العام اسلوب عملنا السياسي :ـ

وكما تحدد خيار جماهير شعبنا بإقرار المؤتمر الشعبي العام كإطار عام لرعاية العمل السياسي وكأسلوب ديموقراطي نابع من ظروفه وخصوصياته فإن الميثاق الوطني لم يكن بأي حال نقلا عن تجارب الآخرين وانما جاء مستجيبا لمستلزمات البناء والتطور ، وجاء اسلوب العمل السياسي المتمثل بالمؤتمر الشعبي العام مؤكدا في مجريات بنائه عمقا واتساعا صيغة الديموقراطية التي ترفض الجمود وتأخذ بمقتضيات النماء والتطور ، وتستلهم الواقع للتعبير عن ارادة الجماهير .

كما تتأكد سلامة المؤتمر الشعبي العام كخيار ثوري ليس فقط استجابة لضرورة الممارسة الديمقراطية ، وانما كذلك انعكاسا لضرورة تكريس الوحدة الوطنية في المجتمع لان توفير مستلزمات الممارسة الديمقراطية عبر اداتها السياسية المؤتمر الشعبي العام ، يعني بالضرورة مزيدا من التعزيز والسلامة لقوة الوحدة الوطنية وزوال اشكال الامراض الاجتماعية التي لاتقوى في ظل المناخ الديموقراطي ، وهذا ما أشار اليه الميثاق الوطني بوضوح (من انه في المناخ الديموقراطي تموت هذه الولاءات والتعصبات الضيقة وتبقى الوحدة الوطنية قوة للشعب والدولة لحماية البلاد وسيادتها واستقلالها)

لذلك فإن ثقتنا تزداد بسلامة اختيار شعبنا للمؤتمر الشعبي العام كأسلوب ديمقراطي لممارسة العمل السياسي . . وتتحقق به الاستجابة الواعية لمتطلبات واقعنا وطبيعة آماله وتطوره . . ولانه التعبير الصادق عن تمسك شعبنا بوحدته الوطنية وحرصه على التطور السلمي للمجتمع . . وهو كذلك الاطار المناسب لحركة الشعب السياسية واداته الفعالة في طريق التقدم والبناء التي رسمها الميثاق الوطني .

وسيظل نجاح المؤتمر الشعبي العام في واقع التطبيق والممارسة مرتكزا شامخا يؤكد على عمق الالتحام بكل جماهير الشعب .

كما ان تجربتنا السياسية الديمقراطية بفاعليتها المتزايدة ونشاطها المتواصل تجيء تأكيدا على تنامي الوعي الشعبي في المشاركة في عملية صنع القرار وبناء قواعد المجتمع الميثاقي .

ويتجسد ذلك بتوالي انعقاد المؤتمرات الفرعية والتي تمثل التكوينات القاعدية للمؤتمر الشعبي العام والتي تشارك من خلالها الجماهير وصولا الى الغايات الكبيرة والاهداف الطموحة التي رسمها شعبنا العظيم

للنهوض بالحاضر واستشراف آفاق المستقبل عبر المؤتمر الشعبي العام بكل تكويناته القيادية والقاعدية واتساع رقعة المشاركة الشعبية بحيث اصبحت حقا لكل مواطن كواجب ومسئولية وطنية ، كما ان نشاطات المؤتمرات الفرعية التي استلزمتها عملية توسيع عضوية المؤتمر تؤكد على مسئولية اعضاء المؤتمر الشعبي العام وهم يحتلون المواقع الامامية في العمل السياسي المنظم لتعميق مضامين الميثاق الوطني في شتى مظاهر حياتنا العامة . . وتؤكد ذلك وقائع الاعمال والنشاطات والفعاليات المتعددة التي تشهدها بلادنا بانعقاد المؤتمرات الفرعية في المحافظات وأمانة العاصمة وما تصدر عنها من قرارات وتوصيات ونتائج تمثل انطلاقة عملية لنشاط العمل السياسي على مستوى النواحي والمدن ومراكز المحافظات والمناطق في امانة العاصمة . . بإنعقاد الدورات الاعتيادية للمؤتمرات الفرعية فيها . . والتي تجيء في اطار اعمال حلقات البناء التنظيمي بهدف تصعيد وتائر العمل من أجل ترسيخ الوعي بأسس ومضامين الميثاق الوطني ومتابعة تطبيق وتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر العام واللجنة الدائمة والمؤتمرات الفرعية في المحافظات وحيث يرتبط بعضو المؤتمر الشعبي العام بالدرجة الاولى مسئولية العمل السياسي كل في موقع تواجده ونطاق عمله . . فإن المؤتمرات الفرعية في النواحي تقود بتفاعلها المستمر نحو العمل الدؤوب لرفع مستوى اعضاء المؤتمر فكرا وثقافة والدفع بطاقات المجتمع للاسهام الفعال في مشاريع التنمية المخطط لها وتوسيع رقعة التعليم ومراكز محو الأمية وتنشيط وتوجيه المبادرات والاعمال الاجتماعية والتحسس المستمر لتطلعات المواطنين لتحقيقها في اطار الناحية واقتراح الحلول المناسبة لها والعمل على تعميق العلاقات الاتصالية بمختلف تكوينات المؤتمر الشعبي العام على ضوء المنطلقات المنظمة وباتباع الوسائل التي تجعل من ممارسة العملية الديمقراطية ممارسة هادفة ومنتجة . .

ان تنشيط ممارسة العمل السياسي في اطار لجان المؤتمرات الفرعية ، يؤكد السعي المستمر لتحويل المضامين الميثاقية الى سلوك عملي يتحرك ويتجسد في الاعضاء اولا ثم ينتقل باثره الايجابي الى الاخرين توسيعا للمشاركة الشعبية وتعبئة الجماهير والرأي العام في مختلف القضايا الثورية المطروحة في حياتنا الجديدة بحيث يظل العمل السياسي دافعا الى مزيد من ثمار نتائج المشاركة الشعبية حتى يتعزز باستمرار سياج التحصين الفكري والسياسي لكل المكاسب الثورية والمنجزات الديمقراطية .

ولمزيد من ضمان تسيير النشاط الجماهيري للمؤتمر الشعبي العام بكل تكويناته وحتى يتحقق الاستيعاب الكامل لممارسة العملية الديمقراطية بمفهوم المشاركة السياسية الواسعة كان لابد من تقسيم المؤتمرات الفرعية الى مجموعات عمل مصغرة على مستوى العزل والقرى والاحياء في المدن في اطار كل مؤتمر فرعي في الوحدة الادارية ليقوم كل عضو من أعضاء المؤتمر في إطار مجموعة العمل المصغرة باداء دوره والاضطلاع بمهام عضويته في المؤتمر في النطاق المحلي بما يعزز من العمل السياسي الديمقراطي .

كما تمثل ندوات التوعية السياسية جانبا مهما في نشاط المؤتمر الشعبي العام في اوساط الجماهير وفي مختلف مواقع العمل والانتاج من خلال اعداد الدراسات والمحاضرات والندوات التي تعنى بمختلف القضايا والمسائل الفكرية والسياسية والاقتصادية والتي تمثل مظهرا من مظاهر تجربتنا السياسية وتأكيدا لممارسة العملية الديمقراطية ، فهي بمثابة مؤتمرات مصغرة تنعقد كل خميس للتداول حول مختلف القضايا والهموم العامة من خلال المحاضرات والدراسات التي تعدها اللجنة الدائمة كما انها تمثل ميدان الاتصال المستمر بالجماهير فمن خلالها يتاح لقيادات العمل السياسي التعرف على هموم المواطنين ومتطلباتهم ومعرفة ارائهم حول مختلف المسائل التي تهم حاضرنا ومستقبلنا فضلا عما تحدثه من تعميم للمعرفة بما تحمله محتوياتها ومضامينها من وعي وثقافة حية تتعامل معها كل الجماهير . . .

كما ان قيام معهد الميثاق الوطني يشكل مرحلة هامة من مراحل العمل السياسي الشعبي في اعداد كوادر العمل السياسي وتمكينها من اداء دورها في نشر وترسيخ مباديء ومضامين الميثاق الوطني بين اوساط الجماهير صاحبة المصلحة الاساسية للتجربة الوطنية الديمقراطية الرائدة وفي تجذير كل ماهو اصيل وايجابي من خلال الممارسة الواقعية والحرص على اثراء التجربة بما يجعلها تنسجم مع خصوصيات الواقع وتطلعاته الايجابية نحو الافضل .

ان تعزيز الفعاليات الديمقراطية واتساع نطاقها في اطار المؤتمر الشعبي العام تعد روافد حية لتعميق تجربتنا الديمقراطية كما ان تواصلها بأساليب منتظمة يساعد كثيرا على بلورة النشاط السياسي وفي تنمية الوعي بمضامين الميثاق الوطني بين صفوف المواطنين وتجسيد برامج وقرارات المؤتمر الشعبي العام وتحقيق التفاعل الجماهيري الواسع حول مختلف المسائل التي تهم حاضرنا ومستقبلنا ورصد ومعالجة القضايا التي تمس حياة شعبنا تمثلا لمضامين الميثاق الوطني كمنهاج ومنطلقات نسعى الى تحقيقها وترجمتها على ارض الواقع .

وعبر مسيرة العمل الوطني من خلال المؤتمر الشعبي العام وتواصلا مع مسيرته الديمقراطية التي يعيشها شعبنا وتجسيدا لمضامين الميثاق الوطني الدليل النظري لمسيرة العمل السياسي الذي حدد الاسس والمنهاج الفكري لبناء الدولة الحديثة القوية والمستنيرة المبنية على اسس علمية لتغيير الواقع الى الافضل وجعل الانتماء للوطن والدولة اقوى وأعمق من الانتماءات والولاءات الضيقة التي تقوى في غياب الثقة المتبادلة بين القيادة والشعب والتي بدونها لايمكن تحقيق آمال وطموحات الجماهير صانعة الثورة واهدافها العظيمة والتي جاء الميثاق الوطني مترجما لها .. ومن كل تلك المعطيات برزت اهمية توسيع قاعدة المؤتمر الشعبي العام بغرض تحقيق نقلة نوعية وكبيرة على طريق التطور المستمر لتجربتنا الديمقراطية .

وكان حرص القيادة السياسية ممثلة بالاخ الرئيس القائد الامين العام للمؤتمر الشعبي العام العقيد/ علي عبدالله صالح على توسيع نطاق المشاركة الشعبية لتشمل كل مواقع العمل ومختلف المراكز والتجمعات الجماهيرية في كل قرية وعزلة وناحية ..

وجرت تلك الانتخابات الديمقراطية التي شملت كل انحاء الجمهورية ريفها وحضرها في اكبر عملية انتخابية في يوليو ١٩٨٥م تم فيها انتخاب ثمانية عشر الف عضو من كل خمسمائة مواطن وقد تقدم في تلك الانتخابات سبعون الف مرشح ليمارسوا العمل السياسي والتنموي معا ..

إن أهمية هذه الخطوة الديموقراطية .. لاتنفصل عن الضرورات - والابعاد المرتبطة بعملية التوسيع في عضوية المؤتمر الشعبي العام والتي وضحتها ورقة العمل التي أقرها المؤتمر الشعبي العام في دورته الاعتيادية الثانية المنعقدة في الفترة من ٢١ - ٢٣ اغسطس ١٩٨٤م حيث تأكد أن نتائج العمل الشعبي خلال العامين الاولين من مسيرة المؤتمر الشعبي قد اوضحت العلاقة بين نشاط المؤتمر والاكتساب الشعبي المستمر لخبرات جديدة في مايخدم التجربة الديمقراطية الرائدة واسلوب العمل السياسي المتميز ، لذلك ولتعزيز دور المؤتمر الشعبي العام في الوفاء بمهامه الوطنية ، كان لابد لتكويناته ان تمتد الى كل ناحية وعزلة وقرية ليصل الميثاق ومضامينه واهدافه والخطط والبرامج المترتبة عليه الى كل المواطنين على امتداد الارض اليمنية وفي كل المناطق ، وأشارت ورقة العمل الى ان محدودية الامكانات التنظيمية لاتواكب مايفرضه التوسع في نشاط المؤتمر على أكبر مساحة شعبية ، ذلك أن طبيعة تكوين المؤتمرات الفرعية في المحافظات لاتمكنها من تغطية النشاط المطلوب منها في كل المناطق .

إنَّ الشعب وهو صاحب القرار وصانع الميثاق لابد إن يعبر عن تفاعله المستمر ويضيف دماء جديدة من مختلف قرى وعزل ونواحي الجمهورية الى صفوف العمل السياسي المنظم ، لتعزيز مسيرة الميثاق وتحقيق المزيد من المكاسب الديمقراطية والمنجزات التنموية التي تتأكد بالوعي السياسي المتنامي .

وإنَّ عملية توسيع عضوية المؤتمر الشعبي العام من شأنها ان تحقق عددا من الاهداف والايجابيات المرتبطة بمعطيات التوسيع ومنها :-

- زيادة القدرة التنظيمية للمؤتمر الشعبي العام .
- الحد من محاولات الاختراق للمجتمع من قبل العناصر المتربصة ..
- افساح المجال امام المشاركة الجماهيرية الواسعة في العمل السياسي المنظم ، من خلال الانخراط في عضوية المؤتمر الشعبي العام ..
- توسيع قاعد المشاركة الشعبية في الحكم عن طريق ممارسة العمل السياسي المشروع من خلال المؤتمر الشعبي العام .
- استيعاب اكبر عدد ممكن من العناصر الفاعلة الكفؤة في الريف وفي المدن على السواء للاستفادة من نشاطهم وخبراتهم للدفع بالعمل السياسي الى الامام وتحقيق

اهداف الميثاق التي انشيء المؤتمر الشعبي العام من أجلها . .

وأضافت (ورقة العمل) في هذا السياق مؤكدة :ـ

ان عملية التوسيع تفتح المجال امام اكبر عدد ممكن من المواطنين لممارسة العمل السياسي المنظم عن طريق القنوات الشرعية وفتح المجال امامهم للمشاركة في نشاط المؤتمر الشعبي العام البديل الشرعي للممارسات غير المشروعة ، وسيزيد التوسيع من عمق الوحدة الوطنية لتكون اكثر صلابة امام كل التحديات ، وسيوجد قدرات تزيد من فاعلية التوعية السياسية بالميثاق الوطني وتدفع بالعمل السياسي داخل الريف ، وسيحدث نقلة نوعية وانتشارية في الممارسة الديمقراطية الى افاق اوسع ، مشكلا قيام اكبر تنظيم شعبي منذ قيام الثورة ولأن توسيع قاعدة المؤتمر الشعبي العام قد أصبح مطلبا جماهيريا، فقد تم الوفاء به ليؤكد ضمن دلالته أن المؤتمر الشعبي العام صيغة شعبية ديمقراطية دائمة التطور والنماء . . وأن استمرارية نجاحها عمقا واتساعا انها يرتكز وبصفة دائمة على الالتحام الوثيق بجماهير الشعب والانتصار لحقها الاساسي في الديموقراطية . . وهو مايجعل عمليات التطوير المستمرة ، تستمد اصالتها من واقع الحرص على ان يظل المؤتمر الشعبي العام الاداة الصادقة للتعبير عن ارادة الشعب ، والعامل الايجابي الهام في دفع حركة العمل الوطني نحو التقدم المستمر . .

والحقيقة التي لايمكن تجاهلها ان ما أحدثه الميثاق الوطني من ثورة في الوعي الاجتماعي الشعبي ، قد برزت نتائجه واضحة في تقدم الثورة وتنامي نجاحاتها في مختلف مجالات الحياة ، وكان له ان يزداد فعالية وتأثيرا في ايجابية الممارسة الديمقراطية السليمة المتصلة بانعقاد المؤتمرات الفرعية في عموم الوحدات الادارية وانتخاب لجانها القيادية . . وليتأكد عبر ذلك ان الدور التاريخي لجماهير شعبنا وتوسيع فعالياته ، قد قدم دفعا واعيا لتاريخنا الجديد ورفد الثورة بمزيد من ضمانات القوة والتطور . .

فبالوعي الوطني الميثاقي ، وبمصداقية العمل وواقعيته توالت وتتوالى عمليات الثورة الحاضنة لكل الجهود الشعبية المخلصة ، وهي تعمل بجدية لاتتوقف من أجل تحديث المجتمع وتطويره ، وفقا لمعاصرة واعية وارتباط ـ أصيل بقيمنا ومبادئنا الاسلامية الخالدة .

ورغم عظمة ماتحقق ويتحقق بالوحدة الميثاقية للشعب . ، فكرا واداة . . تظل ثقتنا بالغد اقوى واعظم . . وبتوفيق الله ورعايته ستعانق مسيرة الخير ، كل مرافىء الوعد والطموح . .

ان العمل السياسي المنظم ، انما ينبع من واقع الظروف التي يعيشها المجتمع ، بمشكلاته وطموحاته ويصبح لذلك العمل السياسي بتعريف اوضح ، اداة الثورة في احداث التغيير الاجتماعي بما يتفق مع اهدافها وغاياتها النبيلة في التغيير وبناء مجتمع سليم متطور ، ووفق ذلك يكون فهمنا للعمل السياسي عبر اسلوبه الديمقراطي باعتباره الالتحام بجماهير الشعب والتعايش مع همومها وطموحاتها وتوجيه حركتها بما يحقق مانرجوه من طموحات وبما يقدم البدائل والحلول العملية السليمة لاي مشكلات واقعة أو متوقعة ، من هنا فإن المؤتمر الشعبي العام يتحقق له كاسلوب للعمل السياسي قدرات متقدمة ، بممارسة اعضائه في اعقاب عملية التوسيع لدورهم كذلك كأعضاء جمعيات عمومية في المجالس المحلية للتطوير التعاوني فالجمع بين العضويتين لايعني تعارضا وانما يعني في حقيقته اثراء وتطويرا للتجربتين ويحقق للمؤتمر الشعبي العام دوره الفاعل في انجاز اهداف المجتمع الاساسية للعمل السياسي ،وذلك بالطبع من خلال حشد الطاقات والامكانات الشعبية وتوظيفها للاسهام ، في مواجهة مهام هذا البناء المتطور . . وهو الامر الذي تزداد امكانات تحققه بوصول المؤتمر الشعبي العام الى كل الوحدات الادارية ، ووجوده الواعي والفاعل فيها، عبر قيام المؤتمرات الفرعية وانتخاب لجانها ، كأحد الاشكال القيادية لتسيير ومتابعة العمل السياسي في الوحدة الادارية .

ان مسئولية زيادة الانتاج وتطويره والارتقاء بمستوى الخدمات وتحسينها ليست بعيدة عن اهداف المؤتمر بل هي من واجباته الاساسية ، باعتبارها غايات ميثاقية ، يلتزم الجميع في مختلف مواقعهم بالعمل على تحقيقها . . والعمل السياسي في مجتمعنا اليمني الطموح عبر المؤتمر الشعبي العام من شأنه وهو يجسد وحدة العمل السياسي ان يحفز الدور المناط بشتى المؤسسات الجماهيرية ومختلف التجمعات النقابية والمهنية . . ضمن رؤية ميثاقية واحدة ، فكرا وممارسة . . وهو

بذلك ايضا يجسد مصداقية الالتزام بالميثاق الوطني عبر محكات العمل اليومي الذي يعيشه الشعب ويلمس آثاره .

وتبعا لطبيعة الواقع الاجتماعي في بلادنا وما تحقق من ظروف نوعية متطورة للعمل السياسي ، فإن وجود اعضاء المؤتمر الشعبي العام كأعضاء فاعلين في الجمعيات العمومية للمجالس المحلية للتطوير التعاوني ، في مختلف الوحدات الادارية يمنحهم المزيد من القدرة على ممارسة دورهم الشعبي عبر القضايا والمهام الخدمية المباشرة في النطاق العام لعملهم اليومي ، في النشاطات المختلفة الانتاجية منها والاجتماعية والسياسية .

ان عضو المؤتمر الشعبي العام مطالب بالعمل الجاد والدؤوب من أجل مواجهة مشكلات الواقع والعمل على تطويره المستمر . . والواقع في حقيقته كل مترابط بأسسه وهياكله وتركيباته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . . وذلك مايعطي الدور السياسي سماته الاصيلة ومعناه الحقيقي ، بحيث تأخذ كل الأفكار والجهود والاعمال مواضعها الصحيحة في مجتمعنا لاجل التنمية الشاملة .

ولقد تنوعت مجالات العمل السياسي خلال المسيرة الثورية الميثاقية حيث اخذت المنظمات الجماهيرية تبرز في أكثر من مجال لتؤكد اصرار شعبنا على الاتساع بمفهوم الممارسة الديمقراطية وعلى الرغم من البداية المحددة في السنوات الاولى للثورة في مايتعلق ببناء المنظمات الجماهيرية الا ان ذلك كان في مقدمة لمرحلة طموحة من العمل الشعبي من خلال الاتساع الكمي والبناء النوعي للمنظمات الجماهيرية في ظل الميثاق الوطني والمؤتمر الشعبي العام .

فبتولي الأخ العقيد/ علي عبدالله صالح قيادة البلاد توالت الاهتمامات وتضاعفت في اطار التوجه الديموقراطي الشامل والمكاسب الديمقراطية التي اخذت في التنامي والاتساع بقيام المؤتمر الشعبي العام واقرار الميثاق الوطني الذي اناط بالمنظمات الجماهيرية ادوارا هامة وبارزة في بناء الانسان وفي مجال التربية والثقافة وحماية واحترام الحريات العامة وفي المشاركة الفاعلة لتحقيق التنمية الشاملة .

وان المؤتمر الشعبي العام وهويقوم بدور الرعاية والاشراف والدفع بنشاطات المنظمات الجماهيرية بما يمكنها من النهوض بواجباتها ومسئولياتها في توسيع وترسيخ المشاركة الشعبية باعتبارها تشكل روافد منظمة واساسية للمؤتمر الشعبي العام دون ان يعني ذلك المساس باستقلالية اداتها المهنى او النقابي او التدخل في شئونها . . الامر الذي جعل من نشاطاتها وفعالياتها تتبلور بصورة اشمل وأوسع باستحداث مختلف الاطر والتكوينات القطاعية الجماهيرية فإنه يعزز التواصل معها وتنشيطها من خلال المشاركة في احياء الفعاليات المتصلة بالنشاط العام ذات الدلالة الوطنية والقومية والدولية لان الاهتمام بالمنظمات الشعبية من طبيعة المهام والاختصاصات التي يضطلع بها المؤتمر ليس من خلال الاشراف والرقابة فحسب كما ذكر ولكن قبل ذلك في القيام بدور الرعاية وتقديم الدعم المادي والمعنوي حتى تتمكن من النهوض بواجباتها بصورة عملية متقدمة تعكس حركة التفاعل الشعبي والجماهيري }

ولقد عم نشاط المنظمات الجماهيرية مختلف الفئات والتخصصات وشملت المنظمات الجماهيرية مختلف الفئات والتخصصات وشملت المنظمات الجماهيرية من اتحادات ونقابات وجمعيات كافة الانواع والاغراض التي انشئت من أجلها .

ففي القطاع العمالي ومنذ النداء التأريخي للاخ الريئس القائد الامين العام الى العمال بتشكيل نقاباتهم - تم انشاء النقابات العمالية التالية :-

١ - نقابة عمال مصنع الغزل والنسيج
٢ - نقابة عمال مصنع الاسمنت بباجل
٣ - نقابة عمال النقل والشحن والتفريغ بلواء صنعاء
٤ - نقابة عمال الشركة العامة للقطن .
٥ - نقابة عمال مصنع الاسمنت بعمران
٦ - نقابة عمال مؤسسة الكهرباء بصنعاء
٧ - نقابة عمال النقل والشحن والتفريغ بلواء تعز
٨ - نقابة عمال النقل بلواء صنعاء
٩ - نقابة عمال المياه والمجاري
١٠ - نقابة عمال الكهرباء بالحديدة
١١ - نقابة عمال الكهرباء بتعز
١٢ - نقابة عمال ومستخدمي الخطوط الجوية اليمنية
١٣ - اللجنة النقابية لسائقي خط / صنعاء - تعز
١٤ - اللجنة النقابية لسائقي قضاء عمران . .

الاتحاد العام لنقابات العمال :-

وقد شكلت النقابات العمالية القائمة والتي تم انشاؤها في فبراير ١٩٨٤م لجنة تحضيرية لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية العربية اليمنية حيث تقدمت اللجنة بتاريخ ٨٤/٢/١٤م بطلب لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل للموافقة على انشاء الاتحاد والتحضير للمؤتمر ، وذلك على ضوء توجيهات الاخ الرئيس القائد الامين العام ودعوته الى تشكيل النقابات وتكوين الاتحاد العام .

وتمت عملية التحضير للمؤتمر العام الاول للاتحاد والذي انعقد في صنعاء في الفترة من ١٠ - ١٢ ابريل ١٩٨٤م وتم فيه انتخاب المكتب التنفيذي للاتحاد ٧ اعضاء/ وذلك عبر انتخابات حرة ديمقراطية ، وقد شارك في المؤتمر وفود من المنظمات والاتحادات العمالية العربية والدولية والتي باركت قيام الاتحاد وأعلنت رغبتها في التعاون مع الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية في سبيل تحقيق الغايات المشتركة للحركة النقابية العمالية . .

ولقد قام الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية منذ تأسيسه بالعديد من الانشطة النقابية والثقافية على المستوى المحلي والعربي والدولي وحقق ويحقق بفضل رعاية ودعم قيادتنا الوطنية - اهدافه التي حددها نظامه الاساسي وتتمثل تلك الاهداف في :-

١ - العمل على بث روح التعاون والعمل الجماعي بالوسائل المادية والثقافية التي من شأنها تعزيز العلاقات الاجتماعية وتركيزها على قواعد اخلاقية فاضلة .

٢ - العمل على محو أمية العمال ورفع مستواهم التعليمي والمهني ونشر الثقافة العمالية بين صفوفهم من خلال الندوات والدورات الثقافية والمهنية بما ينسجم والقوانين العامة ومضامين الميثاق الوطني .

٣ - العمل على تعزيز علاقات التعاون بين العمال واصحاب الاعمال بهدف الاسهام الفعال في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٤ - تنظيم العلاقات المهنية والصناعية بين العمال والادارات واصحاب الاعمال وبين العمال انفسهم تنظيما من شأنه رفع مكانة العامل اقتصاديا واجتماعيا .

٥ - تنظيم دورات تدريبية وثقافية وبرامج تربوية تؤدي الى تكوين قيادات نقابية واعية ومدربة تدريبا صحيحا على أسس اخلاقية فاضلة بما يخدم المصلحة العامة ويتمشى مع ظروف واقعنا الوطني وعقيدتنا الاسلامية .

٦ - العمل على زيادة الانتاج وتحسينه وحماية الآلة والمشروع .

٧ - صيانة حقوق العمال ومصالحهم والدفاع عنها وتأليف الجمعيات التعاونية والاستفادة من أوقات الفراغ والاجازات وتوفير كافة المساعدات والخدمات التي يكون من شأنها رفع المستوى الاجتماعي والصحي والثقافي والاقتصادي للعمال وعائلاتهم .

٨ - تمثيل العمال في كافة المسائل التي لها علاقة بالعمال والهيئات التي تؤلف من أجل ذلك ، وكذلك في المنظمات والمؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية العربية والاقليمية والدولية . .

٩ - المشاركة الايجابية لعمال الجمهورية مع الحركة النقابية العربية والدولية وزيادة فاعلية ودور عمال اليمن في الاتحادات العربية والدولية .

٢ - وفي مجال النقابات المهنية والتخصصية واتحاداتها :-

نشأت في ظل التوجه الديمقراطي لقيادتنا الوطنية العديد من النقابات والاتحادات المهنية والتخصصية . . كما توالى وتنامي دعم ورعاية الدولة لهذه المنظمات الجماهيرية ومساعدتها على تحقيق اهدافها وتقديم التسهيلات اللازمة لنشوئها والتعريف بها وبأنشطتها في مختلف المجالات . . ومن هذه النقابات والاتحادات :-

١ - اتحاد الحقوقيين اليمنيين . .
٢ - اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين في شطري اليمن وفرع اتحاد الادباء في كل من صنعاء وتعز والحديدة واب .
٣ - نقابة الاطباء والصيادلة
٤ - نقابة المهندسين اليمنيين
٥ - نقابة الصحفيين اليمنيين
٦ - نقابة الطيارين والمهندسين الجويين
٧ - نقابة المهن الطبية المساعدة . .
فرع نقابة المهن الطبية في كل من صنعاء وتعز والحديدة
٨ - نقابة المهن الزراعية
٩ - نقابة الفنانين

١٠- نقابة الاقتصاديين
١١- اتحاد الغرف التجارية وفروعه

ولكل من هذه النقابات والاتحادات اهداف خاصة والمبينة في انظمتها الاساسية وهناك خطوط عامة متجانسة لاهدافها هي وغيرها من النقابات والجمعيات المهنية ومنها :-

* العمل على رفع المستوى الثقافي والعلمي لاعضاء النقابة وتطوير المهنة بادخال واستيعاب الاساليب الجديدة في مجالها

■ العمل على توفير الخدمات التي يكون من شأنها رفع المستوى الاجتماعي والصحي والثقافي والاقتصادي لإعضائها .

■ رعاية وصيانة حقوق الاعضاء ومصالحهم والدفاع عنها.

■ تحقيق التكافل الاجتماعي بين الاعضاء وتقديم المساعدة والرعاية للاعضاء في الحالات التي تستدعي ذلك ووفقا للنظام الاساسي .

■ عقد الدورات والندوات العلمية والثقافية العامة والمتخصصة .

■ نشر الوعي العام بمجال المهنة ومجالات نشاط النقابة عبر الصحف والنشرات والمجلات والدوريات العامة .

■ المساهمة في مسيرة التنمية وفقا لمجال تخصص النقابة وبما يتفق مع طبيعتها . .

■ تمثيل النقابة والمهنة في الهيئات والمنظمات الشقيقة والصديقة والمساهمة الفعالة في انشطتها وتحقيق الفائدة المشتركة من علاقاتها بالهئيات والمنظمات العربية والاقليمية والدولية .

■■ وفي قطاع المرأة :-

عملت الدولة على تشجيع ودعم المنظمات النسائية والتي ارتفع عددها الى خمس جمعيات هي :-

١- جمعية المرأة اليمنية بصنعاء
٢- جمعية المرأة اليمنية بتعز
٣- جمعية المرأة اليمنية بالحديدة
٤- جمعية المرأة اليمنية بإب
٥- جمعية المرأة اليمنية بزبيد . .

بالاضافة الى فروع هذه الجمعيات في المناطق المجاورة لها .

حيث تهدف هذه الجمعيات الى المساهمة في تنمية قطاع المرأة وتوحيد جهودها ورفع مستواها الثقافي والتعليمي في اطار ماكفلته لها الشريعة الاسلامية الغراء من حقوق تجسدت في قول الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (النساء شقائق الرجال) .

وللمساهمة كذلك في الدور الذي اناطه الميثاق الوطني بالجمعيات النسائية اسوة بغيرها من المنظمات الجماهيرية .

وتهدف جمعيات المرأة اليمنية وفقا لنظامها الاساسي الى :-

- العمل على اسهام المرأة اليمنية بصورة فعالة الى جانب الرجل في الدفع بحركة تطور المجتمع اليمني نحو الافضل وبما يتفق مع عقيدتنا الاسلامية السمحة .

- العمل على توعية المرأة اليمنية ثقافيا واجتماعيا وصحيا . . كي تستطيع ان تؤدي دورها في خدمة المجتمع بصورة اكمل ومساعدتها لتتمكن من مواكبة التطورات المختلفة في مجتمعنا اليمني .

- الاهتمام بمعالجة قضايا الاسرة بصورة عامة والاهتمام بقضايا الامومة والطفولة بشكل خاص .

- العمل على تنمية نشاط المرأة في ميادين التعليم وميادين العمل المختلفة وتنمية مواهبها وقدراتها .

- المساهمة في محو الامية لدى المرأة اليمنية بالوسائل التي تخدم هذا الغرض .

- العمل على محاربة العادات السيئة وغير المفيدة ، وتعميق مبادىء الدين الاسلامي الحنيف وغرس القيم الاسلامية والانسانية وبث الوعي الوطني في نفوس النساء اليمنيات .

- عقد وحضور الدورات التدريبية والثقافية والاجتماعية والمؤتمرات التي تعنى بشئون المرأة في الداخل والخارج .

وقد قامت وتقوم جمعيات المرأة اليمنية بانشطتها المختلفة وخاصة في مجالات الثقافة ومحو الامية والتعليم ورعاية الامومة والطفولة حيث تلقى الدعم المادي والمعنوي من الدولة للقيام بدورها الايجابي في المجتمع .

■■ وفي المجالات الرياضية والشبابية :-
تنامي عدد الاندية الرياضية الثقافية - الاجتماعية ، بفضل الرعاية والدعم التي يحظى بها مجال الشباب والرياضة في عهد الميثاق الوطني حيث يبلغ عدد الاندية حاليا (٨٠) ناديا في شتى مناطق الجمهورية بالاضافة الى الاتحادات الرياضية والجمعيات الكشفية . . وتندرج جميعها في اطار (المنظمات الجماهيرية) باعتبارها جمعيات تهدف الى تحقيق الاهداف المنصوص عليها في انظمتها الاساسية .

■■ وفي المجالات الثقافية والاجتماعية والصحية والخيرية :-
تأسست العديد من الجمعيات وتنامت رعاية الدولة للجمعيات الاساسية منها مثل (جمعية الهلال الاحمر اليمني) . .
ومن هذه الجمعيات ايضا :-
- جمعية تنظيم الاسرة .
- جمعية تحسين الصحة والخدمات الصحية .
- الجمعيات الثقافية والاجتماعية والخيرية (عدد ٨ جمعيات)

■■ وفي القطاع الطلابي :-
تم تأسيس اتحاد طلاب اليمن عام ١٩٨١م حيث توسعت قاعدة الاتحاد الطلابي باجراء الانتخابات الطلابية التي جرت في الفترة من ٨ - ١٩٨٤/١٢/١٤م
وشملت طلاب المرحلة الجامعية والثانوية العامة في شتى نواحي الجمهورية .
وعلى ضوء تلك الانتخابات تشكلت اللجان الطلابية على مستوى المدارس والمعاهد الثانوية والهيئات الادارية على مستوى كليات الجامعة باعتبارها المدارس والمعاهد المتخصصة والكليات قاعدة اتحاد طلاب اليمن .
كما تشكلت الهيئات الادارية لفروع الاتحاد بمحافظات الجمهورية عبر انتخابات حرة وديموقراطية من قبل اللجان الطلابية بكل محافظة ، وصولا الى قمة الاتحاد والتي تم انتخابها من قبل المؤتمر العام لاتحاد طلاب اليمن .
ويتكون المؤتمر العام من مجموع اعضاء الهيئات الادارية لفروع الاتحاد بالمحافظات وبكليات جامعة صنعاء وينعقد بمدينة صنعاء المقر الرئيسي للاتحاد ويحضره ممثلون لطلاب اليمن وفروع الاتحاد الخارجي .

حيث ينتخب اعضاء المؤتمر من بينهم بالاقتراع السري (مجلس الاتحاد) الذي يتكون من اربعين عضوا ويتولى المهام المنصوص عليها في النظام الاساسي وينتخب اعضاء مجلس الاتحاد من بينهم وبالاقتراع السري المجلس التنفيذي للاتحاد والذي يتكون من ١٥ عضوا ويعتبر قمة اتحاد طلاب اليمن .
وبهذا التكوين الشامل لاتحاد طلاب اليمن والذي مثلته انتخابات ديسمبر ١٩٨٤م بدأت الحركة الطلابية مرحلة جديدة وجدت فيها الحركة الطلابية الحقيقية والديمقراطية الشاملة لاول مرة في تاريخ اليمن الحديث .

■■ وبالنسبة للجمعيات النوعية والحرفية :-
تأسس العديد من الجمعيات النوعية والحرفية التي ساهمت وتساهم في عملية التنمية والمسيرة الميثاقية وفقا لطبيعتها وأنظمتها الاساسية ومنها :-
- الجمعية السكنية الاولى بصنعاء والتي قامت بانشاء مدينة حدة السكنية . .
- جمعية المقاولات المعمارية
- جمعية المعماريين بصنعاء
- الجمعية المعمارية بذمار . .
- الجمعية السكنية بالحديدة
- جمعية الصيادين بالحديدة
- جمعية صيادي جزيرة كمران
- جمعية صيادي منطقة القطابا
- جمعية الصيادين بالمخا
- جمعية صانعي النسيج بمنطقة خولان بن عامر . . .
- الجمعيات الاستهلاكية والموزعة في قطاعات الموظفين والتعاونيات والقوات المسلحة .

وكذلك تأسست جمعيات حرفية في مجالات الحرف والصناعات الشعبية والتقليدية تضم كل منها العاملين بتلك الحرف مثل (النجارين) صانعي المصنوعات الجلدية والدباغين) صانعي السلب صانعي القصيب والمدايع) (صانعي الجنابي) وقد بلغ عدد هذه الجمعيات تسع جمعيات حرفية تعاونية .

ومن المؤمل ان تساهم في تنمية الحرف التقليدية والحفاظ عليها وتطويرها بالاضافة الى اهدافها الاجتماعية والتعاونية .

■ وفي قطاع المزارعين :-

توالى ويتوالى تأسيس الجمعيات التعاونية الزراعية باعتبار ان الزراعة كما يقول الميثاق الوطني «لازالت الى يومنا هذا المصدر الرئيسي للدخل في بلادنا كما انها الميدان الغالب لعمل السواد الاعظم من اليمنيين» .

ومن هنا اعتبر الميثاق (تشجيع الجمعيات الزراعية) من مرتكزات «خطتنا الزراعية باعتبارها من الوسائل المؤدية الى مضاعفة الانتاج الزراعي وبالتالي تقوية الاقتصاد الوطني»(م . و) .

كما أكد الميثاق الوطني في نص اخر «انه يجب الاهتمام بالجمعيات الزراعية التعاونية» (م . و) . .

وفي ظل الاهتمام والرعاية البالغة التي اولاها الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح للزراعة والمزارعين ونداءاته المستمرة بتشكل الجمعيات التعاونية الزراعية والتشجيع الدائب لها .

توالى ويتوالى تكوين الجمعيات التعاونية الزراعية في العديد من مناطق اليمن بحيث يبلغ عددها حاليا (٧٥) جمعية تعاونية زراعية وتضم كل منها عدة مئات من المزارعين وتبلغ رؤوس أموالها ملايين من الريالات . . حيث تهدف الجمعيات التعاونية الزراعية الى تحقيق اهداف وغايات عديدة منها :-

- العمل على تنمية الروح التعاونية بين المواطنين وتشجيع تنمية النشاط الزراعي والمساهمة في رفع مستوى الوعي الثقافي والوطني لدى المزارعين .
- توفير الالات الزراعية الحديثة والمناسبة وتشغيلها بشكل اقتصادي وصيانتها وتنفيذ انتفاع الاعضاء المواطنين بها .
- مقاومة الافات الزراعية بتوفير المبيدات والالات الخاصة بها ، وتدريب المزارعين على استعمالها .
- توفير البذور والاسمدة والمخصبات الزراعية والشتلات والاغراس المناسبة لطبيعة المنطقة .
- اقامة مشاريع الري والصرف وحفر الآبار واستصلاح الاراضي والعناية بزراعة الفواكه والخضروات .
- الاهتمام بتنمية الثروة الحيوانية وانشاء المزارع والحظائر الحيوانية المناسبة وتشجيع انشائها .
- استقدام المرشدين الزراعيين واقامة الدورات التدريبية للمزارعين لتمكينهم من استيعاب الاساليب الحديثة في الزراعة وحماية وتحسين الانتاج .
- ونظرا لاهمية الجمعيات التعاونية بصفة عامة والزراعية منها بصفة خاصة يجري حاليا اعداد قانون الجمعيات التعاونية والذي سيضمن انشاء اتحاد عام للجمعيات التعاونية ويتم بموجبه انشاء الاتحاد في غضون الاشهر القادمة بمشيئة الله .

- وبعد . . فان من الواضح ان المنظمات الجماهيرية قد باتت سمة من سمات عهد الميثاق الوطني في بلادنا حيث تنامت وأسست في ظل التوجه الوطني الصادق لابن اليمن البار الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح وشملت مختلف فئات وقطاعات المجتمع من عمال وطلاب ومزارعين ومثقفين وحرفيين وشباب . . كما شملت العاملين والمتخصصين في شتى المجالات والتخصصات وانتظمت في اطارها اعداد غفيرة من جماهير شعبنا في المدن والقرى على حد سواء .

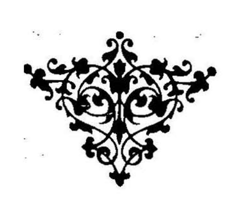
ومن واجب تلك المنظمات الجماهيرية والتي يتجاوز عددها الثلاثمائة منظمة ان تعي اضطلاعها بواجباتها في شتى المجالات وتبذل جهوداً مضاعفة من أجل تحقيق اهدافها والمساهمة الفعالة في بناء المستقبل المنشود لوطننا الحبيب وتحقيق مضامين الميثاق الوطني .

ان المرحلة القادمة التي تدخلها مسيرة التنمية في بلادنا تستوجب تصعيد الدور الشعبي لمضاعفة الانتاج واطلاق المبادرات الجماهيرية في انجاز مختلف المشاريع الخدمية منها والانتاجية وهي مهمة يشارك فيها المؤتمر الشعبي العام عبر تكويناته في تعبئة كل الطاقات وحشد كل الامكانيات وتكتيل الجماهير حول كافة خطوات العمل الوطني وتحصين المجتمع من اي اختراقات تتناقض مع عقيدتنا الاسلامية ووحدتنا الوطنية ومبدأ الولاء الوطني الذي هو ولاء لله وللوطن والثورة .

وتعميق الايمان المطلق بالثورة والجمهورية

والمحافظة على السيادة الوطنية .

وبعد، فان الانتصار الشوري في المجال الديمقراطي قد فرض التطور السريع في هذا الاتجاه وأسس النجاحات العظيمة لوتائر العمل الديموقراطي وترسيخ معطياته كسبيل مشرق لبناء الحياة الحضارية الجديدة وكخيار حضاري شوروي يستمد معانيه وقيمه من الدين الاسلامي الحنيف لممارسة الشعب كافة مسئولياته الوطنية . . خاصة مع النماء الكبير لنجاحاتنا الديموقراطية والتي توجت بقيام السلطة التشريعية المنتخبة ممثلة بمجلس الشورى . . والاندفاعة المتقدمة للمؤتمر الشعبي العام التي عبرت عنها فعاليات مؤتمره العام الرابع في نوفمبر الماضي والذي عزز من رسوخ حقيقة المشاركة الشعبية على طريق الديموقراطية والتنمية والوحدة اليمنية .



الورقة الثانية :

مسيرة الشورى والديمقراطية

من الميثاق المقدس الى الدستور الدائم والميثاق الوطني

د/ أحمد محمد الكبسي

أين كنا . . وأين أصبحنا؟؟ سؤال يجيب عليه الواقع التاريخي بشواهده ووثائقه مبينا الفارق ، ويشهد لليمن بالتغيير نحو الافضل . . كما ان المقارنة بين اليمن الملكي واليمن الجمهوري توضح الفارق الكبير ، وتجيب على السؤال المطروح اين كنا . . وأين أصبحنا؟؟ فيمنُ الامس لايتمناها ـ لا أقول يمني فقط بل لايتمناها انسان بأي مكان في العالم . .

وخطوات التغيير تجاه الافضل ملحوظة ولنا كبير الامل في استمراريتها لتحقيق آمال وطموحات الشعب اليمني التي من أهمها بناء مجتمع يمني ديمقراطي حر تحكمه المؤسسات الدستورية .

كيف كانت اليمن قبل قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م

بإجماع كل من زار اليمن او كتب عنها ودرسها يتضح انها كانت تعيش في ظل حكم فردي مطلق تتركز فيها السلطات بيد الامام وتنعدم فيها المشاركة السياسية واجهزتها . . حكم انقطعت صلته بالماضي والحاضر . . .

ـ فمخالفته للماضي تتمثل بمخالفته الواضحة والصريحة للشريعة الاسلامية السمحاء التي تهدف الى تحقيق مصلحة الشعب التي توضحها الشريعة بحماية الدين والنفس والمال والعقل والنسل . .

ولو تأمل المتأمل اوضاع اليمن قبل ثورة سبتمبر لوجد ان الانسان الذي تهدف الشريعة الاسلامية وكل الشرائع الى حمايته انه مهدر الحقوق في كل جوانب الحياة وبالامكان لمن يريد دراسة الاوضاع في تلك الفترة العودة الى صحف النظام الرسمية وسيجد صورة واضحة لذلك . . (١) النظام السياسي الذي اقامه الامام يحيى حميد الدين والممتد من ١٩٠٤ ـ ١٩٦٢ وحكم خلاله ثلاثه من الحكام هم يحيى حميد الدين المؤسس واحمد يحيى حميد الدين ، محمد بن احمد بن يحيى حميد الدين ، كان من أسوأ المراحل التاريخية في تاريخ اليمن . . فلقد اتسم النظام السياسي بالسمات التالية :ـ

١ ـ حكم فردي مطلق تتركز فيه السلطات بيد الامام
٢ ـ انعدام المشاركة السياسية واجهزتها .
٣ ـ غياب الرقابة الشعبية .
٤ ـ العزلة عن القديم والحديث .

اما اذا اردنا التقييم العلمي للنظام يصبح من الضروري اعتبار عنصر الهدف او الاهداف التي يوظف الحاكم سلطته لتحقيقها . .

فشتان بين حاكم يركز السلطة في يده لتعبئة موارد البلاد والاسراع بعملية التحديث الاقتصادي والاجتماعي ، وحاكم آخر يركز السلطات جميعها بيده لتكريس الامتيازات له ولمن يلوذ به او لفرض حالة من الجمود على حركة التطور . .

أيضًا هناك فرق بين حاكم يفرض العزلة على بلاده من أجل بنائها معتمدًا على مواردها ـ وحاكم يفرض العزلة فرارا من التطور في عالم يسير بقوة واندفاع نحو التغيير . .

وهكذا نجد انه قد تتشابه نظم الحكم من حيث الشكل ، ولكن لايمكن للباحث الموضوعي ان يساوي

بينما عندما تدخل اهداف النظام وغاياته في التحليل .

ـ موقف النظام من المشاركة السياسية :ـ

بدراسة النظام السياسي قبل ١٩٦٢م نجد انه لم ينشأ اي تنظم نيابي أو تشريعي بالمعنى الحقيقي ، ولا يمكن ان نجد طوال تلك الفترة اي تنظيم فعلي يسمح بالمشاركة السياسية . .

فبملاحظة نظام الحكم نجد أنه قد قصر نوعا من المشاركة الصورية على القلة المقربة من جهاز صنع القرار . .

كما استمر النظام بمخالفة النظرية السياسية الاسلامية بتحويل النظام القائم على انتخاب الحاكم من قبل أهل الحل والعقد الى نظام وراثي .

فالامام يحيى الذي أتى الى السلطة بانتخاب أهل الحل والعقد سولت له نفسه مخالفة القاعدة التي أوصلته الى المنصب ، وهي الانتخاب ، وتحويل القاعدة الى ملك يبقى في خلفه . فأوجد منصب ولي العهد .

فالخطوات التي أتبعها الامام يحيى والمتمثلة ب :ـ

١ ـ التخلص من العلماء الذين كان يخشى منهم على سلطته .

٢ ـ تقليص نفوذ مشايخ القبائل .

٣ ـ تعطيل الشورى والمشاركة في الحكم .

٤ ـ اخفاء كتب الفكر ومنعها وقصر التعليم على كتب العبادات .

٥ ـ ايجاد منصب ولي العهد .

كل هذه الامور اقنعت رجالات البلاد بفساد الاتجاه وبوجوب مقاومته . فنشأت التنظيمات المختلفة المطالبة بالاصلاح والعودة الى الشورى ، ولما فشلت تلك المحاولات التي تهدف الى اقناع الامام يحيى بالاصلاح والعودة الى حكم الشورى ، قامت الحركات الوطنية ، وكانت أول هذه الحركات حركة ٤٨ (والتي أفضل تسميتها بثورة العلماء) ومن أهم الاسباب التي قادت اليها :ـ

١ ـ الانقسام داخل العائلة الحاكمة نفسها .

٢ ـ رفض الملك يحيى التخلي عن سياسة العزلة والانفتاح على العالم وتطوير البلاد

٣ ـ اعتقاد بعض العلماء بأن التغيير سيكون فيه خير البلاد .

٤ ـ العمل المستمر للحركة الوطنية والمطالبة بالاصلاح .

كل هذه العوامل بالاضافة الى سياسة القمع وعدم اعطاء رغبات وأماني الشعب اي إعتبار قاد الى عدم الرضاء والرفض ، وكانت النتيجة الحتمية هي ثورة ١٩٤٨م .

ولقد توقع ذلك الديبلوماسي الامريكي هارلن كلارك اثناء زيارته لليمن . وضمن ذلك في تقرير ارسله الى وزارة خارجيته . .

ـ الحركة الوطنية ومطالبها :ـ

لقد ارتبطت الدعوة للشورى والبرلمانية بالحركة الوطنية التي قامت معها تاريخيا ولم تنفصل عنها منذ نشأتها في منتصف الثلاثينات من هذا القرن .

فقد حاولت الحركة الوطنية اصلاح اوضاع البلاد المتدهورة عن طريق النصيحة ومحاولة اقناع الامام يحيى بذلك الذي اصر على عدم السماع والمكابرة ، فكانت النتيجة الحتمية التي توصل اليها قادة الحركة الوطنية واعضاؤها انه لابديل للثورة لايقاف المهزلة الجارية على ارض اليمن . . ومن ثم تم اعلان قيام الثورة الدستورية في فبراير ١٩٤٨م القائمة على الشورى والمشاركة الشعبية في الحكم . .

ويتضح ذلك بصورة واضحة من الاهداف التي اوضحها الميثاق الوطني المقدس :ـ

١ ـ تأسيس نظام نيابي

٢ ـ تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

٣ ـ التخلص من كل العناصر الفاسدة التي تسيء للنظام

٤ ـ تحسين اوضاع الجيش

٥ ـ كفالة حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع .

٦ ـ انهاء سياسة العزلة واقامة علاقات صداقة مع العالم المتمدن . . (٢)

وهاهو رئيس مجلس الشورى ابن ملك اليمن الذي قامت ضده الثورة يوجه كلمته الى مستقبليه في صنعاء فيقول :

(لقد تقدمناكم بالتضحية بالمناصب في سبيل اصلاح الأمة ودسنا تحت اقدامنا سلطة الفرد وسلطان الطغيان والجبروت ورسمنا لكم المثل العليا لجمع كلمة الامة لتأخذ مكانتها الممتازة بين امم العالم فصار الامر شورى إمتثالا لاوامر الله في شرعه الحكيم (وشاورهم في الأمر) . (٣)

أيها السادة . . انكم تنظرون بأعينكم وتسمعون بانفسكم الفرق بين العهد الذي خلص الله منه الامة فخرجت الى نور الحرية والكرامة والعهد الذي انطلقتم فيه من معتقلات السجون وهدم العقول . . فنحن بكم قادة وزعماء وأمراء ولا ينفعنا الملك ولا المال مادمنا لا نترك المجال لان تقوموا اعوجاجنا بسيوفكم . .

لكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح لظروف داخلية وتكاتف الدول العربية في ذلك الوقت والاتفاق على احباطها خوفا من المبادىء التي تبنتها ، ومن اهم تلك المبادىء :

١ ـ رفض ولاية العهد كمبدأ أساسي للحكم الوراثي المرفوض.

٢ ـ التأكيد على حق الشعب في المشاركة في الحكم . .

وهذه امور تتعارض مع مصالح الانظمة السائدة في الوطن العربي في ذلك الوقت . .

ولإن احبطت الثورة وقتل قادتها فإن مبادءها واهدافها ظلت في اذهان الشباب المتعلم . . ولقد تركت الثورة سؤالا ظل اليمانيون يقلبونه في رؤوسهم فترة طويلة من الزمن ـ ذلك السؤال هو :ـ

لماذا حدث كل ذلك في ١٩٤٨م؟؟ وقد حاول الشعب في اليمن الإجابة على هذا السؤال في احداث تالية ـ عبر محاولات عديدة ، فمن عام ١٩٥٥م ١٩٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ توجت جميعها بثورة ١٩٦٢م التي اطاحت بذلك النظام الكهنوتي البغيض ، وتأسس على اثره النظام الجمهوري ، وبه اصبحت الاجابة على السؤال حقيقة ملموسة (٤)

لقد كانت دماء رجال ١٩٤٨ الشعلة التي حملها شباب اليمن حتى وصلوا الى الهدف المنشود في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م الذي سجل ميلاد مرحلة جديدة مختلفة تماما عن سابقاتها الا وهي بناء اليمن الجديد . .

(اذا ماكان هناك بلد مهيأ لثورة وتغيير سياسي اكثر من غيره ، فهو اليمن بلا جدال) (٥)

وقبل ذلك بخمسة عشر عاماً يقر هارلن كلارك (ان اليمن مهياة للتغيير ، وان ذلك يعبر عن اقتناع سكان المدن والارياف (٦)

فثورة سبتمبر كانت الحتمية التاريخية لاخراج الانسان اليمني من الظلمات لاعطائه حقه في الحياة والحرية والمساواة كغيره من بنى البشر . . فهي اذا ثورة انسانية أعادت للانسان عزته وكرامته . . ثورة ضد التخلف بجميع اشكاله كما وضحت ذلك اهدافها الستة المعلنة ، وأكدت عليه بعد ذلك التشريعات المتعاقبة . كما أنها ثورة من أجل المشاركة السياسية كما يوضح ذلك الهدف الرابع .

وبينما الثورة تواجه اشد واحرج مواقفها وهي تواجه التآمرات الداخلية والدولية التي راهنت على احباطها كما احبطت سابقاتها والمواطنون يطالبون بالدستور وبمجلس الشورى وبالمؤسسات ووجدت القيادة السياسية نفسها تواجه العديد من المشكلات ، فقد كان عليها ان تنشىء مؤسسات سياسية وادارية جديدة وان تقوم بممارسة السيادة الوطنية في شتى المجالات وان تعمل على تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي . .

ونظرا للظروف المريرة التي كانت تواجهها البلاد نتيجة للتركة الثقيلة التي خلفها الحكم المباد ، ونظراً للظروف السياسية التي واجهتها الثورة وانشغالها في اكثر من جانب فقد اصبح تطور المؤسسات بطيئا وبانشاء مؤسسات الدولة الحديثة فان ذلك يعني ازدياد اجهزة ومؤسسات الدولة ، وذلك يتطلب توفر الكوادر المؤهلة وكانت هذه من كبريات المشاكل التي واجهتها حكومة الثورة التي قامت بارسال البعثات العديدة الى الخارج لاعداد الشباب لهذه المهمات والمسئوليات الجديدة بالنسبة لليمن . .

ـ التطور في اطار النظام السياسي الجديد :ـ

يمكن رصد التطورات التي مر بها النظام السياسي عبر عدة مراحل ، اتسمت بظهور اتجاهات وسياسات مختلفة عن الفترات السابقة ، فقد تم الاعلان الدستوري في ١٣ أكتوبر ١٩٦٢م ، الذي اعلن ان مصدر السيادة هو الشعب ، بعد ان كانت

قبل ذلك متعلقة بارادة الحاكم الفرد ، فنص هذا الاعلان على ان جميع السلطات مصدرها الشعب ، فبهذا النص أعيد الحق الى اصحابه الشرعيين ومبشرا بتحقيق ماناضل الشعب من أجله الا وهو الديمقراطية في ظل نظام جمهوري يحكم الشعب فيه نفسه . .

ونظرا لقصر الفترة مابين قيام الثورة والاعلان الدستوري لم يتمكن الممارس للسيادة باسم الشعب من توضيح التنظيم المفصل لنظام الحكم ، وقد أكتفى بذكر الاسس العامة ، واناط ممارسة السلطة في الفترة الانتقالية بمجلس القيادة والوزراء ولهذه الصورة شكل مجموع المجلسين مؤتمرا وطنيا (ينظر في السياسة العامة للدولة وما يتعلق بها من موضوعات) وهو بهذه الصورة يكون قد أسس شكلا من اشكال الحكم الجماعي . .

ولقد كان التنظيم بتلك الصورة نتيجة لظروف المرحلة الغير عادية التي واجهتها الثورة ، وحتى يتسنى للنظام الجديد اعداد دستور عن طريق لجنة متخصصه . .

ولقد انتهى العمل بالاعلان الدستوري المؤقت باعلان الدستور المؤقت لسنة ٦٣ في ٨ مايو ٦٣ . . أيضا يتضح أن هذا الدستور يتسم بصفة التوقيت ولكنه يؤكد في مقدمة الدستور ان الهدف الخامس من الاهداف الكبرى للشعب هو (اقامة حياة نيابية تتحقق بها سيادة الشعب باعتباره مصدر جميع السلطات) (وتنص المادة الثانية منه بان (الشعب اليمني يحكم نفسه بنفسه وهو مصدر جميع السلطات في الدولة) . .

ولكن الملاحظ انه اغفل تنظيم السلطة التشريعية ، كما انه لم يشر الى تشكيل مجلس نيابي وانما أسند عمل السلطة التشريعية بمجلس الرئاسة ورئيس الجمهورية . .

ولكن الدستور لم يوضح طريقة تكوين مجلس الرئاسة وعدد اعضائه ، ولم يوضح ايضا الشروط التي يجب ان تتوفر فيهم ، ولكنه خول مجلس الرئاسة اعفاء اعضائه او اضافة اعضاء جدد ولقد ركز على اداء اليمين الدستورية امام رئيس الجمهورية كما حرم على اعضاء المجلس الجمع بين مهنتين . .

وما نشدد عليه هنا ان هذا الدستور ايضا صفة التأقيت وان الظروف التي كانت تعاني منها الثورة من مؤامرات داخلية وخارجية بالاضافة الى التركة الثقيلة التي ورثتها عن الحكم المباد من جهل وفقر ومرض ، قد ضاعف مشاكلها ولكن التحدي الكبير ، هو اعلان دستور مؤقت يطمئن الشعب ، ان ماناضل ويناضل من أجله آت لاريب فيه . .

وقد لايتصور المرء ان انشاء المجلس كاف لقيام الديمقراطية ، فالبرلمان سواء كان مجلس شورى ، أو شعب ، او أمة ، هو سلطة تشريعية ورقابية لايمكن ممارستها الا في مجتمع يتمتع بدرجة مناسبة من الحريات العامة . .

ونتيجة لأنّ دستور ٦٣ كان مؤقتا فقد اصدر رئيس الجمهورية حينذاك دستورا دائما في ٢٧/٤/٦٤م نتيجة لظروف البلاد . للمناقشة والمداولة (والتقت عنده الاراء) وتم اعلانه ، ولقد تلافى هذا الدستور بعض الإنتقادات التي وجهت الى الدستور المؤقت فنجد المادة (٤٨) قد نصت على ضرورة وجود مجلس نيابي منتخب تحت اسم (مجلس الشورى) ويتألف مجلس الشورى من اعضاء يختارون من رجال اليمن وعقالهم ، ويحدد القانون عدد الاعضاء وشروط العضوية ويقرر طريقة التعين واحكامه ،ولكن كيف يختار العضو؟؟ هل عن طريق الانتخاب؟ هل يعين؟ ولقد حددت مدة المجلس بثلاث سنوات من تاريخ اول اجتماع له . . مادة (٤٩) ويعتبر الدستور الدائم لسنة ٦٤ خطوة الى الامام ، حيث منح المجلس حق مراقبة اعمال السلطة التنفيذية ، وحق السؤال والاستجواب ، وحجب الثقة عن احد الوزراء،والمهم هنا ان الوزارة اصبحت تحت رقابة مجلس الشورى وان حدت صلاحيته . .

وبالرغم من ان هذا الدستور لم يطبق ، ولكنه - كما ذكرنا سابقا - يعتبر خطوة الى الامام في ظروف كتلك الظروف التي شهدتها الجمهورية العربية اليمنية في ذلك الوقت . .

ففي الفترة من ٢٦ سبتمبر حتى ٥ نوفمبر ١٩٦٧م شهدت البلاد ثمانية تغييرات وزارية ، ولقد كان متوسط حكم الوزارة خلال هذه الفترة حوالي ٧ أشهر ، ولقد شهدت الجمهورية العربية اليمنية العديد من المؤتمرات الشعبية والكل يجتهد المصلحة ويطالب ، ولكن ظروف المرحلة كانت هي المقررة لنوعية الحكم والسياسة في البلاد . .

سبق الحديث ان ثورة السادس والعشرين من

سبتمبر كانت ثورة من أجل بناء دولة المؤسسات التي يستطيع ان ينعم في ظلها الجميع . . ثورة من أجل بناء دولة القانون التي تشمل عناصرها الدستورية - الفصل بين السلطات - خضوع الحكام للقانون - انفصال الدولة عن اشخاص حكامها - تدرج القواعد القانونية - اقرار الحقوق الفردية للمواطنين - تنظيم الرقابة التشريعية والقضائية على الهيئات الحاكمة . . كما سبق القول ان البرلمان هو سلطة تشريع ورقابة ، ولا يمكن ممارستها الا في مجتمع يتمتع بدرجة مناسبة من الحريات العامة . . وفي هذا الشأن نلاحظ انه نتيجة للاوضاع الاستثنائية التي عاشتها الجمهورية العربية اليمنية منذ ولادتها لم يطبق اي من الدساتير والاعلانات الدستورية المعلنة ، ولذا فان ظروف المرحلة بما يعنيه من سيطرة السلطة التنفيذية على سلطات الدولة الاخرى قد استمر حتى قيام المصالحة اليمنية بين الاطراف المتنازعة ، وبعدها انتقلت السلطة التشريعية من النظرية الى التطبيق - ولو جزئيا - وذلك باعلان تشكيل المجلس الوطني المؤقت الذي يمارس اعمال مجلس الشورى المنصوص عليه في الدساتير السابقة ، والذي انيط به القيام باعداد دستور دائم للبلاد . .

والملاحظ في وقتنا ان نظام الحكم يقوم على وثيقتين اساسيتين هما الدستور الدائم للبلاد والميثاق الوطني . . ولذا فسيقوم الباحث بدراسة اسلوب النشأة لهما وبيان خصائصهما ، وتوضيح الحريات التي كفلاها للمواطنين . . وبعد ذلك سنواصل دراسة المسيرة البرلمانية الى الوقت الحاضر . .

الدستور الدائم والميثاق الوطني :-

اولا : نشأة كل من دستور عام ١٩٧٠م الدائم والميثاق الوطني :-

أ - نشأة الدستور الدائم :

أ - مرحلة ماقبل وضع الدستور الدائم لعام ١٩٧٠م

لقد وجدت بعض العوامل التي دفعت بدستور عام ١٩٧٠م الدائم للظهور واهم هذه العوامل :-

أ - ظهور المصالحة بين الاطراف اليمنية المتنازعة اثر مؤتمرات عدة عقدت بين الاطراف المعنية ، كان منها مؤتمر خمر عام ١٩٦٥م الذي احتضن جمعا كبيرا من اليمنيين ، حيث كان من أهم قراراته ماورد في المادة الخامسة ومانصه : (يقر المؤتمر اضافة المطالب التي وضعها شهيدنا العظيم ابو الاحرار الاستاذ/ محمد محمود الزبيري ورفاقه عام ١٩٦٤م وهذه المطالب الاساسية التي يجب ان تقوم عليها الدولة وعلى اساسها كما يلي :-

١ - تعديل الدستور
٢ - انشاء مجلس جمهوري
٣ - تاليف مجلس شورى
٤ - اعلان قيام تنظيم شعبي
٥ - تكوين جيش وطني قوي
٦ - تأليف مجلس دفاع
٧ - تأليف محكمة شرعية عليا تتولى محاكمة العابثين بأموال الدولة ومقدرات الشعب . .

ب - قيام حركة ٥ نوفمبر١٩٦٧م والتي تشكل على إثرها مجلس جمهوري (٧) .

اما الخطوات المرحلية - او مايمكن تسميتها بالخطوات التحضيرية - لظهور دستور ١٩٧٠م الدائم فقد تمثلت بالاتي :-

١ - صدور قرار المجلس الجمهوري رقم (٣٨) لسنة ١٩٦٨م والخاص بتشكيل لجنة تأسيسية تتكون من خمسة عشر عضوا من كبار رجالات الدولة من العلماء والمثقفين واهل الراي والحكمة . . وقد حددت المادة الثانية من القرار اختصاص هذه اللجنة بمهمتين رئيسيتين :-

الاولى: اعداد مشروع الدستور الدائم

المهمة الثانية : التحضير لتكوين مجلس الشورى وتحديد اختصاصاته .

وعلى الرغم من بدء اللجنة التأسيسية السابق ذكرها للاعمال الموكلة اليها . . الا انه لظروف المرحلة ولجسامة المسئولية رأت القيادة السياسية ضرورة تشكيل مجلس وطني مؤقت عن طريق التعيين يمثل جميع الفئات الشعبية ليقوم بهذه المهمة ويباشر اعمال السلطة التشريعية في البلد حتى يتم انتخاب مجلس الشورى (٨)

٢ - صدور القرار الدستوري المؤقت رقم (٢) لسنة ١٩٦٨م والخاص بقيام المجلس الوطني المؤقت باعداد دستور للبلاد . . حيث نصت المادة الثانية منه على ان (يقوم المجلس الوطني المؤقت بوضع دستور الجمهورية العربية اليمنية) . . (٩)

وهكذا يلاحظ المتتبع ان اختصاصات ومهام اللجنة التأسيسية قد أوكلت الى المجلس الوطني المؤقت ، الى جانب قيامه بأعمال السلطة التشريعية حتى يتم قيام مجلس شورى منتخب . .

- الطريقة التي وضع بها الدستور الدائم لعام ١٩٧٠م
تتعدد طرق وأساليب نشأة الدساتير ، حيث هنالك مايسمى بالاساليب الملكية اوغير الديموقراطية ، وتتمثل في طريقتين هما : طريقة المنحة ، وطريقة العقد وهنالك أساليب ديموقراطية في وضع ونشأة الدساتير حيث يصدر الدستور اما عن طريق جمعية تأسيسية او بأسلوب الاستفتاء الشعبي . .

أما الدستور الدائم للجمهورية العربية اليمنية الصادر عام ١٩٧٠م فقد قام المجلس الوطني المؤقت بمهمة اعداد مشروع هذا الدستور على النحو التالي :-(١٠)

شكل المجلس لجنة تحضيرية يمتاز اعضاؤها بالعلم والرأي والحكمة بهدف اعداد مشروع الدستور الدائم وبالتالي اكمال مابدأته اللجنة التأسيسية - سالفة الذكر

- وقد توصلت اللجنة التحضيرية بعد مداولات واجتماعات عدة الى وضع دستور يتلاءم مع المجتمع اليمني مبادئا وقيما . .

- تم عرض مشروع الدستور الدائم المقترح من قبل اللجنة على المجلس الوطني المؤقت ، لمناقشته والتصويت عليه ومن ثم اقراره . .

- تم إقرار مشروع الدستور الدائم من قبل المجلس الوطني المؤقت ، ثم ترك للشعب لمناقشته ودراسته ، وإبداء الرأي في مواده ونصوصه باعتبار الشعب صاحب الحق في ذلك ومصدر السلطات جميعا . .

- عرض مشروع الدستور الدائم على الشعب حيث (ترك للشعب كامل الحرية في مناقشته ودراسته وابداء الرأي في مواده ونصوصه وصياغته . .

ومضت ثلاثة أشهر منذ اعلان مشروع الدستور في ليلة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٠م والاجتماعات لمختلف الفئات تعقد في العاصمة والمدن والقرى للحوار المفتوح بين المواطنين وتبادل الرأي ووجهات النظر . .

والمجلس الجمهوري يتلقى الاراء بالبرقيات والرسائل ، ويجتمع برجال الشريعة والعلماء والمشايخ وذوي الرأي والمفكرين والمثقفين ويستمع الى ارائهم ويدخل معهم في حوار ونقاش . . (١١)

وهكذا من خلال الخطوات السابق ذكرها ، يتبين لنا الاجراءات السابقة على صدور الدستور الدائم الصادر عام ١٩٧٠م والمعمول به حاليا وكذا اتضحت لنا الطريقة التي بها وضع وعلى أساسها أقر . .

- تقويم الطريقة التي وضع بها الدستور الدائم الصادر عام ١٩٧٠م

من خلال العرض السابق يتضح لنا الامور التالية: (١٢)

- قصور الاسلوب المتبع في معرفة رأي الشعب في الدستور وعدم كماله لانه اقتصر على محاولة معرفة اراء بعض الفئات الاجتماعية على نطاق ضيق ، وعبر وسائل غير مألوفة ، وغير ميسرة عمليا لغالبية ابناء الشعب اليمني . .

- ظهور بوادر التوجه الشوروي الديموقراطي للقيادة السياسية ، حيث حاولت اشراك الشعب في وضع دستوره الدائم آخذة في الاعتبار امكانات الشعب المادية والفكرية . .

اقتراب طريقة وضع دستور ١٩٧٠م الدائم من الاساليب الديمقراطية المعروفة في نشأة الدساتير وان اختلفت في الشكل ، فقد اقتربت في الجوهر . .

ثانيا : نشأة الميثاق الوطني :-

لم تكن الثورة السبتمبرية غاية في حد ذاتها وانما قام بها الشعب اليمني بهدف القضاء على الحكم الامامي وبالتالي الانتقال بالشعب اليمني من حياة القرون الوسطى المظلمة الى حضارة القرن العشرين المزدهرة .

واستمرارا للتحول الثوري السبتمبري ، وتحقيقا لطموحات شعبنا اليمني ، والانتقال بالاهداف السبتمبرية الى حيز التطبيق الفعلي - ارتأت القيادة السياسية الحكيمة ممثلة بزعامة الاخ العقيد/ علي عبدالله صالح ، ضرورة تحقيق تطلعات وآمال شعبنا عن طريق العثور (على صيغة عملية تتفاعل مع مبادئه وقيمه واهداف ثورته) (١٣)

وسعياً للحفاظ على الوحدة الوطنية ، وكذا ملء الفراغ السياسي الذي يعاني منه الواقع اليمني ، كان لابد من (وجود ميثاق وطني ، يتضمن الفكر الذي يلتقي حوله جميع ابناء الشعب اليمني ضماناً لحصانة فكرية تحمي من الارتهان السياسي والاستلاب والتشقق . . (١٤)

١ ـ مراحل نشأة الميثاق الوطني . .

أ ـ المرحلة التحضيرية : وقد تمثلت في الخطوات التالية :ـ (١٥)

ـ أوكلت القيادة السياسية مهمة الاضطلاع بوضع التصورات المبدئية لبلورة وجود ميثاق وطني الى مجلس الشعب التأسيسي . .

ـ تم تشكيل لجنة ضمت مختلف القدرات والكفاءات الوطنية من مجلس الشعب التأسيسي ومن خارجه ، وتفرع عن تلك اللجنة لجان اخرى ضمت كل ذوي اختصاص في اختصاصه واقيمت اللقاءات والندوات والنقاشات . .

ـ تمخض عن تلك الجهود الفكرية ظهور مشروع الميثاق الوطني ، حيث قدم للاخ الرئيس القائد ، فأحاله على المجلس الاستشاري لمناقشته وقد اثرى بنقاش وملاحظات اعضاء المجلس جعلته مشروعا أشمل . .

ـ وبهدف الوصول الى مشروع اكثر شمولا قررت القيادة السياسية ضرورة طرحه لمناقشته في اجتماع موسع ضم مجلس الوزراء والاستشاري ومحافظي الالوية وغيرهم من المسئولين في المؤسسات الرسمية والعسكرية والمدنية والشعبية ، ومن ثم صوت الجميع عليه كمشروع يعرض على الشعب . .

ب ـ مرحلة تشكيل لجنة الحوار الوطني وعرض مشروع الميثاق على الشعب . .

ايماناً من القيادة السياسية بزعامة الاخ العقيد/ علي عبدالله صالح على ارساء قواعد المشاركة الشعبية ، وتأكيدا على جدية القيادة في تمكين الشعب من الأخذ بزمام المبادرة في صنع فكره الوطني والتهيئة للمؤتمر الشعبي العام (١٦)

وقد تشكلت لجنة الحوار الوطني (من خمسين عضوا من العناصر الوطنية المخلصة والتي تمثل كافة الفئات في بلادنا ، وقد تركزت مهمة هذه اللجنة في النزول (بمشروع) الميثاق الى المواطنين لشرحه لهم وتفسير مايرونه في حاجة الى تفسير وتبادل معهم الحوار (١٧)

وقد تولت (لجنة الحوار الوطني مهمة عرض مشروع الميثاق الوطني على الشعب باعتباره صاحب المصلحة العليا في تقرير شئون حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . .

أما من حيث الفترة الزمنية التي قضتها لجنة الحوار الوطني بهدف انجاز عملها فقد استغرقت مايقرب من عامين تأخذ وتعطي ، ثم كانت مرحلة العرض على الشعب لاستبيان رأيه وجاءت النتيجة بعد ان تمت عملية الاستبيان بمنتهى الديموقراطية التي شارك فيها الجميع ، وبروح مسئولة واعية واشراف اعضاء لجنة الحوار على عملية الاستبيان ، وعادت الاستمارات الى اللجنة بعد ان ادلى كل مواطن برأيه في كل باب وفصل . . وقامت اللجنة بفرزها وتصنيفها وتفريغها الى مجالاتها وابوابها حسب توجيهات الاخ الرئيس القائد الامين، وعلى ضوئها اعادت صياغة مشروع الميثاق (١٨) . .

جـ ـ مرحلة اقرار الميثاق الوطني من قبل المؤتمر الشعبي العام :ـ

عقب قيام لجنة الحوار الوطني بعرض مشروع الميثاق الوطني على الشعب عبر مؤتمرات شعبية ، ارتأت القيادة السياسية قيام مؤتمر شعبي منتخب من ابناء الشعب حيث كان القرار رقم (١٩) لسنة ١٩٨١ بتحديد عدد اعضاء المؤتمر الشعبي العام بألف عضو يمثلون الشعب على ان يتم انتخاب ٧٠٪ من اعضائه من قبل المواطنين انتخابا حرا و(٣٠٪) يتم من قبل الدولة اختيارهم لمراجعة مشروع الميثاق الوطني في ضوء نتائج استمارات الاستبيان واقراره في صيغته النهائية ، وتحديد اسلوب العمل لتطبيقه (١٩)

وبهدف اقرار الميثاق الوطني وتحديد اسلوب العمل السياسي لتطبيقه تم في العاصمة صنعاء انعقاد المؤتمر الشعبي العام الاول في الفترة من ٤ ـ ٩ ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٩ اغسطس سنة ١٩٨٢م . . واتخذ عددا من القرارات الهامة والايجابية . . (٢٠)

اما قرارات وتوصيات المؤتمر الشعبي العام الاول فقد تمثلت في الاتي :ـ

١ ـ اقر المؤتمرون بالاجماع الميثاق الوطني في صيغته

النهائية باعتباره المنهج الفكري للعمل الوطني في شتى المجالات بعد اضافة التعديلات التي ظهرت من خلال مداولات المؤتمر ، وفي اطاره تتحدد برامج العمل السياسي ومعالم الطريق للمستقبل في ظل النظام الديمقراطي الشامل . .

٢ ـ أقر المؤتمرون التزامهم بالميثاق الوطني . نصا وروحا والالتزام بمتابعة تطبيقه في نطاق مسئولياتهم الرسمية والشعبية . .

٣ ـ يؤكد المؤتمر على اهمية التزام جميع الاجهزة الحكومية والمؤسسات والهيئات العامة والشعبية وجميع المواطنين بتطبيق الميثاق الوطني في مجالات العمل المناط بهم والالتزام به في خططها وبرامجها واسلوب عملها . . (٢١)

ومن جهة اخرى اقر المؤتمر بقاء المؤتمر الشعبي العام بتكويناته المختلفة واستمراريته كاسلوب للعمل السياسي يسعى لتطبيق مضامين الميثاق الوطني في مرحلة مابعد اقراره حاضرا ومستقبلا . . (٢٢)

■■ المبادىء التي يرتكز عليها كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني :-

١ ـ الحكومة المقيدة :-

أخذ كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني بمفهوم الحكومة المقيدة حيث نجد الدستور في مادته (٦٥) ينص على ان لمجلس الشورى حق سحب الثقة من الحكومة . . (٢٣)

ولم يكتف الدستور بتخويل مجلس الشورى ـ المنتخب من قبل الشعب حق سحب الثقة عن الحكومة وفي حالة عدم تمثيلها للمصالح الشعبية . .

بل خول المحكمة الدستورية العليا المنتخبة من قبل مجلس الشورى حق محاكمة اعضاء السلطة التنفيذية جميعا . .

حيث نصت الفقرة (جـ من المادة (١٥٥) على ان للمحكمة الدستورية العليا حق (محاكمة رئيس واعضاء المجلس الجمهوري ورئيس الوزراء والوزراء . (٢٤)

وكذا نجد الميثاق الوطني يأخذ ـ ايضا ـ بمفهوم الحكومة المقيدة والمسئولة امام ممثلي الشعب . فعند حديثه عن الديمقراطية يؤكد على ان (الديمقراطية تتنافى مع تركيز السلطة في يد فرد واحد او في يد مجموعة من الافراد ، بل يجب ان تقوم على المؤسسات الدستورية المتمثلة في السلطة التشريعية في مجلس الشورى الممثل للشعب وفي السلطة التنفيذية التي تمثل الحكومة المسئولة امام مجلس الشورى . . (٢٥)

وفي توضيح اكثر عن مسئولية الحكومة امام مجلس الشورى نص الميثاق على ان لمجلس الشورى حق منح الثقة للحكومة او يحجبها عنها ويسحبها منها . . وله الحق في محاسبتها كمجموعة او محاسبة اي وزير مشترك فيها . . (٢٦)

وهكذا نجد ان مفهوم (الحكومة المقيدة) قد كان احد المبادىء التي ارتكز عليها كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني . .

٢ ـ السيادة الشعبية

اذا كانت (السيادة الشعبية) تعنى ان السيادة حق لجميع افراد الشعب وان الشعب سيد نفسه ، فإننا نجد الدستور الدائم والميثاق الوطني كليهما قد جعلا من الشعب مصدر السيادة ومصدر السلطات . .

فالدستور ينص على ان (الشعب مصدر السلطات) . . (٢٧)

اما الميثاق الوطني فقد أكد على السيادة الشعبية عند توضيحه لمفهوم الديمقراطية المعبرة عن القاعدة الاسلامية في الحكم التي تقوم على الشورى وحق الناس في اختيار حكامهم (٢٨)

وتوكيدًا لأخذه بمبدأ السيادة الشعبية نجد الميثاق ينص على ان الديمقراطية تعني ان الدولة بمختلف سلطاتها حق الشعب ومن ثم فالشعب مصدر السلطات جميعا(٢٩) كذلك نص الميثاق على ان الشعب هو المرجع في كل سلطان . .

٣ ـ فصل السلطات مع التعاون فيما بينها :-

ان مبدأ فصل السلطات ، من المبادىء الكفيلة بعدم سيطرة وطغيان اي فرد او فئة ما على مقدرات الشعوب ومصيرها ، حيث ان هذا الفصل بين السلطات يعبر عن مبدأ اصيل من مبادىء الديمقراطية . .

ولقد أشار الدستور الدائم ضمنا الى الفصل بين السلطات مع التعاون فيما بينها . .

اما الميثاق الوطني فقد كان اكثر وضوحا من

الدستور الدائم في اخذه بمبدأ الفصل بين السلطات العامة حيث اكد «ان نظامنا الجمهوري نظام ديمقراطي شوروي نيابي يتجسد في دولة المؤسسات الدستورية ، ويقوم على مبدأ الفصل بين السلطات» مع توضيح وبيان اختصاصات كل سلطة وأوجه التعاون والتنسيق في العلاقات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وطريقة تنفيذ احكام القضاء . .

أما بالنسبة للعلاقات التعاونية بين السلطات العامة وخاصة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية فان المتتبع لمواد الدستور الدائم ونصوص الميثاق الوطني يلحظ صلاحيات ومهام كل سلطة ويتبين مظاهر العلاقة التعاونية بين هاتين السلطتين . .

فالسلطة التنفيذية تمارس اعمالا تؤثر من خلالها على السلطة التشريعية ومن هذه الاعمال :-

- الاعداد والاشراف على انتخابات مجلس الشورى والذي يمثل بدوره الهيئة التشريعية العليا للدولة . . (٣٠)
- حق تعيين مانسبته ٢٠٪ من مجموع عدد اعضاء مجلس الشورى البالغ ١٥٩ عضوا (٣١)
- القيام بدعوة مجلس الشورى للانعقاد(٣٢)
- حق حل مجلس الشورى(٣٣)
- حق اقتراح مشاريع القوانين واقتراح تعديل القوانين وابداء الاراء حولها ثم التصديق عليها واصدارها بعد إقرارها من مجلس الشورى (٣٤).

وبالمقابل فقد خول الدستور الدائم والميثاق الوطني السلطة التشريعية صلاحيات تمارسها ، وتستطيع من خلالها التأثير على السلطة التنفيذية ومن هذه الصلاحيات :-

- حق اعضاء مجلس الشورى في سؤال واستجواب وتوجيه الاتهام للحكومة (٣٥)
- القيام بترشيح وانتخاب رئيس الجمهورية (٣٦)
- حق مجلس الشورى في حجب وسحب الثقة عن الحكومة (٣٧)

من العرض السابق وباستقراء مواد الدستور الدائم الصادر عام ١٩٧٠م وكذا نص الميثاق الوطني نستطيع القول أن الدستور والميثاق قد اخذا بمبدأ الفصل بين السلطات مع التعاون فيما بينها . .

حيث خولا كل سلطة صلاحيات ، تمكنها من اداء عملها باستقلالية من جانب وتتعاون مع السلطة الاخرى من جانب اخر . .

■■ خصائص الدستور الدائم والميثاق الوطني :-

هنالك سمات مشتركة ، تميز وتجمع كلا من الدستور الدائم والميثاق الوطني ، ومن هذه السمات . .

١ - تأكيد التمسك باحكام الشريعة الاسلامية :-

أكد الدستور الدائم على ضرورة التمسك باحكام الشريعة الاسلامية ، حيث نص في مادته الثانية على ان (الاسلام دين الدولة) (٣٨)

ولم يكتف بذلك بل أوضح ان (الشريعة الاسلامية مصدر القوانين جميعا) (٣٩)

أما الميثاق الوطني فقد خصص بابا كاملا بعنوان (الاسلام عقيدة وشريعة) حيث أكد من خلاله على أن الدين الاسلامي هو عقيدة وشريعة للشعب اليمني ، كذا يجد المتتبع لنصوص ومضامين الميثاق الوطني انها ذات اطار وتوجه اسلامي . .

فالميثاق يرى (أن الاسلام بالنسبة للشعب اليمني كان وما يزال - أساس تكوينه الفكري والروحي ، فهو بمبادئه وقيمه الاخلاقية ، ضمير شعبنا الذي يستحيل تجاهله واستبداله بضمير آخر، ذلك ان النظرية الاسلامية للكون والانسان تتميز بالشمول لكل جوانب الحياة المادية والروحية) (٤٠)

كذلك نجد الميثاق يرفض اي توجه غير اسلامي ، في شتى الجوانب ، حيث يقول (اننا نرفض اية نظرية في الحكم ، أوالاقتصاد او السياسة ، او الاجتماع تتناقض مع عقيدتنا وشريعتنا الاسلامية) (٤١)

٢ - السعي لتحقيق الوحدة الوطنية اليمنية :-

إن العمل على ترسيخ الوحدة الوطنية ، واعادة تحقيق الوحدة اليمنية هدف عظيم سعى الشعب اليمني - ولا يزال يسعى الى تحقيقه . .

فقد عبر كل من الدستور الدائم ، والميثاق الوطني عن هذا الهدف الشعبي العظيم والمقدس . .

فالدستور ينص على «ان لليمن كل لايتجزأ ،

والسعي لتحقيق الوحدة اليمنية واجب مقدس على كل مواطن» (٤٢)

ومما يلفت الانتباه هنا ، ان الدستور الدائم - عبر مادته الخامسة - قد اقر للمواطن اليمني مشروعية سعي هذا المواطن لتحقيق وحدة وطنه ، واعتبر هذا واجبا مقدسا فالبعد الشعبي لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية هنا طغى على البعد الرسمي وكأن الدستور الدائم اراد ان ينبهنا الى ان العمل الشعبي - عادة - أصدق واعمق من العمل الرسمي في تحقيق الاهداف الوطنية والقومية العليا . .

اما الميثاق الوطني فقد نظر الى الوحدة اليمنية الشاملة على انها كانت احدى ركائز الحضارة اليمنية القديمة حيث أكد عبر حقيقته الاولى قائلا : (ان شعبنا لم يصنع حضارته القديمة الا في ظل الاستقرار والامن والسلام ولم يتحقق له ذلك الا في ظل وحدة الارض والشعب والحكم (٤٣)

وفي اجابته على تساؤ ل : لماذا الوحدة الوطنية؟ يجيب الميثاق الوطني مؤكدا (ان الوحدة الوطنية هي القوة التي نواجه بها كل المخاطر التي تهدد كياننا واستقرارنا وسيادتنا الوطنية (٤٤)

وقد نظر الميثاق الوطني الى الوحدة اليمنية على انها تمثل هدفا استراتيجيا وحتميا لتقدم الشعب اليمني وتطوره ، وتمكينه من القيام بدوره الفاعل والايجابي على المستويين القومي والدولي ، حيث يقول (ان الوحدة اليمنية هي قدر شعبنا في شمال الوطن وجنوبه ، وضرورة حتمية لتكامل نموه وتطوره ، وضمانة لقدرته على حماية كيانه وقدرته على اداء دور فعال وايجابي على المستوى القومي والدولي) (٤٥)

- التأكيد على العروبة ، انتماء ووحدة :-

أكد كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني على عروبة الشعب اليمني اصلا وحضارة وتاريخا . .

فقد عبرت مقدمة الدستور الدائم عن هذه الحقيقة بقولها (نحن اليمنيين شعب عربي مسلم ، لابقاء لنا ولا لوطننا الا بالتمسك بجنسيتنا العربية الاصلية التي لايستطيع شعب ينتمي الى العروبة ان يدعيها قبلنا أو يقدم لنا دروسا فيها) (٤٦)

واستمرارا في تأكيده على الانتماء العربي للشعب اليمني ينص الدستور الدائم في مادته الاولى على ان (اليمن دولة عربية اسلامية ، مستقلة ذات سيادة تامة وهي جمهورية شوروية نيابية والشعب اليمني جزء من الامة العربية) (٤٧)

كذلك اكد الميثاق الوطني على الانتماء العربي للشعب اليمني وضرورة السعي لتحقيق الوحدة العربية الشاملة حيث يقول (ولما كان ارتباطنا بالامة العربية قدرا ومصيرا فإنه يتوجب علينا ان نواصل تفاعلنا الجاد مع كل أماني وطموحات الامة العربية (٤٨) .كذلك يؤكد الميثاق على ايمان الشعب اليمني الراسخ بالوحدة العربية وتفاعله مع قضاياه وهمومه ومعاركه المشروعة والعادلة حيث يقول (ان ايماننا بالوحدة العربية يتأكد في تفاعلنا مع كل قضايا امتنا العربية العادلة والمشروعة. . في اسهامنا معها في كل معاركها ضد اعدائها) (٤٩) .

حظر الحزبية :-

على الرغم من ان دستورنا الدائم قد أجاز حرية تكوين الجمعيات والنقابات حيث نص على ان (حرّية تكوين الجمعيات والنقابات على أسس وطنية سليمة مكفولة وفقا للشروط والاوضاع التي يبينها القانون) (٥٠)

الا انه في الوقت نفسه رفض الحزبية بشتى اشكالها رفضا مطلقا ، حيث نصت المادة ٣٧ منه مؤكدة ان (الحزبية بجميع اشكالها محظورة) (٥١)

أما الميثاق الوطني فلم يقف موقفا حازما ، وصريحا من فكرة الحزبية وان كان قد أشار عند حديثه عن المعيار الثالث للولاء الوطني والمتمثل في الحفاظ على الوحدة الوطنية ، الى ضرورة الابتعاد عن التعصب الطائفي أو السلالي او القبلي أو الحزبي ، وغيرها من التعصبات التي تمزق الوحدة الوطنية وتضر بمصلحة المواطن والوطن) (٥٢)

كذا يلاحظ أن الميثاق الوطني قد ارتاى ان (اي تبعية خارجية مادية او فكرية او التزام تنظيمي يعتبر خيانة واضرارا بمصلحة الوطن العليا واخلالاً بالولاء الوطني) (٥٣)

وهكذا نجد ان الدستور الدائم كان اكثر وضوحا وصراحة من الميثاق الوطني في الاشارة الى موضوع حظر الحزبية .

بيان الحريات والحقوق العامة في كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني :-

كفلت كثير من الشرائع الدينية والمواثيق الدولية حريات وحقوق عامة انسانية يتوجب ان يتمتع بها الإنسان ويجب ان لايحرم منها او تسلب منه اذا أريد لهذا الانسان ان يؤدي دوره الحضاري والانساني على هذه الارض . .

ومن هذه الحقوق والحريات العامة : حق الحياة وحق الامن ، وحرية العقيدة والديانة ، وحرية الرأي والتعبير ، وحق التملك ، وحق العمل وغيرها من الحريات والحقوق . .

وقد كفل كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني للانسان اليمني كثيرا من الحقوق والحريات العامة . . ويمكن تبيان هذه الحقوق والحريات كالتالي :-

١ - مبدأ المساواة :-

بهدف قيام مجتمع يمني قوي متضامن ومتماسك أكد دستورنا الدائم على ضرورة تحقيق العدل والحرية والمساواة بين ابناء المجتمع الواحد . .

حيث يرى ان (التضامن الاجتماعي القائم على العدل والحرية والمساواة اساس المجتمع) (٥٤)

واستمرارا لاخذه بمبدأ المساواة بيّن الدستور الدائم في المادة التاسعة عشرة ان (اليمنيون متساوون في الحقوق والواجبات العامة) (٥٥)

كذلك نجد الميثاق الوطني قد اخذ بمفهوم المساواة الشاملة بين ابناء المجتمع اليمني حيث (لاسيادة لنسب ولا لمال ولا لفرد ولا لطائفة او شلة من الناس ولكن المواطنين جميعا بنية واحدة تستمد حياتها من كل عضو ، وتمد كل عضو بحياته) (٥٦)

وفي تفصيل اكثر لمبدأ المساواة بين افراد الشعب الواحد أكد الميثاق على ضرورة ممارسة كل مواطن لحقوقه المدنية والسياسية افرادا وجماعات دون تفرقة او تمييز حيث وضح ان (المواطنون سواسية في حق التصويت وإبداء الرأي وفي كل الحقوق والواجبات وعلى هذا الاساس فان حق المشاركة في النشاط العام وحق التمتع بكافة الحقوق السياسية والمدنية وحق الترشيح والانتخاب ، حقوق يجب ان تكون مكفولة للافراد والجماعات على حد سواء يمارسونها بالاساليب الديمقراطية جاعلين المصلحة الوطنية فوق اي اعتبار آخر) (٥٧)

وهكذا نجد ان الميثاق الوطني ، قد كفل لكل اليمنيين ، افرادا وجماعات حق ممارستهم لحقوقهم المدنية والسياسية ، بشرط ان تمارس بالاساليب الديمقراطية وان تكون مصالح الوطن العليا فوق اي اعتبار . .

٢ - حقوق وحريات الفرد المادية أو الشخصية :-

يعتبر حق الحياة وحق الامن وحرية الانتقال وحرية السكن وسرية المراسلات من اهم الحقوق والحريات التي يجب ان ينالها الفرد اذا اريد له أن يكون مواطنا صالحا وفاعلا في مجتمعه ووطنه . .

ولذا نجد ان كلا من الدستور الدائم والميثاق الوطني قد كفل للمواطن اليمني هذه الحريات والحقوق الشخصية . .

فالدستور الدائم كفل للمواطن حق الحياة والامن ، حيث اكد ان (للدماء والاموال والاعراض حرمتها وتكفل الشريعة والقانون وسائل حمايتها) (٥٨)

وكذا نص الدستور على انه (لايجوز تعذيب السجناء جسمانيا او معنويا) (٥٩)

كذلك اكد الدستور على ان (المتهم بريء حتى تثبت ادانته ، ولا يقضي بالعقاب الا بعد محاكمة شرعية ينظم القانون أجراءاتها ويكفل لها حرية الدفاع) (٦٠)

وبهدف ضمان حرمة السكن نص الدستور على ان (للمساكن حرمة فلا يجوز مراقبتها ولا دخولها بغير اذن اهلها الا في الحالات التي يبينها القانون) (٦١)

كذلك لم يجز الدستور ، ابعاد أي يمني عن وطنه أو منعه من العودة اليه وكذا اشترط في حالة اعتقال او احتجاز او تفتيش اي مواطن ، ان يكون بقانون ومن سلطة يخولها القانون ، حيث نص على انه (لايجوز ابعاد اي يمني من الاراضي اليمنيه او منعه من العودة اليها كما لايجوز احتجاز او اعتقال او تفتيش اي مواطن الا بقانون ومن سلطة يخولها القانون (٦٢)

وحول حرية المراسلات وسريتها اكد الدستور على ان (حرية المراسلات البريدية والبرقية والهاتفية مصونة وسريتها مكفولة فلا يجوز مراقبتها وافشاء سريتها او تأخيرها الا في الاحوال التي يبينها القانون (٦٣)

كذلك نجد الميثاق الوطني حريصا على ان يتمتع المواطن اليمني بكافة حقوقه وحرياته الشخصية والمادية ، سواء كانت حق الحياة ، والامن . ام حرية الانتقال وحرية السكن وحرية اختيار العمل وعدم الاعتقال التعسفي ، حيث نص على ضرورة (ضمان حرية التنقل ، وحرية اختيار العمل ، وضمان حرية المواطن في بيته ووطنه ، فلا يعتدي عليه بظلم او قتل او سلب ولا يجوز اقتحام بيته ولا الدخول اليه الا باذنه ، ولا يجوز اخضاعه للرقابة والتفتيش او مؤاخذته بالتهمة او بالظن ويجب حمايته من القبض التعسفي . .) (٦٤)

ويواصل الميثاق تعداد حقوق المواطن الشخصية مؤكدا على عدم تعدد جهات القبض والحبس وربط ذلك بالقضاء وضرورة اشعار المتهم ، ومنحه فرصة الدفاع عن نفسه وكذا تحريم اخفاء مكان المواطن عن أهله وذويه ، وعدم جواز استخدام التعذيب الجسدي والنفسي ضد المواطن مهما كانت المبررات والاسباب (٦٥)

٣ ـ حقوق وحريات الفرد المعنوية :ـ

تعتبر حرية العقيدة والعبادة وحرية الرأي والتعبير والاجتماع وحرية التعليم ، والصحافة . . من أهم الحريات والحقوق التي كفلها واقرها كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني للانسان اليمني . .

فالدستور اكد على حرية العقيدة والعبادة ، والحقوق الانسانية بصفة عامة ، عبر مادته الثالثة والاربعين مشيرا الى انه (لايجوز للدولة ان تفرق في الحقوق الانسانية بسبب الدين او اللون او الجنس او اللغة او الوطن او المهنة) (٦٦)

وهكذا يلاحظ ان الدستور الدائم ـ عبر مادته السابقة ـ قد اقر بالمساواة بين بني البشر عامة في الحقوق الانسانية ، ايا كان جنسهم او دينهم او وطنهم او لونهم ومهنتهم . .

كذلك اكد الدستور على حرمة دور العبادة باعتبارها امتدادا لحرية العقيدة والعبادة ، وكذا حرمة دور العلم بهدف ضمان الحرية العلمية والاكاديمية فنص على ان (لدور العبادة ودور العلم حرمة لايجوز المساس بها الا في الحالات التي تحتمها ضرورة الامن كما بينها القانون (٦٧)

اما بالنسبة لحرية الرأي والتعبير ، فقد نص الدستور على ان(لكل مواطن حق الاعراب عن فكره بالقول او الكتابة او التصوير في حدود القانون (٦٨)

وكذا وضح الدستور حرية التجمع بقوله (للفرد حق الاجتماع دون حاجة لاذن او اخطار سابق والاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات مباحة وفقا للشروط والاوضاع التي يبينها القانون) (٦٩)

من جانبه اكد الميثاق الوطني على حقوق وحريات المواطن المعنوية مشترطا ان يمارسها المواطن في اطر مرتكزات هذا الميثاق . .

فبالنسبة لحرية الفكر ، نص الميثاق على انه لابد من ان يكفل للانسان اليمني (حرية التعبير عن الرأي والفكر بكل وسائل التعبير) (٧٠)

اما حرية المعارضة فقد اقرها الميثاق الوطني بشرط ممارستها بالاساليب الديمقراطية ،وان تستهدف الحفاظ على المصلحة الوطنية العليا حيث يقول:ـ

«فإن حرية المعارضة يجب ان تكون مكفولة للافراد والجماعات على حد سواء ، يمارسونها بالاساليب الديمقراطية ، جاعلين المصلحة الوطنية فوق اي اعتبار اخر .» (٧١)

٤ ـ حقوق وحريات الفرد الاقتصادية والاجتماعية :ـ

يمثل حق وحرية العمل ، وحق التملك ، والعدل الاجتماعي من اهم الحقوق والحريات الفردية في المجال الاقتصادي والاجتماعي . .

وقد أشار كل من الدستور الدائم والميثاق الوطني الى ضرورة تمكين الانسان اليمني من التمتع بهذه الحقوق والحريات ، والحصول عليها اذا أريد لهذا الانسان ان يساهم مساهمة فعالة في عملية التحديث والتنمية الشاملة التي تأمل اليمن تحقيقها ، بهدف السير واللحاق بركب الحضارة الانسانية المعاصرة . .

فالدستور كان واضحا عندما أكد على حق

المواطن اليمني ، وحريته في العمل في اطار القانون والمصلحة العامة ، حيث نص على ان (لكل مواطن الحق في ممارسة العمل الذي يختاره لنفسه في حدود القانون ولا يجوز فرض عمل اجباري على احد الا في الاحوال التي يبينها القانون للمصلحة العامة وباجر عادل) (٧٢)

اما ممارسة المواطن اليمني للنشاط الاقتصادي الخاص وحق التملك ، فقد اقر الدستور الدائم هذه الممارسة وهذا الحق بشرط عدم الاضرار بمصلحة المجتمع حيث نص على ان (النشاط الاقتصادي الخاص حر على ان لايضر بمصلحة المجتمع) (٧٣)

وفي مادته الثانية عشر ، اكد الدستور على حق التملك بشرط عدم طغيانها على المصلحة العامة ، وفي حالة انتزاعها لمصلحة المجتمع من حق صاحبها الحصول على التعويض العادل . .

حيث نص الدستور موضحا ان (الملكية الخاصة مصونة ولا تنتزع الا للمصلحة العامة . . ويحدد القانون مقدار وطريقة التعويض) (٧٤)

اما حق العدل الاجتماعي فقد أشار اليه الدستور في أكثر من مادة حيث نص في مادته السادسة على ان (التضامن الاجتماعي القائم على العدل والحرية والمساواة اساس المجتمع) (٧٥)

وكذا أشار في مادته الخامسة عشر موضحا ان (العدالة الاجتماعية والمصلحة العامة اساس الضرائب والتكاليف العامة) (٧٦)

كذلك ركز الدستور على ضرورة حصول المواطن على حق الرعاية الصحية فنص على ان (الرعاية الصحية حق لليمنيين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها بحسب الامكانيات) (٧٧)

كذلك حذا الميثاق الوطني حذو الدستور الدائم في تبيانه لحقوق وحريات المواطن اليمني ، الاقتصادية والاجتماعية ، فقد بين مفهوم العدل الاجتماعي وحق العمل ، وحرية اختيار المواطن لما يتناسب وكفاءته وميوله ، وعدم اجباره على عمل ما الا اذا تطلبت مصلحة المجتمع ذلك وبشرط ان لا يخالف ذلك احكام الشريعة الاسلامية السمحاء . .

حيث اكد (ان من العدل الاجتماعي ان تفتح ابواب العمل ليختار المواطن منها ماتؤهله له كفاءته وخبرته وميوله ولا يفرض عليه عمل معين الا اذا تعين لمصلحة المجتمع ، كما لاتسد في وجهه ابواب العمل الا اذا كان مخالفا لاحكام الشريعة الاسلامية) (٧٨)

اما حق الملكية الخاصة ، فقد وضحها الميثاق في أكثر من موضوع ، حيث أكد عليها عند حديثه عن الديموقراطية الاقتصادية التي يجب ان تمارس وفق اسس محددة منها (عدم الاستغلال ، وتحريم المغالات والاحتكار ، الا لمصلحة عامة وبتعويض عادل ، وعلى تساوي الناس في عدل القانون فلا تكون الفوارق بينهم سببا في إستغلال الاقوياء للضعفاء أو في اغتصاب المالكين حق المحرومين محكومة باخلاق اسلامية تحرم الربا والاستغلال والاحتكار ، والغش وكل كسب حرام لاسيادة منها لطبقة دون طبقة ولا استئثار بالسلطة لاحد دون احد) (٧٩)

ويصل الميثاق الوطني نظرته للملكية الى مفهوم عام وشامل لها مبينا ان (الملكية التي نقرها ونحميها هي تلك التي تعين على تحقيق مقاصد الاسلام وتقوم قياما مشروعا وتتحرك حركة مشروعة) (٨٠)

وهكذا نجد ان الميثاق الوطني قد اقر بحماية الملكية الخاصة واحترامها على ان لاتتعارض مع المصلحة العامة حيث ان روافد الملكية الخاصة غير المشروعة من مغالات واحتكار ، واستغلال وغش ، وربا يجب ان تقاوم ويقضى عليها بهدف تحقيق العدل الاجتماعي ، ونشر المساواة والمحبة والاخاء بين ابناء المجتمع الواحد . .

وزيادة في التوكيد على حق الانسان اليمني في التملك الخاص والمشروع ، نص الميثاق على (ان الملكية الفردية المشروعة مصونة ولا تنزع الا بقانون ، لمصلحة عامة وبتعويض عادل) (٨١)

وعند حديثه عن الحقوق الاجتماعية للمواطن اليمني ، أكد الميثاق الوطني على ضرورة ان يسود العدل الاجتماعي بين ابناء الوطن الواحد لان انتشار العدل الاجتماعي بين افراد المجتمع يعني في مضمونه (. . ان يكفل للفرد التحرر من العوز، والتحرر من الاستعباد والاستغلال الاقتصادي ، وايجاد الظروف الملائمة ، التي يمكن فيها لاي فرد ان يستغل مؤهلاته وامكاناته احسن استغلال) (٨٢)

وهكـذا نرى ان الميثاق الوطني يهدف الى نشر السلام الاجتماعي وايجاد مجتمع يمني قوي يسوده ، الحب والتعاون والتكافل (فالحياة الاجتماعية تعاون وتكافل ، واطلاق للطاقات الفردية والعامة وليس صراعا طبقيا ولا حقدا وخصاما) (٨٣)

منذ اعلان الدستور الدائم الى يومنا ، شهدت الجمهورية ثلاثة مجالس نيابية ، اثنان بالانتخاب وهما مجلس شورى ١٩٧١م ومجلس شورى ١٩٨٨م ومجلس بالتعيين هو مجلس الشعب التأسيسي ١٩٧٨م - ١٩٨٨م كما ان البلاد شهدت فترة بدون مجلس من اكتوبر ١٩٧٥م - فبراير ١٩٧٨م . .

بالنسبة لمجلس شورى ١٩٧١م يعتبر اول مجلس منتخب في البلاد منذ قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ولقد اناط به الدستور الدائم مهام السلطة التشريعية فنص في المادة (٤٤) ان (مجلس الشورى هو الهيئة التشريعية العليا للدولة (ويتكون المجلس من ١٥٩ عضوا منتخبين انتخابا ديمقراطيا ويحدد قانون الانتخابات شروط وطريقة اكتسابهم العضوية ولرئيس الجمهورية ان يعين ٢٠٪ من عدد الاعضاء م (٤٦) وذلك يعني ان البلاد مقسمة الى ١٢٨ دائرة انتخابية ولرئيس الدولة الحق في تعيين ٣١ عضوا . .

بالنسبة للاعضاء المنتخبين يوضح الدستور الدائم وقانون الانتخابات الشروط المطلوبة فيمن يرشح نفسه . .

فيشترط ان يكون يمنيا لايقل عمره عن خمسة وعشرين عاما وان لايكون اميا وان يكون مستقيم الخلق محافظا على الشعائر الدينية ، وان لايكون قد صدر ضده حكم مخل بالشرف مالم يكن قد رد اليه اعتباره ، وان لايكون موظفا عاملا . .

ويمكن القول هنا ان الشروط الواجب توافرها في المرشح بالانتخابات هي الشروط المطلوبة من الناخب باستثناء شرط العمر والتعليم فبالنسبة لعمر الناخب ان يكون قد بلغ الثامنة عشرة من عمره وبالنسبة للتعليم اجادة القراءة والكتابة

■■ فترة المجلس :-

مدة مجلس الشورى حددت باربع سنوات حسب نص المادة (٥٠) من الدستور الدائم تبدأ في اول اجتماع له وتنص نفس المادة على ان تتم الانتخابات العامة لتجديد المجلس خلال الستين يوما السابقة على انتهاء مدته ، وذلك يعني انه خلال تلك الفترة المحددة بستين يوما السابقة على انتهاء المجلس قد تجري الانتخابات وتعلن نتائجها كاملة قبل انتهاء المدة المحددة . . وذلك يعني تشكيل المجلس الجديد مع بقاء المجلس القديم حتى نهاية فترته القانونية . . بعد ذلك يجتمع المجلس الجديد لممارسة اعماله . .

وأيضا قد لاتتم الانتخابات لاي سبب من الاسباب فذلك يعني ان المجلس يظل يمارس اعماله حتى يتم انتخاب المجلس الجديد بشرط ان لاتزيد الفترة عن ثلاثة اشهر.اما اذا زادت الفترة عن ثلاثة اشهر لظروف تمنع قيام مثل تلك الانتخابات فيصدر قانون بتجديد الفترة . .

بالنسبة لمجلس شورى ٧١ فلم يسر على وتيرة واحدة حتى ينهي فترته . . فلقد بدأ عمله في عهد المجلس الجمهوري وجمد لفترة خمسة اشهر من قبل مجلس القيادة في يونيو ٧٤ ثم منح فرصة لاكمال فترته القانونية التي انتهت في اكتوبر ٧٥ ولم يدع الشعب لاجراء انتخابات جديدة واعتبر المجلس في حكم المنحل ولقد اثار ذلك غضب الكثير من رجالات البلاد التي عقدت مؤتمر خمر للسلام الثاني وشجبت حل المجلس ودعت لاجراء انتخابات جديدة ايضا عقدت مؤتمرات اخرى مؤيدة للحل ورفعت برقيات لمجلس القيادة تؤيد خطواته . .

بالرغم من الدور الذي مثله الا انه لم يحتل مكانة مرموقة في النظام السياسي ولا في عملية صنع القرار وبالرغم من كل الجهود التي بذلها المجلس الا انه لم يأخذ مكانته كجهاز تشريعي وكرمز لسلطة وسيادة الشعب وقد يكون ذلك عائدا لقلة الكفاءات في المجلس وعدم توفر الامكانيات المادية والمعنوية الا ان الشيء الذي يجب ان يذكر ان المجلس كان خطوة

* لايشترط في الناخب أن يقرأ ويكتب لممارسة حقه في إنتخاب ممثله لعضوية مجلس الشورى فهذا الشرطلابد أن يتوفر مع الشروط الاخرى في المرشح «الاكليل».

صحيحة على الطريق السليم وان أتى في فترة كانت البلاد فيها منهكة من الصراعات الداخلية والتآمرات الدولية .. بالاضافة الى قلة الامكانيات وندرة الكوادر المؤهلة ..

مجلس الشعب التأسيسي :-

يقول الرئيس الراحل احمد الغشمي في خطاب افتتاح مجلس الشعب التأسيسي ان ابرز السلبيات التي ارتكبها النظام السياسي (تتمثل في تجميد الحياة الديمقراطية وفي تعطيل مجلس الشورى) لذلك فما ان آلت اليه الامور (حتى سارع في انشاء مجلس الشعب التأسيسي كخطوة مهيئة وممهدة للحياة الديمقراطية والبرلمانية الكاملة - فأصدر اعلانا دستوريا بتاريخ ١٩٧٨/٢/٦م بتشكيل مجلس الشعب التأسيسي من ٩٩ عضوا يختارهم مجلس القيادة وجعل من اهم اختصاصاته تحديد شكل رئاسة الدولة والبت في ذلك واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذه ومباشرة مهام مجلس الشورى ..

ولقد قام المجلس باداء المهام التي أوكلت اليه وقرر تغيير شكل رئاسة الدولة من مجموعة اشخاص الى قائد واحد تتمثل فيه وحدة الوطن ..

ولقد كان الدور الحاسم والهام والذي سيظل التاريخ يذكره للمجلس هو ادارته للازمة عقب حادث اغتيال الرئيس احمد الغشمي فلقد لعب دورا هاما فوت على اعداء البلاد ماكانو يخططون له. ولو لم يلعب المجلس الا ذلك الدور لكفاه ..

وبعد انتخاب المقدم/ علي عبدالله صالح لرئاسة الجمهورية زاد عدد اعضاء المجلس الى ١٥٩ عضوا وايضا اضاف مهاما اخرى للمجلس حتى اصبح يمارس معظم مهام مجلس الشورى المنصوص عليها في الدستور وخلال الفترة التي مارس فيها التشريع لعب دورا هاما في تاريخ البلاد وفي اعدادها لانتخابات مجلس الشورى التي شهدتها البلاد في يوليو من عام (١٩٨٨).

مجلس الشورى :-

يختلف مجلس الشورى الحالي عن كل المجالس السابقة عليه اختلافا واضحا فقد اتى في مرحلة استقرار سياسي ووعي سياسي متنامي فظروف وواقع اليمن عام ١٩٨٨م مختلفة عن ظروف وواقع اليمن عام ٦٨، ٧١، ٧٨ فمجلس الشعب التأسيسي وبالرغم من كونه معينا قد لعب ادوارا بارزة وواضحة ومن أجل تهيئة البلاد لانتخابات عامة سواء للتنظيم السياسي الذي لم يكن موجودا قبل ١٩٨٢م او بالنسبة لمجلس الشورى وكما نعرف فان مجلس الشورى هو مجلس تشريع ورقابة وكما هو واضح ان التشريع في الاسلام مصدره الكتاب والسنة والمجلس يقوم بوظيفته على هذا الاساس وبعقلية القرن العشرين ايمانا بان الاسلام دين لكل زمان ومكان فهو يقوم باستنباط الاحكام الشرعية من الادلة التفصيلية من الكتاب والسنة وايجاد تشريعات لما يستجد من الامور نتيجة للتطور الحضاري الذي وصلت اليه البلاد ..

وتنظيم العلاقات سواء كانت داخلية او دولية فيما لا دليل فيه من كتاب او سنة وهذه التشريعات قد تكون نتيجة لضرورة مكانية أو زمانية وقد تتغير اذا مارأى المشرع ذلك فالاحتياجات تتغير كما تتغير الرغبات وهذا تشريع اسلامي ملزم لكل الشعب فالشعب اليمني في تطور مستمر لذا فقد لزم تنظيم كل أمور الدنيا على طريق الكفاءات والقدرات من ابناء هذه البلاد في كل جديد للوصول الى الغاية والمصلحة وهي تقدم البلاد ورفعة شأنها (انتم اعلم بشئون دنياكم) ايضا فالمجلس وجد لمراقبة السلطة التنفيذية للعمل على تحقيق مايصبو اليه الشعب من عزة وكرامة مقترنا ذلك بالتقدم الحضاري والملاحظ في الدستور الدائم والميثاق الوطني وتصريحات القيادة السياسية فان المجلس قد اعطى كل الصلاحيات لممارسة عمله في كل ماهو خير للشعب عن طريق الوصول الى الرأي الصائب والحكم العادل ..

الانتخابات :-

بالاطلاع على الدستور الدائم وقانون رقم (٢٩) لسنة ١٩٨٠ يتضح ان المشرع قد حدد اعضاء مجلس الشورى ب(١٥٩) عضوا وجعل انتخابهم عن طريق الاقتراع العام ماعدا نسبة ٢٠٪ يتولى تعيينهم رئيس الجمهورية.

■■ الدوائر الانتخابية :-

لقد اخذ القانون رقم (١) لسنة ١٩٧١م في شأن انتخابات مجلس الشورى بقاعدة تقسيم البلاد الى دوائر متعددة تسودها فكرة المساواة متخذا عدد السكان معيارا لهذا التقسيم ، وصدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٧٥م الذي حدد الدوائر الانتخابية بمائة وثمانية وعشرين دائرة انتخابية (١٢٨) ويكون لكل دائرة انتخابية نائب واحد . . وتختص اللجنة العليا للانتخابات بتقسيم الدوائر الانتخابية في البلاد على ان يراعي في ذلك مبدأ المساواة بين السكان ويسمح للجنة بالتجاوز ١٠٪ زيادة او نقصا مادة (٢٤) ، ولقد التزم القانون (٢٩) لسنة ١٩٨٠م بحدود ماجاء في سابقه . .

■■ نظام الانتخاب :-

لقد تم انتخاب اعضاء مجلس الشورى (١٩٧١م) بطريق الانتخاب غير المباشر حيث كان على ثلاث درجات على مستوى القرى ، العزل ، للنواحي . .

غير ان هذا الاسلوب عدل طبقا لقانون رقم (٢٩) لسنة ١٩٨٠م فأخذ بالانتخاب المباشر حيث نصت المادة (٢٦) منه على ان يتم الانتخاب عن طريق الاقتراع المباشر والمتساوي . .

■■ التحضير للعملية الانتخابية :-

يتضح ذلك بقيد الناخبين في قوائم الاقتراع من ناحية وبيان شروط واجراءات الترشيح من ناحية ثانية . .

فلقد وجه الاخ رئيس الجمهورية الدعوة لمجلس الشعب التأسيسي ان يبدأ في الاعداد لانتخابات مجلس الشورى. ولقد ادار مجلس الشعب الامور بدراية وخبرة الفترة التي قضاها لكي يضمن اختيار الشعب الصحيح لممثليه . . .

ففي بداية فبراير ١٩٨٨م بدأت عملية تسجيل الناخبين بصورة دقيقة عن طريق تقسيم البلاد الى مائة وثمانية وعشرين دائرة انتخابيه لانتخاب مائة وثمانية وعشرين نائبا . .

ولقد تم تقسيم المواطنين على الدوائر الانتخابية طبقا لتعداد ١٩٨٦م السكاني والذي بلغ فيه عدد المواطنين (٩٫٢٧٤٫١٧٣) مواطنا بحيث تمثل الدوائر الانتخابية حوالي (٧٢٫٠٠٠) مواطن . . كما حددت اللجنة الاشرافية على الانتخابات في مجلس الشعب مراكز انتخابية تابعة للدوائر بحسب الكثافة السكانية وحجم المنطقة التابعة لها الدائرة وكان عدد المراكز الثابته () ولقد استمرت عملية قيد الناخبين طوال شهر فبراير. ولقد بلغ عدد المسجلين (١٫١١٠٫٣٠٠) ناخب اي حوالي ١٠٪ من السكان وباستقراء الخارطة السكانية يلاحظ ان ذلك رقما مناسبا وكبيرا فعلا اذا لاحظنا ان حوالي نصف السكان ليسوا بالغين سن الرشد السياسي، ايضا حجم المهاجرين خارج البلاد والعنصر النسائي الذي لايعد نشطا سياسيا نتيجة للظروف الاجتماعية . .

وهنا يلاحظ المراقب ارتفاع نسبة الوعي مقارنا ذلك بدول مشابهة مرت بهذه التجربة مرات عديدة . .

ولقد صدر قرار رئيس الجمهورية بتحديد موعد الانتخابات وهو ٥ يوليو كما تم فتح الباب للمرشحين والذين بلغ عددهم ١٢٩٣ مرشحا

■■ المعركة الانتخابية :-

عندما توجهت الهيئة الناخبة صباح الخامس من يوليو الى المراكز الانتخابية لانتخاب ١٢٨ عضوا منتخبا في مجلس الشورى كانوا يؤرخون لمرحلة جديدة في حياتهم النيابية . . مرحلة تتسم بالمنافسة السياسية النشيطة . .

وبشعور جديد بالثقة يسمح للمواطن اختيار من يمثله بكل حرية.و لقد وجه الاخ رئيس الجمهورية الشعب بان عليهم تحكيم ضمائرهم فيمن ينتخبون واوجز الشروط التي يجب ان يلاحظها الناخب عندما يختار الا وهي (الايمان بالله، وشعبنا والحمد لله مشهود لكل ابنائه بالايمان والايمان بالثورة والنظام الجمهوري علاوة على الولاء الوطني والعفة والنزاهة ونكران الذات . .

فانتظمت الطوابير امام المراكز الانتخابية وقد سارت الامور بكل هدوء بعيدا عن التدخلات.ولقد احسنت الدولة صنعا حيث بقيت بعيدة عن الانتخابات لامن قريب ولا من بعيد . . بل قام المشرفون في نهاية اليوم الانتخابي في كل دائرة بفتح الصناديق والفرز لكل الاصوات بحضور كل المرشحين في الدائرة واطلاعهم على النتيجة وتوقيعهم على المحضر وهذا ما اقنع المرشحين والشعب بصحة وسلامة الانتخابات . .

ولقد شهد بنزاهة الانتخابات العديد من وسائل الاعلام الدولية.والواقع انه في كل الانتخابات التي عقدت في البلاد في الفترات السابقة سواء انتخابات المؤتمر الشعبي العام او المجالس المحلية او المؤتمر العام او غيرها من الانتخابات التي شهدتها الساحة اليمنية نلاحظ ان الحكومة قد ابتعدت عن التدخل المباشر فيها فلم تستبدل صندوقا بآخر ولم تحرق صندوقا ولم تمنع مواطنا من الادلاء بصوته ولم تفتعل ازمة في اية لجنة انتخابية . .

هذا الموقف كانت له ايجابياته التي عكست نفسها في شدة اقبال المواطنين على مقار اللجان الانتخابية ووصول عناصر مختلفة الى عضوية المجلس . . كذلك اظهرت النتائج تأثيرا واضحا لمتغيرات التعليم والسن والمهنة على تركيبة المجلس فقد نجح العديد من المتعلمين الشباب واصحاب التخصصات والمكانة المهنية في الوصول الى عضوية المجلس . .

وبملاحظتنا لبنية المجلس وبعد اختيار ٣١ عضوا اخر من قبل رئيس الجمهورية نجد انه قد وصل الى عضوية المجلس اعضاء يمثلون كل الشرائح فنجد الأكاديمي والسياسي المحترف ، ورجل الدين ، والشيخ ، والعسكري ، والمثقف والفلاح والتاجر والمقاول ، ونجد ايضا ان الشرائح السابقة تمثل الشباب والكهول ، وهذه التشكيلة كفيلة بان تمثل اليمن باكملها . .

■■ تنظيم سير العمل في المجلس :-

لكي يتمكن اعضاء المجلس من اداء مهمتهم يتعين توفير بعض الضمانات الاساسية التي تمكنهم بحرية واستقلال كاملين الوفاء بالاعمال المناطة بهم ولعل من اهم الضمانات حقهم في الاجتماع مدة الفصل التشريعي المحدد باربع سنوات سواء كان ذلك في اجتماعات عادية او غيرها . .

■■ التنظيم الداخلي للمجلس :-

اعطى الدستور الدائم المجلس الحق في ان يضع لائحته الداخلية متضمنة نظام سير العمل في المجلس ولجانه . . مادة (٦٠) واللائحة التي وضعها المجلس تتضمن تنظيم سير العمل في المجلس كما تحدد رئاسة المجلس ومكتبه ولجانه واختصاص كل منها . .

أ ـ رئاسة المجلس : ينتخب المجلس في اول اجتماع له بالاغلبية المطلقة لاعضاء المجلس رئيسا ووكيلين وامينا عاما من بين اعضائه لمدة المجلس ولرئيس المجلس رئاسة جلسات المجلس وهو الذي يفتتح الجلسات ويضبطها ويديرها ويأذن في الكلام ويحدد موضوع البحث . . ويطرح الاقتراح لاخذ الرأي عليه وينهي الجلسات ويعلن مايصدره المجلس من قرارات كما ان رئيس المجلس هو الذي يمثله في اتصاله بالهيئات الاخرى ويتكلم باسمه وفقا لارادة المجلس وقد باشر المجلس مهامه واداء مسئولياته وفتح باب الترشيح بين اعضائه لانتخاب رئيس المجلس والوكيلين والامين العام واجريت الانتخابات بالاقتراع السري حيث اسفرت النتيجة عن انتخاب القاضي عبدالكريم العرشي رئيسا لمجلس الشورى بالاغلبية المطلقة ورئيس المجلس الجديد مشهود له بالخبرة والحنكة السياسية،ولقد كان رئيسا لمجلس الشعب التأسيسي طيلة فترة وجوده كما كان رئيسا لمجلس الرئاسة بعد اغتيال رئيس الجمهورية السابق كما انتخب الاستاذ/ سعيد الحكيمي ويوسف الشحاري وكيلين للمجلس وعلي مقبل غثيم امينا عاما للمجلس وهم ممن تعرف عنهم الكفاءة والاقتدار . .

ب ـ مكتب المجلس : يتكون مكتب المجلس من رئيس المجلس والوكيلين والامين العام ، ويتولى مكتب المجلس الاشراف على نشاط المجلس ولجانه بما يكفل السير المنتظم لاعماله ويحدد مكتب المجلس في اجتماعات دورية الموضوعات الهامة التي سيكون

موضوع المناقشة في المجلس خلال الدورة . .

ج ـ لجان المجلس : لكي يحقق المجلس الفاعلية المطلوبة للبت في مشاريع القوانين انشئت اللجان لتقسيم العمل فيما بينها حسب التخصص . .

وتتمتع اللجان باهمية كبيرة في المجلس وهذه الاهمية تنبع من تركيزها على مجالات محددة تسمح بالدراسة الفاحصة والدقيقة لما يدخل في نطاق عملها من موضوعات كما ان الحرية التي اعطيت لكل عضو في الانضمام الى اللجنة او اللجان التي يستطيع الاسهام في مجال نشاطها جعلت عمل هذه اللجان متسما باكبر قدر من المرونة والحيوية . . لذا نجد انه عند تقييم العمل النيابي فان احد المعايير الهامة يكون بتتبع نشاط اللجان الموجودة . . وذلك لان المناقشة المتخصصة والمتعمقة يكون مكانها اللجان لا قاعة المجلس . .

واللجان الدائمة بمثابة القلب في المجلس فبالاضافة الى انها متخصصة فمهمتها دراسة التشريع المقترح والتوصية اما بإقراره أو رفضه وقرار اللجان يعتبر من اهم العوامل الرئيسية في تحديد مستقبل مشروع القانون . .

فعندما تقدم اللجنة المتخصصة تقريرا مؤيدا لمشروع القانون الى المجلس فالاحتمال كبير ان يتم اقراره ويندر ان ينجح مشروع قانون بدون موافقة اللجنة المتخصصة . .

ولقد اقام المجلس خمسة عشر لجنة متخصصة تبين اللائحة الداخلية الجوانب التنظيمية الخاصة بتكوينها كما تحدد النواحي الفنية المتعلقة بنشاطها . .

■■ جلسات المجلس :ـ

المقصود بجلسات المجلس الاجتماعات الفعلية التي يعقدها والقاعدة العامة ان جلسات المجلس علنية ومع ذلك يجوز عقدها سريا بناء على طلب رئيس الجمهورية او الحكومة او رئيس المجلس او عشرة اعضاء على الاقل وتكون مناقشة الطلب في جلسة سرية . .

ويعتبر مجلس الشورى في حالة انعقاد دائم . . وحتما يجتمع في بداية شهر مارس الى نهاية شهر يونيو ومن أول سبتمبر حتى نهاية ديسمبر . . ويحدد رئيس المجلس مواعيد الاجتماع في غير هاتين الفترتين بقرار منه . . وعلى رئيس المجلس ان يدعو المجلس لاجتماع عادي اذا طلب ذلك ثلث اعضاء المجلس او رئيس الجمهورية للنظر في جدول اعمال محددة . .

ولقد اقرت اللائحة الداخلية للمجلس ان يجتمع في جلسة عادية يوم الاثنين من كل اسبوع مالم يقرر المجلس غير ذلك ويدعو رئيس المجلس لعقد جلسات المجلس قبل المواعيد المقررة لعقدها بثمان واربعين ساعة على الاقل مع ارفاق جدول باعمال الجلسة والمذكرات والمشروعات الخاصة بها اذا لم يكن قد سبق توزيعها . .

■■ ضمانات استقلال مجلس الشورى :ـ

لكي يتمكن اعضاء المجلس من ممارسة المهام التي اوكلت اليهم بحرية يتطلب ايجاد بعض الضمانات لهم والحكمة من ذلك تتمثل في حماية اعضاء المجلس من الترغيب او التهديد . . فالحكمة من ذلك حماية المصلحة العامة وحماية لاستقلال المجلس . . وتكاد تجمع الدساتير الديمقراطية على الضمانات الاتية :ـ

١ ـ حرية الرأي والتفكير والمناقشة ، ولقد أقر الدستور الدائم في المادة (٥٨) على ان لايؤاخذ عضو مجلس الشورى بحال من الاحوال بسبب الوقائع التي يطلع عليها ويوردها او الافكار التي يبديها في عمله في المجلس او لجانه او بسبب التصويت في الجلسات العلنية او السرية ولا ينطبق هذا الحكم على مايصدر من العضو من قذف او سب كما نصت المادة ٥٩ من الدستور على ان يتمتع اعضاء المجلس بالحصانة ولا يجوز ان تتخذ ضد العضو اجراءات التحقيق او التفتيش او القبض او الحبس او اي اجراء جزائي آخر الا بإذن المجلس فيما عدا حالة التلبس بالجريمة وفي هذه الحالة يجب اخطار المجلس للعلم . .

■■ عدم الجمع بين عضوية المجلس والوظيفة العامة :ـ

يشترط الدستور في المادة (٤٩) على عضو مجلس الشورى ان لايكون موظفا عاملا كما ان قانون الانتخاب رقم (٢٩) لسنة ١٩٨٠م في المادة (٢٨)

والمادة (٣١) يوضح ان كل موظف مرشح للانتخابات يعتبر مستقيلا من وظيفته بحكم القانون فور اغلاق باب الترشيح . . ولاشك ان هذا المنع تأكيد وضمان لاستقلال عضو المجلس حيث يبقى بعيدا عن (سيف المعز وذهبه) وتأثير الحكومة ولا سيما وان من المفترض ان يراقبها . . فكيف يراقبها وهو موظف لديها او يعمل لحسابها فما عليه الا مجاملتها حفاظا على المركز .

المكافآت البرلمانية :-

بالرغم من عدم نص الدستور عليهاءالا ان اللائحة الداخلية للمجلس قد نصت في المادة (٢١٢) على ان (تستحق المكافأة للاعضاء من يوم تأدية اليمين الدستورية)

ولقد اوجب ذلك تحريم الجمع بين الوظيفة العامة وعضوية المجلس ولئلا يقع العضو فريسة للرشوة وسوء التمثيل لذلك جرت القاعدة في النظم الحديثة على تقرير مكافأة معينة للعضو تسهيلا لادائه مهمته وظهوره بالمظهر اللائق ويضمن له الاستقلال المادي

اختصاصات مجلس الشورى :-

ينص الدستور الدائم في اولى مواده على ان (اليمن دولة عربية اسلامية ، مستقلة ، ذات سيادة ، وهي جمهورية شوروية نيابية . . كما تنص المادة (٤٤) منه على ان مجلس الشورى هو الهيئة التشريعية العليا للدولة وتنص المادة (٤٥) على ان يتولى مجلس الشورى مراقبة اعمال السلطة التنفيذية كما تبين اللائحة الداخلية للمجلس في المادة (١) ان مجلس الشورى هو الهيئة التشريعية التي تملك سلطة التشريع النهائية وسلطة الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية ومتابعتها . .

يتضح من ذلك اناطة الدستور بالمجلس ممارسة السلطة التشريعية بمعنى (اختصاص التشريع) اي سن القوانين واقرارها بصورة اساسية اصلية .

وبجانب الاختصاص التشريعي يمارس المجلس (اختصاصا سياسيا) موضوعه القيام بمراقبة الحكومة في جميع سياساتها ونشاطاتها كما توضح ذلك المادة (٤) من اللائحة الداخلية للمجلس حيث تنص على ان الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية هي المشاركة الايجابية المسئولة من جانب السلطة التشريعية في حماية مكاسب الامة وتحقيق العدالة الاجتماعية الاسلامية وذلك عن طريق التقييم المستمر للعمل الوطني وابراز الجوانب الايجابية فيه واستخلاص الدروس المستفادة منها لعلاج الجوانب السلبية والتصدي للانحرافات وضمان فاعلية الجهاز التنفيذي واستجابته للمتطلبات الحيوية لبناء المجتمع والدولة العصرية وتحقيق المزيد من التقدم الاجتماعي ورفع المستوى المعيشي للمواطن . .

كما توضح المادة الخامسة من اللائحة على ان العلاقة بين السلطتين تقوم على اساس من التعاون الوثيق والتفاهم المتكامل كما ان المجلس يقوم بمناقشة واقرار الميزانية العامة للدولة وسائر نفقاتها ومواردها وذلك ما يعرف (بالاختصاص المالي) وذلك الى جانب (الاختصاص التأسيسي) المتعلق بتعديل الدستور (والاختصاص القضائي) المتعلق بالمحكمة الدستورية العليا . .

وهنا يمكننا القول ان المجلس اصبح يمارس وظائفه كما نص على ذلك الدستور الدائم والميثاق الوطني ممارسة كاملة كأي مجلس نيابي في اي دولة عن طريق سلسلة من الاجراءات تبدأ باصدار التشريع المنشىء للمؤسسة واقرار الاعتمادات المالية اللازمة لمباشرة النشاطكما يقوم المجلس عن طريق اللجان المتخصصة بمتابعة تحقيق تلك الاهداف التي تضمنتها التشريعات لتتأكد من سلامة انفاق الاموال العامة وكيفية استخدامها ، وتقوم اللجان المتخصصة بدراسة التقارير السنوية للمؤسسات . .

ومجلس الشورى في الجمهورية العربية اليمنية حديث النشأة بصورته الحالية واعضائه في بداية تجربة ممارسة العمل النيابي ولذا فبامكانهم أن يجعلوا من المجلس قوة عظيمة لتعزيز الادارة السليمة والفعالة ولنا جميعا كبير الامل بان يمارس المجلس وظائفه بالشكل المطلوب ليكون اعضاؤه بالفعل نوابا للشعب . .

وكما ينص الميثاق الوطني بقوله (وبما ان مجلس الشورى ينوب عن الشعب فان ممارسته الديمقراطية لحقوقه ومباشرته لمسئولياته لاتنصرف لحق في نفس اعضائه ولا لحق يحصره العضو لمصلحة دائرته

الانتخابية ولكنها النيابة عن الشعب كله، فاستعمالها هو حق أصلي له، فهم المسئولون عن تأدية الواجب ويقع عليهم اثم التقصير..

■■ الهوامش :-

١ ـ صحيفة الايمان (الاربعينات) صحيفة النصر (الخمسينات)
ـ انظر كتاب محمد حسن (قلب اليمن)
٢ ـ الميثاق المقدس. ، الميثاق الوطني
٣ ـ عبدالله الثور (ثورة اليمن) ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨م ص ٨١
٤ ـ عبدالله الذيفاني الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنيين ١٩٤٤ ـ ١٩٤٨م
٥ ـ ادجار او بالاس : اليمن ـ الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م ص ٣٠
٦ ـ هارلن كلارك : مجموعة تقارير ـ وزارة الخارجية الامريكية .
٧ ـ المرجع السابق نفسه (ص ٢٧١)
٨ ـ المرجع نفسه (ص ٢٧١) ، وثائق يمنية منشورات وزارة الاعلام.
٩ ـ نفسه (ص ٢٧٢)
١٠ ـ مطهر محمد إسماعيل العزي التطور الدستوري في اليمن. ص ٢٧٢.
١١ ـ انظر مقدمة الدستور الدائم للجمهورية العربية اليمنية الصادر عام ١٩٧٠م
المكتب القانوني لرئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء : الطبعة الثانية (٨ ـ ٩)
١٢ ـ مطهر محمد اسماعيل العزي ـ مرجع سابق (٢٧٣ ـ ٢٧٤)
١٣ ـ أنظر تصدير الاخ الرئيس للميثاق الوطني ،
١٤ ـ المرجع نفسه ص ٥
١٥ ـ مفاهيم من الميثاق الوطني من اصدار أمانة سر اللجنة الدائمة ـ صنعاء ـ اغسطس ٨٤م
١٦ ـ مفاهيم من الميثاق الوطني ـ المرجع السابق ـ ص ١٧
١٧ ـ مطهر محمد اسماعيل العزي ـ مرجع سابق ـ (٤٧١ ـ ٤٧٢)
١٨ ـ مفاهيم من الميثاق الوطني ـ مرجع سابق
١٩ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ١٨
٢٠ ـ المرجع نفسه ص ١٨
٢١ ـ مطهر محمد اسماعيل العزي ، مرجع سابق ص ٤٧٥
٢٢ ـ المرجع نفسه ص ٤٧٥
٢٣ ـ انظر المادة (٦٥) من الدستور الدائم
٢٤ ـ الفقرة ج من المادة ١٥٥ من الدستور الدائم
٢٥ ـ الميثاق الوطني الانسان والوطن الباب الثاني
٢٦ ـ الميثاق الوطني الانسان والوطن الباب الثاني
٢٧ ـ الدستور الدائم المادة الرابعة
٢٨ ـ الميثاق الوطني الانسان والوطن الباب الثاني
٢٩ ـ الميثاق الوطني الانسان والوطن الباب الثاني
٣٠ ـ انظر المادة ٢٨ من قانون الانتخابات رقم ٨ لسنة ١٩٧٥م.
٣١ ـ المادة ٤٦ من الدستور الدائم
٣٢ ـ المادة ٥١ من الدستور الدائم وكذا انظر الميثاق الوطني الباب الثاني.
٣٣ ـ انظر المادة ٧١ من الدستور
٣٤ ـ الميثاق الوطني الباب الثاني
٣٥ ـ انظر مادتي ٦١ ، ١٠٧ من الدستور الدائم وكذا الميثاق الوطني الباب الثاني .
٣٦ ـ المادة ٧٦ من الدستور ، والميثاق الوطني الباب الثاني
٣٧ ـ انظر المادة ٦٥ من الدستور الدائم وكذا الميثاق الوطني / الباب الثاني
٣٨ ـ المادة الثانية من الدستور الدائم
٣٩ ـ المصدر السابق نفسه ، المادة الثالثة
٤٠ ـ الميثاق الوطني الباب الاول
٤١ ـ المرجع نفسه
٤٢ ـ المادة الخامسة من الدستور الدائم
٤٣ ـ انظر الميثاق الوطني ، المقدمة
٤٤ ـ المرجع السابق نفسه ، الباب الثاني
٤٥ ـ المرجع نفسه
٤٦ ـ انظر تقديم رئيس المجلس الجمهوري للدستور الدائم الصادر عام ١٩٧٠م
٤٧ ـ المادة الاولى من الدستور الدائم
٤٨ ـ الميثاق الوطني ، الباب الرابع
٤٩ ـ المصدر السابق نفسه الباب الثاني
٥٠ ـ المصدر السابق الباب الثاني
٥١ ـ المادة ٣٨ من الدستور الدائم
٥٢ ـ المادة ٣٧ من الدستور الدائم
٥٣ ـ الميثاق الوطني الانسان والوطن ، الباب الثاني
٥٤ ـ انظر المادة السادسة من الدستور الدائم
٥٥ ـ المادة ١٩ من الدستور الدائم
٥٦ ـ الميثاق الوطني الباب الثاني

٥٧ـ المرجع نفسه
٥٨ـ الدستور الدائم الفقرة (أ) من المادة ٤٢
٥٩ـ المرجع السابق ، الفقرة (ج) من المادة ٤٢
٦٠ـ المرجع نفسه المادة ٢٤
٦١ـ نفسه ، المادة ٢٩
٦٢ـ نفسه ، المادة ٢٧ ،
٦٣ـ نفسه المادة ٢٦
٦٤ـ الميثاق الوطني الباب الثاني
٦٥ـ المصدر السابق نفسه
٦٦ـ المادة ٤٣ من الدستور الدائم .
٦٧ـ المادة ٢٨ من الدستور
٦٨ـ المادة ٢٥ من الدستور
٦٩ـ انظر المادة ٣٩ من الدستور
٧٠ـ نظرية الميثاق الوطني الباب الثاني
٧١ ـ المرجع السابق نفسه .
٧٢ ـ أنظر المادة ٣٦ من الدستور الدائم
٧٣ ـ المادة ١١ من الدستور
٧٤ ـ المادة ١٢ من الدستور
٧٥ ـ أنظر المادة السادسة من الدستور
٧٦ ـ المادة ١٥ من الدستور
٧٧ ـ المرجع السابق نفسه ، المادة ٣٣
٧٨ ـ الميثاق الوطني ، الباب الثالث ، وكذا انظر الباب الثاني
٧٩ ـ المرجع السابق نفسه ، الباب الثاني
٨٠ ـ المرجع السابق ، الباب الثالث
٨١ ـ المرجع السابق
٨٢ ـ المرجع السابق
٨٣ ـ المرجع السابق



الورقة الثالثة :

الحركة التعاونية وديمقراطية العمل التنموي

الأمانة العامة للمجالس المحلية للتطوير التعاوني

محتويات الورقة :

- توطئة :

الـديمقـراطية هذه القضية التي دخلت حياة الشعوب والمجتمعات بصور واشكال مختلفة مما جعلها اكثر الاساليب ملائمة لادارة مجمل النشاط الاجتماعي وبصـورة مكثفـة في جانبـه السياسي ، وجـوهر هذا الاسلوب ومـلائمتـه يعتمد الى حد كبير على تكوين النخبة أو الصفوة من الناس الذين يتولون ادارة شئون المجتمع ، ومدى قابليتهم للتجدد ، لأن هذا الاسلوب (الـديمقـراطية) يعاظم من قدرة النخبة على مشاركة الحاكم في صنع القرارات ، وفي ضمان تنفيذها ، الأمر الـذي يتـطلب قيام اوضاع مؤسسية تعبر عن (تعدد الايرادات وفق موازين معينـة للقـوى الاجتماعية) وتضمن انتـظام الممارسة العملية واستمرارها ، وهذا وجه من وجوه هذا الاسلوب الملائم . . أما الوجه الثاني لهذا الاسلوب المـلائم (الـديمقـراطية) يعني تنشيط الاتصـال والحوار لنقل المدركات والاماني . كما تعني نقل التطلعات والطموحات بين الحاكمين والمحكومين في اطـار موقف اسـتراتيجي مشترك وصولا الى نقطة توازن وتراضي عام ، بما يؤدي الى ضمان توسيع ادارة النشاط الاجتماعي في مستوياته المختلفة الى اقصى حد ممكن . وفي هذا تصور للديمقراطية عند مستوى رفيع من التجريد وهو تصور يقودنا الى نتيجة اولية مؤداها اننـا لانتصـور دولـة ما أو مجتمعا ماحقق استقرارا

حياتيا ، واقام حضارة مزدهرة بدون قدر من اسلوب الديمقراطية الذي هو في التحليل الاخير ادارة سياسية رشيدة ، وموقف فكري واضح وهدف مرسوم ومحدد

وفي هذه الورقة سنحاول الاطلاع على قضية الديمقراطية من خلال الحركة التعاونية في اطارها التاريخي وارتباطها بالعديد من الاعتمادات الاجتماعية المؤسسية التي تأثرت بها وأثرت في تطور أسسها ومفهومها في حياة المجتمع . . وبشكل موجز على الرغم من الاهمية التي احتلتها في مجرى التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمجتمع اليمني .

تعاونية العمل رؤية في التأريخ اليمني :-

تتصل حضارة اي شعب من الشعوب بنوع واسلوب الديمقراطية المتبعة في حياته . . واذا كانت لكل حضارة من الحضارات البشرية طابعها المميز ، كما لها سماتها الخاصة بين السمات المشتركة لهذه الحضارة او تلك ، فإن الحضارة اليمنية التي ماتزال اثارها شاهدة على عظمتها وقوتها منذ مايزيد عن خمسة الاف سنة ، كانت لها سماتها الخاصة بها ، وهي سمة توجيه منجزاتها لخدمة المجتمع ذلك المجتمع الذي اهتم ببناء السدود وتشييد اول نظام للري ، على اسس علمية ، وربط بين الزراعة في الانتاج وبين المواصلات للتجارة وتأمين طرف التعامل بها ، هو نفسه المجتمع الذي جعل كل مواطن فيه يتجه نحو العمل والانتاج حيث كان الجميع يصنعون تلك الحضارة القديمة ويشتركون في صيانتها طبقا لقواعد واعراف ومراسيم حددت دور كل منهم ، ليتمتع الجميع بخيراتها وليتوفر الرخاء والسعادة والكرامة للانسان «١» وفي الوقت الذي اتجهت فيه قناعات الإنسان صوب تأمين حياته واشباع حاجاته من خلال العمل والزراعي منه على وجه الخصوص كان اليمنيون سباقون الى اعتماد قاعدة العمل القائم على التعاون ، وديمقراطية الرأي . . ومنذ مايزيد عن خمسة الاف سنة يحدثنا التاريخ إن الانسان اليمني اسس الزراعة التي تعتبر من اقدم الزراعات وتوسع في تأسيسها حيث شيد المدرجات كضرورة لمقابلة التزايد السكاني من جهة ولمقابلة حاجات السكان المتزايدة من جهة اخرى . .

وكل ذلك عمق الاسس على قاعدة المشاركة وتعاونية العمل التي تضافرت في اطارها جهود السكان وتضمنت فيها طاقاتهم وقدراتهم ، وعن طريقها حقق اليمنيون وفرة في الانتاج كما حققوا الأمن فعاشوا مؤمنين داخل الجبال الوعرة ، حاجاتهم الغذائية موفرة وارضهم محروسة بسواعد الرجال المتعاونين فيما بينهم . . الامر الذي جعلهم يشيدون حضارة مزدهرة ، قوامها استخدام علم وفن النشاط الزراعي والتجاري ، في اطار تعاوني حتى اصبحت تعاونية العمل خلال تلك الفترة من اهم القوى الدافعة لمزيد من الانتاج ولمزيد من تنظيم نشاط الدولة والمجتمع هل يعني هذا أن تعاونية العمل احتلت موقعا متقدما في الحياة الاجتماعية للناس .؟ وان كانت كذلك فما هي العوامل التي ساعدتها على احتلالها مثل هذا الموقع ؟ . . لما كانت الحضارة تعبير واضح لنتائج جهود معبأة ومنتظمة في المجتمع . فإن مجمل تلك الجهود لاشك انها كانت تتحرك في اطار من الاسس والقواعد محكومة بمحور تكويني هو جوهر الفعل الداخلي لها ، وهذا المحور التكويني هو رابطة العمل والانتاج «فالجماعات اليمنية القديمة كانت تتكون من طوائف وفئات متساوية في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، وكل بطن من بطون القبيلة كانت تشرف عليه الدولة ، لكي تعاملة معاملة فيها شيء يتفق ومركز البطن لذلك تكونت من هذه البطون وتلك القبائل مجموعة الشعب التي كانت لها انظمتها الخاصة التي ارادتها لها الدولة

ومن هنا كانت الرابطة التي تربط سائر الافراد رابطة اجبارية وليست اختيارية وكان على كل جماعة أو طبقة ان تعيش في الحدود المرسومة لها وتأتمر بالاوامر التي يقيدها بها المجتمع من الدولة . . وطوعا لهذا الوضع كان النظام الاقتصادي للدولة ، الذي هو نظام فيه شيء من التدرج على شكل هرمي قمته الملك وإن لم يكن مطلق التصرف «٢» والجماعات التي كانت تتكون منها القبائل سواء كانت حاكمة أو محكومة كلها معنية بالعمل ومكلفة بالقيام به بما في ذلك القبائل الحاكمة التي لم يعفها مركزها الزعامي من القيام بالعمل خدمة للصالح العام . وهذا يؤكد أن رابطة العمل والانتاج كانت هي محور وأساس التكوين الاجتماعي والاقتصادي وفي اطاره لا فرق بين فرد وفرد ، وبين قبيلة وقبيلة . الكل يعمل الكل ينتج من أجل اشباع

الحاجات واغناء الدولة . وفي ظل أسس وقواعد تربطهم بالارض وتربطهم بالعمل وترتيبة ، وتقسيمه وفق نظام محدد

وأي قبيلة لايمثل وجودها شكل جماعة عمل ، كان يجري تقسيمها الى بطون وافخاذ حسب حاجة العمل وطبيعة التربة ، والظروف السياسية والادارية المحيطة بها الامر الذي كان يتوجب على القبيلة ان تتحد مع قبيلة اخرى لتجنب تقسيمها الى اثلاث وارباع ، ووجود نظام كهذا في اليمن القديمة قد ساعد على تطور المجتمع وعلى النجاح في تكوين قبائل مدنية كما وجد في تاريخ سبأ القديمة .

ـ تعاونية العمل اليمني إنشاؤه والإنجاز القديم :ـ

يعتبر التعاون ظاهرة عمل موضوعية ارتبط بالوجود البشرى منذ القدم بمفاهيم وانماط سلوكية وعملية مختلفة ومتباينة ، ومع الاختلاف والتباين فقد لعب خلال مراحل التطور البشري ادوارا مهمة أدت الى احداث تغيرات تفاوتت في مقاديرها وأحجامها من مرحلة الى أخرى ومن جماعة الى اخرى . . ضمن مفهوم للتعاون يرتكز على ضرورة العمل من أجل تلبية الحاجات الضرورية للناس وتنظيم كيفية الحصول عليها ، الى ضرورة الاصلاح الاجتماعي والمساهمة في صنع الحياة المتطورة للانسان وتحقيق إنسانيته وتدلنا معطيات التاريخ الانساني أن الانسان في بحثه الدائم نحو الافضل قد أخذ عدة انشطة وأطوار ، فهو لم يقف جامدا حائرا أمام تعقيدات الحياة واسرار الطبيعة منتظرا الحتمية التاريخية بل سعى وبحث واستخدم كل جديد من طاقات وقدرات ذهنية وعضلية وتنظيمية مستعينا بكل جهد بذل في هذا الاتجاه مطورا له ، محققا اضافات هائلة وعظيمة للتاريخ والتراث الحضاري الإنساني الموظف من أجل خدمة الإنسان وإسعاد البشرية .

وتعاونية العمل التي نشأت في التاريخ اليمني القديم مثلت أحد الاشكال الموضوعية في السياق التاريخي للمجتمع اليمني الذي اتجه جهد المجتمع فيه نحو الزراعة فأمن الحاجات الغذائية وشيد صرحا للحضارة عظيم الفائدة والأثر ربطت الانسان بالارض ومنحته السيف دفاعا عنها ومن المظاهر الهامة لهذا البعد الاجتماعي في تعاونية العمل هو ان السيف والفدان كانا حقا لكل مواطن ، من هنا نشأت الحضارة اليمنية وانتظمت جهود العمل التي احدثت تطورا في الزراعة غاية في الأهمية . . الا أنه تطورا لم يستمر ولم يتحقق له التواصل فقد اصاب الحضارة اليمنية تدهورا كبيرا واصيبت نتيجة لذلك الزراعة بالانهيار ، وتضافرت عوامل التدهور والإنهيار ممثلة بالاقتتال الداخلي والغزوات المتكررة من الخارج الى جانب قسوة الطبيعة القبلية التي استخدمت استخداما غير اقتصادي في ظل حكم الأئمة الذي دام اكثر من ثلاثمائة سنة وما جره على الارض والانسان من متاعب وويلات .

إن مجمل العوامل الداخلية والخارجية التي شهدتها اليمن خلال حقب عديدة من تاريخها أثرت وبشكل واضح ليس على تدهور الزراعة بإهمال الري وحسب ، بل وتلف المسطحات الزراعية وظهور كيانات زراعية متعسفة مارست أنواعا متعددة من العلاقات الاجتماعية التي تميزت أوضاعها بالاضطهاد والقهر المتنوع .

والحياة الاجتماعية التي نشأت في ظل حكم الأئمة لما يزيد عن ثلاثمائة عام ، اظهرت ان سكان الريف اليمني يعيشون في قرى صغيرة متجمعة يكون كل عدد منها وحدة اجتماعية وحياتهم لم يتغير طابعها عن الحياة القديمة الا نسبيا «وهذا» النمط من الحياة لايختلف كثيرا بين المدينة والقرية ، فبالنسبة للتنظيم الاجتماعي ، فإن العلاقات العائلية تظل واحدة ، الأب هو عادة رئيس العائلة التي تضم الأطفال والنساء والأحفاد ، وكل الأقارب ، ويمكن لهذه الظاهرة ان تتغير لتحل محلها ظاهرة اخرى تحمل نفس المضمون للتنظيم الاجتماعي اذ يمكن للأبناء ان يشكلوا عائلاتهم المستقلة وهذا التشكيل لايمكن ان يتم الا بشرط واحد ، وهو غياب الاب الابدي عن الحياة ، اي أن المظهر الوحيد لاستقلال الابناء عن عوائلهم يبرز في شكل تقسيم الاملاك بعد موت الأب «٣» وهذا البلد الذي بمقدوره ان يضمن الغذاء لأكثر من ثلاثين مليون نسمة كما يقدر بعض الخبراء ذلك ، شهد ظروفا اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية غاية في القسوة

والقهر ، فالمجاعة لازمته لفترات طويلة من الزمن ، والإفتقار إلى المواصلات والاتصالات ظلت احدى السمات البارزة التي أعاقت كل اندفاع نحو التطور ، ووسائل الري المتدهورة لم توجه اليها أي اهتمام لإصلاحها . ، وحياة المزارعين افتقدت الى ابسط مقومات الامن والاستقرار وانعدام الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية مع انتشار الامراض الدارجة والمستوطنة . وكثرة الأوبئة المعدية ، مثلت اهم المعوقات التي استندت اليها انظمة حكم ماقبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م . . لاستمرار سلطتهم وكبح جماح الشعب نحو التطور.

إن مايسمى بالثالوث المخيف المرض - الجهل - الفقر - كان سمة من سمات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في اليمن ، عهود ماقبل ثورة ١٩٦٢م بالاضافة الى غياب الرؤية الاجتماعية السليمة لكيفية معالجة شبح هذا الثالوث المدعوم من سلطات الحكم الامامي والتي جعلت المجتمع اليمني يعيش في حالة اضطراب اجتماعي هو في الواقع مزيج من الحالة الاقتصادية المتردية والمركز الوراثي الذي قد يتصل بعنصري القبيلة العشيرة والقيم والمثل اللاهوتية ، مما جعل المجتمع حينها ينقسم الى طبقتين : طبقة ثيوقراطية تضم رجال السلطة والحكم «في عهود ماقبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢» والفئات الاجتماعية القريبة منها بحكم المركز الاجتماعي الذي يحتلونه الى جانب الرؤية الخاصة المتميزة بهم كالاكليريس والقضاه وطبقة المستخدمين والمعدمين من شقاة وفلاحين ومنتجين أخرين لاينظر اليهم نظرة اجتماعية محترمة بسبب القيم والمفاهيم التي سادت تلك الفترات ، وهي قيم ومفاهيم لاتمجد العمل المنتج ولاتحترمه ، بل تحتقره ، وتضع من يزاوله في نهاية سلم المراتب الاجتماعية ووضعية كهذه وجهت لتعاونية العمل ضربات أليمة وموجعة ، ولم تعد تعاونية العمل تهتم بالانتاج وتسعى الى توجيه منجزات الحضارة لخدمة المجتمع ، فقد طرأت على المجتمع مفاهيم وقيم اجتماعية واقتصادية وتربوية وسياسية كل غايتها هو قهر الانسان ووأد كل طموح لديه في الحياة المتطورة ولو بأبسط معانيها .

أشكال تعاونية . .

من أجل التضامن الاجتماعي

ولم يكن أمام المجتمع لمواجهة كل مظاهر القهر والعسف والاضطهاد من قبل انظمة حكم الأئمة الثيوقراط ، سوى اللجوء الى ماتبقى في ثناياه من مظاهر العمل التعاوني المتوارث ، والذي لم يكن مقبولا اللجوء اليه من قبل نظام حكم الأئمة لما يتمتع به من مزايا اجتماعية هامة أهمها وأبرز مظاهرها مايلي . .

١- تعاون الشملة :

وهو مظهر اجتماعي للعمل التطوعي يساهم فيه أبناء القرية الواحدة ويمتد الى اكثر من قرية في العمل على إعمار المرافق العامة التي يستفيد منها جميع ابناء القرية أو الوحدة الادارية الواحدة ، ويتميز هذا النوع من العمل التعاوني بطابع الربط بين طابع الإختيار والالزام في ذات الوقت ، عماد هذا الربط من لايساهم في العمل العضلي يساهم بالتكلفة المادية أو جزء عيني يقابل الجهد العضلي الذي كان مطلوبا القيام به . والجزء العيني كان يتمثل إما بحصة معينة من الطعام أو الادوات أو النقود او ماشابهها

ونوع الشملة كشكل من اشكال التعاون لم يقتصر على بناء المرافق العامة وصيانتها بل كان يمتد إلى اعمال اخرى كمواجهة الكوارث الطبيعية وانقاذ المحاصيل من التلف وحماية التربة من الانجراف . ومن ميزة هذا الشكل مايبدو ظاهرا للعيان في تجمع السكان للوقوف جنبا إلى جنب فتتكاتف سواعدهم وتزداد طاقاتهم العملية فيحملون المعاول والمفارس يواجهون بها الأخطار ويدفعونه عنهم ، كما نجدهم يتجمعون في الحقول الزراعية سواء في مواسم الإنبات او الحصاد اوغيرها ، يعملون كتفا لكتف فينهون الاعمال بسرعة ودقة متناهية . لايحصلون على أجر مقابل ذلك فكل أجرهم كان عملا يبذل هنا وهناك وبشكل جماعي لايتردد عنه احد ومن لايملك اليوم سيأتي اليوم الذي يرد به المجتمع المحلي جهده بشكل اخر

٢ ـ تعاون الغرم

شكل آخر تجسيدت فيه نوع العلاقات الاجتماعية التاريخية ويؤدى وفق أنماط وسلوكيات لها جذر اجتماعي موروث منذ القدم . . يعبر عن نفسه في غرم الدم وغرم الحال والمال (٤) وتتحدد تطبيقاته وفق تطور عمومي يتساوى به السكان فكل حسب قدرته في العطاء والمشاركة وإثبات إرتباطه لهذه الجماعة او تلك وقدرة المشاركة وفق قاعدة كل حسب قدرته تخضع في التقدير لقاعدة نوع الحيازة والعائد ونوع الملكية واتساعها من عدمه حتى وإن لم تكن تلك الحيازة في النطاق الجغرافي للوحدة الاجتماعية ، فما دام يتصل بها بحسب أو نسب او مسكن أو غيره فهو واحد منها وملزم بالغرم معها بقدر مايستطيع ولايتمكن أحد من التنصل عن هذه القاعدة ، وان تنصل فمعناه خارج التكوين الاجتماعي الصغير ، ولايغد واحدا منه ولا يتصل رأيه بالاضافة إلى أن هذا النوع من التعاون كان للتخفيف من وطأة ظلم الحكام حيث لم يكن أمامها من سبيل سوى الاعتراف بها ، بل والأمر بما جاء في نصوصها كقواعد مقبولة اجتماعيا ، كما والجئت الدولة للتعامل معها كواقع لا تستطيع تجاوزه .

خامسا : ان هذه الاشكال التعاونية التي امتزجت فيها صفات القبول والرغبة بها اجتماعيا . امتزجت فيها تعبيرات اخرى لها صلة بجوهر الديمقراطية كأسلوب ملائم في إدارة شئون المجتمع ، كتعبير المشاورة النهي عن المنكر ـ احقاق الحق . . . الخ . وهي تعابير نراها كانت تمثل في الواقع جذورا لاسلوب الديمقراطية غير معلن عنها نتيجة للظروف السياسية السائدة في عهود ماقبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م . . وتلك كانت اشكال من الممارسة فرضتها ظروف الواقع ومتطلبات البقاء في أطره فهل حدث شيئ جديد؟ . . بالطبع حدث شيئ جديد مع قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . . فما هو وكيف تطوره ؟

ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م: والتعاونيات

بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م دخل المجتمع اليمني مرحلة جديدة عبرت عنها مبادئ الثورة وأهدافها الستة . . التي خصت التعاون بصورة مباشرة بهدف من اهدافها وهو الهدف الرابع الذي نص «على اقامة مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل مستمد انضمته من روح الاسلام الحنيف» واذا كان وجود هذا الهدف قد مثل بداية الارتباط النشاطي للمجتمع بابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من الناحية التعاونية التي يعتبر ظهورها مسالة ملازمة للتطور الاجتماعي ومرتبطة عمليا بوجود مستوى معين من الشروط الاساسية السياسية الاقتصادية والتنظيمية ايضا ومثل هذه الشروط وفرتها ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م لتكون دافعا للعمل التعاوني في استمرار نشاطه وتواصل افعاله .

ولما كانت البنية يتعاون الجميع في دفع مظلمة اورد خطر داهم .

٣ـ تعاون الرعي :

هو شكل ارتبط بنمط النشاط الاقتصادي القائم على الزراعة وتربية الحيوان الذي كان ومازال يمثل جزءا هاما من نشاط السكان الاقتصادي ، وفيه تم تقسيم المراعي وتخصيص اجزء منها لمجموعة من السكان ، ويخضع السكان الذين يزاولون رعاية الماشية لقواعد التقسيم ونظامه ، فالمساحات المخصصة لمجموعة سكانية كانت تخضع لقواعد صارمة في الضبط والانتظام ، لايجوز لاحد اختراقها . . فمثلا قسم من المراعي يتم الرعي فيه لفترة زمنية ثم يترك لفترة اخرى وعلى الجميع احترام ذلك . واية تعديات تعرض مرتكبها للتأديب الذي يصل حد التجريم .

٤ ـ تعاون الرى :

الى جانب تعاون الرعي كان هناك تعاون الرى . فالبلاد ليست بها أنهار ونظم الري تدهورت ، ولم يتبق منها سوى عيون جبلية أو حفرية ، وكان يقتضي وجودها نوعا من التنظيم لكي يحصل كل مواطن على المياه التي يحتاجها لاستخداماته المنزلية وغير المنزلية ، وكذا سقي الارض ، فوجدت قاعدة التناوب الزمني في الحصول على المياه ، يبدأ القريب من عين الماء

بالحصول على حاجاته وفق عدد الانفس ومقدار الاستهلاك اليومي لها ، كما يبدأ القريب من العين بالحصول على الكمية المطلوبة لرى ارضه ومزروعاته ، ثم يتدرج التناوب الزمني الأقرب فالأقرب ، مع إعطاء أولوية اولى لمن تتعرض مزروعاته للخطر ، أو لقدوم وافدين إليه ليبدأ بعد زوال الحدث الطارئ التناوب الزمني بأخذ مجراه .

٥ ـ اشكال اخرى للتعاون

الى جانب الاشكال التعاونية سابقة الذكر كانت هنالك اشكال اخرى تتمثل بتعاونية الرفد ومواجهة المخاطر ، كمساعدة المنكوب والمحتاج والمريض ..... الخ ، وهي اشكال كانت تعزز علاقة التضامن الاجتماعي بين السكان .

علاقة الاشكال التعاونية باسلوب الديمقراطية

ان أشكال التعاون التي لجأ اليها المجتمع ليواجه بها مختلف الظروف التي فرضت عليه العزلة كما فرضت عليه التأخر بسبب نهج انظمة حكم ماقبل الثورة المتمثل على (سياسة فرق تسد) .. مثلت في الواقع قانونا اجتماعيا لايتصل بقانون الدولة ونظامها من قريب اوبعيد وللاشكال التعاونية التي اخذ بها المجتمع اليمني ليدير بواسطتها شئون حياته خواص اجتماعية غاية في الاهمية ، اهمها خاصية العمل الجمعي والتطوعي الذي مزج بين الإختيار والإجبار في النشاط الاقتصادي والاجتماعي ، الى جانب خاصية الفهم الموضوعي للتقدير السليم في المشاركة المادية القائمة على قاعدة كل حسب قدرته في المشاركة دون تنصل منها ، سواء كانت المشاركة هذه او تلك قائمة على الجهد العضلي المبذول ، أو على استقطاع نصيب من الدخل ، أو على تقديم ادوات ومعدات العمل ، فكل مشاركة نوعية ومادية محسوبة وفق القدرة ، والكل كان محكوما بقاعدة المنفعة المتبادلة اقتصاديا ، ومحكوما من ناحية اخرى بجملة من القواعد التي تنظم طبيعة النشاط والعلاقات بين السكان كما تنظم الجزاءات التأديبية . ويتولى رعاية تنفيذ مجموعة القواعد المكتوبة او المحفوظة في العادة افراد تتدرج مسئولياتهم تدرجا واضحا تبدأ من عاقل القرية وأمينها الى شيخ العزلة ثم الناحية . وتتحدد طبيعة ومسئوليات كل منهم وفقا للقواعد المتفق عليها في كل نشاط وكل شكل تعاوني . ولكن اين الديمقراطية في هذه الاشكال . ؟ الديمقراطية في الاشكال التعاونية التي اعتمدها المجتمع بمثابة قانون ينظم بموجبها فعاليات نشساطاته . تتجلى في الاتي:

أولا : التدرج في مسئولية البت في المنازعات . فاذا حدث نزاع بين عدد من السكان عرض الأمر على عاقل القرية وأمينها فان كان الحل مناسبا ويتماشي مع الاعراف والعادات المتفق عليها انتهي امر النزاع .. ومالم يكن متوافقا وحدث اعتراض عليه من قبل بعضهم عرض الامر على الشيخ ـ شيخ العزلة ـ فان بت انتهى الأمر وإلا عرض الموقف بنتائجه على شيخ الناحية الذي كان بمثابة المرجع الاخير للوقوف على أمر النزاع والقيام بحله .

ثانيا : المشاركة في الرأي ، إن اطراف النزاع يحاولون عند عرض قضيتهم اظهار مختلف العوامل التي تساعدهم على توصيل رأيهم واسماعه للطرف الاخر بما في ذلك المحكَّم /بتشديد الكاف/ فان كان التوافق وفق التدرج السابق وإلا تم العرض في التدرج . وهذا لايعد اسلوبا بسيطا من اساليب التقاضي وحسب ، بل إن المشاركة في الرأي من الآخرين كان يمثل تعبيرا ديمقراطيا يخضع فيه الأقلية لرأي الأغلبية . والبت في القضية موضوع النزاع بعد التشاور ان لم تكن وارده ضمن قواعد سيف الأخذ بها ثم اضافتها للاسترشاد بها في حالة مماثلة او متشابهة لاحقه .

ثالثا : وضع المسئولية المتدرجة . هل كان يخضع للاختيار الواعي كتعبير عن اسلوب من اساليب ديمقراطية التمثيل او التحكم ؟ الواقع : هنا يشير الى وجود تداخلات في هذا الشأن فالشيخ الذي هو المرجع الاخير لم يكن في غالب الاحيان منتخبا من قبل السكان ، ومركزه وسط المجتمع يتمثل بالمكانة الاجتماعية من جهة وسداد الرأى من جهة ثانية ، والقدرة الاقتصادية من جهة ثالثة . وهي مميزات كانت تجعل منه رجلا يحتل هذا المركز الاجتماعي ويتوارثه ابناؤه من بعده .

أما البقية وان كانت لهم نفس الصفات الا ان

امرالقبول بهم يرجع الى موافقة السكان انفسهم فان هم عبروا عن حملهم للمسئولية بجدارة كان اللجوء اليهم بمثابة اعتراف بمركزهم ، وان كان التجاوز لهم فذلك دليل على عدم قبولهم لتولي مسئوليات من هذا القبيل .

رابعا : إن قدرة التمثيل وتدرجها على النحو السابق جعل الدولة تنصاع لقيم وعادات اجتماعية لاترضي بها ، من حيث هي قيم وعادات جعلت المجتمع يلجأ للأخذ بها ، بعيدا عن سلطتها . إن البنى الاقتصادية والاجتماعية التي ورثتها ثورة ٢٦ سبتمبر تتسم بالضعف ويؤثر وجودها على ظهور التعاونيات بصورة أو باخرى . . فان تلك البنى التي ورثها المجتمع اليمني من عهود ماقبل الثورة قد حددت سلفا اشكال التعاون وقررت في ذات الوقت نوع التعاونيات والتنظيمات التعاونية المنشأة كما رسمت ملامح واشكال ومحتوى العمل التعاوني اليمني ، الذي اعتمد على مفهوم الاعتماد على النفس كمنطلق للعمل للوفاء بحاجات السكان العديدة والمتنوعة وعلى رأسها حاجاته للتعليم ، والصحة ، والمواصلات ، والرعاية الاجتماعية ، كحاجته للغذاء والدواء والكساء . . فولد هذا المفهوم اشكالا تعاونية للعمل بخصائص جديدة اهمها مايلي (٥) :

١ ـ شعبية المبادرة :

ونعني بها ان المجتمع الذي ورث التخلف وحاجاته كثيرة ومتنوعة ، وتوقه لتوفير احتياجاته والتفاعل مع الثورة والعمل على خدمة اهدافها والسعي نحو توحيد الادارة السياسية للمجتمع على اساس من استعداد المبادرة لتطوير رسالة الدولة والمجتمع الحضارية . وكانت المبادرة من المواطنين باتجاه العمل على توفير احتياجاته الاساسية مترجمة بمشروعات خدمية متنوعة ، في مقدمتها مشروعات شق الطرق وبناء المدارس والمستوصفات .

٢ ـ واقعية الرؤية :

واقعية الرؤية كانت خاصية جديدة للعمل التعاوني اقترن بشعبية المبادرة . . والواقعية هنا تلك الرؤية التي عكست طموحا مقرونا بالحاجة الفعلية في اطار امكانيات وقدرات محلية ، بمعنى آخر أن الواقعية في الرؤية كانت مستندة على واقعية الحاجة وعلى ترجمتها في مشروعات تلبي اولويات ضرورية لنوع الاحتياج ففي الوقت الذي كانت الحاجة تبرز واقعيا بانها تتمثل بالاحتياج للمدارس ، وللمستوصفات وللطرقات . . تخضع نوعية هذه الاحتياجات الى رؤية واقعية تتحدد الاولويات من منظور الترابط العملي المؤدي الى سد الحاجة وبأقل التكاليف . ويعبر عن هذه الرؤية في الواقع العملي بالاتي :

الطريق ينبغي ان تشكل البداية الاولى للعمل ، فهي كحاجة ترتبط بحاجات اخرى وتسهل توفرها . فالانتهاء من الطريق يعني نقل المواد والمعدات ومستلزمات العمل الاخرى التي تتطلبها المدرسة ويتطلبها المستوصف . وهكذا . كانت الواقعية نقطة الوعي ومرتكز العمل بحماس باتجاه توفير الاحتياجات المختلفة للسكان .

٣ ـ بساطة الإنفاق :

ان اخضاع العمل للمبادرة والواقعية بعيدا عن الروتين الاداري ونظم التفاعل بحلقاته الاجرائيه حرر النشاط من مختلف القيود الإدارية ، فجأت المشروعات المنفذة قليلة الكلفة ، منجزة بزمن قياسي ، قدرتها على مقاومة العوامل البيئة كبيرة .

٤ ـ ديمقراطية الإدارة والهدف :

واهم خاصية تميز بها العمل التعاوني هي خاصة الديمقراطية من حيث الإدارة وتحديد الهدف فالاحتياجات كثيرة ومتنوعة والمبادرات واسعة ومنتشرة ، والامكانيات الرسمية محدودة ، وكل جهد يبذل هنا اوهناك بحاجة الى تنظيم كما هو بحاجة الى استمرارية وتواصل ، ولم يكن هناك بد من اللجوء الى الديمقراطية كاسلوب ملائم يمكن عبره تسيير مختلف الانشطة والفعاليات . . وبدأ الاخذ باسلوب الديمقراطية بصورة غير منتظمة وعلى النحو التالي :

أ ـ اختيار قادة محليين يتولون ترجمة مشاعر

السكان وحماسهم واندفاعهم للعمل التطوعي في تنفيذ القرارات المتخذة لتوفير احتياجات السكان عبر مشروعات يتطلب قيامها . .

ب ـ اختيار ممثلين من بين السكان بأعداد محدودة يتولون مهام متابعة تنفيذ المشروعات ، ومساعدة القيادات المحلية في اعمالها عن طريق :

ـ دعم جهود العمل في المشروعات المطلوب تنفيذها .

ـ مساندتها بالامكانيات المادية المطلوبة لتسيير الاعمال المقررة .

ـ تقديم المشورة لتحسين خطوات اعمالها ، وتقويم ادائها .

ـ تذليل أية صعوبات قد تواجهها في نطاق العمل ، باتباع اسلوب التوعية والاقناع ، وتوضيح ابعاد النشاطات وآثارها الاجتماعية والاقتصادية على السكان ومردوداتها على حياتهم .

جـ ـ الاخذ بأسلوب الرغبة والاقناع في تحمل مسئوليات القيادة لادارة الاعمال المحلية . .

د ـ حرية البقاء في مركز المسئولية او الانسحاب منها لاي فرد بعد بيان المبررات وتقويم آثارها . .

هـ ـ التجديد المستمر لمراكز حمل المسئولية التطوعية على مستوى المشروع أو النشاط ، وهو تجديد يتم دوريا وبواسطة تجمعات السكان المنتفعين والعاملين في مختلف الانشطة وبالاتفاق العام للآراء .

ووفقا لهذه الخصائص بدأت تتشكل في الواقع أطر جديدة للعمل التعاوني ، تطورت ابنيتها خلال سنوات قليلة بفضل اتساعها وانتشارها في العديد من مناطق المحافظات لتصبح تنظيمات اجتماعية معبرة عن حاجة السكان وتطلعاتهم وعلى النحو التالي :ـ

ـ ظهور لجان مشاريع القرى عام ٦٣/٦٥م .

ـ تشكيل هيئات تطوير المناطق ٦٥/٧٢م .

ـ تشكيل هيئات تطوير النواحي ٧٢/٨٤م .

ـ تشكيل هيئات التعاون الاهلي للتطوير ٧٥/١٩٨٥م .

ـ ظهور المجالس المحلية للتطوير التعاوني ١٩٨٥م . .

فماذا مثلت هذه الأطر في تطورها البنائي وماهي صلتها بالديمقراطية ؟ . .

الديمقراطية التعاونية في التطبيق :ـ

إذا كانت الديمقراطية منذ بدء ظهورها لاول مرة في التاريخ الانساني تعرف بأنها (حكم الشعب بالشعب) فإن نضالا من أجل تطويرها واغناء محتواها قد عرف طريقا طويلا وعسيرا من الصراع الذي خاضه الشعب في وجه أنظمة الحكم التي صادرت حق المواطن في التعبير عن رأيه وفي المشاركة بتنفيذ اي التزام تستوجبه حقوق المواطنة لديه ، وأصبح اسيرا محروما من اية حقوق بفعل فقدان العدالة وغياب القانون المنظم للعلاقات بين المواطنين ، والافتقار الى المساواة والحرمان من حق الدفاع المشروع عن النفس الأمر الذي استوجب بالمقابل استمرار نضال الانسان من أجل الديمقراطية ووصولا اليها . وكانت بداية الوصول مع قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ، التي تواصلت عطاءاتها وبدأ التفاعل الديمقراطي معها في اطار الميثاق الوطني الذي صاغ مفهوما للديمقراطية على النحو التالي: «إن الديمقراطية تعني أن الدولة بمختلف سلطاتها حق الشعب ، ومن ثم فالشعب مصدر السلطات جميعا» ويضيف هذا المفهوم وضوحا في النص التالي: «لا سيادة لنسب ولا لمال ولا لفرد ولا لطائفة ، أو شلة من الناس ، ولكن المواطنين جميعا بنية واحدة تستمد حياتها من كل عضو وتمد كل عضو بحياته ويقوم بنيانها في ظل دولة المؤسسات الدستورية على التعاون والتكافل والمحبة والاخاء» «٢» ومن هذا المنطلق ننظر الى الديمقراطية التعاونية ، التي هي تمثيلا اوسع للديمقراطية ممكنة بجوانبها الكمية والكيفية ، التي تبرز مفهومها الاصيل في مجال العلاقات الاجتماعية التي تتناول بالتحديد كل مستويات الحريات المتاحة للجماهير المشاركة في السلطة وصنع التغيير والتقدم . . وهو يتحدد بمستوى الديمقراطية في عموم الجهاز الاداري للسلطة ومراقبته ، وهذا يعني عمليا أن الديمقراطية التعاونية التي تمثل اوسع ديمقراطية ممكنة كما وكيفا ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بمستوى الديمقراطية العام في المجتمع والوجود في الجهاز الاداري ايضا . فإذا غابت هذه الديمقراطية او تحدد مستواها ، انعكس ذلك على الديمقراطية التعاونية ، فلم تعد نتيجة

للموقف العام واسعة وممكنة كما وكيفا وانما محكومة بالمستوى الديمقراطي العام .. إنها قاعدة عامة . ولكن ماذا تعني هذه القاعدة ؟ . . اتعني ان مستويات الديمقراطية العامة في المجتمع تعتبر مؤشرا مهما لتحديد مستويات الديمقراطية التعاونية ، ولهذا قيل ان وجود الديمقراطية في عموم الجهاز الاداري للسلطة لا يهيء السبل المعينة للتطبيق الديمقراطي وحسب ، بل ويفتح آفاقا واسعة للممارسات الديمقراطية شريطة أن تقترن هذه الممارسة الواسعة للديمقراطية بوجود توافق بين مستويين من الديمقراطية ، وإلا اختلت قواعد الفهم الديمقراطي وانحرفت مساراتها التطبيقية ، والتوافق بين مستويين للديمقراطية يعني أن التعاونيين في ممارستهم لحقهم الديمقراطي بحرية تامة أتاحها لهم مستوى آخر من الديمقراطية ـ وهو الديمراطية العامة ـ للمجتمع عليهم ان لا يخلوا بأسسها بكونها تعبير موضوعي يهيء الوسائل لتطبيقات ديمقراطية واسعة ، تجد تعبيرها الموضوعي في تطبيق الديمقراطية التعاونية هذه القاعدة العامة التي تطالبنا بضرورة تحقيق توازن بين مستويين للديمقراطية ، وهما مستوى الديمقراطية العامة ومايقدمه من دعم ومساندة للديمقراطية التعاونية في التطبيق كمستوى ثان . . فإن التجربة التعاونية اليمنية تبرز قاعدة أخرى في التعامل الديمقراطي ، فالحركة التعاونية وما شكلته من أطر تنظيمية على مستوى المشروع فالقرية ، فالوحدة الادارية وجدت تعبيراتها المؤسسية بلجان القرى والمشاريع وهيئات التطوير والهيئات التعاونية ثم المجالس المحلية للتطوير التعاوني ، كانت هي القاعدة التي اسهم فعلها الديمقراطي على بلورة رؤية ديمقراطية عامة أخذت تضغط على الجهاز الاداري وتجره الى الاعتراف بها كيف حدث هذا ؟ . قبل ان نوضح هذا الحدث .

علينا أن نبين بعض المعطيات في سياق الديمقراطية التعاونية العامة ، هذه المعطيات التي تقول ان التعاونيات ، سواء كانت هيئات او جمعيات . . . . الخ ، تدار بمستوى منخفض من الديمقراطية ، وتدار بتأثير كبير من الهيئة الشخصية والمكانة الاجتماعية التي تفوق كل المستويات المرسومة للادارة التعاونية المتجاوبة مع الصلاحيات العامة فإن التجربة التعاونية اليمنية التي صادفت في التطبيق بعضا من هذه المعطيات مما جعل البعض يطالب بعدم جدوى الديمقراطية ناسين أن ماحدث ما هو الا صورة عارضة ، فالحدث العام للتجربة في اطارها الديمقراطي اثبت أن ممارسة الديمقراطية حتى في ظل هذا الاستثناء هو الأساس ومعالجة الاستثناء لايتم الا بالمزيد من الديمقراطية ، التي تتحد ضمن ظروف معينة تؤثر عليها العديد من المؤثرات الملموسة التي لايمكن اغفالها ، مع التأكيد بأن الأساس لصفة الديمقراطية تخلقه الجماهير الواسعة بمساهماتها الفعالة والمؤثرة والتي تجعلها الشريك الفعلي في تكوين بنية التطور والتغيير ، ومشاركتها ايضا في الرقابة الشاملة على جميع تصرفات الأجهزة العاملة في نطاق نشاطها وواقعها وفي واقع التجربة التعاونية اليمنية نشأة وتطورا مايدلل على حقيقة هذه الصفة الديمقراطية وفعاليتها ، فالمواطنين الذين كانوا مبادرين بصورة اولية للعمل لمواجهة حاجات أساسية للسكان في مناطقهم امتلكوا وسائل التعبئة والحشد لطاقات السكان بصورة واعية وهادفة ايضا ، فأدت فعالياتها الى احداث تطور هام في جسم التجربة وصفتها الديمقراطية التي تمثلت بتشكيل هيئات التطوير المحلي وفق قاعدة التمثيل الاختياري لمجموع الحضور من السكان من ابناء هذه المنطقة او تلك . والتي بدأت تعمل على تنظيم الموارد الذاتية والبحث عن موارد تمويلية اخرى لنشاطها والقيام بالتصرف بحجم الموارد المتحصلة في مشروعات ملموسة لا رقابة قانونية تجبرهم على اتباع اجراءات وتدابير روتينية محددة فالرقابة والادارة جماعية . وحقق وجود هذا الشكل من الاطر المنظمة للعمل التعاوني منجزات كبيرة في مجالات التعليم والمواصلات والطاقة ، وولدت المنجزات العديدة التي تحققت في الواقع الجغرافي والسكاني المحدد لنشاط الهيئات ضغوطا كبيرة على الجهاز الاداري الذي لم يكن يعمل حسابا لمثل هذا النشاط حيث بدأ الضغط يتمثل بالمطالبة بتشغيل المشروعات وتوفير مستلزمات هذا التشغيل من امكانيات فنية متنوعة ووسائل ومعدات ليس بمقدور السكان المحليين توفيرها . وهذا قد ألجأ الجهاز الاداري الى اتباع تصرفات ادارية من شأنها الحد من حركة الفعل التعاوني وتقيده ضمن اطر عامة ولكن صفة الديمقراطية التعاونية المبنية من القاعدة الشعبية والمنبثقة عن فعل المواطنين والمستجيبة لحاجاتهم والمرتبطة بأفعالهم أوجدت اشكالا لحماية التجربة وصيانة

مكتسباتها وتعزيز ديمقراطيتها . من هذه الاشكال المؤسسية قيام هيئات التطوير التي كان مجموعها قد بلغ ٢٧ هيئة حتى عام ١٩٧٢م بالتحضير والاعداد لمؤتمر عام خاص بها انبثقت عنه اول مؤسسة تعاونية ديمقراطية في البلاد وذلك في يونيه ١٩٧٣م حين خرج المؤتمر بتأسيس الاتحاد العام لهيئات التعاون الاهلي للتطوير الذي بدأ ينظم جهود التعاونيين ويوجه الطاقات الشعبية نحو التنمية وفق برامج تحددها كل هيئة في اطار احتياجات السكان ومواردها المالية التي كانت تمثل قاعدة التحويل الثلاثي لمشروعاتها اساس نشاطها . فكل مشروع تتولى الهيئة التعاونية مسئولية الغرم تتوزع كلفته الاجمالية بين الهيئة التي تمول حصتها من الموارد التي تتولى جبايتها لتغطية نشاطها وأهم الموارد الزكوية ، والمواطنين المستفيدين من المشروع يتولون تغطية ثلث تكلفة كل مشروع ينفذ في مناطقهم وتغطي الدولة تكلفة الثلث الاخير من التمويل من موازنتها العامة بشكل دعم التطوير المحلي . وخلال ٧٣ وحتى ١٩٨١م تطور عدد الهيئات من ٢٤ هيئة الى ٢٠٠ هيئة مشكلة وفق أحكام القانون رقم (٣٥) لعام ١٩٧٥م الذي قضى بمنح الهيئات المشكلة وفقا لاحكامه الشخصية الاعتبارية وتديرها هيئة ادارية مكونة من «٧» اشخاص كحد ادنى و «٩» اشخاص كحد أعلى يتم اختيارهم بالاقتراع الحر المباشر من قبل اعضاء الجمعية العمومية المختارون من السكان على اساس تمثل واحد لكل ٥٠٠ نسمة من السكان «٨» ويحتل الحائزون على اعلى الاصوات في الهيئات الادارية المراكز القيادية الادارية للهيئة الممثلة برئيس الهيئة والامين العام للهيئة والمسئول المالي للهيئة وخلال عشر سنوات عقدت الهيئات التعاونية خمسة مؤتمرات عامة عالجت العديد من القضايا المتصلة بنشاطها في التنمية المحلية من النواحي المالية والادارية والتنظيمية والتخطيطية وكل مؤتمر كان يمثل تظاهرة تعاونية عامة تجمع بين المسئولية التعاونية على اعتبار التعاون قطاع من قطاعات التنمية في المجتمع وبين المسئولية الديمقراطية كقضية تقوم الادارة التعاونية وتتعزز بموجبها مساهمات المواطنين في دعم جهود العمل التنموي على اختلاف مستوياته ومجالاته ، وتحققت في اطار هيئات التعاون الاهلي للتطوير الذي كان يقود ويوجه نشاطها اتحاد عام يجمع في عضويته الادارية ممثلين عن الهيئات في المحافظات ، يتم انتخابهم في المؤتمر العام وممثلين عن الوزارات الخدمية اعضاء في الهيئة الادارية للاتحاد بحكم مناصبهم وكلاء الوزارات الخدمية ذات العلاقة بنشاط الهيئات في المجتمع يتوسطها مجالس التنسيق على مستوى كل محافظة . جملة من الانجازات التنموية الهامة في مجال شق الطرق الريفية وصيانتها ، وبناء المدارس الاولية والمستوصفات والعيادات الصحية ، ومياه الشرب ، والانارة والتشجير ، وبناء المساجد وانشاء الحدائق والمنتزهات وتجميل المدن وتحسينها وغيرها من المشروعات يظهرها اجمالا الجدول التالي : ـ «٩»

المجال	نوع الانجاز	الحجم	الفترة ٧٣ حتى ١٩٨٤م
ـ مجال الطرق الريفية	طرق جبلية بطول	٣٣٧١٣	كيلو متر
ـ بناء المدارس الابتدائية	فصول ومرافق تعليمية	١٠٥٢٤	فصل ومرفق
ـ بناء الوحدات الصحية	عيادات ومستوصفات	٠٠٧٦٩	وحدة وقسم
ـ مياه الشرب	مشروعات متكاملة ونصف متكاملة	٠٤٢٤٤	مشروع مياه الشرب
ـ مشاريع متنوعة	حدائق / منتزهات / مشاتل / الخ	٠٧٦٩	مشروع متنوع

بلغت الكلفة الاجمالية لتنفيذ هذه المشاريع خلال الفترة ٧٣ / ١٩٨٤م ما قيمته ٨٨٥ر٨٤٠ر١ ألف ريال شارك المواطنون بتكلفتها الاجمالية مانسبته ٣٪ انفاق مادي أما العيني فلم يفهم لاسباب فنية .

المجالس المحلية وتطوير الديمقراطية التعاونية

نتيجة للعديد من الفعاليات التعاونية والشعبية التي استهدفت تقويم التجربة التعاونية ونتائجها حتى نهاية عام ١٩٨٤م ، وإستنادا الى المحددات الفكرية والنظرية للميثاق الوطني . أمكن تقييم التجربة التعاونية والخروج ببعض الدلالات التي تؤكد أن التواصل العملي الجاد للتجربة تتطلب تطويرا للقيم والمفاهيم الادارية والتنظيمية كما تتطلب تطويرا للقيم والمفاهيم السياسية والتنموية في ظل مبدأ الديمقراطية وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية .

وكان من جراء نتائج التقويم أن هناك عددا من المسائل التي تتطلب المعالجة في جانبها الاداري والقانوني بغرض تعميق التطور والاسلوب الديمقراطي الملائم للنشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتعاوني ... الخ صدور القانون رقم (١٢) لعام ١٩٨٥م الخاص بإنشاء المجالس المحلية للتطوير التعاوني والذي منح صلاحيات «١٠» انشاء وادارة وتشغيل المشروعات والمرافق العامة وفق القواعد والنظم النافذة على مستوى الوحدات الادارية وفي اطار نتائج الدراسات البدائية المحددة للاحتياجات السكانية وتنوعها وأولوياتها .. والتأكيد في ممارسة هذه الصلاحيات بني على أساس منح المجالس المحلية للتطوير التعاوني الشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والاداري الى جانب ادارة المشروعات الداخلية في نطاق الوحدة الادارية التي تدخل ضمن نشاط المجلس المحلي لكل وحدة وليس هذا وحسب فقد حدد القانون رقم (١٢) لعام ٨٥م كأساس متطور للممارسة الديمقراطية أن اسلوب الانتخابات في التمثيل الشعبي ضمن المجالس المحلية تخضع لقواعد وأحكام قانون الانتخابات العامة رقم (٧٩) لعام ٨٠م الذي حدد ان الانتخابات العامة تتم بطريقة حرة ووفق قاعدة الاختيار السري بمواصفات وشروط يتوجب توفرها للعضو .. وعلى اساس أن لكل خمسمائة نسمة ممثل واحد في الجمعية العمومية للمجلس المحلي يجمع بين عضوية الجمعية العمومية وعضوية المؤتمر الشعبي العام في الوحدة الادارية فإن إنتخاب هذا العضو خاضع لاحكام قانون الانتخابات العامة وشروطها وانظمتها ايضا .. ووفق التعداد السكاني التعاوني العام للمساكن والسكان ، تم تقسيم الوحدات الادارية الى مجموعة من المراكز الانتخابية زادت عن ١٧٥٠ مركزا تنافس السكان فيها على الفوز بعضوية الجمعيات العمومية وعضوية المؤتمر الفرعي للمؤتمر الشعبي العام في الوحدة الادارية .

ودخل التنافس أكثر من خمسة وعشرين الف مواطن نجح منهم ١٧٥٠٩ اشخاص بعضوية الجمعيات العمومية وفق حرية وسرية الانتخابات وانتخب اعضاء الجمعيات العمومية مايزيد عن ١٧٨٠٠ عضو ليكونوا القيادات الادارية التنفيذية للمجالس المحلية البالغ عددها ٢٠٩ مجلس في ٢٠٩ وحدة من الوحدات الادارية - وبهذا الشكل بدأت التجربة التعاونية تأخذ موقعا متميزا من حيث النشاط والفعالية أهمها مايلي لـ: (١١)

١- تحديد مصادر التمويل لتغطية نشاطات التنمية المحلية عبر المجالس المحلية وفي ضوء نتائج البحوث والدراسات الميدانية المحددة لمقدار ونوع الاحتياجات الاساسية والضرورية للسكان .

٢ - زيادة فعالية المشاركة الشعبية وقدرتها في التخطيط والتمويل والتنفيذ والمتابعة والتقويم لأعمال المجالس في كل وحدة ادارية والنتائج المحققة لها .

٣- تكوين البنيات الادارية للمجالس المحلية على أساس الجمعيات العمومية باعتبارها السلطة الإشرافية والرقابية على اعمال الهيئات المنتخبة من قبلها والهيئات الادارية كهيئات ادارية تنفيذية مسؤولة عن ادارة النشاط اليومي للمجلس عبر الخطط والبرامج المقررة من قبل الجمعية العمومية ليشرف على مجموع انشطة المجالس المحلية من الناحية الفنية والادارية والمالية امانة عامة للمجالس المحلية للتطوير التعاوني تتكون من الاشكال التالية :

أ) هيئة ادارية عليا للامانة تجمع في عضويتها بين الانتخاب والتعيين والانتخاب هنا يمثل الاعضاء المنتخبين للهيئات الادارية للمجالس في كل محافظة بعد إنتهاء الدورة الانتخابية للهيئات الادارية للمجالس التي مدتها ثلاث سنوات والتعيين الذي يضم وكلاء الوزارات الخدمية والتنموية ذات العلاقات

المباشرة بنشاط المجالس كما يحددها القانون رقم ١٢ لسنة ٨٥م وتعديلاته .

ب) الجهاز التنفيذي للامانة العامة والذي يتكون من عدد الادارات العامة التي تصل الى تسع ادارات يرأس كل ادارة عضو من اعضاء الهيئة الادارية ويديرها أخصائي فني في مجال نشاطها .

جـ) الامانات الفرعية للجهاز التنفيذي للامانة العامة للمجالس المحلية للتطوير التعاوني الذي يرأسها وزير الدولة الامين العام وفق أحكام القانون ويديرها في كل محافظة عضو منتخب من المؤتمر الفرعي للمجالس بعد الانتخابات الخاصة بالهيئات الادارية على مستوى كل لواء . ويديرها مدير عام متخصص في مجالات الانشطة التي تتولاها الامانات الفرعية .

السمات الديموقراطية من خلال التطبيق التعاوني :-

اذا كانت ابرز سمات الديموقراطية العامة في التطبيق تقوم على جملة من المبادىء الديموقراطية العامة التي لايختلف بشأنها اثنان .

فإن أبرز سمات الديموقراطية في الوظيفة التعاونية قد تمثلت بمميزات اساسية عند التطبيق اهمها مايلي :-

١- تطبيق سياسة مفتوحة مرنة قائمة على المبادىء الديموقراطية العامة الواضحة والمفهومة عند الغالبية العظمى من السكان ، والتطبيق لهذه السياسة جعل الديموقراطية التعاونية قادرة على متابعة العديد من الظواهر الاجتماعية ، وايجاد الاساليب الملائمة للاشكال الديموقراطية المساهمة في تعزيز المسار الديموقراطي للمجتمع .

٢- الاستناد الى القاعدة الشعبية باعتماد اسلوب الحوار الهادف لتوطيد الحقائق وتثبيتها والتقاط الافضل منها وبذل الجهود الجادة لخلق التفاعل وتعميق الروابط بين القيادة والقاعدة - عبر التواصل المستمر بينهما والمتمثل بالنزول الميداني والالتقاء بالناس ومعرفة ماعندهم ، وايصال المعلومات الى الجهات المسئولة عن تسيير الاعمال او الاشراف عليها لتكون على علم بكل ماهو جديد وجدير بالاهتمام .

٣- اتباع اساليب التهيئة والاعداد لمستلزمات العمل المتوجهة نحو المواطنين بهدف اسهامهم بنصيب وافر في صيانة وتحضير واصدار القرارات السياسية التي ترتبط بحياتهم ، وتنظيم المقدمات اللازمة لنقل المعلومات الى الجماهير لضمان مشاركة افرادها بفعالية في البناء من جهة ولضمان مشاركة افراد الوحدة الادارية وممارستهم لحقوقهم في الادارة والمراقبة . وهذا لايعتبر بديلا عن الواجبات الملقاة عليهم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاعتراف بوجود قطاع تعاوني تقوم الادارة فيه على الديموقراطية وجماعية الرأي والمشاركة في التخطيط وتأكيد مسئوليات المواطن في الاشراف والرقابة على اعمال الهيئات الادارية للمجالس المنتخبة من قبلها وعلى اعمال التكوينات الادارية التي جمعت في عضويتها بين مسئوليات العمل التنموي والعمل السياسي ، وتولت جملة من المهام الاشرافية والرقابية القائمة على منهجية التخطيط العلمي الذي يرتكز على قاعدة المعرفة الواعية لنوعية الاحتياجات السكانية واسسها في ضوء الدراسات الميدانية . ورسم الخطط والبرامج العملية للتنمية المحلية التي تتولاها المجالس المحلية في ضوء النتائج التي تظهرها الدراسات والبحوث الميدانية .

وفي هذا السياق عملت الامانة العامة للمجالس المحلية وجهازها التنفيذي بالتنسيق الحي والفعال مع الجمعيات العمومية على ضبط قنوات الفعل التعاوني في اطار الخطط والبرامج وربط الموازنات المالية بالمشروعات الحيوية التي يتطلبها السكان وحققت نتائج ايجابية ذات اثر فعال على حياة السكان المحليين من حيث المردود ومن حيث تحديد الاتجاهات العامة للنشاط التنموي ، وكان حصيلة وانها تأكيدا لحقهم ومطالبتهم بالوفاء بكل الواجبات المناطة بهم ، باعتباره يشكل الوجه الثاني لمشاركتهم في اغناء مفهوم الادارة الجماعية واهميته في التطبيق العملي وتحمل المسئوليات تجاه الشئون العامة للمجتمع .

٤- تنمية المبادرات الذاتية للمواطنين وتعميق التفاعل المبدع فيما بينهم بالاضافة الى الدفاع عن المبادرات الذاتية القائمة على الوعي وتحفيزها وتشجيعها معنويا وسياسيا وباعتبارها تشكل اضافات في ميدان العمل المثمر لصالح المجتمع .

٥- خلق الظروف لاستخدام الوسائل المتاحة لتطبيق الديموقراطية على افضل مايمكن مع الفعالية والكفاءة مع الرقابة الشعبية على تنفيذ ذلك بكل الاخلاص

والاستعداد العام لمتطلبات التطبيق الديموقراطي لتحقيق مهمات التنمية وفق التكليف الاجتماعي الى الحركة التعاونية في اطار المجالس المحلية عبر الدولة وتوزيع المهام لكل مجلس اداري يتصل به من اجل الوفاء باحتياجات الشعب الاساسية واشباعها باستمرار.

وفي سياق هذه السمات الادارية للتطبيق الديموقراطي في الحركة التعاونية . كان على المجالس المحلية للتطوير التعاوني كمنظمات شعبية ان تركز جهودها في مجال التخطيط الذي هو لب وجوهر التطبيق الديموقراطي في العملية التنموية للتطوير المحلي ، وبالاخص منذ بدأت الدولة تأخذ بمنهج التخطيط الشامل الجهد التعاوني خلال سنوات ٨٥/٨٨م في حجم التنفيذ والتمويل والتطبيق الديموقراطي كبيرا وهاما تظهره النتائج المادية التالية :-

أولا: الناحية الادراية

تطور مفهوم الادارة التعاونية في نمطها الديمقراطي فانعكست حقائق هذا التطور بجملة من الاجراءات التي شكلت مادة الوصل الحي والتفاعل بين التكوينات الادارية المشرفة والمراقبة على اعمال الهيئات ، وبدأت تدخل مسيرة العمل الاداري التعاوني نماذج محددة لطبيعة الممارسة الادارية في سياقها الجماعي وتحمل كل تكوين اداري مسئولياته تجاهها معبرا عنها بالرقم والموقع والتكلفة ونوعية الإنجاز وحجم السكان المستفيدين من كل مشروع.

ثانيا : الناحية القانونية :-

تأكيد اهمية التواصل والضبط والانتظام في تأدية الاعمال وتحقيق التنسيق بين مختلف الجهود والفعاليات شعبيا ورسميا حتى يتحقق الربط المتوازن والمتكامل بين التنمية المحلية والتنمية القطاعية في اطار السياسات العامة للتنمية الشاملة في المجتمع وقد ركزت العمليات القانونية على تولى كل جهة مسئولياتها وفقا للاحكام القانونية وعدم الاخلال بأي اساس من اسسها الا اذا كان لمصلحة التطوير العملي الاكثر انضباطا في هذا الاتجاه.

ثالثا : من الناحية التمويلية :

تعميق مفهوم المشاركة الشعبية على أنه مفهوم يتجاوز الرأى الى التخطيط والتمويل والتقويم بالاضافة الى متابعة التنفيذ والتأكيد على ان كل مواطن وكل عضو في المجالس المحلية والمؤتمرات الفرعية للمؤتمر الشعبي العام مسئول عن كل فعل اداري يتعلق بأي مشروع من حيث هدفه وغايته ومسئوليات المتابعة والتقويم لابد وان تكون واضحة في معالمها وقيودها ، أساسها الوعى وطابعها الالتزام الوظيفي اجتماعيا واقتصاديا وفي هذا السياق انجزت المجالس المحلية للتطوير التعاوني عددا من المشروعات المرتبطة بحاجات (١٣) السكان خلال سنوات ٨٥/٨٦ اهمها يظهرها الجدول التالى :-

مجال النشاط	نوع المنجز وحجمه	تكلفته المادية
١ ـ مجال شق الطرق الريفية	شق ٨٥٢ كيلومتر	٧٫٦٤٨٫٨٧٢
صيانة المنفذ منها	صيانة ٣٨٣٦ كيلومتر	٢٢٫٤٤٩٫٥٨٨
٢ ـ مجال بناء المدارس الريفية	بناء ٧٨٣ فصل	٨٥٫٥٠٢٫٢٩٣
وصيانتها	صيانة ١١٢٥ فصل ومرفق	١٢٫٣٤٩٫١٨٣
٣ ـ تنفيذ مشروعات مياه الشرب	تنفيذ ٢٦٧ مشروع	٦٠٫١٥٥٫٠٥١
أوصيانتها	صيانة ٦٦ مشروع	٣٫٨١٤٫٦٨٩
٤ ـ بناء العيادات والمستوصفات	بناء وإنشاء ٧١ غرفة ومرفق	٦٫٤٧٥٫٥٢٥
وصيالتها	صيانة ١٤٨ غرفة ومرفق	٩٥٩٫٣٥٦
٥ ـ المشروعات المتنوعة حدائق		
مساجد تجميل مدن .. الخ انشاء	٢٦١ مشروع	٤٥٫٠٢٩٫٠٠٨
صيانة	١٤١ مشروع	٦٫١٠٥٫٧٩٠
اجمالي النفقات		٢٧٠٫٤٩٠٫٣٤٥ ريال

وهذا يعني في التفصيل ان المجالس المحلية قامت بتنفيذ ماممجموعه (١٤١٣) مشروع بتكلفة قدرها (٢٢٤٨١١ر٧٣٩) ريال وصيانة (١٣٤٨) مشروع بتكلفة قدرها (٤٥ر٦٧٨ر٦٠٦) ريال . .

الاجمالي العام (٢٧٠ر٤٩٠ر٣٤٥) ريال . .

خلال عامين فقط وساهم المواطنون بفعل التركيز على تنظيم وتعبئة الجهود الشعبية من خلال رؤية تخطيطية وتنظيمية يتولاها المواطنون عبر ممثليهم في الجميعات العمومية ومحاسبتهم ومساءلتهم وتقويم اداءهم بما قيمته (٥٠ر٣٨٦ر٩٩١) ريال ، في حين ان السنوات الأخيرة للعمل التعاوني في اطار هيئات التعاون الاهلي كانت قد تراجعت كثيرا عن حجمها المعتاد فازدادت بفعل التطور الاداري والتنظيمي والتخطيطي الذي بدأته المجالس المحلية ومتوقع ان تزداد هذه المساهمة واحجامها مع دخول عناصر جديدة في الهيئات الادارية للمجالس المحلية للتطوير التعاوني في الدورة الانتخابية الثانية وبداية انعقاد الدورة الاولى للجمعيات العمومية للمجالس المحلية التي فصلت مهماتها ومسئولياتها على نحو علمي ودقيق يرتبط بنوع الاحتياجات والانتظام والضبط في التخطيط لها وبرمجة الاعمال لتحقيقها على نحو يكفل سلامة المراقبة والأشراف ويحد من كل تأثير خارجي يراد منه اهدار الموارد وتبذيرها .

فماهي خطوات التطوير التي تعتمدها المجالس المحلية في اطار بنيتها الجديدة ؟

الدلالة التاريخية للديمقراطية في السياق التعاوني واسلوب تطويرها في نطاق المجالس المحلية :-

الدلالة التاريخية للديمقراطية في بلادنا من خلال سياقها التعاوني تكمن في اننا نشعر بان معايتننا للديمقراطية في مستواها العام ومستواها التعاوني ، لاتأتي باعتبارها ظاهرة عرضية وانما بكونها تجسيدا لبنى ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية متجذرة في التاريخ اليمني قديمه ووسيطه ومتبلورة في تاريخه الحديث واتصفت الديمقراطية في سياقها التاريخي لمجتمعنا من خلال الحركة التعاونية كمفهوم وكمنطلق يرتبط بمكون فعلى من مكونات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وان حاول البعض ان يحجمها ويلصقها بفترات تاريخيه محددة ، فان الواقع يؤكد وفي كثير من المعطيات أن المواطنه اذا كانت حقا اساسيا من حقوق الانسان المنتمى الى وطنه وان هذه المواطنه تنشئ التزامات على كل مواطن تجاه مجتمعه ووطنه ، لاتستقيم مواطنته الابها ، وقد اكدت التجربة التعاونية على حقيقة هذا الانتماء وعلى الحقوق المرتبطة بالمواطن من خلال المشاركة في التخطيط والتنفيذ والتمويل والمتابعة والتقويم لمختلف الاعمال الجارية بالوحدة الادارية والمنطقة الجغرافية المحددة التي يمارس المجلس المحلي نشاطه فيها ، ومن خلال ارتباط المفهوم العام للديمقراطية واساسياته المتمثلة بحق المواطن في اختيار ممثله في التنظيمات التعاونية وحقه في الاشراف والرقابة على اعمال الهيئات المنتخبة من قبله في تلك التنظيمات وعلى حقه في ممارسة الاختيار الواعي لمثلية ولتوجهات التطور التي يتوق الى تحقيقها في مجتمعه . . . . . الخ .

مما جعل للديمقراطية جوهرها المرتبط بالمجتمع وبمحتويات التطور الاقتصادي والاجتماعي بغية تحقيق البناء المجتمعي القائم على التعاون والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . واذا كانت الديمقراطية التعاونية في السياق العام لديمقراطية المجتمع قد أكدت أن الروح الديمقراطية ليست كلمة ولاشعار يمكن أن تغنى المجتمع عن مؤسساتها الديمقراطية هذه المؤسسات التي ليست مجلسا محليا ومنتخبا وحسب ولكنها حياة كاملة تعاش وتتغلغل في اعماق الحياة وتفاصيلها اهم مافيها اطمئنان الانسان الى حقه في ان يقول رأيه ويشارك في العمل وفق مااتفق عليه الرأى الطالب دون حجب لمايقول وفي اطار تنظيمه الشرعي الذي يمارس في نطاق مستوياته كل تلك الحقوق التي تدعم مسيرة العمل والبناء التنموي وعلى اساس اختيار واع تقوم به لممارسة تلك الحقوق توصلنا الى حياة افضل ، فان هذه الديمقراطية سواء كانت في سياق التجربة التعاونية وماشهدته من تطور لاساليب تطبيقاتها او كانت في نطاق السياق العام . فان المجالس المحلية للتطوير التعاوني تدرك وبعد سلسلة من التفاعلات الحية لاسلوب الديمقراطية الامثل والاكثر ملائمة للواقع وسواء كانت هذه الديمقراطية اوتلك في

مستوياتها التطبيقية . كي تكتسب فعالياتها وحيويتها ويتطور اسلوبها ومضمونها في حياة المجتمع ، ينبغي لها إن تكون ديمقراطية موجهة نحو التنمية المستقلة في مواجهة التأخر والتبعية تحل العدالة الاجتماعية محل الاستغلال وتمثل الاصالة والمعاصرة الحضارية مقابل النقل والتقليد غير الواعي ، وتدعم المشاركة وتوسع قاعدتها بدلا من التفرد وتعزز الديمقراطية لمواجهة العسف السياسي وتحقق الوحدة وتحلها محل التجزئة وفي مواجهتها .

ولهذا تنطلق رسالة المجالس المحلية للتطوير التعاوني وفي نفس السياق العام للديمقراطية في الواقع على تحقيق جملة من الوظائف الديمقراطية التعاونية وفي مقدمتها واهمها مايلي :-

١ - ارساء فهم واضح وواسع للافكار التعاونية في اوساط المجتمع ، باعتبار ذلك معيار في الوظيفة التعاونية يوفر الظروف الملائمة لاتساعه التعاون وقيمه وللمشاركة وتوسيعها وهي وان كانت وظيفة صعبه فانها ستؤدي بالممارسة العملية وبالترجمة الفعلية الى فعاليات التعاون وتأثيره في المساهمة لتحقيق التطور الاجتماعي

٢ - توسيع قاعدة المشاركة الشعبية وتعميق مضمون ديمقراطية الادارة والتخطيط للتنمية المحلية من خلال قاعدة العضوية وتوسيعها التي اكدت اهميتها التجربة التعاونية وضمنتها القوانين المنظمة لها في اطار المجالس المحلية للتطوير التعاوني ، والعمل على حماية الحقوق المتعددة للمواطن واستمرار ممارستها بوعي كامل للمسئوليات الملقاة عليها .

٣ - أعداد البرامج الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المدعمه للاتجاهات والسلوكيات المستهدفة لاحداث التطور الاجتماعي والاقتصادي للمناطق وتوجيه كافة الموارد المحلية المتاحة للمجالس المحلية نحو الاغراض المحددة لها .

٤ - تكثيف الجهود من قبل الامانة العامة وجهازها التنفيذي وفروعه بالمحافظات الى تعزيز الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية ايضا وفيه نقاوة الافكار التعاونية وديمقراطيتها كشرط لاغنى عنها في تواصل العمل التعاوني واستمراريته ، وذلك بتحسين اساليب الممارسة في المواسم الا نتخابية وتعميقها وكذا تطوير اساليب الادارة التعاونية برفدها بكل جديد يطور عملها ويحسن ادائها .

٥ - الاهتمام بجملة القواعد الاساسية التي تعتمدها المجالس المحلية في عملها في نطاق الاسلوب الديمقراطي من حيث المساواة بين الاعضاء في الحقوق والواجبات ، كقاعدة اولى وتدعيم قاعدة العون الذاتي والمتبادل بين المجالس المحلية وتكريس قيم وايجابيات العمل للصالح العام واهمية الجماعية والاخلاص للمبادئ التعاونية باعتبارها جوهر الفعالية الديمقراطية للوظيفة التعاونية .

٦ - التركيز على نتائج الانشطة ذات المردودات الايجابية وتقييم اساليبها والعمل على تعميمها باعتبارها محصلة الفعل الشعبي في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتنمية الشاملة . تحقيقا لمبدأ الفعالية الملموسة ، ففعاليات التعاون لاتكون عمومية مجردة وانما تكون موجودة من خلال التقويم للافعال الملموسة ومعرفة اثرها ومردودها وعلاقتها بجوهر المهمة الاساسية للمجتمع المركزة على تلبية احتياجات السكان الضرورية .

٧ - تدعيم مختلف جوانب التربية والتثقيف العام بهدف زيادة نمو الوعي الحضاري للمواطنين والتأثير في حقول العمل المتصلة بها بتوجيه النشاطات التعاونية نحو التخصصات المهنية وتعميق الوعي السياسي وتقوية اواصر العمل والانتاج واخلاقياته كاسهام من المجالس المحلية في الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية ستؤكده الامانة العامة للمجالس في نشاطها تطبيقا منها لمبدأ التأثير التربوي الذي تجند له كثير من الجهود والامكانيات والقدرات لاهميته في حياة المجتمع .

٨ - المشاركة في حل المعضلات التي تعيق عملية التطور التنموي كالتشغيل المتناقض للقدرات والطاقات الاجتماعية وتوطيد دعائم الضمان الاجتماعي والارتفاع الدائم والمتكامل بمستويات المعيشة وتوفير الامن والاستقرار والطمأنينة من خلال تكثيف برامج العمل وسد الاحتياجات الضرورية وتوسيع قاعدة المنتفعين بها وزيادة انتاجيتها .

٩ - الاسهام في حل القضايا الاساسية للاقتصاد الوطني كالتوجيه نحو التعاون الانتاجي بالتركيز على الزراعة ، بانشاء الخدمات الاولية لانتاج الغذاء النباتي والحيواني والمساهمة في الصناعات التحويلية والمشاركة في وضع الخطط الاقتصادية والانغماس في قضايا العمل

التنموي والسياسي ، من خلال المؤسسات والتنظيمات التعاونية الموجودة وتلك التي تساهم المجالس المحلية في ايجادها ، خدمة لقضية المجتمع في التنمية .

هذه اهم الملامح الاساسية للوظيفة التعاونية في اطار المجالس المحلية من اجل الديمقراطية وبلورة مفهومها واساليب تطبيقاتها ، وبمايؤدي الى رفع الكفاءة الانتاجية والادارة السياسية للمجتمع على نحو أكفأ وافضل . آملين ان تحقق هذه الندوة الغاية منها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

(الامانة العامة للمجالس المحلية للتطوير التعاوني)

المراجع

١ ـ الميثاق الوطني /مقدمة الميثاق
٢ ـ كتاب تاريخ اليمن السياسي / محمد يحيى الحداد
٣ ـ كتاب عوائق التنمية في اليمن عهد ماقبل الثورة /محمد إنعم غالب
٤ ـ كتاب المسألة التعاونية وخصائص الحركة التعاونية اليمنية /احمد محمد الحربي
٥ ـ الحركة التعاونية اليمنية بين فكرة التأسيس والانطلاقة الجديدة /الاتحاد العام للتعاون
٦ ـ الميثاق الوطني /المؤتمر الشعبي العام
٧ ـ الميثاق الوطني /المؤتمر الشعبي العام
٨ ـ التشريعات التعاونية الجزء الاول /الاتحاد العام للتعاون
٩ ـ ٢٥ عاما من العطاء التعاوني /المجالس المحلية للتطوير التعاوني
١٠ ـ قانون المجالس المحلية رقم (١٢) لعام ١٩٨٥م /الامانة العامة للمجالس المحلية
١١ ـ تطوير التجربة التعاونية في التطبيق /محاضرة الامين العام للمجالس المحلية استنسل ٨٦م . .
١٢ ـ تقرير الامين العام للمجالس المحلية الامانة العامة للمجالس المحلية
الى المؤتمر العام الثاني للمجالس المحلية ١٩٨٨م
١٣ ـ تقرير الامين العام للمؤتمر العام الثاني للمجالس المحلية عام ١٩٨٨م /الامانة العامة للمجالس المحلية



الورقة الرابعة:
رياح الديمقراطية تهب على الوطن العربي

د/ سعد الدين ابراهيم

منذ عدة سنوات وبالتحديد في خريف ١٩٨٣م ، اراد مائة مفكر عربي ان يجتمعوا ليتدارسوا «أزمة الديموقراطية في الوطن العربي» ولم يجدوا وقتها عاصمة عربية واحدة تسمح لهم بعقد مثل هذا الاجتماع ، واضطروا لذلك أن يبحثوا عن مكان خارج الوطن العربي ، يؤي اجتماعهم لعدة ايام ، لكي يتحدثوا بحرية عن مسألة الديمقراطية . . وكانت جزيرة قبرص هي ملجأهم المؤقت للحديث عن هذا الهم من هموم الوطن الكبير . . وفي الاسبوع الاخير من مارس / آذار ١٩٨٩م ، اجتمع في عاصمة عربية هي العاصمة الاردنية عمان حوالي مائتي مفكر وسياسي ونقابي عربي للحديث عن نفس المسألة في المؤتمر الكبير الذي نظمه منتدى الفكر العربي .

بين خريف قبرص وربيع عمّان

يفصل بين قبرص غير العربية وعمّان العربية حوالي ستمائة كيلومتر من الارض والبحر ، ويفصل بين تاريخ الندوتين حوالي ست سنوات ، وكانت احداها في الخريف والثانية في الربيع . . المسافة قريبة في عرف المكان . . والمدة قصيرة في عرف الزمان . . ولكن شتان مابين المكانين والزمانين والفصلين وأهم من ذلك شتان مابين المزاجين ، ومابين الخريف والربيع .

كان المناخ الذي خيم على ندوة المفكرين العرب في قبرص منذ ست سنوات مناخا ثقيلا حزينا كئيبا . . فقد جاءت ندوة قبرص بعد سنة من الاجتياح الاسرائيلي للبنان وحصار بيروت ، وإخراج منظمة التحرير الفلسطينية منها ، ثم احتلال المدينة نفسها ، وارتكاب المذابح في صبرا وشاتيلا في خريف ١٩٨٢م ، وطوال العام الذي تلى تلك الاحداث المأساوية ، كان المثقفون العرب يلتأمون في جماعات صغيرة ، حيث وجدوا للحديث وتبادل الهموم والشجون حول نكبات الامة ثم تحرك بعضهم واقترح ان يلتأموا جميعا في مكان واحد لتبادل وجهات النظر حول ماينبغي ان يكون خلاص الامة من هذه النكبات ، وكان هناك شبه اجماع قبل ان يلتقوا في اجتماعهم الكبير على ان مفتاح الخلاص يكمن في الديموقراطية واحترام حقوق الانسان العربي . .

وحينما حزموا أمرهم على مناقشة هذا الموضوع بحثوا عن عاصمة عربية يجتمعون فيها . . ولكن جميع العواصم العربية التي طرقوها أوصدت الابواب في وجوههم . . وكان ماكان من ذهابهم الى قبرص على نحو ماذكرنا اعلاه .

رغم جو الكآبة الذي خيم على ندوة قبرص ، الا ان المشاركين فيها صمموا على الا يذعنوا للامر الواقع ، وان يكفوا عن لطم الخدود وشق الجيوب وجلد الذات واعقبوا ندواتهم بسلسلة من الاجتماعات في قبرص ايضا ، تمخض عنها تأسيس عدد من المنظمات العربية غير الحكومية التي تهدف الى تغيير الاوضاع العربية المتردية ، من خلال العمل السلمي الجاد والملتزم . .

ومن هذه المنظمات الجديدة التي وضعت بذورها الجنينية في قبرص :-

- المنظمة العربية لحقوق الانسان .
- الجمعية العربية لعلم الاجتماع .
- الجمعية العربية للعلوم السياسة .
- الجمعية العربية للدراسات الاقتصادية .
- الجمعية العربية الفلسفية .

وكان القصد من هذه المنظمات العربية غير الحكومية الجديدة ان تعطي المفكرين العرب في مجالات النشاط والمعرفة والمهن المختلفة اطارا يلتأمون فيه ، ويعبئون جهودهم من خلاله لخدمة قضايا الامة ، وفي مقدمتها قضية الديموقراطية وحقوق الانسان . . وسرعان ما تضامنت معهم منظمات عربية اخرى كانت موجودة بالفعل على الساحة ، وفي مقدمتها اتحاد المحامين العرب ومركز دراسات الوحدة العربية ، ومنتدى الفكر العربي .

وباشر السابق واللاحق من هذه المنظمات العربية غير الحكومية الدرس والتبشير ، والعمل من أجل الديموقراطية والحريات الاساسية في الوطن العربي وطوال السنوات التالية منذ لقاء قبرص كانت ثمرات عملهم متواضعة وبطيئة ، ولكن صبر هذه المنظمات ومثابرتها لم يفتر ، وبدءا من عام ١٩٨٥م بدأت ثمرات عمل هذه المنظمات وغيرها من القوى الحية في الوطن تتزايد وتتراكم . . واصبح حديث الديموقراطية والحريات الاساسية وحقوق الانسان يتردد في دوائر اوسع وأوسع ، حتى الانظمة العربية الحاكمة التي كانت هذه الكلمات والمفاهيم تمثل بالنسبة لها شعارات عدائية ، بدأت هي - وان على مضض - تقبلها ثم ترددها .

ثم جاء عدد أكبر من المفكرين والسياسيين والنقابيين العرب ليجتمعوا في عمان في ربيع ١٩٨٩م وليتداولوا ويناقشوا في مؤتمرهم الكبير موضوع (التعددية السياسية في الوطن العربي) وسبق نقاشهم هذا استعراض لحالة الامة العربية في العام المنصرم (١٩٨٨م) وكانوا هذه المرة يفعلون هذا وذاك في عاصمة عربية ، ومع هامش كبير من الحرية ، ومع رصيد متراكم من انجازات عربية تمت في العامين الأخيرين - وتحديدا منذ قمة عمان (نوفمبر/ تشرين ثاني ١٩٨٧م) والانتفاضة الفلسطينية الباسلة (منذ ديسمبر / كانون أول ١٩٨٧م) .

رياح الديموقراطية العربية

في السنوات التالية لاجتماع المفكرين العرب في قبرص بدأت نسمات الديموقراطية تهب بشكل خفيف على قطر عربي هنا أو قطر عربي هناك فالديموقراطية في مصر التي كانت قد حوصرت في أواخر عهد الرئيس الراحل/ أنور السادات ، جرى فك الحصار عنها في عهد الرئيس/ حسني مبارك ، بل وتكرست تدريجيا ، وحدث نفس الشيء في المغرب . ومع مجيء عام ١٩٨٥م ، شهدت السودان اقتلاع الحكم الاستبدادي للرئيس/ جعفر نميري ، واستعادة الديموقراطية في السودان عام ١٩٨٦م . ومع عام ١٩٨٧م ، انتهى حكم استبدادي آخر في تونس ، كان قد تسلط على مقاليد البلاد باسم الحزب الواحد (الحزب الدستوري الجديد) .

وتحولت تونس الى الاخذ بنظام التعدد الحزبي ، وأجرت اليمن العربية اول انتخابات ديموقراطية في تاريخها ، ومع عام ١٩٨٨م شهدت الجزائر تحولا نحو الديموقراطية التعددية وأجرت استفتائين شعبيين لتكريس هذا التحول - احدهما لانتخاب الرئيس الذي اعلن في برنامجه الانتخابي عن هذا التحول ، والثاني على دستور جديد يسمح بالتعددية الحزبية لاول مرة منذ استقلال الجزائر عام (١٩٦٢م) ولم ينته عام ١٩٨٨م الا وكانت العراق في شخص الرئيس/ صدام حسين ، قد اعلنت عن عزمها على التحول الديموقراطي ، وخلال الاسبوع الاول من ابرريل / نيسان ١٩٨٩م جرت في العراق اول انتخابات نيابية ديموقراطية على اساس التعددية - اي ان المرشحين لها لم يكونوا فقط من الحزب الحاكم ، وهو حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يحكم البلاد منفردا منذ عام ١٩٦٨م بل ان الشاهد هو ان اغلبية المرشحين للمجلس الوطني العراقي (البرلمان) لم يكونوا من حزب البعث .

خلاصة القول ان نسمات الديموقراطية التي هبت خفيفة مترددة في منتصف الثمانينات قد تحولت مع نهاية الثمانينات الى رياح قوية ، ففي غضون السنوات

الست التالية لاجتماع المفكرين العرب في قبرص للدعوة والتبشير بالديموقراطية في وطنهم الكبير ، تكرست هذه الـديمـوقـراطية في مصر والمغـرب ، وبـدأ التحـول الديموقراطي في السودان ، وتونس ، واليمن والجزائر ، والعراق . . وهذه البلدان السبعة تضم فيها بينها ثلثي سكان الوطن العربي ، وهناك بلدان عربيان مرشحان لاستئناف مسيرتها الديموقراطية في الامد المنظور ، بعد تعليقها مؤقتا لظروف اقليمية ، وهما الكويت والاردن ، وللبلدان تراث سابق وراسخ في الممارسة الديموقراطية ولاشـك لدى هذا الكـاتب ان رياح الـديمـوقـراطية ستصل الى عدة اقطار عربية اخرى في بقية هذا العام او اوائل عقد التسعينيات ، ولن ينته عقد التسعينيات الا وقد اخذت كل الاقطار العربية بصورة او أخرى من صور الديموقراطية التعددية .

«مشكلات الاستبداد ومشكلات الديموقراطية»

إن الـديموقراطية التي تهب رياحها على الوطن العربي في هذه السنوات ، تهب أيضا على بلدان عديدة اخرى في العالم الثالث ـ من الفلبين الى الارجنتين ، ومن تايوان الى باكستان ، بل ان بلدان الكتلة الشرقية نفسها بما في ذلك الاتحاد السوفيتي بدأت تتعرض لهذه الـرياح الـديمـوقـراطية ، وقـد أخـذت المجـر وتشيكوسلوفاكيا مؤخرا بالتحول الى التعددية الحزبية ، كما تشهد بولندا نضالا واسعا في نفس الاتجاه تقوده نقابة التضامن العمالية المستقلة ضد انفراد الحزب الشيوعي البولندي وحده بالسلطة ، وقد حققت نقابة التضامن مكاسب متراكمة على امتداد السنوات الخمس الاخيرة ، كما هبت نفس هذه الرياح الديموقراطية على الصين ، وأصبح واضحا لكل مراقب ان معركة الديموقراطية في هذا البلد الكبير العريق قد بدأت بالفعل ، ورغم المأساة الدموية لجولتها الاولى في ميدان السلام السماوي خلال الايام الاولى من شهـر يونيو ١٩٨٩م ، الا أن العـد التنـازلي ـ في رأينا ـ بدأ لانهاء النظام الشمولي للحزب الواحد .

وهبـوب رياح الـديموقراطية على بلدان الحزب الواحد ، أو التنظيم الواحد او الزعيم الواحد ، معناه ان احتكار السلطة والاستبداد بالحكم ينكسر في بلد بعـد الآخر . . ولذلك اسباب عديدة ليس هنا مجال الخوض في تفاصيلها ، ويكفي ان نقول ان مشكلات المجتمعات المعاصرة ـ شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ـ قد اصبحت من التعقيد والتشابك بحيث لايستطيع حزب واحـد او تنظيم واحد أو زعيم واحد ان يتعامل معها باقتدار مهما اوتي هذا الحزب او التنظيم أو الزعيم من عبقرية ، ومهما ادعى تمثيل «الجماهير العريضة» في بلده ، فحتى «الـطبقة العاملة» التي طالما احتكرت بعض الاحزاب السلطة باسمها ، لم تعد تقبل هذا الاحتكار وقـد رأينا ذلك بوضوح في بولندا ، فالحزب الشيوعي البـولندي ادعى لنفسه تمثيل الطبقة العاملة البولندية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، اي لاكثر من اربعين عامـا ولكن ثورة العمال البولنديين على هذا الحزب ، والانصراف عنه ، والانضمام الى نقابة جديدة مستقلة ، هي نقـابـة التضامن ، كشفت عن امتعاض الطبقة العاملة البولندية من احتكار الحزب الواحد للسلطة باسمها .

إن الـطبقـة العـاملة الحـديثـة اصبحت في المجتمعـات المعـاصرة اكثر تعلما وتنوعا ووعيا ، فهي ليست بنفس المواصفـات التي كانت عليها في بداية «الثورة الصناعية» الاولى خلال القرن التاسع عشر ، حينـما وضـع كارل ماركس مقـولاتـه عن «ديكتاتورية البـروليتـاريا» ، لقد مر العالم منذ ذلك الوقت «بثورة صناعية ثانية» في منتصف القرن العشرين ، وها هو العـالم يدخـل في العقـود الاخيرة من القرن العشرين «بثورة صناعية ثالثة» ، لم يعد «العمال» اليوم هم نفس «عمال» القرن الماضي ، او حتى «عمال» منتصف هذا القرن لم يعد عمال اليوم يعملون ستة عشر ساعة ، على آلات تعمـل بالفحم والبخـار ، تحت ظروف بالغة القسوة والاستغلال ، كما كان الحال بالامس وأول امس ، لقد اصبح عمال اليوم يعملون في ظروف مادية افضل بكثير واصبحوا أكثر وعيا وتطلعا ، ولم يعودوا كلا هلاميا متجـانسـا ، بل بدأت تظهـر في صفـوفهم انفسهم تنـوعـات .واختـلافـات وتناقضات ، واصبح بعضهم يملكـون اسهما في شركـاتهم ، وعقـارات ومدخرات وسيارات ، اي انهم اصبحـوا «عمالا» و «ملاكا» شبه رأسماليين ، في نفس الوقت ، لذلك لم يعد الاستقطاب

بينهم وبين اصحاب الاعمال بنفس الدرجة من الصرامة والتناقض كما كان الحال في حقبات سابقة .

وفي بلدان العالم الثالث ، ومنها الوطن العربي ، اصبح نظام الحزب الواحد او الزعيم الواحد في مأزق ، ان لم يكن في أزمة طاحنة ، لقد تغيرت الخريطة الاجتماعية في معظم هذه البلدان تغيرات هائلة منذ الاستقلال - اي على مدى العقود الثلاثة الاخيرة - اصبح هناك طبقة وسطى كبيرة ، وطبقة عاملة حديثة ، وتضخم حجم السكان ، وتضاعف حجم المدن ، وارتفع وعي الاقليات بذاتها وهويتها ولم يعد ممكنا مع هذا التنوع الكثيف لحزب واحد او زعيم واحد ان يمثل كل المصالح المتعارضة التي ينطوي عليها هذا التنوع الكثيف ، وزاد الطين بلة ان ديون وأزمات هذه المجتمعات قد تضاعفت ، وعجز الحزب الواحد او الزعيم الواحد عن استيعابها والسيطرة عليها ، لذلك شهدت مجتمعات العالم الثالث في السنوات العشر الاخيرة انتفاضات شعبية واسعة ، وخاصة في المدن الكبرى ، واقتلعت بعض انظمة الحزب الواحد والحاكم الواحد ، واضطرت بعض هذه الانظمة الذكية نفسها الى المبادرة بالتحول الديمقراطي ، وقبول مشاركة قوى لها او معها في السلطة .

إن مشكلات الاستبداد - اى الحزب الواحد او الزعيم الواحد - هي أكثر من ان تحصى ، ولكن ذلك لايعني ان التحول الى الديموقراطية التعددية هو ايضا بلا مشاكل ، كما لايعني ان الديموقراطية في حد ذاتها تستطيع بين يوم وليلة ان تحل كل مشكلات الفقر والديون والتخلف واختلال التوزيع بعصا سحرية ، كل ماتعنيه الديموقراطية هو اطلاق طاقات المجتمع وقواه الحية لكي تستطيع هي نفسها ، وليس حزب واحد او زعيم واحد فقط مواجهة هذه المشكلات فالديموقراطية هي اطار اوسع واعقل لادارة الصراع الاجتماعي بشكل سلمي ، وهي وسيلة مثلى لفرز افضل العناصر لادارة المجتمع والدولة ، وهي اداة رشيدة للرقابة والمحاسبة ، وتثبيت الصالح في الحكم وازاحة الطالح من مواقع السلطة .

وفي بدايات التحول الديموقراطي ، والى ان تستقر الديموقراطية وتترسخ قيمها ، ستكون هناك ممارسات غير مسئولة ، وربما سلوكيات غوغائية ، وستكون هناك محاولات لتزييف الانتخابات ، وتزييف وعي الناس ، وسيكون هناك أحيانا بطء شديد في اتخاذ القرارات ، وهذه كلها ظواهر لابد ان نعيها ونعد الرأي العام لها ، الى ان تتلاشى او تتقلص ، فألف مشكلة للديموقراطية افضل من استبداد حاكم واحد ليوم واحد .



مجلس الشورى

الهدف .. والوسيلة

خلال السنوات الاحدى عشر الماضية من عمر ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة المديد شهدت بلادنا منجزات سياسية وديمقراطية رائدة يصعب تحقيقها في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة لولا ايمان القيادة السياسية بالخيار الديمقراطي كمبدأ والتزام ، وسعيها الحثيث الى وضع مبدأ (الشعب مصدر السلطات جميعا) موضع التطبيق.

ويمثل قيام سلطة الشعب التشريعية المنتخبة /مجلس الشورى/ في يوليو من العام ١٩٨٨م واحدا من ابرز تلك المنجزات. اذ ان قيام المجلس قد جاء ليضيف لبنة جديدة في صرح البناء السبتمبري الشامخ القائم على العدل والحرية والمساواة ، خاصة وان قيامه قد مثل استكمالا للمؤسسات الدستورية للدولة باعتباره الهيئة التشريعية العليا التي تملك سلطة التشريع النهائية وسلطة الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية ومتابعتها تجسيدا لمبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه.

وتحقيقا للهدف الرابع من اهداف ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة الذي نص على «انشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل مستمدا انظمته من روح الاسلام الحنيف». كما ان قيام مجلس الشورى قد جاء أيضا مترجما لمضامين الميثاق الوطني الذي أكد على ان الديمقراطية تتنافى مع تركيز السلطة في يد فرد واحد أو في يد مجموعة من الافراد بل يجب ان تقوم على المؤسسات الدستورية المتمثلة في السلطة التشريعية وهي مجلس الشورى الممثل للشعب، وفي السلطة التنفيذية التي تمثل الحكومة المسئولة أمام مجلس الشورى وفي السلطة القضائية التي لاتخضع لسلطة الا سلطة الشرع والقانون.

كما أكد على ان نظامنا الجمهوري نظام ديمقراطي شوروي نيابي يتجسد في دولة المؤسسات الدستورية ويقوم على مبدأ الفصل بين السلطات مع توضيح وبيان اختصاصات كل سلطة واوجه التعاون والتنسيق في العلاقات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وطريقة تنفيذ احكام القضاء.

ان نظرة الى اختصاصات مجلس الشورى المنصوص عليها في المادتين ٤٤ ، ٤٥ من الدستور الدائم توضح بجلاء كيف ان المجلس يجسد مبدأ «حكم الشعب نفسه بنفسه» فهو الذي يتولى :-

- تعديل الدستور الدائم - ترشيح وانتخاب رئيس الجمهورية ، - منح الثقة بالحكومة او حجبها او سحبها منها، - اقرار مشاريع القوانين او تعديلها او رفضها او إقتراح مشاريع قوانين جديدة.
- الموافقة على الاتفاقيات والمعاهدات او رفضها ، - مناقشة الميزانية العامة للدولة وقواعد تنفيذها والميزانيات الملحقة بها واقرارها بقانون (وله الحق في تخفيض اعتماداتها) . - التعقيب على بيان الحكومة وإبداء اي ملاحظات حوله.
- تقديم توصيات للحكومة في المسائل العامة . ،
- مناقشة الحساب الختامي للدولة واقراره بقانون.
- مناقشة اي مواضيع عامة واستيضاح رأي الحكومة في شأنها وتبادل الرأي فيها . ، - مساءلة الحكومة حول أي شأن متعلق باعمال الوزارات والمصالح والمؤسسات الحكومية. - احالة الوزراء للمحاكمة بتهمة ارتكابهم الخيانة العظمى - توجيه الاتهام لرئيس الجمهورية بخرق الدستور والخيانة العظمى. - الفصل في صحة عضوية اعضائه. - انتخاب اعضاء المحكمة

الدستورية العليا - ترشيح اعضاء اللجنة العليا للانتخابات.

وفي مسيرة قيام مجلس الشورى فقد مثلت دعوة الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح للاخوة رئيس واعضاء مجلس الشعب التأسيسي للاعداد لانتخابات مجلس الشورى الخطوة الاولى، وهي الدعوة التي تضمنتها كلمة الاخ /الرئيس القائد لدى إفتتاحه لاعمال الدورة الجديدة لمجلس الشعب التأسيسي في يوم الاثنين ال ٨ من يونيو ١٩٨٧م ، موضحا انه وبناء على الاعلان الدستوري الصادر عام ١٩٧٩م بأن من ضمن مهام مجلس الشعب التأسيسي هو الاعداد لانتخابات مجلس الشورى ضمن اولويات المجلس. .

وقد حظيت دعوة الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح لمجلس الشعب التأسيسي للاعداد لانتخابات مجلس الشورى باهتمام كبير ليس على المستوى المحلي فحسب وإنما على المستويات الاقليمية والعربية والدولية.

وقد عكست ذلك الاهتمام وسائل الاعلام العربية والعالمية المختلفة خلال تناقلها لاخبار دعوة الاخ/ الرئيس القائد للاعداد لانتخابات مجلس الشورى - واجتهاد محرريها في تحليل أبعاد هذه الدعوة ومدلولاتها منطلقين في ذلك من عدد من الاعتبارات المحلية والاقليمية التي قد تجعل من وجهة نظر بعضهم /قيام مجلس تشريعي منتخب / في الجمهورية العربية اليمنية أمرا ليس سهلا وعملا غير عادي.

ومع ذلك فقد ظل المراقبون يتابعون باهتمام لايخلو من الدهشة والاعجاب معا الخطوات التي تلت الخطوة الاولى المتمثلة بدعوة الاخ/ الرئيس القائد لمجلس الشعب التأسيسي للاعداد لانتخابات مجلس الشورى، وهي الخطوات التي اثمرت قيام مجلس الشورى المنتخب انتخابا حرا وديمقراطيا ونقيا ونزيها بصورة لانبالغ اذا قلنا انها أدهشت المراقبين.

ولعل اكبر دليل على ذلك ان الوسائل الاعلامية المختلفة - الاقليمية والعربية والدولية - قد أوردت في معرض تغطيتها لانتخابات مجلس الشورى العديد من التعليقات والتحليلات حول الانتخابات ونتائجها ، واختلفت في التعليق والتحليل وفقا لاختلاف سياسة وتوجهات وميول هذه الوسائل سواء - المسموعة والمرئية منها أو المقروءة. غير أنها كانت مجمعة / ولم تختلف/ حول حرية وديمقراطية ونزاهة الانتخابات، حتى ان العديد من الوسائل الاعلامية العربية والدولية وصفتها بانها انتخابات قل ان يشهد العالم الثالث لنزاهتها مثيلا.

ومن الامور التي لفتت أنظار العديد من المراقبين ان وزارات الداخلية في الكثير من الدول هي التي تعد وتشرف على الانتخابات البرلمانية . بينما قام بالاعداد والتحضير لانتخابات مجلس الشورى في بلادنا وأشرف على سيرها مجلس الشعب التأسيسي.

وكما هو معروف فان المجلس كان يضم اعضاء من كافة فئات وقطاعات الشعب. . وشكلوا فريقا واحدا تولى عبر عدد من اللجان المتخصصة مسئولية إعداد الخطط والبرامج والوثائق المختلفة الخاصة بعملية الانتخابات.

وهنا فأنه من الجدير بالاشارة ان نعرض بايجاز لاهم الخطوات في الانتخابات العامة لمجلس الشورى والجهود التي بذلت في سبيل نجاحها حتى نبين ان ذلك النجاح لم يأت من فراغ/ كما قد يتصور البعض/ وانما جاء نتيجة للجهود الكبيرة والعمل المتواصل من قبل القيادة السياسية بزعامة الاخ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح والاخوة رئيس وأعضاء مجلس الشعب التأسيسي/ اللجنة العليا للانتخابات/ والاخوة رؤساء وأعضاء اللجان التي نفذت المرحلتين الاولى والاخيرة من الانتخابات من جهة. ونتيجة للوعي الثوري الميثاقي المتنامي والاصالة الحضارية لدى ابناء الشعب اليمني المناضل من جهة اخرى. . ولعل من أهم الخطوات في الانتخابات العامة لمجلس الشورى المرحلة الاولى من الانتخابات والمتمثلة بعملية قيد وتسجيل أسماء من يتمتعون بالحقوق الانتخابية/ ممن بلغوا سن الثامنة عشر فما فوق/ في الجداول الانتخابية وهي المرحلة التي بدأت في الاول من شهر فبراير ١٩٨٨م وشارك في تنفيذها اكثر من الف ومائتي شخص من العاملين في مختلف المصالح الحكومية والمجالس المحلية للتطوير التعاوني ومؤسسات القطاعين العام والمختلط تم اختيارهم من قبل مجلس الشعب التأسيسي (اللجنة العليا للانتخابات).

وقد أجريت للمشاركين دورة تدريبية قبل نزولهم الميدان لتنفيذ اعمال هذه المرحلة. وحرصا من الاخ

الرئيس القائد الامين العام على نجاح هذه المرحلة الهامة فقد حضر الاحتفال الذي اقيم بالقاعة الكبرى في الكلية الحربية في ٢٣ يناير ١٩٨٨م بمناسبة إفتتاح الدورة حيث القى كلمة أكد فيها على ضرورة الحرص والدقة في أعمال الانتخابات وقال :-

/علينا ان نحرص وندقق في إنتخابات مجلس الشورى القادم الذي يختلف تماما عن مجلس الشورى في السابق/ موضحا المهام التي سيقوم بها مجلس الشورى المنتخب ، وأكد كذلك على الحرص على سير عملية الانتخابات وتوعية المواطنين لاختيار العناصر الواعية الفاهمة والوطنية ، العناصر الكفوة والمسئولة ذات الولاء لله والوطن والثورة .

وقد كانت كلمة الاخ/ الرئيس القائد الامين العام الحافز لجماهير شعبنا في الاقبال على قيد وتسجيل اسمائهم في الجداول الانتخابية بحماس كبير تمهيدا لقيامهم بممارسة حقهم الدستوري في انتخاب ممثليهم في مجلس الشورى ، كما كانت حافزا في الوقت نفسه للاخوة أعضاء لجان الاشراف والفصل واللجان الدائمة والفرعية المكلفة بتنفيذ مهام المرحلة الاولى من الانتخابات لبذل جهود مضاعفة في أعمالهم .

وقد تمت عملية القيد والتسجيل لاسماء الناخبين في ثلاثمائة وستة وخمسين /٣٥٦/ مركزا انتخابيا في عموم الوحدات الادارية بمحافظات الجمهورية وأمانة العاصمة التي قسمت الى /١٢٨/ مائة وثمانية وعشرين دائرة انتخابية وعلى مدى /٣٠/ ثلاثين يوما استقبلت اللجان الدائمة والفرعية في هذه المراكز الالاف من المواطنين ممن يتمتعون بالحقوق الانتخابية ، والذين توافدوا من مناطقهم على المراكز لقيد وتسجيل اسمائهم في جداول الناخبين .

وجرت عمليات القيد والتسجيل وفقا للخطط المقرة من قبل اللجنة العليا للانتخابات وفي ضوء الجداول الزمنية التي تم إقرارها خلال اللقاءات الموسعة التي سبقت البدء بتنفيذ أعمال هذه المرحلة والتي ضمت الاخوة رؤساء واعضاء لجان الاشراف والفصل واللجان الدائمة والفرعية في مختلف محافظات الجمهورية وامانة العاصمة . . وشارك فيها الاخوة محافظوا الالوية ومدراء النواحي وعقال وأعيان العزل والقرى واحياء أمانة العاصمة .

وقد حققت أعمال تلك المرحلة نجاحا كبيرا دلل على الشعور المتعاظم بالمسئولية المشتركة في بناء اليمن الجديد والدولة الحديثة المتطورة المرتكزة على دعائم الشورى. كما عكس وعي جماهير شعبنا وتقديرهم لاهمية الحدث العظيم المتمثل بقيام/ مجلس الشورى/ السلطة التشريعية المنتخبة وجسد تفاعلهم مع هذا الحدث باعتباره واحدا من أهم المنجزات العظيمة لثورة ال ٢٦ من سبتمبر الخالدة .

ومع نهاية اعمال المرحلة الاولى من الانتخابات تم في الثاني من شهر مارس سنة ١٩٨٨م نشر أسماء من تم تسجيلهم في جميع مراكز الدوائر الانتخابية وفي الاماكن التي حددها النظام بموجب قانون الانتخابات رقم (٢٩) لسنة ١٩٨٠م وأستمر ذلك حتى السادس عشر من نفس الشهر.

وأكد مجلس الشعب التأسيسي / اللجنة العليا للانتخابات/ ان لكل مواطن الحق في الاطلاع على الجداول ، وفي حالة الاهمال لقيد اسمه رغم استلامه لشهادة القيد في الجدول الانتخابي عليه ان يتقدم بطلب الى لجنة الاشراف والفصل في مراكز المحافظات ، كما ان لكل مقيم في الدائرة الانتخابية ان يطلب ادراج اسمه في الدائرة التي يقيم فيها اذا كان قد أهمل بغير حق او ان يطلب حذف من ادرج في دائرته الانتخابية اذا كان قد ادرج بغير حق وان لكل ناخب مدرج اسمه في جدول الانتخابات ان يطلب حذف اسم من ادرج في دائرة اخرى ، اذا كان قد ادرج بغير حق سواء لفقدانه الصفات القانونية لممارسة الحقوق الانتخابية او تكرار قيد اسمه في أكثر من دائرة انتخابية او ان يطلب ادراج من اهمل بغير حق في الجدول الخاص بالدائرة المقيم فيها الشخص المقدم بشأنه الطلب . .

وأعطى مجلس الشعب التأسيسي / اللجنة العليا للانتخابات / للمواطنين فترة لتقديم الطلبات المذكورة الى لجان الاشراف والفصل في مراكز المحافظات وامانة العاصمة مدتها عشرون يوما ابتداء من الثاني وحتى الحادي والعشرين من شهر مارس ١٩٨٨م ، وقد وصل عدد المواطنين/ ممن يتمتعون بالحقوق الانتخابية الذين تم قيد تسجيل اسمائهم في جداول الانتخاب/ ١٫١١٠٫٣٠٠/ مليون ومائة وعشرة الاف وثلاثمائة ناخب.

وكانت الخطوة التي تلت هذه المرحلة هي صدور قرار رئيس الجمهورية رقم /٢/ لسنة ١٩٨٨م في الرابع من شهر يونيو ١٩٨٨م والذي قضت المادة الاولى منه بدعوة المواطنين في كل الدوائر الانتخابية للانتخابات العامة لمجلس الشورى في يوم الثلاثاء ٢١ ذي القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ٥ يوليو ١٩٨٨م كما قضت المادة الثانية من القرار بفتح باب التسجيل لطلبات الترشيح لعضوية مجلس الشورى اعتبارا من يوم الاحد ٢١ شوال/ ١٤٠٨هـ/ الموافق ٥ يونيو ١٩٨٨م وتقدم الطلبات كتابة الى اللجنة العليا للانتخابات بمقرها في العاصمة صنعاء وفقا لنص المادة/ ٢٩/ من قانون الانتخابات .

وقد اعلن مجلس الشعب التأسيسي/ اللجنة العليا للانتخابات/ في الرابع من شهر يونيو ١٩٨٨م عن فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الشورى لمدة عشرة ايام إبتداء من يوم الاحد ٢١ شوال وحتى نهاية ٣ شوال ١٤٠٨هـ الموافق ٥ يونيو ١٩٨٨م وحتى نهاية ١٤ يونيو ١٩٨٨م وتضمن الاعلان الشروط الواجب توفرها في من يرشح نفسه لعضوية مجلس الشورى والاحكام والخطوات والاجراءات التي تتعلق بالترشيح .

ومع اقفال باب الترشيح وصل عدد المرشحين لعضوية المجلس الذين توفرت لديهم الشروط القانونية /١٢٩٨/ مرشحا/ الفا ومائتين وثمانية وتسعين مرشحا لجميع الدوائر الانتخابية ال/١٢٨/ والتي تشمل انحاء محافظات الجمهورية وامانة العاصمة .

ومن النظرة الاولى لعدد المرشحين ومقارنته مع عدد الدوائر الانتخابية يتبين ان هناك عشرة متنافسين تقريبا على كل مقعد من مقاعد مجلس الشورى . وبنظرة اعمق الى كل دائرة على حدة نجد ان النسبة كانت اكبر كثيرا من ذلك في بعض الدوائر ـ حيث وصل العدد الى اكثر من اربعين متنافسا في الدائرة الواحدة ـ وعلى وجه الخصوص في الدوائر الانتخابية بامانة العاصمة والمدن ذات الكثافة السكانية كتعز والحديدة واب .

ويمكن القول ان عدد المرشحين في الدائرة الواحدة من الدوائر الانتخابية التي ضمتها امانة العاصمة وكل من مدن تعز والحديدة واب قد يتراوح مابين/ ٢٠ ـ ٣٠/ مرشحا في المتوسط بينما وصل الى مابين /١٠ـ ١٥/ مرشحا و/٥ ـ ١٠/ مرشحا في الدوائر الانتخابية في بقية المدن والقضوات والنواحي في مختلف محافظات الجمهورية .

وتحمل هذه الارقام في طياتها العديد من المعاني والمدلولات . . ولعل من أهمها الادراك الواعي الذي اصبح يتمتع به ابناء شعبنا اليمني بكل فئاته وقطاعاته لأهمية الدور الذي سيضطلع به مجلس الشورى المنتخب باعتباره السلطة التشريعية التي تمثل الشعب وتنوب عنه في إنتخابات رئاسة الجمهورية ومنح الثقة للحكومة او حجبها عنها وسحبها منها كما تنوب عنه في محاسبة الحكومة كمجموعة او محاسبة اي وزير مشترك فيها، وفي إختيار رئيس واعضاء المحكمة الدستورية العليا وغير ذلك من مهام التشريع .

وقد اكتسب شعبنا اليمني ذلك الادراك والوعي من خلال العديد من التجارب والممارسات الديمقراطية التي خاضها في ظل راية ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة والتي من أهمها تجربة التعاونيات والمجالس البلدية ثم الممارسات العظيمة التي واكبت صياغة الشعب لميثاقه الوطني وإقراره والمتمثلة بقيام المؤتمر الشعبي العام واستمراريته وتوسيع عضويته وقيام المجالس المحلية للتطوير التعاوني . . وهي المؤسسات الديمقراطية العملاقة في حياة شعبنا التي من خلال ممارسته لحقه الدايمقراطي في تكوينها اكتسب العديد من الخبرات في مجال المشاركة الحقيقية في صنع القرار على الصعيدين السياسي والتنموي وأدرك أهمية وضرورة تحمل المواطن لمسئولياته في بناء حاضره ومستقبله بعد أن ترسخت لديه الثقة بمصداقية القيادة السياسية بزعامة الاخ/ الرئيس القائد العقيد/ علي عبدالله صالح في السير قدما نحو التطبيق الامثل لمبادىء وأهداف ثورة ال ٢٦ من سبتمبر الخالدة ومضامين الميثاق الوطني عبر الخيار الديمقراطي وتطبيق مبدأ/ الشعب مصدر السلطات/ تطبيقا حقيقيا بالقول والعمل .

ومن هذا المنطلق أيضا فقد شهدت جميع مراكز الدوائر الانتخابية في عموم الوحدات الادارية بمحافظات الجمهورية واحياء امانة العاصمة توافد الاف الناخبين اليها على إمتداد ساعات نهار الثلاثاء ٢١ ذي القعدة/ ١٤٠٨هـ/ الموافق ٥ يوليو ١٩٨٨م ـ لانتخاب ممثليهم في مجلس الشورى ـ حيث بدأت عملية الاقتراع السري في جميع المراكز في تمام الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم التأريخي . . وقد جرت عملية الاقتراع بحضور المرشحين ووكلائهم وكذا عملية

فرز الاصوات وإعلان نتائج الفرز التي تمت اولا بأول في مراكز اللجان الاصلية بكل دائرة إنتخابية عقب انتهاء عملية الاقتراع في الساعة السادسة من مساء نفس اليوم بحيث أتيحت الفرصة لكل مرشح أن يراقب العملية الانتخابية عن كثب منذ البداية حتى النهاية ، وهو ماجعل الجميع سواء الناخبين او المرشحين مقتنعين تماما بالنتائج التي أسفرت عنها وواثقين تمام الثقة من نقاوة ونزاهة الانتخابات ونتائجها .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان هذه المرحلة من الانتخابات وهي الثانية والاخيرة قد تم تنفيذها بمشاركة اكثر من /٧٫٠٠٠/ سبعة الاف شخص تم اختيارهم من قبل مجلس الشعب التأسيسي/ اللجنة العليا للانتخابات/ من مختلف أجهزة الدولة ومؤسسات القطاعين العام والمختلط والاعمال الحرة .

وقد اقيمت للمشاركين دورة تدريبية على سير تنفيذ المهام الموكلة اليهم حضر حفل افتتاحها الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح الذي القى كلمة أشار فيها الى الدور الهام الذي ستضطلع به اللجان المكلفة بتنفيذ المرحلة الاخيرة من الانتخابات العامة لمجلس الشورى باعتباره مكسبا وطنيا وتأريخيا هاما في حياتنا السياسية والذي تتطلع اليه جماهير شعبنا بكل الامال والثقة .

وأكد على ان الجميع يتطلعون لهذا اليوم الذي تتعزز فيه سلطة الشعب ليحكم نفسه بنفسه بعيدا عن التسلط سواء كان لفرد او جماعة او فئة .

وقد سارت أعمال المرحلة الثانية والاخيرة من الانتخابات سيرا حسنا في جميع المراكز والدوائر الانتخابية بفضل الاعداد والترتيب الجيدين من قبل اللجنة العليا للانتخابات ، حيث ضم كل مركز من مراكز الاقتراع عددا من اللجان وذلك في ضوء عدد الناخبين المقيدة اسماؤهم في الجدول الانتخابي بالمركز بحيث خصصت لجنة مكونة من ثلاثة اشخاص لاستقبال (٥٠٠) ناخب في المتوسط وهو ماسهل على الناخبين الادلاء بأصواتهم في يسر وسهولة ، كما ان عمليات فتح باب الاقتراع في الساعة الثامنة صباحا وقفلها في الساعة السادسة مساء ومن ثم عمليات فرز الاصوات نظمتها محاضر دقيقة تم التوقيع على كل محضر منها من قبل رئيس وعضوى اللجنة والمرشح أو وكيله الموجود في مقر اللجنة منذ بدء عملية الاقتراع في مقر اللجنة الفرعية وحتى الانتهاء من عملية الفرز في مقر اللجنة الاصلية .

وكما أشرنا سابقا فان نتائج الفرز كانت تعلن أولا بأول بحيث يعرف جميع مرشحي الدائرة عدد الاصوات التي حصل عليها كل مرشح وبالتالي يعرف الجميع في حينه اسم المرشح الفائز بعضوية مجلس الشورى .

أما النتائج النهائية على مستوى الدوائر الانتخابية في جميع محافظات الجمهورية وأمانة العاصمة فقد اعلنت من قبل مجلس الشعب التأسيسي / اللجنة العليا للانتخابات/ يوم الجمعة الثامن من يوليو ١٩٨٨ وذلك بعد ان تم استكمال آخر الاجراءات والخطوات في المرحلة الاخيرة من مراحل العملية الانتخابية لقيام مجلس الشورى . وقد تضمن اعلان اسماء ال ١٢٨ شخصا الفائزين بعضوية مجلس الشورى . ووفقا للمادة /٤٦/ من الدستور الدائم فقد صدر في التاسع من يوليو قرار رئيس الجمهورية رقم (٤) لسنة ١٩٨٨م الذي قضت المادة الاولى منه بتعيين /٣١/ عضوا في مجلس الشورى ويمثلون ٣٠٪ من اعضاء المجلس البالغ عددهم وفقا لنص المادة المذكورة من الدستور /١٥٩/ عضوا ، ووفقا للمادة /٥١/ من الدستور الدائم صدر في نفس اليوم ٩ يوليو ١٩٨٨م قرار رئيس الجمهورية رقم (٥) لسنة ١٩٨٨م الذي قضت المادة الاولى منه بدعوة مجلس الشورى لعقد أول اجتماع له الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ١٢ يوليو ١٩٨٨م في مقر المجلس بالعاصمة صنعاء وقد عقد المجلس اولى جلساته في الزمان والمكان اللذين حددهما القرار برئاسة اكبر الاعضاء سنا وادى اعضاؤه اليمين التي نص عليها الدستور الدائم في مادته الـ(٥٥) .

ووفقا للمادة (٥٦) من الدستور الدائم اختار المجلس من بين أعضائه رئيسا ووكيلين وأمينا عاما للمجلس ، وقد تم اختيارهم عن طريق الاقتراع السري الحر المباشر . وأسفرت عملية الاقتراع بالنسبة لرئيس المجلس عن فوز الاخ/ القاضي عبدالكريم عبدالله العرشي وعن فوز الاخوين سعيد محمد الحكيمي ويوسف الشحاري في عملية الاقتراع بالنسبة لوكيلي المجلس ، كما اسفرت عملية الاقتراع لاختيار أمين عام المجلس عن فوز الاخ/ علي مقبل غثيم ، وبذلك اكتملت الاجراءات الدستورية لقيام مجلس

الشورى/ الهيئة التشريعية العليا للدولة/

وقد جاء قيام المجلس مجسدا للارادة الشعبية المتعاظمة في قيام السلطة التشريعية المنتخبة التي بها اكتمل بناء الدولة الدستورية ، وأضيف الى المنجزات العظيمة لثورة ال ٢٦ من سبتمبر الخالدة بقيامه منجز جديد على صعيد البنــاء الـديمقـراطي السبتمـبري الشـامخ تحقيقـا للهدف الرابع من أهداف ومبادىء الثورة السبتمـبرية الخـالـدة وتجسيدا لمضامين الميثاق الوطني ، الذي نص على / أن الديمقراطية تعني أن الدولة بمختلف سلطاتها حق الشعب ومن ثم فالشعب مصـدر السلطات جميعا/ . . والذي جاء فيه ايضا : وبما أن الشعب هو مصدر السلطات وهو الذي ينتخب ممثليه في مجلس الشورى فأن مجلس الشورى نيابة عن الشعب هو الذي ينتخب ممثليه في مجلس الشورى فأن مجلس الشورى نيابة عن الشعب هو الذي ينتخب من بين أعضائه ـ رئيس ووكلاء وأمين عام المجلس ، وهو الذي ينتخب رئيس الجمهورية ويمنح الثقة للحكومة او يحجبها منها ، وله الحق في محاسبتها كمجموعة ، أو محاسبة أي وزير مشترك فيها ، وهو الذي يختار رئيس وأعضاء المحكمة الدستورية العليا ، وهو الذي يحاسب من ينتخبهم طبقا للدستور.

وهكذا فأن قيام مجلس الشورى المجسد للارادة الوطنية والمترجم لاهـداف ومبادىء ثورة ال ٢٦ من سبتمبر الخالدة ومضامين الميثاق الوطني / على الصعيد الديمقراطي / يمثل شاهدا من الشواهد الديمقراطية الحية والعظيمة ومنجزا من المنجزات الرائدة التي ارسى شعبنا دعائمها مؤكدا عزمه وإصراره على المضى قدما صوب تحقيق كل آماله وطموحاته في بناء حاضره المزدهر والمتطور وترسيخ أسس المستقبل الاكثر إزدهارا وتطورا ليمن الثورة والميثاق اليمن الجديد، وذلك انطلاقا من أصـالـة الشعب اليمني وعراقته الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ .

والمتتبـع لمسيرة البنـاء السياسي والـديمقراطي والتنمـوي عبر سنـوات الثورة السبتمـبرية والسنوات العشر الاخـيرة منهـا على وجه الخصوص سيجد معالم اليمن الجـديد تتجسـد على ارض الـواقع من خلال ماقطعته البلاد من أشواط وما حققته من منجزات في مختلف المجـالات السياسية والتنمـوية، وذلك بفضـل إيمان القيادة السياسية بزعـامـة الاخ/ الـرئيس القائد الامين العام العقيد /علي عبدالله صالح بدور الجماهير في عملية البناء ، وهو الايمان الذي اثمر انبلاج فجر الميثاق وقيام المؤتمر الشعبي العام وتوسيع قاعدته وقيام المجالس المحلية للتطوير التعاوني ، وقيام العديد من الاطر والتكوينات المنظمة ممثلة في الاتحادات والنقابات والجمعيات المهنية والحرفية واخيرا قيام مجلس الشورى المنتخب .

كما اثمر العديد من المنجزات التنموية في مختلف المجـالات الاقتصادية والاجتماعية وهي المنجزات التي تؤكد جميعا على صواب النهج الذي سارت وتسير عليه القيادة السياسية بزعـامة الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح الذي سعى منذ توليه قيادة مسيرة الثورة السبتمبرية الخالدة في الـ١٧ من يوليو ١٩٧٨م الى ترسيخ وتعـزيز الـوحدة الوطنية باعتبارها الركيزة الاساسية للامن والاستقرار الذي في ظله حقق الشعب اليمني اعظم المنجزات وأصبح مبدأ / الشعب مصدر السلطات جميعا/ حقيقة معاشة وممارسة عملية على ارض الواقع .

وفي هذا الاطـار نجـد الاخ/ الـرئيس القـائد العقيد/ علي عبدالله صالح يتوجه الى مجلس الشورى في الـ١٧ من يوليو عام ١٩٨٨م أي بعد ٥ ايام من عقد المجلس اولى جلساته ليقدم استقالته النهائية الى ممثلي الشعب طالبا منهم بكل إصرار اتاحة الفرصة في ترشيح من يرون فيه القــدرة والكفـاءة والاخـلاص والـوفـاء لتضحيات شهـداء الـثـورة والجمهـورية والحفـاظ على سيادة وإستقـلال الـوطن وإحـترام الدستور والالتزام بمبادىء وأهداف الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة ومضامين الميثاق الوطني ، وذلك لتحمل مسئوليات قيادة البلاد . . ويقول مخاطبا الاخوة رئيس وأعضاء مجلس الشورى :ـ

مؤكـدا: (انكم ستجدوني جنديا مجندا لخدمة الوطن والشعب والثورة في كل الاحوال والظروف) .

وأكد الاخ الرئيس القائد الامين العام في كلمته الـتي تضمنت استقـالتـه على اهمية ترسيخ النهـج الـديمقـراطي حيث قال : (ان امـامكم أيهـا الاخوة واجبات جسيمة تتطلبها المرحلة القادمة من حياة شعبنا في التنمية الـديمقراطية وإعادة تحقيق الوحدة اليمنية وتعزيز علاقات بلادنا مع الاشقاء والاصدقاء الى جانب المهام المرتبطة بمواصلة ترسيخ النهج الديمقراطي من

خلال مساهمة المجلس المساهمة الجدية في تعميق الممارسات الديمقراطية الحقة.

وأن وجودكم في هذا الموقع الوطني الهام كنواب للشعب يحتم عليكم ان تجسدوا في كل أعمالكم وحواراتكم قيم الشورى التي تعتبر سمة من سمات شعبنا الضاربة عبر التاريخ ليتسنى لمجلسكم الموقر القيام بمهامه التشريعيه والرقابية التي حددها الدستور على الوجه الاكمل وبروح المسئولية الوطنية.

ومن منطلق الوفاء لجهوده المتواصلة والمخلصة عبر عشر سنوات من العطاء الثوري وسعيه الدؤوب والمثابر لتحقيق اهداف ومبادىء الثورة السبتمبرية الخالدة ومضامين الميثاق الوطني ، فقد تقدم اكثر من ثلثي اعضاء مجلس الشورى بطلب ترشيح الاخ/ العقيد علي عبدالله صالح كرئيس للجمهورية وقائد عام للقوات المسلحة للفترة القادمة/ الفترة الرئاسية الدستورية الثالثة/ قام المجلس في ضوء ذلك باستكمال الإجراءات الدستورية للانتخاب.

وكانت النتيجة : الموافقون (١٥٢) عضوا ، المتحفظون عضوان ، الغائبون (٥) أعضاء . . وأقر المجلس تشكيل وفد منه برئاسة الاخ/ القاضي عبدالكريم عبدالله العرشي رئيس المجلس لحمل القرار المتضمن نتيجة الترشيح والانتخاب والاجراءات الدستورية التي قام بها المجلس الى الاخ/ الرئيس القائد العقيد/ علي عبدالله صالح ودعوته للحضور الى المجلس لاداء اليمين الدستورية في الجلسة التي تقرر عقدها صباح يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة ١٤٠٨هـ الموافق ١٨ يوليو ١٩٨٨م ، وقد قابل وفد المجلس الاخ/ الرئيس القائد ، حيث نقل رئيس وأعضاء الوفد اليه قرار مجلس الشورى بانتخابه رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة للفترة القادمة من ١٩٨٨/٨/٢٠م وحتى ١٩٩٣/٨/١٩م.

وأعلن الاخ/ الرئيس القائد في المقابلة التي حضرها الاخوان المشير عبدالله السلال والقاضي عبدالرحمن الارياني قبوله للقرار ، وقال في كلمة قصيرة مخاطبا الاخوة رئيس مجلس الشورى وأعضاء وفد المجلس : (لقد قدمت إستقالتي هذا اليوم ليس كمناورة سياسية وانما ايمانا بأن شعبنا يملك العديد من القدرات الوطنية والكفاءات المخلصة التي يمكن ان تتحمل مسئولية قيادة البلاد ، والثورة تواصل العطاء في هذا الموقع ، وتطلعا لان نرسي تقليدا ديمقراطيا في بلادنا بأن يكون التغيير في القيادة بالطرق الديمقراطية والدستورية ـ طالما ان ـ السلطات بيد الشعب وهو يسملها لمن يثق به وأنها لاتسلم بقوة المدافع والتآمرات والاساليب غير المشروعة ، فأسلوب التغيير الوحيد هو بالديمقراطية.

وأضاف الاخ/ الرئيس القائد قائلا: ان الديمقراطية سبيل حفاظنا على سلامة البلاد وسيادتها واستقلالها وان الديمقراطية هي المدرسة التي تتعلم منها الاجيال ، وان شعبنا يمتلك الحضارة والاصالة وهو قادر بها ان يواصل ممارساته الديمقراطية ، وان يتقن اختيار قياداته ، وان علينا ان لا نستهين بوعي شعبنا الذي انجب العديد من الزعماء والقادة الثوريين الوطنيين وهو غني دائما بالكثير من الرجال المخلصين. /

وأكد الاخ/ الرئيس القائد على انه : /يجب ان لانخاف من الديمقراطية وان نجعلها سلوكنا وأساس تحمل المسئولية في بلادنا وبذلك نقطع الطريق على مراهنات القوى المعادية.

وتلبية لدعوة مجلس الشورى توجه الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح الى مقر المجلس في اليوم التالي ١٨ يوليو سنة ١٩٨٨ حيث ادى اليمين الدستورية والقى عقب ذلك كلمة قال فيها: (بالامس كنت في هذا المنبر الشوروي معلنا استقالتي النهائية من رئاسة الجمهورية طالبا منكم بروح المسئولية التأريخية ترشيح وانتخاب رئيس للجمهورية بدلا عني واتاحة الفرصة لمن ترون فيه القدرة على القيام بهذه المهمة الكبيرة ، فشعبنا غني برجاله الاوفياء المخلصين القادرين على تحمل هذه المسئولية الوطنية الجسيمة ، ولقد فوجئت بقرار مجلسكم الموقر باعادة انتخابي رئيسا للجمهورية لفترة قادمة ونزولا عند رغبة ممثلي الشعب قبلت بهذا القرار سائلا من الله سبحانه وتعالى العون والتوفيق لما فيه خدمة الشعب والثورة وتقدم الوطن وازدهاره وأمنه واستقراره مقدرا المشاعر الوطنية الصادقة لكل ابناء شعبنا ومعتزا بثقة مجلس الشورى الغالية).

وأضاف قائلا / أيها الاخوة لقد أعلنت في عام ١٩٨٣م من هذا المنبر الشوروي بأن بلادنا لايوجد فيها اي سجين سياسي ، واليوم اعلنها مرة ثانية ومن هذا المكان بأنه لايوجد أي سجين سياسي في بلادنا لاننا أخترنا الشورى نهجا وسلوكا في حياة شعبنا المعاصر

وعلى أساسها يتحمل كل مواطن مسئوليته في العمل الوطني وفي الحفاظ على مكاسب الثورة والجمهورية .

ومن هذا المنطلق فاننا سنعمل ومعنا كل الرجال المخلصين والاوفياء من أبناء شعبنا في كل مواقع المسئولية الوطنية كفريق عمل واحد همه الرئيسي خدمة الشعب والوطن والثورة ورفع مستوى بلادنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا تجسيداً المبادىء واهداف ثورة الـ٢٦ من سبتمبر الخالدة ومضامين الميثاق الوطني والعمل على تعميق الممارسة الديمقراطية في بلادنا وترسيخ نهج الشورى على أساس الالتزام الصارم بنصوص الدستور الدائم ومبدأ سيادة القانون/ .

وحدد الاخ/ الرئيس القائد الامين العام في كلمته الملامح الاساسية للعمل الوطني في المرحلة القادمة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة والسياسية الخارجية لبلادنا .

وهكذا فقد جاءت الاجراءات الدستورية لاعادة انتخاب الاخ العقيد/ علي عبدالله صالح رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة من قبل السلطة التشريعية المنتخبة لتؤكد مجددا على سلامة ومصداقية النهج الديمقراطي الذي تسير عليه بلادنا والنابع من فكر وتراث شعبنا اليمني المجيد وبهذا نستطيع القول بأنه تحقق مبدأ/ الشعب مصدر السلطات جميعا/ وهو المبدأ الذي سعى الاخ/ الرئيس القائد الامين العام العقيد/ علي عبدالله صالح ويسعى الى تطبيقه على أرض الواقع في اطار الالتزام المبدئي والراسخ بأهداف ومبادىء ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة ومضامين الميثاق الوطني وهو ما أكد عليه الاخ/ الرئيس القائد الامين العام في البيان الوطني الذي وجهه الى جماهير شعبنا عشية الاحتفال بالعيد الـ ٢٦ لثورة الـ٢٦ من سبتمبر الخالدة حيث قال: / ان العام الـ ٢٦ للثورة الخالدة الذي نودعه اليوم قد حفل بالكثير من المنجزات وخاصة في المجال الديمقراطي الذي جعلته الثورة هدفا رئيسيا من أهدافها ، شهد هذا العام اجراء الانتخابات العامة الحرة لمجلس الشورى الذي يمثل صورة مشرقة من صور تجسيد مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه وتعميقا لاسلوب القيادة الجماعية التي لاحياد عنها والتي لن يسمح شعبنا باختراقها او المساس بها أو تجاوزها . ذلك أن قيام السلطة التشريعية المنتخبة يعتبر انتصارا لنضال شعبنا وانجازا وطنيا ثوريا يضاف الى المكاسب السابقة التي تحققت على الصعيد الديمقراطي المتمثلة في انتخابات المؤتمر الشعبي العام والمجالس المحلية للتطوير التعاوني والاتحادات والنقابات والمنظمات الجماهيرية والمهنية . والتي شكلت قاعدة ومنطلقا لنجاح إنتخابات مجلس الشورى، حيث أثبت شعبنا فعلا بانه قادر على ممارسة خياره الديمقراطي بما يمكنه دائما من صيانة مكتسبات الثورة والجمهورية وتنميتها والحفاظ عليها، وهو مايؤكد بأن خياره الديمقراطي مرتبط بممارسة الشعب لحرياته السياسية وأن ذلك الخيار سيظل خيار الشعب وطريق العمل الوطني في وطن سبتمبر العظيم ، تتعزز به كرامة الوطن وعزته وسيادته وتتضاعف عطاءات الجماهير وابداعاتها ، ليواصل المجتمع انطلاقته في طريق التنمية بخطى راسخة وواثقة .

كما أكد الاخ/ الرئيس القائد الامين العام بأن النجاح الكبير لانتخابات مجلس الشورى افشل مراهنات اعداء الثورة والجمهورية واعداء التقدم الاجتماعي والسياسي في بلادنا . ماكان له ان يتحقق لولا رسوخ الامن والاستقرار وقوة الوحدة الوطنية وتعزيزها بوحدة الفكر. وتنامي وعي جماهير الشعب وتفاعلها مع كل القضايا الوطنية بروح من المسئولية والالتزام بفكر الميثاق الوطني، وترجمة مضامينه ، وتجسيد أهداف وغايات المؤتمر الشعبي العام . وبهذه الكلمات المضيئة نختتم هذا التقرير ، وهي كلمات ابلغ من أي تعليق او تحليل .

وكالة سبأ للانباء

عرض الكتاب الوثائقي:

اليمن الواحد

عرض/ محمد حمود النهاري

هـــذا الكتـــاب.

عزيزي القارىء - هذا الكتاب الذي نقدم - استعـراضنـا له صدر عن مكتب شئون الـوحـدة ب«صنعاء» والكتاب عبارة عن سلسلة وثائقية عن الـوحـدة اليمنية. يقع في ٢٨٧ صفحة من القطع المتـوسط والكتـاب يقدم للدارس والمهتم بالبحث والتأليف - وثائق الحوار الوحدوي الاخوي الموقعه بين مسئولي الشطرين منذ اتفاقية القاهرة عام ١٩٧٢م مرورا ببيان طرابلس في نفس العـام ولقاءات القمة اليمني في صنعاء وعدن وتعز والحديدة وقعطبة . . .

كما يستعـرض الكتاب بيانات المجلس اليمني الاعلى واللجنة الوزارية المشتركة بين الشطرين . .

يقـول مقـدم هذا الكتـاب الاخ يحيى حسين العرشي وزير الدولة لشئون الوحدة اليمنية ، يقول عن أهمية هذا الكتاب (اذا كان الاصدار الوثائقي في عام ١٩٧٩م قد شمل بعض الوثائق. وجاء الاصدار الثاني عام ١٩٨٥م ليشمل البعض الاخر فإن إصدارنا هذا يشمـل كل الـوثـائق بما في ذلـك الجديد من الوثائق الوحدوية واهمها تلك الوثائق التي لم تتضمنها الكتيبات الوثائقية السابقة . .

من مقدمة الكتاب :-

ان الوحدة بين شعب واحد . . لن تكون أبدا في حاجة الى أي نوع من التقديم اذ كيف يقدم الانسان نفسه الى نفسه؟

بهذه العبـارة البـديهية الجميلة استهـل الاخ الاستـاذ/ يحيى العرشي وزير الدولة لشئون الوحدة مقـدمتـه لهذا الكتاب ، ومع ذلك فإن الحديث عن الوحدة اليمنية يعتبر من أحب وأقرب الاحاديث الى نفس كل يمني باعتبارها جزءا من نبض قلبه وهما عظيما من همومه اليومية. والقضية التي تشغل الجانب الاكبر من تفكيره وعقله ، وباعتبارها كيانا متأصل الجذور في أعماق نفسه . . ومنذ اعماق التأريخ فالمطالبة بها اليوم هي مطالبة بعودة الامور الى أوضاعها الطبيعية وتحقيق التكامل بين اعضاء الجسد الواحد الذي عجزت أن تمزقه كل المحاولات الفاشلة . .

أما محتويات هذا الكتاب الوثائقي الهام فهي كالتالي :-

■■ أولا : اتفاقية القاهرة :-

تأتي اتفاقية القـاهـرة بين حكومتي الجمهورية العربية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، حرصا على تعزيز وتدعيم النضال الوطني التقدمي في اليمن وتأكيدا بأن الوحدة اليمنية هي الأساس في بناء مجتمع يمني يضمن الحريات الديمقراطية لكافة القوى الوطنية . .

كما تأتي هذه الاتفاقية تجاوبا مع الجهود الصادقة التي بذلتها لجنة التوفيق العربية والمشكلة بقرار مجلس جامـعـة الـدول الـعـربـيـة رقـم ٢٩٦١ وتـاريخ ١٩٧٢/٩/١٣م من أجـل تسـوية الخلافات بين شطري اليمن وهي الجهـود التي تمثل اهتمام الامة

العربية بواقع شعب اليمن ومستقبله واحباط المؤامرات التي يحيكها اعداؤه لتعميق وتكريس التجزأة التي خلفها حكم الامامة والاستعمار البريطاني . .

اسماء اللجنة :-

وقد مثل شطري اليمن رئيسا الوزراء لكلا الدولتين وهما الاستاذ محسن العيني عن الشطر الشمالي ، وعلي ناصر محمد عن الشطر الجنوبي حيث نصت هذه الاتفاقية على قيام دولة موحدة تجمع شطري اليمن شماله وجنوبه تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد يكون لها علم واحد. وعاصمة واحدة. ورئاسة واحدة. وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة وذلك عبر وسائل عملية هي :-

١ - كخطوة اولى نحو تحقيق الوحدة تتخذ الاجراءات اللازمة نحو عقد قمة يجمع رئيسي الدولتين للنظر في الاجراءات الفورية لاتمام الوحدة . .

٢ - يختار كل من رئيسي الدولتين ممثلا شخصيا له ويشرف هذان الممثلان على اعمال اللجان الفنية .

٣ - تستمر جامعة الدول العربية في تقديم مساعدتها اللازمة لانجاح هذه الوحدة بناء على رغبة الدولتين .

٤ - يشكل مؤتمر القمة للدولتين اللجان الفنية المشتركة من عدد متساو من ممثلي الدولتين . .

٥ - تشكل اللجان الفنية المشتركة من ممثلي الدولتين على مستوى عال ومن المختصين ويحق لهذه اللجان تكوين لجان فرعية لتسهيل اعمالها . وتتألف هذه اللجان من :-

أ - لجنة الشئون الدستورية

ب - لجنة الشئون الخارجية والتمثيل الديبلوماسي

جـ٣ - لجنة الشئون الاقتصادية والمالية .

د - لجنة الشئون التشريعية والقضائية .

هـ - لجنة الشئون التربوية والثقافية والاعلامية

و - لجنة الشئون العسكرية

ز - لجنة الشئون الصحية

حـ - الادارة والمرافق العامة .

٦ - عند انتهاء لجنة الشئون الدستورية من وضع مشروع الدستور يطرح من قبل الدولتين على المجالس التشريعية المختصة للموافقة عليه ، وبتفويض السلطتين التشريعيتين في القطرين بتنظيم عمليتي الاستفتاء على الدستور وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة طبقا للدستور الجديد . .

وقد وقع على هذه الوثيقة المندوبون المفوضون بذلك :

عن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
علي ناصر محمد
رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع

عن الجمهورية العربية اليمنية
محسن العيني
رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية

ثانيا : بيان طرابلس :-

ثم أعقب اجتماع القاهرة . اجتماع طرابلس الذي تمخض عن البيان التفصيلي المتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وذلك تلبية للدعوة التي وجهها الاخ العقيد/ معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية لرئيسي دولتي شطري اليمن وذلك في الفترة من ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢م حيث كان هذا الاجتماع أول قمة يعقد من أجل تنفيذ الوحدة اليمنية . .

وفي هذا البيان اتفق رئيسا الشطرين القاضي عبدالرحمن الارياني والاخ سالم ربيع علي على ماذكر آنفا - في اتفاقية القاهرة في تشكيل اللجان المشتركة. وفي هذا البيان طالب الرئيسان بما يلي :-

أولا : يطلب الرئيسان الى الاخ معمر القذافي رئيس الجمهورية الليبية تعيين ممثل شخصي له يشارك في اعمال الممثلين الشخصيين لرئيسي الدولتين . .

ثانيا : يطلب الرئيسان الى أمين عام جامعة الدول العربية ان يعين مندوبا عن الجامعة في كل لجنة من اللجان الفنية وأن يعين ممثلا شخصيا له مقيما في اليمن لمساعدة الممثلين الشخصيين للرؤساء الثلاثة في عملهم . .

ثالثا : على لجنة الدستور ان تفرغ من اعداده في أقرب وقت ممكن .

■■ ثالثا : لقاء الجزائر :-

وللمرة الثانية كان لقاء الجزائر بين رئيسي

شطري اليمن القاضي عبدالرحمن الارياني والاخ/ سالم ربيع علي وذلك في تاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣م .

ـ وتم في هذا اللقاء استعراض سير اعمال اللجان المنبثقة عن اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس لاعادة الوحدة اليمنية ولان المدة الزمنية التي حددت لانجاز هذه اللجان اعمالها لم تكن كافية . فقد ترك لممثليها الشخصيين الصلاحيات في تحديد المواعيد المنظمة لمواصلة اعمال اللجان . .

وفي هذا اللقاء حرص الرئيسان على ان تظل الدول العربية الشقيقة ممثلة في الجامعة العربية ، وليبيا ، والجزائر ، من خلال الممثلين الشخصيين في كل المحادثات ومتابعة لكل أعمال اللجان . ايمانا من رئيسي الشطرين بأن قضية اعادة وحدة اليمن ارضا وشعبا لاتهمهما والشعب اليمني فقط وانما هي قضية يجب ان تهتم بها الامة العربية كلها . .

رابعا : لقاء تعز ـ الحديدة :ـ

وكان اللقاء الثالث الذي يجمع بين رئيسي الشطرين وهما القاضي عبدالرحمن الارياني وسالم ربيع علي من أجل اعادة الوحدة اليمنية وهو لقاء ـ تعز ـ الحديدة في الفترة ١٠ ـ ١٢/١١/١٩٧٣م وأهم مايميز هذا اللقاء هو الاتفاق على ايجاد صيغ مشتركة على صعيد الاقتصادي الوطني وتذليل ماقد يعترض طريق اللجان المشتركة من مصاعب . .

خامسا البيان الصادر عن اجتماعات لجنة الممثلين الشخصيين :ـ

يستعرض ـ الكتاب ـ اجتماعات ممثلي رئيسي الشطرين وممثل الرئيس الجزائري وممثل الرئيس الليبي وممثل الامين العام لجامعة الدول العربية وهم الاخ /عبدالله حمران والاخ/ عبدالله الخامري والاخ/ منصور الكيخيا والاخ/ ابراهيم المزهودي والاخ/ محمد سليم اليافي ، حيث كانت خطة عمل الممثلين الشخصيين وضع خطط اعمال اللجان الفنية المشتركة وتحديد اختصاصها والزمن اللازم للانتهاء من اعمال كل لجنة وأماكن انعقادها والنظام الداخلي لها وخلال اربعة اجتماعات عقدت من ٢١ ديسمبر ١٩٧٢م الى ١٤ مارس ١٩٧٣م حيث اتفق على الاتي :ـ

أ ـ تعقد اللجان الاتي ذكرها . اجتماعاتها في صنعاء

- لجنة الشئون الاقتصادية
- لجنة الشئون التشريعية والقضائية
- لجنة الشئون العسكرية
- لجنة الشئون الصحية

ب ـ وتعقد اللجان الاتي بيانها اجتماعاتها في عدن :ـ

- لجنة الشئون الدستورية
- لجنة الشئون الخارجية والتمثيل الديبلوماسي
- لجنة الشئون التربوية والثقافية والاعلام
- لجنة الادارة والمرافق العامة

بحيث تبدأ اللجان الفنية اعمالها في فترة لاتتجاوز ٢٠/١/١٩٧٣م وترفع تقاريرها الى الممثلين الشخصيين في ١٥/٦/١٩٧٣م الذين يرفعونها بدورهم لرئيسي شطري اليمن في ٣٠/٦/١٩٧٣م

سادسا : لقاء قعطبة :ـ

في هذا اللقاء الذي كان في ١٥ فبراير ١٩٧٧م ناقش رئيسا شطري اليمن المقدم ابراهيم الحمدي والرئيس سالم ربيع علي ومرافقوهما . القضايا الرئيسية التي تهم الشطرين وفي مقدمتها القضايا الاقتصادية والتجارية ومجالات التنمية الصناعية والزراعية بما يخدم المصلحة اليمنية العليا .

وقد تم الاتفاق على تشكيل مجلس يتكون من رئيسي الشطرين ومسئولي الدفاع والاقتصاد والتجارة والتخطيط والخارجية يجتمع ـ المجلس ـ مرة كل ستة أشهر بالتناوب بين صنعاء وعدن . لبحث ومتابعة سير الاعمال المشتركة واللجان الفنية .

سابعا : قرارات الجلسة الطارئة لمجلس الجامعة العربية

ويتناول الكتاب قرارات الجلسة الطارئة لمجلس الجامعة العربية في دورته الاستثنائية في الكويت في المدة من ٤ ـ ٦ مارس ١٩٧٩م والتي من أهمها :ـ

ـ تشكيل لجنة متابعة من وزراء خارجية الدول العربية الاتية :ـ

«الاردن ، الامارات العربية المتحدة، الجزائر ، سوريا ، العراق، فلسطين ، الكويت ، والامين العام لجامعة الدول العربية ، وذلك للاشراف على تنفيذ قرارات الجامعة العربية الخاصة بالوحدة اليمنية . .

■■ ثامنا لقاء القمة اليمني في الكويت :-

دخلت الوحدة اليمنية طورا جديدا في اللقاء التاريخي بين رئيسي الشطرين المقدم /علي عبدالله صالح والاخ/ عبدالفتاح إسماعيل في الكويت في الفترة ٢٨ - ٣٠ مارس ١٩٧٩م وذلك بمشاركة أمير دولة الكويت وممثلي لجنة المتابعة العربية من الاقطار العربية - الانفة الذكر - حيث اتفق رئيسا الشطرين على مايلي :-

١ - تقوم اللجنة الدستورية بإعداد مشروع دستور دولة الوحدة خلال فترة أربعة أشهر .

٢ - عند انتهاء اللجنة الدستورية من اعمالها يعقد الرئيسان لقاء لاقرار الصيغة النهائية لمشروع الدستور الدائم ودعوة كل منهما لمجلس الشعب في الشطرين للانعقاد خلال مدة يتفق عليها الرئيسان . للموافقة عليه كمشروع .

٣ - يقوم رئيسا الشطرين بعد ذلك بتشكيل اللجنة الوزارية المختصة بالاشراف على الاستفتاء العام على مشروع الدستور وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة .

٤ - يقر الرئيسان التقيد والالتزام الكامل بالمضمون والاحكام الواردة في اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس وقرارات مجلس الجامعة العربية . وتنفيذ قرارات وتوصيات لجان الوحدة التي توصلت اليها .

٥ - يتولى الرئيسان متابعة انجاز عمل اللجنة الدستورية في الموعد المحدد ونتائج اعمال اللجان الاخرى من خلال لقاءات دورية في اليمن في كل من الشطرين .

■■ تاسعا : البيان المشترك الذي صدر عن اللقاء الذي عقد بصنعاء :-

التقى الاخ العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة . بالاخ علي ناصر محمد عضو المكتب السياسي رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى بالنيابة رئيس الوزراء في الشطر الجنوبي من الوطن في العاصمة صنعاء من ٢ - ٤ أكتوبر ١٩٧٩م .

وقد تم في هذا اللقاء بحث الخطوات التي تم اتخاذها لتنفيذ اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس والكويت من أجل تحقيق الوحدة اليمنية على أساس ديمقراطي صحيح . .

وقد اعطى - الرئيسان - اللجان المشتركة الفرصة لاستكمال المهام المناطة بها نظرا لان المدة الزمنية المحددة في بيان الكويت قد أنتهت ولم تنته اللجان من اعمالها .

■■ عاشرا : الاتفاق الذي وقع في عدن :-

ويأتي لقاء عدن بين رئيسي الشطرين الاخوين علي عبدالله صالح وعلي ناصر محمد في ٦ مايو ١٩٨٠م يأتي هذا اللقاء لتعزيز وتنسيق الاتصالات بين الشطرين في جميع المجالات وفي مقدمتها المجالات الاقتصادية الحيوية تمهيدا للوحدة المنشودة أمل جماهير اليمن قاطبة . وتم الاتفاق على انشاء المشاريع في المجالات الاتية :-

في قطاع الصناعة والمعادن ، المواصلات ، المصارف ، الاحصاء وخطط التنمية ، وقطاع السياحة ، والمعارض المشتركة للمنتجات اليمنية .

■■ حادي عشر: لقاء ١٣ يونيو ١٩٨٠م :-

في الفترة من ٩ الى ١٣ يونيو قام الاخ/ علي ناصر محمد الامين العام للجنة المركزية رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى رئيس مجلس الوزراء في الشطر الجنوبي من الوطن بزيارة اخوية ورسمية للشطر الشمالي من الوطن تلبية لدعوة من أخيه العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة .

في هذا اللقاء الذي تم في عاصمة اليمن صنعاء اتفقت القيادتان والمسؤولون في الشطرين لاعادة تحقيق الوحدة بطرق سلمية والالتزام الكامل بضرورة العمل الجاد في اعادة وحدة الوطن اليمني .

واتفق الرئيسان على اقامة المشاريع الاقتصادية المشتركة والتنسيق في الخطط الاقتصادية وتبادل الخبرات والمعلومات ،

كما وقع الرئيسان على عدد من الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية والتي سيتم بموجبها انشاء شركة يمنية للنقل البحري وشركة يمنية للنقل البري وشركة يمنية للسياحة ، بهدف وضع الاسس الصحيحة للتنمية المتكاملة لشطري اليمن الواحد .

■■ ثاني عشر : اتفاق تعز :-

في الاول والثاني من شهر سبتمبر عام ١٩٨٠م إلتقى رئيسا شطري اليمن الاخوان العقيد علي عبدالله صالح وعلى ناصر محمد في تعز وذلك لتدارس الخطوات التي تتخذ على طريق اعادة الوحدة وما انجزته اللجان المشتركة ، وفي ١٥ سبتمبر ١٩٨١م يتفق رئيسا الشطرين على تشكيل لجنة لبحث نتائج لجان الوحدة وتقدم تصورات بشأن التنظيم السياسي الموحد . من أجل التعجيل بالوحدة اليمنية .

■■ ثالث عشر: اتفاق تطوير التعاون والتنسيق بين شطري الوطن :-

امتدادا للاتفاقيات الوحدوية الموقعة بين رئيسي الشطرين بهدف توسيع آفاق التعاون والتنسيق في جميع المجالات سيرا نحو تحقيق المصلحة العليا للشعب اليمني في اعادة توحيد اليمن فقد التقى الاخوان العقيد / علي عبدالله صالح وعلي ناصر محمد رئيسا الشطرين في الفترة من ١١/٣٠/ الى ١٩٨١/١٢/٢م في عدن واتفقا على مايلي :-

أولا : على صعيد التنسيق بين القيادتين :-

١ - ينشأ مجلس من رئيسي شطري اليمن يسمى (المجلس اليمني) يجتمع بصفة دورية مرة كل ستة أشهر .

٢ - يمارس المجلس اليمني الاختصاصات التالية :-

أ - متابعة سير تنفيذ اتفاقيات الوحدة بين شطرين الوطن والاشراف على اعمال لجان الوحدة .

ب - الاطلاع على ما أتفقت عليه لجان الوحدة .

ج - اصدار التعليمات والتوجيهات للمسئولين المعنيين في تنفيذ المشاريع المشتركة المتفق عليها .

د - الاطلاع على تقارير السكرتارية المتعلقة بسير تنفيذ خطوات الوحدة .

هـ - تشكيل سكرتارية للمجلس اليمني .

٣ - تنشأ لجنة وزارية مشتركة من الشطرين تتكون من :-

رئيسي الوزراء ووزيري الخارجية ، الداخلية ، التنمية والتخطيط ووزيري التربية والتعليم ، ورئيسي هيئتي الاركان العامة للقوات المسلحة .

٤ - تمارس اللجنة الوزارية المشتركة الاختصاصات التالية :-

أ - الاشراف على تنفيذ المشاريع المشتركة الموقعة بين الشطرين .

ب - ضمان التنسيق بين خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

جـ - تقديم الدراسات والتقارير والمقترحات الى المجلس اليمني الهادفة الى دعم خطوات الوحدة وتحقيق التكامل الاقتصادي .

٥ - تجتمع اللجنة الوزارية المشتركة مرة كل ثلاثة أشهر في عاصمتي الشطرين بالتناوب كما تكون رئاسة اللجنة بالتناوب .

٦ - تتكون سكرتارية من ستة اشخاص يتم تعيينهم من الشطرين وتمارس الاختصاصات التالية :-

أ - الاعداد والتحضير لاجتماعات المجلس اليمني واللجنة الوزارية .

ب - تدوين محاضر اجتماعات المجلس اليمني واللجنة الوزارية . .

جـ - القيام بكافة اعمال التنسيق بين المجلس اليمني ولجان الوحدة وجهات الاختصاص في الشطرين .

ثانيا : على الصعيد الاقتصادي

ثالثا : على الصعيد التربوي والثقافي والاعلامي

رابعا : على صعيد التنقل بين شطري الوطن .

خامسا : على صعيد السياسة الخارجية على المستوى العربي والدولي . .

ويستطيع القارىء الكريم ان يطلع على الكتاب من ص ١١٩ ـ ١٢٥ ليعرف تفاصيل هذا الاتفاق في مختلف المجالات المذكورة . .

رابع عشر: لقاء تعز :ـ

في الفترة من ٥ ـ ٦ مايو ٨٢ بمدينة تعز أتفق رئيسا الشطرين وهما الاخوان العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي ناصر محمد في اجتماع المجلس اليمني المنعقد . على تنفيذ اتفاق ١٣ يونيه ١٩٨٠م والالتزام بكامل بنوده نصا وروحا . وتنفيذ الخطوات العملية لضمان وإستقرار الشطرين .

خامس عشر: سكرتارية المجلس اليمني الاعلى :ـ

وبعد أن أقرت اللائحة الخاصة بتنظيم أعمال سكرتارية المجلس اليمني، عقدت دورتها الاولى في مدينة عدن في الفترة ٢ ـ ٤ سبتمبر ١٩٨٢م للتعارف .

وفي دورتها الثانية التي عقدت في ٩ ـ ١٠ نوفمبر ١٩٨٢ في مدينة صنعاء حيث تم الاتفاق على اعداد مشروع لائحة تنظيم عمل السكرتارية كما عقدت دورتها الثالثة بمدينة عدن في ٢٨ /نوفمبر ١٩٨٢م لاستعراض جدول اعمال الدورة الثالثة .

سادس عشراجتماع اللجنة الوزارية المشتركة :ـ

(الدورة الاولى)

في الفترة من ٢٩ نوفمبر الى ١ ديسمبر ١٩٨٢م نظرت اللجنة الوزارية برئاسة الاخوين علي ناصر محمد الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى رئيس الوزراء في الشطر الجنوبي من الوطن والدكتور/ عبدالكريم الارياني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة في المشروعات والقرارات المقدمة من قبل سكرتارية المجلس اليمني واتخذت القرارات التالية ، والزمت الوزراء المعنيين في الشطرين بتنفيذ هذه القرارات والتي تتناول :ـ

الشركات اليمنية المساهمة ، التبادل التجاري ، مجال التنمية ، طريق التوحدة ، التربية والتعليم ، والمجال الزراعي .

وقد صدر بلاغ صحفي حول نتائج اعمال اللجنة الوزارية المشتركة جاء فيه أكدت اللجنة على ان الاعمال التي انجزتها لجان الوحدة وإقامة المؤسسات اليمنية المشتركة في السياحة والنقل البري والنقل البحري وكذلك القيام بالابحاث المشتركة للثروات الطبيعية تعتبر من الانجازات الهامة التي تم تحقيقها في سياق العمل الوحدوي وثمرة من ثمار الجهود التي بذلتها قيادتا الشطرين في سبيل خلق المقدمات والشروط الاساسية لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية على أسس سلمية وديمقراطية .

سابع عشر:ـ اجتماع اللجنة المشتركة الخاصة المشكلة من قبل المجلس اليمني الاعلى :ـ

عقد هذا الاجتماع يوم الخميس ١٩٨٣/٨/١٨م وضم الاخوة رؤساء لجان الوحدة المشتركة بين شطري الوطن .

حيث رأس جانب الشطر الشمالي الاخ الدكتور/ عبدالكريم الارياني رئيس مجلس الوزراء عضو اللجنة الدائمة . . ورأس جانب الشطر الجنوبي الاخ/ عبدالغني عبدالقادر عضو المكتب السياسي سكرتير اللجنة المركزية .

وتم في هذا الاجتماع دراسة التقارير التفصيلية عن سير اعمال لجان الوحدة وما تم الاتفاق عليه . . وقرر المجتمعون رفع توصياتهم الى الاخوين الرئيسين العقيد علي عبدالله صالح وعلي ناصر محمد حول الخطوات التنفيذية الجديدة . .

ومواصلة لجهود وأعمال اللجنة عقدت الجلسة الختامية يوم السبت ١٩٨٣/٨/٢٠م بمدينة تعز حيث تم الاتفاق على تشكيل لجنة دائمة مشتركة تختص بتسهيل وتنشيط عمليات التبادل التجاري للسلع ذات المنشأ اليمني بين الشطرين . . كما اقرت اتباع

الاجراءات العملية لتسهيل تنقل المواطنين بين الشطرين . .

■■ ثامن عشر : المجلس اليمني الاعلى :-

في الفترة ١٥ - ١٩٨٣/٨/٢٠م بمدينة صنعاء عاصمة اليمن التاريخية التقى الاخوان العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام الامين العام وعلي ناصر محمد في الدورة الاولى للمجلس الاعلى ، واستعرضا ماتم انجازه من خلال اللجنة الوزارية المشتركة وما حققته لجان الوحدة مؤكدين على اللقاءات المستمرة بين شطري الوطن وعلى مختلف المستويات وكذلك على التشاور المستمر والتنسيق القائم من أجل تحقيق الوحدة اليمنية .

وعقد المجلس دورته الثانية في الفترة ١٥ - ١٩٨٤/٢/١٧م في مدينة عدن . . وقد اطلع الرئيسان العقيد/ علي عبدالله صالح وعلي ناصر محمد على التقرير المقدم اليهما من سكرتارية المجلس - التي عقدت دوراتها الخامسة والسادسة في صنعاء وعدن على التوالي - والذي احتوى على ماتم انجازه منذ انعقاد الدورة الاولى للمجلس اليمني الاعلى . . وقد صادق المجلس اليمني على التوصيات التي قدمتها السكرتارية في تقريرها وكلفها بمتابعة التنفيذ .

■■ تاسع عشر : اللجنة الوزارية المشتركة (دورتها الثانية) من ٦ - ٧ اغسطس ١٩٨٤م

اطلعت اللجنة الوزارية المشتركة على تقرير سكرتارية المجلس التي عقدت دوراتها السابعة والثامنة في تعز وصنعاء - عن مستوى تنفيذ قرارات اللجنة في دورتها الاولى وكذلك مشروع لائحة تنظيم اعمال السكرتارية ومشروع القرارات والتوصيات المقدمة للجنة الوزارية كما بحثت اللجنة الوزارية المشتركة محتويات هذه الوثائق واتخذت بشأنها القرارات اللازمة والزمت الوزراء المعنيين في الشطرين بتنفيذها . . سواء على مستوى تنقل المواطنين بين الشطرين أو الشركات اليمنية المشتركة . أو التبادل التجاري وقضايا التنمية ومجال التربية والثقافة والاعلام والمجال الزراعي ومجال السياسة الخارجية . .

وقد صدر بلاغ صحفي عن نتائج اجتماع الدورة الثانية للجنة الوزارية المشتركة أعربت فيه عن ارتياحها للتقدم الذي تحقق في مستوى التنسيق والتعاون بين الشطرين . . ودرست اللجنة امكانية اقامة عدد من المشاريع الاقتصادية المشتركة بين الشطرين كما أقرت اللجنة في هذا الاجتماع اللائحة الخاصة بتنظيم اعمال سكرتارية المجلس اليمني توطئة للمصادقة عليها من قبل المجلس اليمني في دورته القادمة . .

■■ عشرون : المجلس اليمني الاعلى (الدورة الثالثة) :-

في صنعاء العاصمة التاريخية لليمن الموحد في الفترة ٤ - ٦ ديسمبر ١٩٨٤م برئاسة الاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام والاخ علي ناصر محمد الامين العام للجنة المركزية رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى رئيس مجلس الوزراء اطلع المجلس على التقرير المقدم اليه من سكرتاريته والذي تضمن ما انجزته اللجان المشتركة منذ إنعقاد الدورة الثانية للمجلس اليمني الاعلى وما تحقق في مختلف المجالات التي تم التنسيق فيها سواء من خلال نتائج اعمال اللجان أو من خلال نتائج اللقاءات والزيارات المتبادلة التي تمت بين المسئولين في الوزارات والاجهزة والمؤسسات الرسمية والشعبية في الشطرين وأستعرض الرئيسان كل ما يتعلق بالسياسة الخارجية واتفقت وجهات النظر بينهما فيما يتعلق بالقضايا العربية والدولية . .

■■ واحد وعشرون: لقاء القمة اليمني الذي عقد في عدن - تعز :-

في إطار الجهود الوحدوية التي تبذلها قيادتا الشطرين قام الاخ العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام

للمؤتمر الشعبي العام من ١٩ - ٢١ يناير ١٩٨٥م بزيارة لمدينة عدن في الشطر الجنوبي من الوطن - عن طريق البر - بهدف متابعة تنفيذ قرارات الدورة الثالثة للمجلس اليمني الاعلى اضافة الى مناقشة عدد من القضايا الوطنية وكذا استعراض الاوضاع العربية والدولية مع اخيه علي ناصر محمد رئيس الشطر الجنوبي من الوطن .

وقد وصل بعد ظهر يوم ١٩٨٥/١/٢٠م الى مدينة تعز رئيسا الشطرين عن طريق البر لمناقشة عدد من القضايا التي تهم شعبنا اليمني . ومواصلة الجهود التي تبذلها قيادتا الشطرين من أجل اعادة تحقيق وحدة الوطن ارضا وشعبا . .

■■ اثنان وعشرون دورات سكرتارية المجلس اليمني الاعلى :-

وتتوالى اللقاءات الوحدوية بين مسئولي الشطرين ففي ١٩٨٥/٤/٢٤م بدأت في عدن أعمال الدورة العاشرة لسكرتارية المجلس اليمنى الاعلى . وصدر بلاغ صحفي عن هذه الدورة التي استعرضت سير اعمال التنسيق بين الشطرين ونتائج اعمال اللجان الوحدوية في مختلف المجالات . وفقا للاتفاقيات الوحدوية وقرارات المجلس اليمني الاعلى وفي ١٩٨٥/٨/١٩م عقدت بمكتب شئون الوحدة بصنعاء الدورة الحادية عشرة لسكرتارية المجلس اليمني .

وفي صباح يوم السبت ١٩٨٥/١٢/٧م عقدت في مكتب شئون الوحدة في صنعاء الدورة الثانية عشرة لسكرتارية المجلس اليمني الاعلى وذلك في تهيئة اجتماعات الدورة الثالثة للجنة الوزارية المشتركة ومناقشة التقرير المقدم منها الى اللجنة الوزارية .

■■ القرارات والتوصيات الصادرة عن الدورة الثالثة للجنة الوزارية المشتركة :-

في الفترة من ٢٨ - ٣٠ ربيع الاول الموافق ١٢/١٠/ ديسمبر ١٩٨٥م عقدت اللجنة الوزارية المشتركة لشطري الوطن اجتماعات دورتها الثالثة في صنعاء حيث اطلعت اللجنة على تقرير سكرتارية المجلس عن مستوى تنفيذ قرارات دورتها الثانية . وكذا قرارات الدورة الثالثة للمجلس اليمني الاعلى وعلى مشروع القرارات والتوصيات المقدمة اليها من قبل السكرتارية وكذلك ماتم تحقيقه وانجازه في مختلف المجالات .

وتعزيزا للخطوات الوحدوية وبناء على ماتم بحثه ومناقشته في هذه الدورة اتخذت اللجنة الوزارية القرارات اللازمة والزمت الوزراء المعنيين في الشطرين بتنفيذها وذلك في المجالات التالية :-

- تنقل المواطنين بين الشطرين بالبطاقة الشخصية او العائلية .
- الشركات والمشروعات اليمنية المشتركة .
- التخطيط والتنمية
- مجال التنسيق الزراعي والسمكي (الزراعة ، الاسماك)
- التبادل التجاري
- مجال التربية والثقافة والاعلام
- مجال الانشاءات والاشغال العامة .
- مجال المواصلات السلكية واللاسلكية
- مجال التنسيق بين المحافظات
- المجال المالي والمصرفي

يستطيع القارىء التوسع بالاطلاع ص ٢٠٨ - ٢١٧ من هذا الكتاب .

■■ اربعة وعشرون : اجتماع المجلس اليمني الاعلى بصنعاء ٢٤ - ٢٦ ديسمبر ١٩٨٥م :-

عقد هذا الاجتماع برئاسة الاخوين العقيد/ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام والاخ علي ناصر محمد الامين العام للجنة المركزية رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى . شارك في هذا الاجتماع عدد من المسئولين من شطري الوطن . حيث تم في هذا الاجتماع بحث عدد من المواضيع المتعلقة بالخطوات الوحدوية في نطاق الجهود المبذولة من مسئولي الشطرين تجاه قضية اعادة الوحدة اليمنية وتوسيع مجالات التنسيق بين الشطرين بما يكفل مزيدا من تحقيق التكامل بينهما في شتى المجالات وصولا الى دولة واحدة . كما استعرض المجلس ما انجزته اللجان المشتركة خلال الفترة الماضية وكذلك نتائج اعمال اللجنة الوزارية المشتركة في دورتها الثالثة المنعقدة مؤخرا في صنعاء . .

ويستعرض الكتاب من ص ٢٢٢ - ٢٥٦ الاتفاقيات المشتركة بين شطري الوطن .

فقد تم في الفترة ١٦ - ١٧/٤/١٩٨٨م لقاء قمة بمدينة تعز بين الاخوين العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الامين العام للمؤتمر الشعبي العام والاخ علي سالم البيض امين عام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي ، وقد شارك في اللقاء عدد من الاخوة المسئولين في الشطرين ، وتم الاتفاق على مايلي :-

- اقامة مشاريع مشتركة بين الشطرين .
- تسهيل حركة التنقل بين الشطرين.
- اتفاق بشأن استثمار المنطقة المشتركة بين شطري اليمن التي وقعت في ١٩/ نوفمبر ١٩٨٨م انظر ص ٢٣٩ مزيدا من التفصيل .

خمسة وعشرون: مشروع دستور دولة الوحدة :-

وردت أول إشارة لموضوع الدستور في اتفاقية القاهرة الموقع عليها في أكتوبر من عام ١٩٧٢م كما جاءت الاشارة اليه في بيان طرابلس.. وجاءت القمة اليمنية في الجزائر تأكيدا على ضرورة انجاز مشروع دستور دولة الوحدة . وقد تواصلت أعمال اللجنة الدستورية حيث عقدت سبع دورات الى ان جاء اتفاق الكويت الموقع عليه في ٣٠ مارس ١٩٧٩م من قبل قيادتي الشطرين والذي حث على الاسراع في انجاز مشروع الدستور . لكنه لم يتيسر للجنة الدستورية انهاء عملها خلال المدة الزمنية المتفق عليها في اتفاق الكويت والمحددة بأربعة اشهر واستمرت اللجنة في اعمالها وبعد تسع سنوات من العمل الدؤوب - كما يذكر جامع هذا الكتاب - من خلال عقد ثلاثة عشرة دورة في كل من صنعاء وعدن وغيرهما من المدن اليمنية أنهت اللجنة الدستورية في دورتها الاخيرة والتي عقدت في العاصمة صنعاء في الفترة من ٢٦ - ٣٠/١٢/١٩٨١م مشروع الدستور. ورفعته الى رئيسي الشطرين . وفي سبيل استكمال الخطوات المتعلقة بمشروع الدستور فقد ورد ضمن نتائج لقاء القمة اليمني في تعز المنعقد في غرة رمضان ١٤٠٨هـ بتكليف سكرتارية المجلس اليمني الاعلى بإعداد البرنامج الزمني المتعلق بمشروع دستور دولة الوحدة لاحالته الى مجلس الشعب في الشطرين ومن ثم الاستفتاء عليه في ضوء الاتفاقيات الوحدوية بين الشطرين .

ثم جاءت قمة صنعاء المنعقدة في ٤/٥/١٩٨٨م لتخرج بأهم النتائج الوحدوية وأكثرها إيجابية .

وكما يقول في هذا الكتاب الاستاذ - يحيى حسين العرشي - وزير الدولة لشئون الوحدة ان مشروع دستور دولة الوحدة وهو في مرحلته هذه يتطلب الامر بشأنه ان يكون في متناول الجميع بحيث يسهل لمواطني اليمن الواحد والمؤسسات الدستورية والسياسية في شطري الوطن مراجعته . .

وان الجماهير اليمنية وهي تتابع الخطوات المتعلقة بانجاز هذا المشروع والاتفاق عليه وتنظر الى الخطوة القادمة المتعلقة باحالته الى مجلسي الشورى والشعب ، ومن ثم الاستفتاء عليه للوصول الى مرحلة انشاء دولة الوحدة اليمنية .

وللاهمية ننشر نص الدستور تتويجا لكل الجهود والمحاولات المبذولة ولتيسير الاطلاع عليه والمناقشة حوله . .

وبعد :-

فهذا الكتاب الوثائقي قد قدم للقارىء صورة حقيقية عن مشروع الوحدة اليمنية . وتتبع الاحداث الحدث تلو الآخر . فقدم نص الاتفاقيات والبيانات والتوصيات والقرارات الصادرة عن لقاءات القمة . ومسئولي شطري اليمن ومتابعة جامعة الدول العربية وممثلي الدول العربية الشقيقة . لسير اعمال اللجان الفنية المشتركة .

ويعتبر - الكتاب - إنشاء مجلس يمني اعلى ولجنة وزارية مشتركة اكبر انجاز تحققه دولتا الشطرين نحو الوحدة اليمنية ، والمتتبع المدرك يجد ان شطري اليمن قد نسقا فيما بينهما في كل المجالات الاقتصادية والسياسية-والتربوية والاعلامية والثقافية وانشاء الشركات واقامة المشاريع المشتركة . وحرية تنقل الافراد بين الشطرين بالبطاقة الشخصية .

وبعد تقديم مشروع دستور دولة الوحدة على مجلسي الشورى والشعب للموافقة عليه ، وطرحه للاستفتاء

حينها تعلن دولة الوحدة التي هي قضية التقدم والحضارة والازدهار للشعب اليمني . .

نسأل الله ان يمد في اعمارنا حتى نشهدها حقيقة واقعة انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل . .

مشروع دستور دولة الوحدة

أقرت اللجنة الدستورية المشتركة هذا المشروع بعد الانتهاء من اعداده وتم التوقيع عليه في يوم الاربعاء ٤ ربيع أول ١٤٠٢هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٨١م

الباب الأول
أسس الدولة
الفصل الأول
الأسس السياسية

المادة (١) : الجمهورية اليمنية دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي وحدة لاتتجزأ ولا يجوز التنازل عن أي جزء منها ، والشعب اليمني جزء من الأمة العربية والعالم الاسلامي .

المادة (٢) : الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية .

المادة (٣) : الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع .

المادة (٤) : الشعب مالك السلطة ومصدرها ، ويمارسها بشكل مباشر عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة ، كما يزاولها بطريقة غير مباشرة عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية وعن طريق المجالس المحلية المنتخبة .

المادة (٥) : تؤكد الدولة العمل بميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق جامعة الدول العربية وقواعد القانون الدولي المعترف بها بصورة عامة .

الفصل الثاني
الأسس الأقتصادية

المادة (٦) : يقوم الإقتصاد الوطني على المبادىء التالية :ـ

١ ـ العدالة الاجتماعية الاسلامية في العلاقات الانتاجية والاجتماعية .

٢ ـ بناء قطاع عام متطور قادر على امتلاك وسائل انتاجية رئيسية .

٣ ـ صيانة الملكية الخاصة ، فلا تمس الا لمصلحة عامة وبتعويض عادل وفقاً للقانون .

٤ ـ توجيه كل هذه العلاقات والطاقات لضمان بناء اقتصاد وطني قادر ، ومتحرر من التبعية ، وتحقيق تنمية شاملة تكفل اقامة علاقات اشتراكية مستلهمة التراث الاسلامي العربي وظروف المجتمع اليمني .

المادة (٧) : الثروات الطبيعية بجميع مشتقاتها ومصادر الطاقة الموجودة في باطن الارض أو فوقها أو في المياه الاقليمية أو الامتداد القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة ملك الدولة ، وهي التي تكفل استغلالها للمصلحة العامة .

المادة (٨) : تقوم السياسة الاقتصادية للدولة على أساس التخطيط العلمي وبما يكفل انشاء المؤسسات العامة العاملة في حقل استغلال واستثمار الموارد العامة والطبيعية ، وتنمية وتطوير قدرات وفرص كل من القطاع العام ، والخاص، والمختلط في شتى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي اطار الخطة العامة للدولة بما يخدم المصلحة العامة والاقتصاد الوطني .

المادة (٩) : توجه الدولة التجارة الخارجية ، وتعمل على تطويرها ورفع فاعليتها وتطويعها لخدمة الاقتصاد الوطني .

وتشرف على التجارة الداخلية بهدف حماية المستهلكين وتوفير السلع الاساسية للمواطنين .

المادة (١٠) ينظم القانون العملة الرسمية للدولة

والنظام المالي والمصرفي ويحدد المقاييس والمكاييل والموازين .

المادة (١١) : يراعى في فرض الضرائب والتكاليف العامة مصلحة المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين .

المادة (١٢) : انشاء الضرائب العامة وتعديلها والغاؤها لايكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها كلها أو بعضها الا في الاحوال المبينة في القانون ولا يجوز تكليف احد بأداء غير ذلك من الضرائب والرسوم والتكاليف العامة الا بقانون .

المادة (١٣) : تشجع الدولة التعاون والادخار وتكفل وترعى وتشجع تكوين المنشآت والنشاطات التعاونية بمختلف صورها .

المادة (١٤) . يحدد القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة وإجراءات صرفها .

المادة (١٥) : لايجوز للسلطة التنفيذية عقد قروض او كفالتها أو الارتباط بمشروع يترتب عليه انفاق من خزانة الدولة في سنة او سنوات مقبلة الا بموافقة مجلس النواب .

المادة (١٦) : يحدد القانون منح المرتبات والمعاشات والتعويضات والاعانات والمكافآت التي تتقرر على خزانة الدولة .

المادة (١٧) : عقد الامتيازات المتعلقة باستغلال موارد الثروة الطبيعية والمرافق العامة لايتم الا بقانون ، ويبين القانون احوال وطرق التصرف مجانا في العقارات المملوكة للدولة والتنازل عن أموالها المنقولة ، والقواعد والإجراءات المنظمة لذلك، كما ينظم القانون كيفية منح الامتيازات للوحدات المحلية والتصرف مجاناً في الاموال المملوكة لها .

الفصل الثالث
الأسس الاجتماعية والثقافية

المادة (١٨) : تكفل الدولة حرية البحث العلمي والانجازات الادبية والفنية والثقافية المتفقة وروح وأهداف الدستور كما توفر الوسائل المحققة لذلك . وتقدم الدولة كل مساعدة لتقدم العلوم والفنون ، كما تشجع الاختراعات العلمية والفنية والابداع الفني وتحمي الدولة نتائجها.

المادة (١٩) : تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المواطنين سياسيا وإقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتصدر القوانين لتحقيق ذلك .

المادة (٢٠) : الخدمة العامة تكليف وشرف للقائمين بها ، ويستهدف الموظفون القائمون بها في ادائهم لاعمالهم المصلحة العامة وخدمة الشعب ويحدد القانون شروط الخدمة العامة وحقوق وواجبات القائمين بها .

المادة (٢١) : العمل حق وشرف وضرورة لتطور المجتمع ، ولكل مواطن الحق في ممارسة العمل الذي يختاره لنفسه في حدود القانون ، ولا يجوز فرض أي عمل جبراً على المواطنين الا بمقتضى قانون ، ولاداء خدمة عامة وبمقابل أجر عادل .

الفصل الرابع
أسس الدفاع الوطني

المادة (٢٢) : الدولة هي التي تنشيء القوات المسلحة وأية قوات أخرى ، وهي ملك الشعب كله ومهمتها حماية الجمهورية وسلامة اراضيها وأمنها ولا يجوز لأية هيئة أو جماعة انشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية ويبين القانون شروط الخدمة والترقية والتأديب للقوات المسلحة .

المادة (٢٣) : تنظم التعبئة العامة بقانون ، ويعلنها رئيس مجلس الرئاسة بعد موافقة مجلس النواب.

المادة (٢٤) : ينشأ مجلس يسمى «مجلس الدفاع الوطني» ويتولى رئيس مجلس الرئاسة رئاسته ويختص بالنظر في الشئون الخاصة بوسائل تأمين الجمهورية وسلامتها ويبين القانون طريقة تكوينه ويحدد اختصاصاته ومهامه الاخرى .

المادة (٢٥) : الشرطة هيئة مدنية نظامية تؤدي واجبها في خدمة الشعب وتكفل للمواطنين الطمأنينة والأمن ، وتسهر على حفظ النظام والأمن العام والآداب العامة وينظم القانون تبعيتها للسلطة القضائية وتنفيذ ماتصدره اليها هذه السلطة من أوامر دون مساس بحسن سير العدالة ، كما تتولى تنفيذ ماتفرضه عليها القوانين واللوائح من واجبات ، وذلك كله على الوجه المبين في القانون .

الباب الثاني
حقوق وواجبات المواطنين الاساسية

المادة (٢٦) : لكل مواطن حق الاسهام في لحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية يكفل الدولة حرية الفكر والاعراب عن الرأي بالقول لكتابة والتصوير في حدود القانون.

المادة (٢٧) : المواطنون جميعهم سواسية امام لقانون ، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة. لاتمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو اللون أو الاصل اللغة أو المهنة أو المركز الاجتماعي او العقيدة.

المادة (٢٨) : ينظم القانون الجنسية اليمنية ، لا يجوز اسقاطها عن يمني إطلاقا ولا يجوز سحبها ممن كتسبها إلا وفقا للقانون.

المادة (٢٩) : لايجوز تسليم أي مواطن يمني الى لطة أجنبية

المادة (٣٠) : تسليم اللاجئين السياسيين حظور.

المادة (٣١) المسئولية الجنائية شخصية ولا جريمة ، ولا عقوبة الا بقانون ، ولا عقاب على الأفعال التي تمت قبل صدور القانون المجرم بها ، وكل متهم بريء حتى تثبت ادانته بحكم قضائي بات.

المادة (٣٢) : أ ـ تكفل الدولة للمواطنين حريتهم الشخصية وتحافظ على كرامتهم وأمنهم. يحدد القانون الحالات التي يحرم فيها المواطن من حريته ولا يجوز حرمان أحد من حريته الا بحكم من محكمة مختصة.

ب ـ لايجوز القبض على أي شخص أو تفتيشه أو حجزه الا في حالة التلبس ، أو بأمر توجبه ضرورة التحقيق ، وصيانة الأمن ، يصدره القاضي أو النيابة العامة وفقا لأحكام القانون.

كما لايجوز مراقبة أي شخص أو التحري عليه الا وفقاً للقانون ، وكل انسان تقيد حريته بأي قيد يجب أن تصان كرامته ويحظر التعذيب جسديا أو معنوياً ، ويحظر القسر على الاعتراف اثناء التحقيقات ، وللانسان الذي تقيد حريته الحق في الامتناع عن الادلاء بأية أقوال الا بحضور محاميه ويحظر حبس او حجز أي انسان في غير الأماكن الخاضعة لقانون تنظيم السجون ، وتحرم العقوبة الجسدية والمعاملة غير الانسانية عند القبض أو أثناء فترة الاحتجاز او السجن.

جـ ـ كل من يقبض عليه بصفة مؤقته بسبب الاشتباه في ارتكابه جريمة ، يجب أن يقدم الى القضاء خلال اربعة وعشرين ساعة من القبض عليه على الاكثر ، وعلى القاضي أن يبلغه بأسباب القبض وان يستجوبه ويمكنه من إبداء دفاعه واعتراضاته ، وعليه أن يصدر على الفور أمرا مسببا باستمرار القبض او الافراج عنه ، وفي كل الاحوال لايجوز الاستمرار في الحجز بعد المدة المذكورة الا بأمر قضائي.

د ـ عند القاء القبض على أي شخص لأي سبب يجب أن يخطر فوراً من يختاره المقبوض عليه كما يجب ذلك عند صدور كل أمر قضائي باستمرار الحجز ، فاذا تعذر على المقبوض عليه الاختيار وجب ابلاغ أقاربه أو من يهمه الأمر.

هـ ـ يحدد القانون عقاب من يخالف احكام اي فقرة من فقرات هذه المادة ، كما يحدد التعويض المناسب عن الاضرار التي قد تلحق بالشخص من جراء المخالفة.

المادة (٣٣) : لايجوز استعمال وسائل بشعة غير إنسانية في تنفيذ العقوبات ولا يجوز سن قوانين تبيح ذلك.

المادة (٣٤) : يحق للمواطن أن يلجأ الى القضاء لحماية حقوقه ومصالحه المشروعة وله الحق في تقديم الشكاوي والانتقادات والمقترحات الى أجهزة الدولة ومؤسساتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

المادة (٣٥) : للمساكن ودور العبادة ودور العلم حرمة ولا يجوز مراقبتها او تفتيشها الا في الحالات التي يبينها القانون.

المادة (٣٦) : حرية وسرية المواصلات البريدية والهاتفية والبرقية وكافة وسائل الاتصال مكفولة ولا يجوز مراقبتها أو تفتيشها أو افشاء سريتها أو تأخيرها أو مصادرتها الا في الحالات التي يبينها القانون وبأمر قضائي

المادة (٣٧) : التعليم حق للمواطنين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية وتهتم الدولة بصورة خاصة برعاية النشىء وتحميه من الانحراف وتوفر له التربية الدينية والعقلية والبدنية وتهيىء له الظروف المناسبة لتنمية ملكاته في جميع المجالات.

المادة (٣٨) حرية التنقل من مكان الى آخر في الاراضي اليمنية مكفولة لكل مواطن ، ولا يجوز تقييدها الا في الحالات التي يبينها القانون لمقتضيات أمن وسلامة المواطنين ، وحرية الدخول الى الجمهورية والخروج منها ينظمها القانون ولا يجوز إبعاد أي مواطن عن الاراضي اليمنية او منعه من العودة اليها .

المادة (٣٩) : للمواطنين في عموم الجمهورية - بما لايتعارض مع نصوص الدستور - الحق في تنظيم أنفسهم سياسيا ومهنيا ونقابيا والحق في تكوين المنظمات العلمية والثقافية والاجتماعية والاتحادات الوطنية بما يخدم اهداف الدستور ، وتضمن الدولة هذا الحق ، كما تتخذ جميع الوسائل الضرورية التي تمكن المواطنين من ممارسته ، وتضمن كافة الحريات للمؤسسات والمنظمات السياسية والنقابية والثقافية والعلمية والاجتماعية .

الباب الثالث
تنظيم سلطة الدولة
الفصل الاول
مجلس النواب

المادة (٤٠) : مجلس النواب هو الهيئة التشريعية للدولة ، وهو الذي يقرر القوانين والسياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والميزانية العامة والحساب الختامي ، كما يمارس التوجيه والرقابة على أعمال الهيئة التنفيذية على الوجه المبين في هذا الدستور.

المادة (٤١) : يتألف مجلس النواب من اعضاء ينتخبون بطريقة الاقتراع السري العام الحر المباشر والمتساوي . وتقسم الجمهورية الى دوائر انتخابية متساوية من حيث العدد السكاني مع التجاوز عن نسبة ٥٪ زيادة أو نقصان ، وينتخب عن كل دائرة عضو وأحد في مجلس النواب .

المادة (٤٢) : حق الانتخاب والترشيح مكفول لكل مواطن

أ - يشترط في الناخب الشروط الاتية :-

١ - أن يكون يمنيا

٢ - ان لا يقل سنه عن ثمانية عشر عاماً

ب - يشترط في المرشح لعضوية مجلس النواب الشروط الاتية :-

١ - أن يكون يمنيا

٢ - أن لاتقل سنه عن خمسة وعشرين عاما

٣ - أن لايكون أميا

٤ - أن يكون مستقيم الخلق والسلوك .

المادة (٤٣) : مدة مجلس النواب اربع سنوات شمسية تبدأ من تاريخ أول اجتماع له ، ويدعو رئيس المجلس الناخبين الى انتخاب مجلس جديد قبل انتهاء مدة المجلس بستين يوما على الاقل فاذا تعذر ذلك لظروف قاهرة ظل المجلس قائما ويباشر سلطاته الدستورية حتى تزول هذه الظروف ويتم انتخاب المجلس الجديد.

المادة (٤٤) : مقر مجلس النواب العاصمة صنعاء ، وتحدد اللائحة الداخلية الحالات والظروف التي يجوز فيها للمجلس عقد اجتماعاته خارج العاصمة .

المادة (٤٥) : يضع مجلس النواب لائحته الداخلية متضمنة سير العمل في المجلس ولجانه وأصول ممارسته لكافة صلاحياته الدستورية ، ولا يجوز أن تتضمن اللائحة نصوصاً مخالفة لاحكام الدستور أو معدلة لها ويكون صدور اللائحة وتعديلها بقانون.

المادة (٤٦) : يختص مجلس النواب وحده بالفصل في صحة عضوية اعضائه وتنظم اللائحة الداخلية للمجلس اجراءات تقديم الطعن في صحة العضوية والجهة التي تتولى الطعن ، واجراءات التحقيق وعرض أوراق التحقيق على النواب خلال الستين يوما التالية لتقديم الطعن الى المجلس ، ولا تعتبر العضوية باطلة الا بقرار يصدر من مجلس النواب بأغلبية ثلثي عدد اعضاء المجلس .

المادة (٤٧) : لمجلس النواب وحده حق المحافظة على النظام والأمن داخل أبنية المجلس ، ويتولى ذلك رئيس المجلس عن طريق حرس خاص يأتمرون بأمره ، ولا يجوز لأي قوة مسلحة أخرى دخول المجلس أو الاستقرار على مقربة من ابوابه الا بطلب من رئيس المجلس .

المادة (٤٨): يصادق مجلس النواب على المعاهدات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية الدولية ذات الطابع العام أيا كان شكلها أو مستواها ، خاصة تلك المتعلقة

بالدفاع أو التحالف أو الصلح والسلم أو تديل الحدود أو التي يترتب عليها التزامات مالية على الدولة أو التي يحتاج تنفيذها الى إصدار قانون.

المادة (٤٩) : يجب عرض الحساب الختامي لموازنة الدولة على مجلس النواب في مدة لاتزيد على تسعة أشهر من تاريخ إنتهاء السنة المالية ، ويتم التصويت عليها بابا بابا وتصدر مصادقة المجلس بقانون ، كما يجب عرض التقرير السنوي للجهاز المختص بالرقابة المحاسبية وملاحظاته على مجلس النواب وللمجلس ان يطلب من هذا الجهاز أي بيانات أو تقارير اخرى.

المادة (٥٠) : يجب عرض مشروع الموازنة العامة على مجلس النواب قبل شهرين على الأقل من بدء السنة المالية ويتم التصويت على مشروع الموازنة بابا بابا ، وتصدر بقانون ، ولا يجوز لمجلس النواب أن يعدل مشروع الموازنة إلا بموافقة الحكومة ولا يجوز تخصيص أي ايراد من الايرادات لوجه معين من أوجه الصرف الا بقانون ، واذا لم يصدر قانون الموازنة الجديدة قبل بدء السنة المالية عمل بالموازنة القديمة الى حين اعتماد الموازنة الجديدة ويحدد القانون طريقة الموازنة ومدلول الباب كما يحدد السنة المالية.

المادة (٥١) : يجب موافقة مجلس النواب على نقل أي مبلغ من باب الى آخر من أبواب الموازنة العامة وكل مصروف غير وارد بها أو زائد في ايراداتها يتعين أن يحدد بقانون.

المادة (٥٢) : يحدد القانون احكام موازنات الهيئات والمؤسسات العامة وحساباتها والميزانيات المستقلة والملحقة وحساباتها الختامية ، وتسرى عليها الاحكام الخاصة بالميزانية العامة وحسابها الختامي.

المادة (٥٣) :يعقد مجلس النواب أول اجتماع له خلال اسبوعين على الأكثر من اعلان نتائج الانتخا ب بناء على دعوة رئيس مجلس الرئاسة فإن لم يدع اجتمع المجلس من تلقاء نفسه صباح اليوم التالي للاسبوعين المذكورين،

المادة (٥٤) : ينتخب مجلس النواب في أول اجتماع له من بين اعضائه رئيسا وثلاثة اعضاء ، يكونون جميعا هيئة الرئاسة ، ويرأس المجلس اثناء إنتخاب هيئة الرئاسة اكبر الاعضاء سناً وتحدد اللائحة الداخلية اجراءات انتخاب اعضاء هيئة الرئاسة واختصاصاتها الاخرى.

المادة (٥٥ يشترط لصحة اجتماعات مجلس النواب حضور أكثر من نصف اعضائه مع استبعاد الاعضاء الذين اعلن خلو مقاعدهم وتصدر القرارات بالاغلبية المطلقة للاعضاء الحاضرين الا في الحالات التي يشترط فيها بموجب الدستور واللائحة الداخلية للمجلس اغلبية خاصة ، وعند تساوي الاصوات يعتبر موضوع المداولة مرفوضا في نفس الدورة ، وتكون له أولوية العرض على المجلس في حالة تقديمه في دورة انعقاد اخرى.

المادة (٥٦) : جلسات مجلس النواب علنية ويجوز انعقاده في جلسات سرية بناء على طلب رئيسه أو مجلس الرئاسة أو الحكومة أو عشرين عضوا من أعضائه على الاقل.

ثم يقرر المجلس ما اذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح امامه تجري في جلسات علنية أو سرية..

المادة (٥٧) : يجتمع مجلس النواب في اليوم المحدد له حسب لائحته الداخلية ولا يجوز فض الدورة قبل اعتماد الميزانية العامة للدولة.

المادة (٥٨) : عضو مجلس النواب يمثل الشعب بكامله ويرعى المصلحة العامة ولا يقيد نيابته قيد أو شرط.

المادة (٥٩) : يقسم عضو مجلس النواب قبل مباشرة مهام العضوية امام المجلس اليمين الدستورية في جلسة علنية.

المادة (٦٠) : يتقاضى رئيس مجلس النواب واعضاء هيئة الرئاسة وبقية اعضاء المجلس مكافأة عادلة يحددها القانون ، ولا يستحق رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء المكافأة المذكورة اذا كانوا اعضاء في مجلس النواب.

المادة (٦١) : اذا خلا مكان عضو من اعضاء مجلس النواب قبل نهاية مدة المجلس بما لايقل عن سنة ، انتخب خلف له خلال ستين يوما من تاريخ اعلان قرار المجلس بخلو مكانه وتنتهي عضويته بانتهاء مدة المجلس.

المادة (٦٢) : لايجوز لعضو مجلس النواب أن يتدخل في الاعمال التي تكون من اختصاص السلطتين التنفيذية والقضائية.

المادة (٦٣) لا يؤاخذ عضو مجلس النواب بحال

من الاحوال بسبب الوقائع التي يطلع عليها أو يوردها للمجلس ، أو الاحكام والآراء التي يبديها في عمله في المجلس أو لجانه أو بسبب التصويت في الجلسات العلنية أو السرية ولا يطبق هذا الحكم على مايصدر من العضو من قذف أو سب.

المادة (٦٤) : لايجوز أن يتخذ نحو عضو مجلس النواب أي إجراء من اجراءات التحقيق أو التفتيش أو القبض أو الحبس أو أي إجراء جزائي الا بأذن من مجلس النواب ماعدا حالة التلبس ، وفي هذه الحالة يجب اخطار المجلس فورا ، وعلى المجلس أن يتأكد من سلامة الاجراءات وفي غير دورة انعقاد المجلس يتعين الحصول على اذن من هيئة الرئاسة ، ويخطر المجلس عند أول انعقاد لاحق له بما اتخذ من اجراءات.

المادة (٦٥) : يوجه اعضاء مجلس النواب استقالتهم الى المجلس وهو الذي يقبل استقالتهم . .

المادة (٦٦) : لا يجوز اسقاط عضوية أي عضو من اعضاء مجلس النواب الا اذا فقد أحد شروط العضوية المنصوص عليها في هذا الدستور .

المادة (٦٧) : لعضو مجلس النواب وللحكومة وللنقابات والمؤسسات الجماهيرية عبر ممثليها في مجلس النواب حق إقتراح مشاريع القوانين واقتراح تعديلها وكل مشروع قانون قدم من عضو المجلس يحال الى لجنة خاصة لفحصه وإبداء الرأي في جواز نظر المجلس فيه ، فاذا رأى نظره أحيل الى اللجنة المختصة ، وأي مشروع قانون قدم من غير الحكومة ورفضه المجلس لايجوز تقديمه ثانية في نفس دورة الانعقاد.

المادة (٦٨) : لمجلس النواب حق تقديم توجيهات للحكومة في المسائل العامة ، فإذا تعذر على الحكومة تنفيذ هذه التوجيهات وجب عليها ان تبين للمجلس سبب ذلك .

المادة (٦٩) : يجوز لعشرين بالمئة على الاقل من اعضاء المجلس طرح موضوع عام لمناقشته واستيضاح سياسة الحكومة فيه وتبادل الرأي حوله .

المادة (٧٠) : لمجلس النواب بناء على طلب موقع من عشرة اعضاء على الاقل من اعضائه ان يكون لجنة خاصة ، أو يكلف لجنة من لجانه لتقصي الحقائق في موضوع يتعارض مع المصلحة العامة ، أو فحص نشاط أحدى الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة أو وحدات القطاع العام أو المختلط أو المجالس المحلية . . وللجنة في سبيل القيام بمهامها أن تجمع ماتراه من أدلة وأن تطلب سماع من ترى ضرورة سماع اقواله وعلى جميع الجهات التنفيذية والخاصة ان تستجيب لطلبها وأن تضع تحت تصرفها لهذا الغرض ماتملكه من مستندات أو بيانات .

المادة (٧١) : يكون اقرار مجلس النواب للخطط العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بقانون ويحدد القانون طريقة اعداد تلك الخطط وعرضها على مجلس النواب .

المادة (٧٢) : يقدم رئيس مجلس الوزراء خلال خمسة وعشرين يوماً على الاكثر من تاريخ تشكيل الوزارة برنامج الحكومة الى مجلس النواب للحصول على الثقة بالاغلبية لعدد اعضاء المجلس واذا كان المجلس في غير انعقاده العادي دُعيَ إلى دورة انعقاد غير عادية . ولأعضاء المجلس وللمجلس ككل التعقيب على بيان الحكومة ويعتبر عدم حصول الحكومة على الاغلبية المذكورة بمثابة حجب للثقة .

المادة (٧٣) : مجلس الوزراء مسئول مسئولية جماعية وفردية ولكل عضو من اعضاء مجلس النواب أن يوجه الى رئيس مجلس الوزراء او احد نوابه أو احد الوزراء أو نوابهم أسئلة في أي موضوع يدخل في اختصاصهم وعلى من يوجه اليه السؤال أن يجيب عليه ولا يجوز تحويل السؤال الى استجواب في نفس الجلسة .

المادة (٧٤) : لمجلس النواب حق سحب الثقة من الحكومة ، ولا يجوز طلب سحب الثقة الا بعد استجواب يوجه الى رئيس الوزراء او من ينوب عنه ، ويجب ان يكون الطلب موقعا من ثلث اعضاء المجلس ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره بالطلب قبل سبعة أيام على الاقل من تقديمه ، ويكون سحب الثقة من الحكومة باغلبية اعضاء المجلس .

المادة (٧٥) : لكل عضو من اعضاء مجلس النواب حق توجيه استجواب الى رئيس مجلس الوزراء أو نوابه او الوزراء لمحاسبتهم عن الشئون التي تدخل في اختصاصهم ، وتجري المناقشة في الاستجواب بعد سبعة ايام على الاقل من تقديمه ، الا في حالات الاستعجال التي يراها المجلس وبموافقة الحكومة .

المادة (٧٦) : يسمع رئيس مجلس الوزراء ونوابه

والوزراء ونوابهم في مجلس النواب ولجانه كلما طلبوا الكلام ، ولهم أن يستعينوا بمن يرون من كبار الموظفين ولا يكون لهم أي صوت معدود عند أخذ الرأي الا اذا كانوا من اعضاء مجلس النواب ، ولمجلس النواب أن يطلب من الحكومة أو احد الوزراء حضور أي من جلساته ، وعليهم تلبية ذلك .

المادة (٧٧) : لايكون انعقاد مجلس النواب صحيحا الا بحضور اغلبية أعضائه ، ويصدر المجلس قراراته بالاغلبية المطلقة للحاضرين ، وذلك في غير الحالات التي يشترط فيها اغلبية خاصة ، ويجري التصويت على مشاريع القوانين مادة مادة ، وعند تساوي الاصوات يعتبر الموضوع الذي جرت المناقشة في شأنه مرفوضا .

المادة (٧٨) : لايجوز لمجلس الرئاسة حل مجلس النواب الا عند الضرورة ، وبعد استفتاء الشعب في الاسباب التي ينبى عليها الحل ، ويجب أن يشمل القرار على دعوة الناخبين ، وإجراء انتخابات جديدة لمجلس النواب في ميعاد لايتجاوز ستين يوماً من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء فاذا لم يشمل قرار الحل الدعوة المشار اليها أو لم تجر الانتخابات اعتبر باطلاً ، ويجتمع المجلس بقوة الدستور فاذا جرت الانتخابات يجتمع المجلس الجديد خلال العشرة الايام التالية لاتمام الانتخابات ، فاذا لم يدع للانعقاد اجتمع بحكم الدستور في نهاية الايام العشرة المشار اليها ويتعين ان تستقيل الحكومة قبل اجراء الانتخابات وتشكل حكومة مؤقتة حتى انعقاد المجلس واذا حل المجلس فلا يجوز حل المجلس الجديد للسبب نفسه مرة أخرى . . وفي جميع الاحوال لا يجوز حل في دورة انعقاده الاولى .

المادة (٧٩) : لمجلس الرئاسة حق طلب اعادة النظر في قانون أقره مجلس النواب ويجب عليه حينئذ أن يعيده الى المجلس خلال ثلاثين يوما من تاريخ رفعه اليه بقرار مسبب ، فاذا لم يرده الى المجلس خلال هذه المدة أو رده اليه وأقره المجلس ثانية بأغلبية مجموع اعضائه اعتبر قانونا واصدر .

المادة (٨٠) : تنشر القوانين في الجريدة الرسمية وتذاع خلال إسبوعين من تاريخ اصدارها ويعمل بها بعد ثلاثين يوماً من تاريخ نشرها ، ويجوز مد هذا الميعاد بنص خاص في القانون .

المادة (٨١) : لاتسري أحكام القوانين إلا على مايقع من تاريخ العمل بها ولا يترتب أثر على ماوقع قبل إصدارها ، ومع ذلك يجوز في غير المواد الضريبية والجزائية النص في القانون على خلاف ذلك ، وبموافقة ثلثي اعضاء المجلس .

الفصل الثاني
مجلس الرئاسة

المادة (٨٢) : رئاسة الجمهورية اليمنية يمارسها مجلس رئاسة مكون
من خمسة اعضاء ينتخبهم مجلس النواب .

المادة (٨٣) : يتم ترشيح أعضاء مجلس الرئاسة من قبل ربع عدد مجلس النواب ويعتبر المرشح عضواً في مجلس الرئاسة بحصوله على أصوات ثلثي اعضاء المجلس في المرة الاولى ، واذا لم يتم فيكون بالاغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس ويشترط أن تكون الانتخابات سرية ، وتحدد اللائحة الداخلية للمجلس التفصيلات الاخرى الخاصة بالترشيح والانتخاب .

المادة (٨٤) : ينتخب مجلس الرئاسة عقب انتخابه رئيساً له من بين أعضائه وذلك للمدة الدستورية للمجلس .

المادة (٨٥) : يشترط في عضو مجلس الرئاسة :-
أ - أن لايقل سنه عن خمسة وثلاثين سنة .
ب - أن يكون من والدين يمنيين
جـ - أن يكون متمتعا بحقوقه السياسية والمدنية .
د - أن لايكون متزوجا من أجنبية .

المادة (٨٦) : يؤدي رئيس وأعضاء مجلس الرئاسة أمام مجلس النواب - قبل أن يباشروا مهام مناصبهم - اليمين الدستورية -

المادة (٨٧) : مدة مجلس الرئاسة خمس سنوات شمسية ابتداء من تاريخ اداء اليمين .

المادة (٨٨) : إذا أنتهت مدة مجلس النواب في الشهر الذي انتهت فيه مدة مجلس الرئاسة يستمر مجلس الرئاسة ليمارس مهامه الى مابعد إنتهاء الانتخابات النيابية واجتماع المجلس الجديد على ان يتم انتخاب مجلس الرئاسة الجديد وذلك خلال ستين (٦٠) يوما من أول انعقاد لمجلس النواب الجديد .

المادة (٨٩) : قبل انتهاء مدة مجلس الرئاسة بتسعين يوماً تبدأ الاجراءات لانتخابات مجلس رئاسة جديد ، ويجب أن يتم انتخابه قبل انتهاء المدة باسبوع على الاقل ، فاذا أنتهت المدة دون ان يتم انتخاب المجلس الجديد لأي سبب كان استمر المجلس السابق في مباشرة مهام منصبه بتكليف من مجلس النواب لمدة لاتتجاوز تسعين يوماً ولا تزيد هذه المدة الا في حالة حرب أو كارثة طبيعية أو أية حالة اخرى يستحيل معها اجراء الانتخابات

المادة (٩٠) : يجوز لرئيس واعضاء مجلس الرئاسة أن يقدموا استقالة مسببة الى مجلس النواب ، ويكون قرار مجلس النواب بقبول الاستقالة بالاغلبية المطلقة لعدد اعضائه فاذا لم تقبل الاستقالة ، فمن حقه خلال ثلاثة أشهر أن يقدم الاستقاله وعلى مجلس النواب أن يقبلها .

المادة (٩١) : في حالة خلو منصب رئيس واعضاء مجلس الرئاسة يتولى مهام مجلس الرئاسة مؤقتا هيئة رئاسة مجلس النواب واذا كان مجلس النواب منحلا ، حلت الحكومة محل الهيئة لممارسة مهام مجلس الرئاسة مؤقتاً .

ويتم إنتخاب مجلس الرئاسة خلال مدة لاتتجاوز ستين يوماً من تاريخ أول اجتماع لمجلس النواب الجديد .

المادة (٩٢) : يحدد القانون مرتبات ومخصصات رئيس واعضاء مجلس الرئاسة ولا يجوز لاي منهم أن يتقاضى أي مرتب أو مكافأة اخرى .

المادة (٩٣) : لايجوز لرئيس وأعضاء الرئاسة أثناء مدتهم أن يزاولوا - ولو بطريقة غير مباشرة - مهنة حرة أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، كما لايجوز لأي منهم أن يشتري أو يستأجر شيأً من أموال الدولة ولو بطريقة المزاد العلني أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو يقايضها عليه .

المادة (٩٤) : يتولى مجلس الرئاسة الاختصاصات التالية :-

١ - تمثيل الجمهورية في الداخل والخارج .
٢ - دعوة الناخبين في الموعد المحدد الى انتخاب مجلس النواب .
٣ - الدعوة الى الاستفتاء العام .
٤ - تكليف من يشكل الحكومة وإصدار القرار الجمهوري بتسمية اعضائها .
٥ - يضع بالاشتراك مع الحكومة السياسة العامة للدولة ويشرف على تنفيذها على الوجه المبين في الدستور .
٦ - دعوة مجلس الوزراء الى اجتماع مشترك مع مجلس الرئاسة كلما دعت الحاجة الى ذلك .
٧ - تسمية اعضاء مجلس الدفاع الوطني طبقاً للقانون .
٨ - إصدار القوانين التي وافق عليها مجلس النواب ومجلس الرئاسة ونشرها وإصدار القرارات المنفذة لها .
٩ - تعيين وعزل كبار موظفي الدولة من المدنيين والعسكريين وفقاً للقانون .
١٠ - انشاء الرتب العسكرية بمقتضى القانون .
١١ - منح النياشين والاوسمة التي ينص عليها القانون أو الاذن بحمل النياشين التي تمنح من دول أخرى .
١٢ - إصدار قرار المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات التي يوافق عليها مجلس النواب .
١٣ - المصادقة على الاتفاقيات التي لاتحتاج الى تصديق مجلس النواب بعد موافقة مجلس الوزراء .
١٤ - انشاء البعثات الدبلوماسية وتعيين واستدعاء السفراء طبقاً للقانون .
١٥ - اعتماد الممثلين للدول والهيئات الاجنبية
١٦ - منح حق اللجوء السياسي
١٧ - اعلان حالة الطوارىء والتعبئة العامة وفقاً للقانون
١٨ - يتولى أي اختصاصات اخرى ينص عليها الدستور والقانون

المادة (٩٥) : إذا حدث فيما بين ادوار انعقاد مجلس النواب ، أو في فترة حله مايوجب الاسراع في اتخاذ قرارات لاتحتمل التأخير جاز لمجلس الرئاسة أن يتخذ في شأنها قرارات تكون لها قوة القانون على ان لاتكون مخالفة للدستور أو للتقديرات الواردة في قانون الميزانية ويجب عرض هذه القرارات على مجلس النواب في أول اجتماع له ، فاذا لم تعرض يتولى المجلس مناقشة الموضوع واتخاذ القرارات المناسبة ، أما اذا عرضت ولم يوافق عليها المجلس، زال ماكان لها من قوة القانو من تاريخ رفض إقرارها أو من التاريخ الذي يقره المجلس مع تسوية لما يترتب من آثار على النحو الذي يقره .

المادة (٩٦) : يصدر مجلس الرئاسة بناء على اقتراح الوزير المختص ، وبعد موافقة مجلس الوزراء

القرارات واللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين وتنظيم المصالح والادارات العامة ، على أن لايكون في اي منها يفوض غيره في اصدار تلك اللوائح والقرارات ، ويجوز أم يعين القانون من يصدر اللوائح والقرارات اللازمة لتنفيذه.

المادة (٩٧) : يعلن مجلس الرئاسة حالة الطوارىء بقرار جمهوري على الوجه المبين في القانون ويجب دعوة مجلس النواب بعرض هذا الاعلان عليه خلال السبعة الايام التالية للاعلان. فاذا كان مجلس النواب منحلا ينعقد المجلس القديم بحكم الدستور فاذا لم يدع المجلس للانعقاد ولم تعرض عليه في حالة انعقاده على النحو السابق ، زالت حالة الطوارىء بحكم الدستور ، وفي جميع الاحوال لاتعلن حالة الطوارىء إلا بسبب قيام الحرب أو الفتنة الداخلية أو الكوارث الطبيعية ولا يكون إعلان حالة الطوارىء الا لمدة محدودة ، ولا يجوز مدها الا بموافقة مجلس النواب.

المادة (٩٨) : يختص رئيس مجلس الرئاسة بادراة اعمال المجلس ويوقع على القرارات الصادرة عنه.

المادة (٩٩) : يمثل رئيس مجلس الرئاسة الجمهورية في علاقاتها الخارجية.

المادة (١٠٠) : يحق لرئيس مجلس الرئاسة أن يطلب تقارير من رئيس الوزراء تتعلق بتحقيق المهام المسئول عن تنفيذها مجلس الوزراء.

المادة (١٠١) : يكون اتهام رئيس واعضاء مجلس الرئاسة بالخيانة العظمى أو بخرق الدستور أو بأي عمل يمس استقلال وسيادة البلاد بناء على طلب من نصف اعضاء مجلس النواب ، ولا يصدر قرار الاتهام الا باغلبية ثلثي اعضائه ويبين القانون أجراءات محاكماتهم ، فاذا كان الاتهام موجهاً الى جميع أعضاء مجلس الرئاسة تباشر هيئة مجلس النواب مهام مجلس الرئاسة مؤقتا حتى صدور حكم المحكمة ، ويجب ان يصدر القانون المشار اليه خلال دور الانعقاد العادي الاول لمجلس النواب التالي لسريان هذا الدستور ، واذا حكم بالادانة على أي منهم أعفي من منصبه بحكم الدستور مع عدم الاخلال بالعقوبات الاخرى ، وفي جميع الحالات لاتسقط بالتقادم أي من الجرائم المذكورة في هذه المادة.

الفصل الثالث
مجلس الوزراء

المادة (١٠٢) : مجلس الوزراء هو حكومة الجمهورية اليمنية ، وهو الهيئة التنفيذية والادارية العليا للدولة ، ويتبعها بدون استثناء جميع الادارات والاجهزة والمؤسسات التنفيذية التابعة للدولة.

المادة (١٠٣) : تتكون الحكومة من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ويؤلفون جميعا مجلس الوزراء ، ويحدد القانون اختصاصات وتنظيم مجلس الوزراء واختصاصات رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ، كما يحدد اختصاصات الوزارات وتنظيماتها.

المادة (١٠٤) : يختار رئيس الوزراء بالتشاور مع مجلس الرئاسة ويطلب الثقة بالحكومة على ضوء برنامج يتقدم به الى مجلس النواب.

المادة (١٠٥) : رئيس الوزراء والوزراء مسئولون أمام مجلس الرئاسة ومجلس النواب مسئولية جماعية عن اعمال الحكومة.

المادة (١٠٦) : قبل أن يباشر رئيس واعضاء مجلس الوزراء صلاحياتهم يؤدون اليمين الدستورية أمام رئيس مجلس الرئاسة.

المادة (١٠٧) : يحدد القانون مرتبات رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم.

المادة (١٠٨) : لايجوز لرئيس الوزراء ولاى من الوزراء اثناء توليهم الوزارة أن يتولوا أي وظيفة عامة اخرى أو أن يزاولوا ولو بطريقة غير مباشرة مهنة حرة أو عملا تجاريا أو ماليا أو صناعيا ، كما لايجوز لهم أن يسهموا في التزامات تعقدها الحكومة أو المؤسسات العامة أو ان يجمعوا بين الوزارة والعضوية في مجلس ادارة أي شركة. ولايجوز خلال تلك المدة أن يشتروا أو يستأجروا اموالا من أموال الدولة أو يقايضوا عليها ولو بطريقة المزاد العلني، أو أن يؤجروها أو يبيعوها شيئا من أموالهم أو يقايضوها عليه.

المادة (١٠٩) : يتولى مجلس الوزراء تنفيذ السياسة العامة للدولة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدفاعية وفقا

للقوانين والقرارات كما يمارس بوجه خاص الاختصاصات التالية :ـ

أ ـ الاشتراك مع مجلس الرئاسة في اعداد الخطوط العريضة للسياسة الخارجية والداخلية .
ب ـ اعداد مشروع الخطة الاقتصادية للدولة والميزانية السنوية وتنظيم تنفيذها ، واعداد الحساب الختامي للدولة .
ج ـ اعداد مشاريع القوانين والقرارات وتقديمها الى مجلس النواب أو مجلس الرئاسة وفق اختصاص كل منهما .
د ـ الموافقة على المعاهدات والاتفاقيات قبل عرضها على مجلس النواب او مجلس الرئاسة وفق اختصاص كل منهما .
هـ ـ اتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على أمن الدولة الداخلي والخارجي ، ولحماية حقوق المواطنين .
و ـ توجيه وتنسيق ومراجعة اعمال الوزارات والاجهزة الادارية والمؤسسات والهيئات العامة والقطاعين العام والمختلط وفقا للقانون .
ز ـ تعيين وعزل الموظفين القياديين طبقا للقانون ورسم وتنفيذ السياسة الهادفة الى تنمية الكوادر الفنية في أجهزة الدولة وتأهيل القوى البشرية وفقا لاحتياجات البلاد في اطار الخطة الاقتصادية .
ح ـ متابعة تنفيذ القوانين والمحافظة على أموال الدولة .
ط ـ الاشراف على تنظيم وادارة نظم النقد والائتمان والتأمين .
ي ـ عقد القروض ومنحها في حدود السياسة العامة للدولة وفي حدود احكام الدستور .

المادة (١١٠) : يدير رئيس الوزراء اعمال المجلس ويرأس اجتماعاته وهو الذي يمثل المجلس فيما يتعلق بتنفيذ السياسة العامة للدولة ، ويشرف ويعمل على تنفيذ قرارات مجلس الوزراء والسياسة العامة للدولة بشكل موحد ومنسق ، وله أن يطلب من اعضاء المجلس التقارير في أي شأن من شئون الوزارات والاختصاصات التي يباشرونها ، والمهام التي يكلفون بها وهم ملزمون بذلك .
المادة (١١١) : يحق لمجلس الرئاسة ايقاف رئيس الوزراء أو نوابه أو الوزراء عن اعمالهم واحالتهم الى التحقيق عما يقع منهم من جرائم اثناء تأديتهم أعمال وظيفتهم أو بسببها ويجوز لمجلس النواب ان يوصي مجلس الرئاسة بايقاف رئيس الوزراء ونوابه أو الوزراء عن عملهم واحالتهم للتحقيق عما يقع منهم من جرائم اثناء تأديتهم اعمال وظائفهم أو بسببها ويتخذ مجلس النواب التوصية بالايقاف باغلبية ثلثي اعضائه ولا يجوز انهاء خدمة من احيل الى التحقيق دون اقامة الدعوى أو الاستمرار فيها وتكون المحاكمة واجراءاتها وضماناتها والعقاب على الوجه المبين في القانون ، وتسري هذه الاحكام على نواب الوزراء .

المادة (١١٢) : عند استقالة الوزارة أو إقالتها وسحب الثقة منها تكلف الوزارة بتصريف الشئون العامة العادية ماعدا التعيين والعزل حتى تشكل الوزارة الجديدة .
المادة (١١٣) : يجوز لرئيس الوزراء اذا تبين ان تعاونه مع أحد اعضاء مجلس الوزراء قد اصبح مستحيلا أن يعرض الامر على مجلس الرئاسة ليقرر مايراه مناسبا .
المادة (١١٤) : اذا لم يعد في استطاعة رئيس الوزراء تحمل مسئولياته او إذا سحب مجلس النواب الثقة في الحكومة وجب على رئيس الوزراء تقديم استقالة الحكومة الى رئيس مجلس الرئاسة .
المادة (١١٥) : اذا قدم اغلبية اعضاء مجلس الوزراء استقالتهم وجب على رئيس الوزراء تقديم استقالة الحكومة .
المادة (١١٦) : يتولى كل وزير الإشراف على شئون وزارته وتوجيه اداراتها وفروعها في جميع انحاء الجمهورية ، ويقوم بتنفيذ السياسة العامة للحكومة في وزارته ويبين القانون الحالات التي يمكن فيها للوزير اصدار القرارات لتنفيذ القوانين .

الفصل الرابع

أجهزة السلطة المحلية

المادة (١١٧) : تقسم اراضي الجمهورية اليمنية

الى وحدات ادارية تتمتع بالشخصية الاعتبارية ويعين القانون عددها وتقسيماتها وحدودها كما ينظم القانون توزيع الاختصاصات لرؤساء الوحدات الادارية ورؤساء المصالح فيها وتعتبر الوحدات الادارية والمجالس المحلية جزء لايتجزأ من سلطة الدولة.

ويكون المحافظون محاسبين ومسئولين أمام مجلس الوزراء وقراراته ملزمة لهم ويجب عليهم تنفيذها في كل الحالات.

المادة (١١٨) : يكون للوحدات الادارية مجالس محلية منتخبة. ويحدد القانون مايمنح لها من مهام وصلاحيات وحقوق وواجبات ، كما يبين القانون طريقة انتخابها ونظام عملها ومواردها المالية ودورها في اعداد وتنفيذ خطة التنمية.

المادة (١١٩) : يحدد القانون طريقة الرقابة على أعمال المجالس المحلية.

الباب الرابع
القضاء والادعاء العام

المادة (١٢٠) : القضاء سلطة مستقلة في اداء مهامه والقضاة مستقلون لاسلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولا يجوز لاية جهة وبأية صورة التدخل في القضايا او في شأن من شئون العدالة ويعتبر مثل هذا التدخل جريمة يعاقب عليها القانون ولا تسقط الدعوة فيها بالتقادم.

المادة (١٢١) : القضاء وحدة متكاملة ويرتب القانون الجهات القضائية ودرجاتها ويحدد اختصاصاتها كما يحدد الشروط الواجب توفرها فيمن يتولى القضاء وشروط واجراءات تعيين القضاة ونقلهم وترقيتهم والضمانات الاخرى الخاصة بهم ولا يجوز انشاء محاكم إستثنائية بأي حال من الاحوال.

النيابة العامة

المادة (١٢٢) : القضاة وأعضاء الادعاء العام غير قابلين للعزل الا في الحالات وبالشروط التي يحددها القانون ولا يجوز نقلهم من السلك القضائي إلى أي وظائف غير قضائية الا برضاهم وبموافقة المجلس المختص بشئونهم ما لم يكن ذلك على سبيل التأديب وينظم القانون محاكمتهم التأديبية كما ينظم القانون مهنة المحاماة.

المادة (١٢٣) : يكون للقضاء مجلس اعلى ينظمه القانون ويبين اختصاصاته ، ويعمل على تطبيق الضمانات الممنوحة للقضاة من حيث التعيين والترقية والفصل والعزل وفقاً للقانون.

المادة (١٢٤) : تنشأ محكمة عليا للجمهورية ويحدد القانون كيفية تشكيلها ويبين اختصاصاتها والاجراءات التي تتبع أمامها وتمارس على وجه الخصوص مايلي :-

١ - الرقابة على دستورية القوانين واللوائح والانظمة والقرارات

٢ - الفصل في تنازع الاختصاص بين جهات القضاء.

٣ - الفصل في الطعون الانتخابية.

٤ - الفصل في الطعون في الاحكام النهائية المكتسبة الدرجة القطعية في المواد المدنية والجنائية والاحوال الشخصية.

٥ - الفصل في الطعون في الاحكام النهائية المكتسبة الدرجة القطعية في المنازعات الادارية والدعاوي التأديبية.

المادة (١٢٥) : جلسات المحاكم علنية الا اذا قررت المحكمة جعلها سرية للنظام العام والاداب وفي جميع الاحوال يكون النطق بالحكم في جلسة علنية.

الباب الخامس
شعار الجمهورية وعلمها والنشيد الوطني

المادة (١٢٦) : يحدد القانون شعار الجمهورية وشارتها واوسمتها ونشيدها الوطني.

المادة (١٢٧) : يتألف العلم الوطني من الالوان المرتبة وتبدأ من اعلاه كالتالي :-

الاحمر
الابيض
الاسود

المادة (١٢٨) : مدينة صنعاء هي عاصمة الجمهورية اليمنية.

الباب السادس

سريان الدستور واصول تعديله واحكام عامة وانتقالية

المادة (١٢٩) : يعتبر هذا الدستور نافذا من تاريخ اعلان موافقة الشعب في شطري اليمن عليه بالاستفتاء العام.

المادة (١٣٠) : لكل من مجلس الرئاسة ومجلس النواب طلب تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور ويجب ان يذكر في طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها والاسباب الداعية لهذا التعديل ، فاذا كان الطلب صادرا من مجلس النواب وجب ان يكون موقعا من ثلث اعضائه وفي جميع الاحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل ويصدر قراره في شأنه باغلبية اعضائه فاذا تقرر رفض الطلب لايجوز اعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضي سنة على هذا الرفض واذا وافق مجلس النواب على مبدأ التعديل يناقش بعد شهرين من تاريخ هذه الموافقة المواد المطلوب تعديلها فاذا وافق ثلاثة ارباع المجلس على التعديل اعتبر نافذا من تاريخ صدوره.

المادة (١٣١) : ابتداء من تاريخ نفاذ هذا الدستور يكون مجلس رئاسة مؤقت يتشكل من رئيس واعضاء المجلس الاستشاري ورئيس واعضاء هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى القائمان في شطري اليمن ويمارس منذ هذا التاريخ جميع الاختصاصات المخولة لمجلس الرئاسة في هذا الدستور إلى أن ينتخب مجلس النواب مجلس الرئاسة وفقاً لاحكام هذا الدستور.

المادة (١٣٢) : تعتبر الحكومتان القائمتان في شطري اليمن من تاريخ نفاذ هذا الدستور مستقيلتين، كما يعتبر المجلسان التشريعيان القائمان فيهما من هذا التاريخ محلولين ويؤلف مجلس الرئاسة المؤقت الحكومة وتمارس الاختصاصات المخولة للحكومة في هذا الدستور الى أن ينتخب مجلس رئاسة وفقا لاحكام هذا الدستور.

المادة (١٣٣) : على مجلس الرئاسة المؤقت أن يكلف الحكومة المؤقته بالاعداد لانتخاب مجلس النواب في مدة أقصاها ستة أشهر من تاريخ نفاذ هذا الدستور.

المادة (١٣٤) : كلما قررته القوانين والقرارات المعمول بها في كل من شطري اليمن تبقى سارية المفعول في الشطر الذي كانت سارية فيه عند صدورها الى ان تعدل وفقاً للقواعد والاجراءات المنصوص عليها في هذا الدستور الا مايتعارض منها مع الحريات والحقوق المنصوص عليها في هذا الدستور فيعتبر لاغياً بقرار من مجلس الرئاسة خلال الفترة الانتقالية.

المادة (١٣٥) : اليمين الدستورية التي يؤديها رئيس واعضاء مجلس الرئاسة واعضاء مجلس النواب ورئيس واعضاء الحكومة نصها كما يلي:-
(اقسم بالله العظيم أن احافظ مخلصا على النظام الجمهوري وان احترم الدستور والقانون وان أراعي مصالح الشعب وحرياته رعاية كاملة وأن احافظ على وحدة الوطن واستقلاله وسلامة اراضيه .)

المادة (١٣٦) : يصدر مجلس الرئاسة المؤقت قانون الانتخابات الذي يتم بموجبه انتخاب اول مجلس للنواب ويبين القانون عدد الدوائر الانتخابية وعدد سكانها ويحدد حدود كل دائرة والاجراءات التي تتبعها اللجنة العليا للانتخابات واللجان الفرعية التابعة لها على أن يعيد مجلس النواب النظر في هذا القانون خلال الدورة الاولى التي يعقدها عقب الانتخابات وذلك لاقرار قانون الانتخابات وفقاً للدستور .

تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من إعداد مشروع دستور الوحدة لدولة الجمهورية اليمنية ، وأقرته اللجنة

الدستورية المشتركة في جلستها الختامية للدورة الثالثة عشر، التي عقدتها في مقر مكتب الوحدة بصنعاء عاصمة اليمن الموحد صباح يوم الاربعاء ٤ شهر ربيع أول ١٤٠٢هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٨١م

المقرران :ـ

عمر عبدالله الجاوي
التوقيع /

محمد عبدالله الفسيل
التوقيع /

الرئيسان :ـ

عبدالله أحمد غانم
التوقيع /

حسين علي الحبيشي
التوقيع /



النضج السياسي في التفكير اليمني

بين المنشور والمأمول

د/ رياض القرشي

■■ مقدمة :-

احاول في هذه الوقفة التحليلية أن أتعرض لأهم مسألة اصبحت تلح على الواقع اليمني ، بوصفه واقعا (انسانيا) يتأثر بما يحيط به من احداث على الصعيد العربي ، أو على الصعيد العالمي . . وتتجلى هذه المسألة في قضية (الديمقراطية) وعلى وجه الخصوص من زاوية (التعددية) (السياسية أو الحزبية) ، من خلال بعض الكتابات التي أطلت في الاشهر الاخيرة في شطري اليمن . .

ويسعى هذا العرض التحليلي الى البرهنة على اشكالية ان التفكير اليمني في هذا الصدد مازال يعيش مرحلة البداية ، بما يشوبها من ملامح النقص والقصور ، بسبب عدد من العوامل التي ستنضوي في هذه الاوراق . وهو طموح لايفترض هذه الاشكالية قسرا ، وانما يتكئ على مقدمات نظرية ، ومقولات (نظرية / تطبيقية) ، ومحاولة لاستكشاف تلك الشوائب . .

ويطمح من وراء كل ذلك الى المساهمة ـ التي يرجو صاحبها ان تكون جادة ـ في التوصل الى بعض الانارات المرجو توفرها في سبيلنا نحو بناء (كرامة الانسان) في الوطن العربي . .

●●●

اختط التحليل محورين أساسيين يناقشهما ، ويحاول قدر الامكان تحري الموضوعية في سبيله تلك ، وهما :-

- مقدمة نظرية عن التعددية من خلال بعض الاشكالات التي تلقى في طريقها . .
- تحليل ومناقشة بعض المقولات التي ظهرت على الساحة اليمنية ، والتي ينبيء بعضها بتحولات حقيقية في الممارسة الديمقراطية . .

واتجه بعد ذلك الى طرح بعض الرؤى حول مسألتين :

المسألة الاولى : التحدي الحقيقي امام القوى السياسية .

المسألة الثانية : التجربة السودانية وقضية التعددية . .

وهما المسألتان اللتان لم يشأ صاحب القلم أن يغادر هذه التحليلات بدون ان يذيلها بهما ، لما في هاتين المسألتين من أهمية تثيرها قضية (التعددية) .

وبلا ريب ، فإذا كانت الكتابات في التعددية ـ كما أشرت ـ في مرحلة البداية ، فإننا لانزعم اننا نقدم الحلول الشافية والنهائية والا لوقعنا في ما نحذر منه وهو (الغاء الآخر) . ولكنها المحاولات التي تحاول ـ جادة كما نطمح ـ ان تساهم ، وتعمل بإيجابية نحو الاهداف السامية ، التي تحافظ على (الانسان) بوصفه (أساس التنمية) و (محور التقدم) والتطور في اي بلد ، وفي أي زمان ومكان . .

(١)

تنهض في أيامنا هذه دعوات تبدو جديدة على واقعنا اليمني بشطريه (الشمالي والجنوبي) وتفرض نفسها كثيرا في اللقاءات والندوات ، وتقل بشكل ملحوظ في الصحف والمجلات ، وما بدا منها لايلتقي على صيغة واحدة ، وهذه ميزة لها ، كما أنها تتفاوت في أسلوب الطرح ، وفي الدوافع التي تقف وراءها ، أو التي تشدها إلى الامام . . ومما لاشك فيه ان كثيرا من هؤلاء تحدوهم الرغبة الاكيدة في الوصول الى رؤى مشتركة أو متقاربة في محاولات الخروج من الازمات

التي تحيق بالعالم العربي ـ بدون استثناء ـ وتتمحور هذه الدعوات او المقولات حول مسألة (الحريات العامة) أو (الديمقراطية) او (التعددية السياسية) أو (التعددية الحزبية) . .

وإذا كانت مسائل الحريات والديمقراطية او المشاركة الشعبية بمفهوماتها العامة لاتخلق اشكالات متعددة متباينة فإن الخوض في بحار (التعددية) (سياسية او حزبية) يميط اللثام عن ما وراء الاقنعة ، ويزيل الاصباغ التي يحاول بعضهم ان يخلق بها وجها صبيحا في عالم الديمقراطية الحقيقي . .

هذه التعددية التي تبدو لي انها هي الوعاء الحقيقي لما يجب ان تصل اليه (الديمقراطية)

وفي الساحة اليمنية ـ بشطريها ـ يبدو التخوف واضحا وجليا من قبول مبدأ التعدديه السياسية ، ويذهب المثقفون من هؤلاء مذاهب شتى في مجالات التعبير عن هذا التخوف ، ويعد ادناها مرتبة اولئك الذين يوهمون غيرهم بأن هذا المبدأ وما يترتب عليه (خطة) امريكية جديدة في منطقة الشرق الاوسط : (المنطقة العربية) ، ولا تثريب علينا اذا نحن لم نقترب من حمى هذه المقولة التي تتناسى الوضع العالمي ودور الشعوب في فرض ارادتها : في الصين وبولندا والجزائر على وجه الخصوص ، ناهيك عن التحولات الديمقراطية في غيرها من البلدان ثم ماذا يريد هؤلاء غير الممارسات الديمقراطية حلا لما نحن فيه؟؟

ويذهب غيرهم الى رفض مبدأ التعددية على أساس انه (سيقود) (حتما) الى (صراعات) و(انشقاقات) داخل المجتمع ، حين تتحول التعددية السياسية الى تعددية (حزبية) ويبدو ضيق افق هذه الرؤية في أنها تفترض الممارسة التعددية للقوى ستتم بالشكل الذي هي عليه (اليوم) من قصور في الفهم ، والغاء للطرف الآخر ، ومحاولات دائبة نحو الارتباط بالخارج عند كثير منها ، ونقص في مستوى النضج السياسي ، وغياب أو شبه غياب لحقائق التعددية على المستوى الشعبي . ولا أعتقد (مطلقا) بهذا التصور الخاطىء لدعوى التعددية ، اذ كأن هؤلاء يفترضون اننا سنصدر قرارا بالتعددية ـ وضمير (نا) في العبارة يعود الى اصحاب دعوى التعددية ، أو الى اي جهة بيدها الامر الرسمي بذلك بل يقر آخرون انه حين يصبح الامر مناسبا وتوقيته ملائما يمكن ان تصدر قرارات التعددية السياسية أو الحزبية . . والحقيقة ان هذه الدعوة مع نبلها ، واهميتها وإيماني العميق ـ وهذا رأيي ـ بجدواها ، بوصفها (الحل الوحيد) للمسيرة الحقيقية التي يجب ان نصل اليها ، لا أعتقد ولا أنتظر ان تتم بين عشية وضحاها ، ولا بقرار سياسي ، وانما هي الممارسة العملية لفئات الشعب ، مع اتاحة مجالات الحرية في (القول) و(الكتابة) وتنظيم هذه الحريات وبخاصة حرية الصحافة والعمل على توفير الضمانات الكفيلة بحماية هذه الحريات (١) ، واومن ان (الحرية الاجتماعية) ـ بالرغم من كونها الرديف الملازم للحرية السياسية ، كما يقر ذلك علماء السياسة ، ومن كونها تعني تكافؤ الفرص في توزيع الثروة (٢) اي ان يكون المقياس في توزيع الاعمال والتعيين فيها هو (الكفاءة والقدرة والأمانة) بالدرجة الاولى لايمكن ان تتحقق واقعيا الا مع توفر تلك الحريات العامة وبخاصة حرية الصحافة . .

تلك هي المقدمات الاولى التي يمكن ان تتخلق لتشكل لنا وعيا عميقا لدى الجماهير ، يمكن تطويره بعد ذلك ، في الوقت الذي تتطور فيه القوى الوطنية في تفكيرها وممارساتها ، لانها جزء من هذه الجماهير ، وبالتالي فإن هذا النضج وذلك التطور لهذه الممارسات سيقود تدريجيا الى مانريده من التعددية السياسية والتعددية الحزبية الناضجة ، التي تؤمن بهذا الحق لغيرها من القوى والفئات ، وان مصلحة الوطن ورقي المجتمع سيكون الهاجس المشترك لدى جميع هذه القوى . . ومعروف ان لها الحق (جميعا) في (التنافس) ويكون الشعب ، وتكون الجماهير هي الحكم النهائي بين هذه القوى وتلك الفئات . .

(٢)

وتجدر الاشارة الى ان دعوات التعددية التي ظهرت في الشطرين ، اطلت وهي تحمل ملامح ماكان يجب لها ان توسم بها . . وبخاصة وعالمنا العربي يعيش (رابوعا) خطيرا يهدد وحدته ، ويمزق كيانه ، متمثلا في : الاستبداد والتخلف والاستغلال والتبعية ، توصلت اليه دراسات معمقة قام بها بعض من أهم علماء السياسة والاجتماع العرب (٣) . وحين أقول ماكان يجب ان توسم بها ، اعني اننا نؤمل ان نستجيب لملامح التطور في الممارسات السياسية في الوطن العربي

والعالم ، وان نتجاوز ما وقعت فيه تلك الممارسات من اخطاء ومزالق ، تراجعت عنها او تجاوزتها هي بعد فوات الاوان في كثير من الاحيان . .

واذا أردنا أن نتوسع في تفصيل هذا الاجمال يمكن ان نشير الى مقالتين ، وبحث واحد . واحدى هاتين المقالتين تعد ردا على مقالة سابقة ، فكأننا أمام بحث وثلاث مقالات : مقالتين في صحيفة (٢٦ سبتمبر) وأخرى في مجلة (الحكمة) ، وبحث لم ينشر ، وانما عرض بوصفه مشروع المستقبل امام الهيئة العليا (الحاكمة) للحزب الاشتراكي في الشطر الجنوبي من الوطن - واسميه بحثا تجاوزا ، وهو يحمل صفة الدراسة او البحث - واذا التزمت التاريخ الزمني فتعد اطلالة (اسكندر الاصبحي) احدى هذه المقالات التي فأجأنا بها في اواخر رمضان الماضي (٤) ، وكم كنت انتظر ردا على مأأثار من إشكاليات واتهامات ، ولكن خاب ظني ، وتساءلت كثيرا : أهو (إحجام طبيعي) عن (المشاركة)؟ أهو يأس مما يطرح ويذاع ويعلن؟؟ أهو (الخوف والرقابة)؟ أم هي اللامبالاة التي كادت تشيع بين الناس في الوطن العربي؟؟!!

ومع ان هذه المقالة التي حملت حديثا عن التعددية (السياسية والحزبية) لم تقدم حلا شافيا ، فإنها وقعت في مزالق الاتهامات العامة والمطلقة للاحزاب والقوى السياسية ، وفقدانها لبرامج عمل جادة وإتكائها على السرية والعمل في الظلام . . (. . .) وغيرها من المقولات التي لم تستقرىء الحقيقة ، فليس صحيحا انها ليست بدون برامج وهذا واضح واقعيا وليس صحيحا الاطلاق العام للعمالة للخارج على كل الاحزاب والقوى ، ربما بدعوى ان عملها في (الظلام) وإتكائها على السرية الذي يعود الى انه لم يتح لها حرية التعبير عن آرائها في الضوء وفي الواقع ، بمعنى انه لم يكن ممكنا لها ان تتجسد في صفحة الواقع بشخصيتها الواضحة . . كما ان الانطلاق من زاوية التعددية السياسية او (الحزبية) في مثل ظروفنا لايعد منطلقا صحيحا ، وان كان من المسلم ان نقبل به بوضعه مبدءا - في رأيي - أساسيا في طريق الديمقراطية ، ولكن الصحيح ان نضع له اللبنات التي تؤسس سياقه الطبيعي بعد ذلك ، من خلال الدعوة الى (الحريات) وحرية الصحافة على وجه الخصوص ، مع ضماناتها - كما أشرت سابقا - .

ولعل الاخ عبدالمحسن محسن الرحبي ، في مقالته التي تحمل عنوان (تعددية الاراء اولا) (٥) يوفر لنا مناقشة مقالة الاخ عمر الجاوي (التي نشرت في مجلة الحكمة) (٦) بما اورده من محاور حولها - وهي لاتختلف كثيرا ، بالرغم من ايجازها ، عن البحث الذي قدمه للجنة المركزية في شطرنا الجنوبي ، والذي سنناقشه فيما بعد . .

يؤمن الاخ الرحبي بالتعددية ولكنه يقصرها على التعددية السياسية ، ويقبل بل يطالب بتلك المنطلقات الاولى للممارسة الديمقراطية والتي شملها في قوله: «ضمان حرية التعبير وتعدد الاراء واشاعة اجواء الصراحة والمكاشفة عن طريق وسائل الاعلام الجماهيري ، وكفالة حرية الاعتقاد الفكري ، وصون حقوق الانسان في اليمن) (. . .) وتعزيز دور القضاء واستقلاله ، وتغييب دور البندقية في الحياة السياسية ، وتحييد الجيش ، والتعليم ، والقضاء ، من الحياة السياسية ، وجعلها مؤسسات حيادية ، وملكيتها للشعب ، بحيث لا ينعكس عليها اي صاحب رأي أو معتقد فكري مهما كان) (٧) . .

ويتخوف كثيرا من دعوة (عمر الجاوي) الى (التعددية الحزبية) - بالرغم من ان هذا الاخير يقصر التعددية على القوى اليسارية فقط ، وهذا قصور واضح فيمن يتسنم هذه الدعوة - ويراها (بداية تدشين مآسي الحرب الاهلية على اوسع نطاق) (٨) وهي رؤية قاصرة أيضا ناقشناها وبينا خطأ هذا الافتراض الذي يذهب الى ان (التعددية الحزبية) سوف تنشأ مباشرة وفورا بدون تلك المقدمات او المنطلقات ، بالرغم من ان الرحبي نفسه في آخر المقال يؤكد هذا ايضا ، ويؤكد تلقائية التعددية الحزبية بعد ذلك . .

ويمكن ان اقول للاخ الرحبي انه حتى في ظل (التخلف المجتمعي) والاتكاء على (المناطقية) و(القبلية) : فإن التعددية وخلق اجواء الممارسة الديمقراطية الصحيحة ، سوف يكون الضمان الحقيقي لنضج هذه التجربة فلابد للشعب بكل قواه وفئاته ان يمارس قولا وفعلا هذه التجربة تحت مظلة تلك الضمانات - التي اتفقنا عليها - والا فكيف يمكنه ان يدرك الخطأ من الصواب ، ومتى يمكن ان ينضج اذا اقفلنا عليه باب (الحريات) بدعوى ان الوقت غير مناسب؟؟ فمتى يكون مناسبا اذا ظل المجتمع

لايمارس هذا الحق؟؟! مع كل الثناء والتقدير لما قدمه الاخ الرحبي من تقييم موضوعي موجز لتجارب الشعوب الاخرى . . (٩)

(٣)

يمكن القول ان الكتابات حول قضية (التعددية : السياسية او الحزبية) قد ظهرت قوية وواضحة في شطرنا الجنوبي من الوطن ، في الوقت الذي بدت في الشطر الشمالي تعليقا على هذه الدعوة او ردا عليها ، او مهاجمة لها ، ولو بشكل غير مباشر . .

وحين ننظر في البحث او التقرير الذي قدمه (خالد عمر) والذي يقال انه الاسم الحركي للاخ جار الله عمر - نتلمس فيه (موضوعية) شديدة في تقييم التجربة التي مرت بها اليمن في الشطر الجنوبي ، و(موضوعية) في الوصول الى العوامل من خلال تحليل النتائج ، ثم (الموضوعية في التوصل الى (الحل) في اطاره العام ، وعدم الموضوعية في تفصيلاته بعد ذلك . .

ولعل المحور الرئيسي الذي انطلق منه الكاتب هو ، مايمكنني ان اقتبس له تسمية (السلفية الماركسية) (١٠) التي طغت على مسيرة التجربة الاشتراكية في شطرنا الجنوبي ، والتي تعني : التقيد الحرفي بالنصوص وعدم تطويعها للواقع ، والتهيب في نقدها ، والتي ترتب عليها (سيطرة الحزب الواحد) ثم التحول الى (سيطرة الفرد الواحد) مع الاضرار بالمصالح السياسية والاقتصادية للقوى السياسية والفئات الاجتماعية الاخرى . . (١١)

وأشار الى نتائج داخلية ، وممارسات خاطئة صاحبت مسيرة التجربة ، واضرت بها ، ومن أهمها (١٢)

١ - الانحرافات الانتهازية (اليسارية واليمينية) التي رافقت تجربة الثورة . .

٢ - القفز على ظروف الواقع الموضوعية ، وتجاهل قوانين التطور الاجتماعي . .

٣ - الاجراءات غير الموضوعية القسرية في الميادين السياسي والاقتصادي ، تمثلت في ضرب والغاء القوى السياسية الاخرى وبعض الفئات الاجتماعية . .

٤ - اثارة النعرات القبلية والمناطقية المتخلفة . .

٥ - سيادة الشكلية في عمل الحزب والمنظمات الجماهيرية ، واستحكام البيروقراطية في كل شيء ، حيث تحل (مصلحة الاجهزة محل مصلحة الشعب) وتحل فيه (مصلحة الفرد محل مصلحة الاجهزة) .

٦ - احلال العنف وسيلة وحيدة للحوار مع المعارضين . .

٧ - حلت ظاهرة (الزعيم الفرد) محل القيادة الجماعية والحزب . .

وعلى الاطار الوطني اليمني يمكننا اقتباس مقولة كاتب البحث/ التقرير ، اذ يقول :- (لقد أضرت الاجراءات الادارية والاوامرية في توجيه مسار التجربة في جنوب الوطن ، التى مارسها ما أسمي باليسار الانتهازي ، واليمين الانتهازي بالقوى الوطنية في الشمال . . وأثرت إجراءات التأميمات المتطرفة على (التحالفات) في الشمال ، لان مثيل الفئات التي تضررت في الشمال اتخذت موقفا معاديا لليسار ، ثم جاء تكريس (الحزب الواحد) في المرحلة اللاحقة ليعمق هذه الاضرار ، والتي تعدت تأثيراتها على التجربة في الشطر الجنوبي ، الى القضية اليمنية بأسرها . . (١٣) وبخاصة وهو يشير الى ان الحزب (يستبعد الاخر كليا ، ويرفض التعايش معه) (١٣) . . مع التأكيد على ان ذلك ادى الى قوة المشروع الرأسمالي ، والمشروع الاسلامي في الشمال ، رسميا وسياسيا ، مما يشكل تحديا كبيرا للمشروع الاشتراكي وتجربته في الجنوب (١٤) . .

وجميل جدا ان يتوصل البحث الى ان (التعددية السياسية) هي الحل ، اي نقض المبدأ الاساسي الذي أعتمدت عليه التجربة منذ البداية وعلى مدار مايقرب من عشرين عاما. ولكن المؤلم ان يعود توظيفا سيئا ويستخدم وسيلة للقضاء على (الاخر) . . فالقول بالتعددية لابد ان يكون لكل القوى الفاعلة والمؤثرة في الواقع ، بل لكل الفئات التي يحق لها ان تعبر عن رأيها . . فلماذا نقع في الاخطاء من جديد ونحصر التعددية في (اليسار) فقط؟؟ احرى بنا ان نسميه تكتلا اي دعوة الى (تكتل اليسار) لا الى التعددية السياسية التي اصبحت مطلبا ملحا وطنيا : محليا وعربيا ودوليا . .

ثم لماذا نصر على تقليد بعض الاقطار؟؟ ولماذا نتوقف عند سلبياتها؟ ولماذا لانتجاوزها؟؟ فاذا كانت الديمقراطية أو التعددية في (مصر) تستبعد (رسميا

فقط) الاخوان المسلمين والشيوعيين ، فهل لابد ان نعلن (التعـددية) ثم نلغي (وجـود) بعض القـوى (الموجودة) مجاراة لذلك المبدأ . .

ثم تبدو خطورة تلك الدعوة في انها حين تدعو قوى اليسار تؤكد على انها دعوة للتحالف المرحلي حتى يتجاوز (الحزب) في عدن سلبياتـه ويكسب فاعلية جديدة على المستويين (اليمني) و(العربي) ولكنها لاتحدد لنا موقف تلك القوى بعد ذلك . . وبخاصة والكاتب يؤكـد على ان (الحزب الاشتراكي اليمني) سيظل الحزب الحـاكم والقـائـد ، كما ستظل (الماركسية - اللينينية) هي الفكر المحرك والذي وصفه التقرير بأنه (ينفي عن نفسه صبغة الدين ، او العقيدة الجامدة التي لاتسرى عليها قوانين التغيير والتطور) (١٥) . .

وبدا ان البحث/ التقرير يعلق أخطاء التجربة على (الحـزفية التـطبيقية) التي ساروا بها على آثـار (ستـالين) - ومن قبله (لينـين) الذي فرض (الحزب الـواحـد) - الـذي وسع من نفوذ الحزب الواحد بل (القائد الواحد) . ووصل الامر مع (ستالين) (الى قمع كل المخـالفـين داخـل الحـزب نفسه ، فقام بتصفية عشرات القـادة البـارزين ، والالاف من الشيوعيين الـذين يخالفـونه في الـرأي في أي مسألة مهما كانت صغيرة) (١٦) . . وإشاعة هذا المبدأ على نطاق عالمي . .

[[٤]]

في الحقيقة لقد سعدت كثيرا بهذه الدعوات مهما شابها من شوائب القصور ، والذي تمثل في مبدأ (رفض بعض الاخر) . . فالتطور في التفكير الذي قاد الى رفض (بعض الاخر) بدلا من رفض (كل الاخر) لابد له عند المراجعة الجادة ان يصل الى (قبول كل الاخر) ويبدو من الاهمية بمكان الاشارة الى التحدي الحقيقي امام القوى السياسية في اليمن ، وهو التحدي الذي يستفاد من تجارب القوى الاخرى في الاقطار العربية مثل (مصر) و(السودان) - وأصر على السودان بالرغم من كل ما حدث - وهـو التحدي الذي توصل اليه البـاحثـون في علم الاجتماع والسياسة العـرب (١٧) والذي يتمثل في قدرة هذه القوى على العيش بسلام ، قدرتها على الاعتراف بمبدأ الحوار واحترام وجهات النظر . هذا اذا كانت صادقة فعلا في توجهاتها الوطنية وخدمة الاهداف الوطنية والقومية . .

ان الضغط الحقيقي لتغيير الواقع الى الافضل يبدأ من هذه القوى التي تضع نصب عينها الارتقاء بمستوى الوطن والمواطن ، والاعتراف بحق (الاخر) مثلما تطلب لنفسها هذا الحق ، ولابد من التاكيد على ان هذا الطريق شاق ، ومليء بالتجاوزات والاخطاء ولكننا اذا جعلناه هدفا ومبدأ فلابد ان نصل اليه (ان شاء الله) . .

اما اذا كانت هذه شعارات يريد بها بعضهم ان تتاح له الشرعية ليمارس حقا يريد به باطلا ، او ان كانت (الاوراق)/ البحث الذي قدم للجنة المركزية في عدن يراد به (اللعب السياسي) او (كسب) المواقف ، او يراد به ان (تسبق) الشمال الى اعلان التعددية ، لغرض ما في نفوسهم ، او ماشابه ذلك من الاغراض غير السامية ، فأقول انه لاتخوف على الجماهير المتطلعة الى (الحريات) لان هذه المحاولات - على رداءة اهدافها قد وضعت الخطوط الاولى للتعددية) (١٨) . .

وتجدر الاشارة الى اننا في الشطر الشمالي نملك وثيقة هامة ، اراها تحوي معظم ماتطلبه الشعوب اليوم ، بل معظم مايريده علماء السياسة والاجتماع ، وهم يبحثـون عن حلول للخـروج من أزمـات الـوطن العربي . . تحتاج هذه الوثيقة / الميثاق الوطني الى عمق في الفهم ، والى حيوية فاعلة لتحويلها الى واقع عملي في حياة الناس، وهي قضية لاتحدث بأمر يصدر من (السلطة) وانما هي حق من حقـوقهم ، يكفلها لهم الميثاق نفسه . . فتطبيق (الميثاق) جهد جماعي مشترك ، ولابـد لاجهـزة الاعلام من توعية الجماهير - ليس بنصـوص الميثـاق فحسب - بدورهـا في تنفيذ هذه النصوص ، ويتجلى مع تلك التوعية - أو ما يجب ان يتجلى - دور القيادات التنفيذية واستيعابها لروح الميثاق الوطني وهي تتعامل مع المواطنين . .

ولا أزعم أنني بهذا اناقض ماقلته سابقا ، وانما أردت ان أبين ان الميثاق الوطني يدعو الى (الحريات) والى حق المواطن في التعبير ، والى المقدمات الفعلية التي يتحقق على اثـرهـا المبـدأ الـذي أومن به وهـو (التعـددية السياسية) والتي تقود تلقائيا الى (التعددية الحزبية) . كما انـه المبـدأ الذي يتحقق مع (نضج) الممـارسة (العامة) ، ونضج ممارسة (القوى) السياسية

نفسها بين بعضها بعضا - وهو التحدي الحقيقي لها - وبينها وبين الجماهير . .

(٥)

يبقى تعليق أخير : ماحدث في السودان لم يكن مفاجئا - لكثيرين ، واعتقد انني منهم - فلقد كان لابد لهذه التجربة المضيئة في أرضنا العربية ان تتكالب عليها (قوى) كثيرة ، قريبة وبعيدة ، ومنها مايزعم التقدمية ومنها مايدعي حماية الحرية ، قوى (صغرى) وأخرى (كبرى) ولم يغادر هذا التحليل التعرض لرابوع خطير يصبغ الحياة العربية ، ويشكل العلاقة بين المجتمع (والسلطة) كما يحددها علماء الاجتماع والسياسة . .

ومع كل ذلك التداعي على (قصعة) السودان ، والنجاح في إقصاء التجربة الشعبية ، الذي ساعد عليه عدد من العوامل الداخلية ، والقصور في الممارسة الذي وقعت فيه القوى السياسية ، فإن حدث (الانقلاب العسكري) لايمكنه ان يقضي على هذا (التخلق) الجديد في الصفحة السياسية السودانية وبخاصة وهو يرفد بمطالب شعبية على المستوى العربي ، والعالمي . .

بعض الذين يرفضون (التعددية) ، او يرفضون اكثر مما هو واقع ، يأخذون بسطحية ماحدث في السودان ، لتتساقط كلماتهم طعنا في (الحريات) وفي (التعددية) ، ويجعلون ماحدث حجة لما يريدون ، وهي في نظري اوهام لاترتفع الى حيز التأمل الدقيق ، والاستقراء لمسيرة التاريخ ، وتجارب الشعوب ، وبخاصة في تاريخنا المعاصر . .

ويبقى ايضا التخوف (الآخر) - على ضوء ماحدث في السودان ومؤداه ماتوصل اليه علماء الاجتماع والسياسة العرب ، في مشروع استشرافهم للمستقبل العربي (١٩)اتكاءاً على الاحداث الواقعية والعلاقات الداخلية والخارجية ، ويتمثل في ان الاقطار العربية (الطرفية) والتي تعيش حياة (إثنية) - تجمعات عرقية أو دينية - مهددة ، ليس بالمؤامرات والازمات ، وانما أصبح وجودها نفسه مهددا ، أو بضياع اجزاء منها ، هي نبوءة ، ولكنها قائمة على استقراء ، وهي احتمال ولكن قاد اليه عدد من العوامل والنتائج . .

■■ الهوامش) ■■

١ - راجع بتوسع كبير دراسة خاصة عن هذه الضمانات في كتاب (أزمة الحرية السياسية) للدكتور صالح سميع (الباب الثاني) ، دار الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ط أولى سنة ١٩٨٩م .

٢ - د . سعد الدين ابراهيم : (المسألة الاجتماعية بين التراث وتحديات العصر) مجلة المستقبل العربي ، عدد ٧١ مركز دراسات الوحدة العربية ، يناير ١٩٨٥م

٣ - د. سعدالدين ابراهيم : (المجتمع والدولة في الوطن العربي) ص (المقدمة) شارك فيه (د. غسان سلامة ، د. عبدالباقي الهرماسي ، د. خلدون النقيب) مركز دراسات الوحدة العربية ، أكتوبر ١٩٨٨م . .

٤ - صحيفة (٢٦ سبتمبر) الصفحة الاخيرة (ومضات)

٥ - صحيفة (٢٦ سبتمبر) عدد ٣٤٧ ص ٥ (تعددية الاراء اولا) . . ويبدو التحرج من الخوض في مثل هذه الموضوعات ، ولذلك انهت الصحيفة تذييل المقال بالعبارة (الشهيرة) (هذا المقال لايعبر الا عن رأي كاتبه)

٦ - عدد (١٥٧) - افتتاحية العدد . .

٧ - المصدر السابق (تعددية الاراء اولا)

٨ - نفسه

٩ - وبخاصة تجربة الاتحاد السوفيتي ، وتجربة مصر منذ ٢٣ يوليو

١٠ - اقتبسته من د . عبدالمنعم تليمة في احدى الندوات في مصر ، وهو احد قلائل الماركسين الذين يؤمنون بالتعددية السياسية والحزبية لكل القوى والفئات بدون استثناء . . كما يعترف بدور الاسلاميين والوفديين الوطني . وله ابحاث هامة في هذا المجال في نشرة شهرية (مشهرة) تحمل اسم (الحقيقة) . .

١١ - ص ١ - ٢

١٢ - ص ٤ - ٩

١٣ - ص ١١

١٤ - راجع الصفحات (١١ - ١٤)

١٥ - ص ١٩

١٦ - ص ٢٢ ، وانظر مقال (الرحبي) (تعددية الاراء أولا)

١٧ - د . سعد الدين ابراهيم ، المستقبل العربي ، مصدر سابق . .

١٨ - اشرت الى هذه التخوفات والتساؤلات تعليقا على ماجاء في صحيفة (الصحوة) حول (التعددية) عند الماركسين ، في العدد (١٧٧) الموافق ٢٢/٦/٨٩م كما ان هناك بعض الكتابات السريعة التي لم يتوقف عندها هذا التحليل . .

١٩ - المجتمع والدولة في الوطن العربي ، ص المقدمة . .

عرض استقرائي للكتاب:

أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي

دراسة علمية موثقة

تأليف/ د/ صالح حسن سميع

عرض/ محمد حمود النهاري

هذا الكتاب وأهميته:-

ليس من المبالغ ان اعتبر كتاب «أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي» من أعظم ماقدم - حتى الآن - في دراسة علمية موثقة عن الحرية السياسية وانعكاساتها على الممارسة في المذهبية الوضعية الحية في جانبيها «التحرري والماركسي» والمذهبية الاسلامية ، وما تضمنه الكتاب . من دراسة لازمة الحرية السياسية في العالم العربي بدءً برصد مظاهرها وأسبابها . .

وانتهاءا بضماناتها القانونيّة والواقعية ، على ضوء المقومات الاساسية والقواعد الشرعية التي تؤمن بها القواعد الشعبية . .

والكتاب يقع في ٧٣٢ صفحة من القطع الكبير ، ضم مايربو على ثلاثمائة مصدر مابين مراجع تراثية ومؤلفات عامة معاصرة . . ورسائل علمية وبحوث ، ومقالات متخصصة ، ووثائق واعمال مترجمة الى اللغة العربية ومراجع فرنسية وانجليزية . .

وتأتي أهمية الكتاب كما قال مؤلفه الدكتور/ صالح حسن سميع . «ان الحرية السياسية في إطار منظومة القيم الحضارية للامة العربية هي الشرط الاول لبناء الشخصية السوية القادرة على النهوض من الكبوة الحضارية التي يحياها المواطن والوطن العربي في الوقت الراهن . .»

والكتاب يقدم الطرق السائدة في انتهاج الحرية السياسية في العالم - قديما وحديثا - وانتهاج الانظمة العربية لتلك السياسة او تلك . ويضع المؤلف المخرج الحقيقي للحرية السياسية من أزمتها في الوطن العربي، وذلك بالضمانات القانونية والواقعية المستنبطة من القواعد الشرعية التي تؤمن بها القواعد الشعبية . .

■■ معنى الحرية ومفهومها:-

قسم المؤلف دراسته لهذا الموضوع الى قسمين:-

■■ القسم الاول:-

ويتناول الاصول الفكرية للحرية السياسية في المذهبية الوضعية (التحرري والماركسي) ثم المذهبية الاسلامية . .

■■ القسم الثاني:-

ويتناول ازمة الحرية السياسية في الوطن العربي ، لكن المؤلف قبل ان يتناول القسمين احسن صنعا حين قدم تعريفا لمعنى الحرية ومفهومها ومعيارها في المذهبية الوضعية والمذهبية الاسلامية . .

فقال عن معنى كلمة الحرية «لها بريقها وسحرها عندما تستعمل لارتباطها الوثيق بحياة كل انسان بحيث صارت تؤثر تأثيرا مباشرا على سعادته الشخصية ومن ثم فقد كان لهذه الكلمة دورها الكبير في سقوط الكثير من الضحايا وفي اشتعال الكثير من الحروب» . .

وعبر المؤلف عن مدلول لفظ «الحرية» عند اطلاقه بأنه غير محدد وغير منضبط بمفهوم لايتعداه الى سواه . . بل تتحكم عوامل سياسية واجتماعية

واقتصادية في دلالة ذلك اللفظ على معناه . ويضرب مثلا (بالحرب الاهلية الامريكية التي من أسبابها التناقض في مفهوم الحرية بين ولايات الشمال وولايات الجنوب . . فبينما كانت الاولى تحارب من أجل نظام الرق كانت الثانية تحارب من أجل الابقاء عليه . . وكل فريق يدعى بانه يحارب من أجل الحرية . . ولكن بمفهومين متغايرين) . .

ولتذبذب معنى الحرية يذكر المؤلف حقيقة مفادها (ان الحرية بمفهومها الانساني الشامل لايمكن ان تتحقق الا في ظل مذهبية متوازنة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بحيث اذا اهتز هذا التوازن. اهتزت معه قيمة الحرية وتوارى معناها الانساني الواسع) . .

■■ معيار الحرية :ـ

يتناول المؤلف معيار الحرية في المذهبية الوضعية بشقها الليبرالي وهي تتلخص في (عدم الاضرار بالغير . . فأنت حر مالم تضر) . . وفي شقها الماركسي (لن تتحقق الحرية في صورتها المثلى الا في المرحلة الشيوعية . . اي ان معيار الحرية هو اختفاء السلطة . .

أما معيار الحرية في المذهبية الاسلامية فيذكر المؤلف (التوفيق بين الحرية في صورتها الفردية وبين الحرية كسلوك يمارس في وسط اجتماعي ينشد الوحدة والانسجام بين الفرد والجماعة . .)

■■ الحرية والمساواة :ـ

يتساءل المؤلف هل اللفظان ـ الحرية والمساواة ـ وجهان لعملة واحدة؟؟ أو ان احدهما هو الجوهر والاخر هو العرض؟ ثم يضع الاجابة قائلا :ـ

«تتفق المذهبية الاسلامية مع المذهبية الوضعية على أن مبدأ المساواة هو جوهر الحرية وأساسها مع الاختلاف في أمرين . . :

الامر الاول :ـ

ان المذهبية الاسلامية تنظر الى الانسان من خلال القيمة المشتركة التي هي كرامة الانسان «لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود الا بالتقوى» ولا تفرق في هذا الاطار الا بالتقوى والعمل الصالح «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (١) .

الامر الثاني :ـ

ان المذهبية الاسلامية تفرض على الدولة والمجتمع التزاما قانونيا برعاية من لاتسعفهم مواهبهم فلا تمكنهم من الحياة الكريمة حتى أهل الذمة وذلك هو معنى التكافل والتضامن . .

■■ الحرية الفردية والحرية السياسية :ـ

يتساءل المؤلف ان كان يوجد ارتباط بين الحرية الفردية والحرية السياسية؟؟ ثم يجيب بقوله :

«مما لاشك فيه ان للحرية الفردية تصنيفات كثيرة تختلف باختلاف الزاوية التي ننظر منها اليها» . ثم ذكر اربعة أمور تختلف فيها الحرية الفردية عن الحرية السياسية وأربعة امور اخرى تتفق فيها كلا الحريتين ، ويخلص الى القول :ـ

«بأن خاصية التلازم العملي تجمع بين النوعين فلا حرية فردية بدون حرية سياسية ، ولا حرية سياسية بدون فردية . سواء على صعيد الفكر ام على صعيد الممارسة» . .

■■ الحرية والديمقراطية :ـ

يذكر المؤلف ص ٣٧ ، ٥٢ الارتباط بين مصطلحي الحرية والديمقراطية وأنهما مترادفان في دلالتهما حيث يخلص الى القول «فعندما نطلق لفظ «الديمقراطية» فإننا نعنى به الحرية السياسية ويصدق هذا القول على مصطلح الحرية السياسية فعندما نطلقه نريد به «الديمقراطية» . .

■■ الشورى والحرية السياسية :ـ

يتناول المؤلف تعريف كلمة الشورى لغة وفي الاصطلاح الفقهي السياسي الاسلامي كما أوضح ـ المؤلف ـ ان مبدأ الشورى في المذهبية الاسلامية هو مبدأ مترتب على مبدأ آخر وهو مبدأ الخلافة العمومية الثابت بقوله تعالى «واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة» (٢) وان جوهر مبدأ الشورى يعني

حق الامة في ادارة شئونها بنفسها بإختلاف الزمان والمكان . وأن مبدأ الشورى في المفهوم السياسي الاسلامي . منوط بكليات المذهبية الاسلامية ومبادئها الرئيسية . وان هذا المبدأ لن يؤتي ثماره الا اذا أحيط بضمانات قانونية وواقعية تمكن الجماعة السياسية من التمتع به تمتعا فعليا حتى لاتكون مبدأ اخلاقيا بحتا . .

ويذكر المؤلف ثلاثة فروق بين مصطلح «الديمقراطية ومصطلح الشورى»

■■ الفرق الاول :-

اختلاف الاساس الفكري لكل منهما فمصطلح «الديموقراطية» مبنى على أساس وضعي . . اما مصطلح «الشورى» في منظومته الحضارية فهو مبني على أساس النهي . اي يرتكز على الأمر بالوجوب «وشاورهم في الامر» (٣)

■■ الفرق الثاني :-

اختلاف النظام الاجتماعي الذي تحكم في ظله كل من الديموقراطية والشورى فالنظام الديموقراطي في العالم الحر . يقوم على أسس لا دينية . اي يرتكز على فصل الدين عن الدولة . وهذا لاتقره المذهبية الاسلامية ولم تعرف ذلك الانفصال بين الدين والحياة . . بمعنى ان الديمقراطية في المفهوم الاسلامي هي مجمل القوانين والنظم التي تنظم عملية تطبيق المبدأ العام داخلا فيها الاشكال التنفيذية القائمة على الاختيار العام . .

■■ الفرق الثالث :-

اختلافهما في تقرير مدى سلطان الجماعة في تحديد أسس ومقومات النظام الاجتماعي العام، فمنطلق الفكر الديمقراطي يعطي افراد المجتمع السياسي سلطات شبه مطلقة في رسم منهاج حياة الشعب . .

اما في المذهبية الاسلامية فالجماعة ليس لها حق تغيير احكام الله القطعية . .

■■ استعمال مصطلح الديموقراطية في أدبيات الفكر السياسي الاسلامي :-

يطرح المؤلف هذا السؤال - هل يجوز استخدام مصطلح (الديموقراطية» كمصطلح بديل لمصطلح (الشورى)؟ وللاجابة على هذا السؤال يذكر المؤلف ست حقائق وعلى ضوء تلك الحقائق وما تحويه من تحفظات ينتهي الى القول :-

«ومادام ان المذهبية الاسلامية قد تجاوزت مرحلة الغربة فصار لها حضور فعلي بحيث لايخشى عليها من غلبة المفهومات الوافدة بكل ملابساتها البيئية والتاريخية ومنطلقاتها المذهبية وأسسها الفكرية . فلا بأس من الاستعانة بكل مصطلح رائج يعبر عن معنى - الشورى - وادراجه في سياقها فالعبرة ليست بالصورة والالفاظ ، وانما هي بالمعاني والمقاصد» . .

ومع هذا الترخيص الذي يذكره المؤلف في استخدام مصطلح «الديمقراطية» كبديل لمصطلح الشورى فأنه يرى (من الافضل الاقتصار على استخدام مصطلح الشورى في أدبيات الفكر السياسي الاسلامي» كمبدأ غير متناف مع مصطلح الديموقراطية لانها مندرجة فيه . تابعة له . لذلك فهي كرؤية وكاختيار تختلف من مجتمع الى آخر باختلاف الاسس والمنطلقات ، ولذلك من الممكن ان نطلق عليها في تجربتنا الديمقراطية الاسلامية . .

الاصول الفكرية للحرية السياسية في المذهبية التحررية :-

ثم يتناول المؤلف ص ٦٥ - ١٢٦ الاصول الفكرية للحرية السياسية في المذهبية التحررية مع الاخذ بالاعتبار ان اوربا لم تعرف الدين المسيحي على الوجه الذي أوصى الله به الى نبيه عيسى عليه السلام . . بل عرفت صور محرفة من صنع الكنيسة الاوروبية ومن افواه البابوات ، والكرادلة ومن المجامع المقدسة وشراح الاناجيل التي اصابها التحريف والتبديل ، فكانت الجماهير تعتبر تلك المصادر مراجع لا يرقى اليها شك . .

يقول المؤلف (فالفكر السياسي بهذه الصورة كان احد المصادر الرئيسية للاستبداد الساسي الذي خيم على اوروبا ردحا طويلا من الزمن)

ويتناول المؤلف نظريات العقد الاجتماعية والتي لم تبن - تلك النظريات على أسس علمية لها سندها التاريخي ، وانما بنيت على افتراضات وقد تبني تلك

النظريات في بداية عصر النهضة كل من (هوبز) (ولوك) و(روسو) ويعقب المؤلف بالقول (ان الفكر المسيحي . ونظريات العقد الاجتماعي ومدرسة الطبيعيين كانت من اهم الروافد الفكرية للحرية السياسية في المذهبية التحررية وان هذه الروافد قد امتزجت مع بعضها ، فكونت مايعرف بالمذهب الفردي . .

■■ نقد المذهبية التحررية :ـ

ان الافرازات السلبية للمبادىء التحررية في صورتها التقليدية والتي كانت محلا لنقد مرير ، ذلك النقد الذي اثمر واخرج الى الوجود مفهومات جديدة تبلورت فيها بعد واعطت المبادىء التحررية وجها جديدا مغايرا لوجهها التقليدي فانعكس هذا على درجة ونوع الممارسة العقلية للحرية السياسية فظهر مذهب اصلاحي جديد دار في فلك الاسس العامة للفكر التحرري وعرف هذا المذهب بالمذهب الاجتماعي حيث يقول المؤلف (ان نقد المذهبية التحررية التقليدية وظهور المذهب الاجتماعي قد اديا الى تبدل المفهومات حول مبدأ السيادة ، فانعكس ذلك على ممارسة الحرية السياسية فصارت تمتلك بالاضافة الى الصورة النيابية الاصلية ـ صورا مباشرة تمارس عبر قناتين : اولاهما رسمية دستورية ـ الاستفتاء الشعبي والاعتراض الشعبي . الاقتراح الشعبي ، طلب اعادة الانتخاب . طلب حل الهيئة النيابية . وطلب عزل رئيس الجمهورية ، واخراهما : شعبية . وتجسدت في ظاهرتين رئيسيتين هما: الاحزاب السياسية ، وجماعات الضغط) . .

■■ الاصول الفكرية للحرية السياسية في المذهبية الماركسية :ـ

يستعرض المؤلف ص ١٢٧ ـ ١٨٦ الاصول الفكرية في المذهبية الماركسية فيقول : «بأن المذهبية الماركسية تمثل رد فعل شمولي مضاد للنزعة الفردية المتطرفة التي اتسمت بها المذهبية التحررية ابان ازدهارها في القرن الثامن عشر . . وان المظالم التي اورثتها المذهبية التحررية التقليدية كانت التربة التي نبتت فيها المذهبية الماركسية) . .

أما الاصول الفكرية في الفكر الماركسي فهي اتباع المنهج الجدلي في بناء تصورها الخاص لقضايا الالوهية ، والكون ، والحياة ، والانسان ، ثم نقل هذا المنهج ـ بعد ان اقامته على اساس مادي الى الميدان الاجتماعي بغية اثبات حتمية الصراع الطبقي الذي سوف يؤدي حتما الى احداث تغيرات ثورية في المجتمعات ، وان الفلسفة المادية الماركسية تنتهي الى القول : بان المادة قائمة بذاتها ومنشئة لغيرها. وانها أبدية ، وان حركة التاريخ لايمكن فهمها ، واستنباط العبرة منها ، الا عن طريق هذا الفهم المادي . .

ويذكر المؤلف القوانين التي تحكم الصراع الطبقي في ظل النظام الرأسمالي وهي ، قانون العمل وفائض القيمة ، وقانون تراكم رؤوس الاموال ، وقانون الافقار المطلق ، وقانون الازمات ، وخلاصة هذه القوانين كما ذكر المؤلف ذلك بقوله (ان القوانين الاربعة السابقة هي اساس وقود الصراع الطبقي بين الاقلية المخدومة ، والاغلبية الخادمة ، وان هذا الصراع سينتهي حتما ـ وفقا لقانون التناقض وصراع الاضداد ـ بالقضاء على النظام الرأسمالي الذي يجب ان تهرع الغالبية الخادمة الى المساعدة على التعجيل بانتهائه عن طريق الثورات الاجتماعية . . »

ويعقب المؤلف ص ١٥١ على اهم أسس المذهبية الماركسية بالقول «مما لاشك فيه ان المذهبية الوضعية في جانبها الماركسي قد كشفت المظالم الاجتماعية للنزعة الفردية الجامحة التي ارتكزت عليها المذهبية الوضعية في جانبها التحريري . . فكان لها الفضل الاكبر في دفع دعاة وانصار المذهبية التحررية الى اعادة النظر في الاسس النظرية والعملية للفكر التحرري ، فكان لمذهب التدخل او المذهب الاجتماعي أثر من الاثار الايجابية للاسس الفكرية التي بنيت عليها المذهبية الماركسية . . واذا كانت هذه المذهبية قد تركت تلك الاثار الايجابية في الفكر الاروبي على الصعيدين : النظري والعملي فقد جمح الخيال الفكري بدعاتها الى الحد الذي وصفت فيه بأنها «الفلسفة الوحيدة الكاملة ، والعملية ، والسليمة ، والثابته . .

ويفند المؤلف هذا الادعاء على لسان كبار فلاسفة الماركسية المتأخرين الذين تراجعوا عما قاله متقدموهم

بعد ان اثبت العلم الحديث عدم ديمومة صحة ذلك القول .

■■ ممارسة الحرية السياسية في ظل المرحلة العليا للمجتمع الشيوعي :-

بين المؤلف ص ١٧٧ ان المذهب الماركسي يجنح الى القول بأن السلطة اداة قهرية منكرة من حيث المبدأ وغاية مافي الامر ان الطابع القهري للسلطة يختلف في مداه وفي قوته باختلاف الطبقة التي تمسك بزمام الامور في المجتمع . . وان الحرية السياسية لن تتحقق في صورتها الانسانية التي يرى الفرد نفسه في ظلها الا في المرحلة العليا للمجتمع الشيوعي . . وهذا مرهون بزوال الظروف الموضوعية التي اقتضت وجود السلطة السياسية ، ولن يتأتى ذلك الا بزوال الفن الانتاجي القديم ببنائه العلوي ، وتحققت الوفرة الانتاجية وما يصاحبها من تقسيم العمل ومن ثم خلق الانسان الجديد ، وتمكنت الماركسية من القضاء على الرأسمالية على النطاق العالمي ، وبذلك تحل محل السلطة القهرية ادارة ذاتية شعبية شيوعية . .

ويعقب المؤلف ص ١٨٢ بقوله (لو تأملنا سنجد التحليل المذهبي الماركسي لايعدو ان يكون اغراقا خياليا املته ظروف مؤقته افرزتها النزعة الفردية الجامحة للمذهبية الوضعية في جانبها التحرري . .

■■ الحرية السياسية في المذهبية الاسلامية :-

وتناول المؤلف ص ١٨٧ - ٣٣٠ أي في حوالي مائة وثلاث واربعين صفحة تناول الحرية السياسية في المذهبية الاسلامية حيث مهد في ص ١٩٢ بقوله (ان المذهبية الاسلامية تنظر الى مشكلة السلطة والحرية من خلال نظرتها الشمولية عن الله والكون والحياة والانسان بحيث لايمكن فهم تلك المشكلة في اطارها الإسلامي . . بمعزل عن ذلك النسيج الفكري للمذهبية الاسلامية ، وقد أدت تلك النظرة الشمولية الى حفظ الجماعة من حمل الشعور المنافي لمبدأ الشورى . . حشية الوقوع في هاوية الاستعباد ، كما ادت تلك النظرة الشمولية الى ابعاد الفرد عن النزعات المنافية للشعور الشوروي الموجود في طبائع البشر . .

وقد قررت المذهبية الاسلامية ضرورة الابتعاد عن تلك النزعات عن طريق ماوضعه الله من تكريم مقدس للفرد - حينما قرن الحرية بعقيدة التوحيد - وعن طريق المعالم التي رسمها القرآن بحيث لايقع الفرد في وحل العبودية) والامعية او الارتهان لمسلمات تتناق مع مبدأ الكرامة وحرية الاختيار ، او تلغي العلاقة الانسانية الشرعية بين (الانا) والـ(آخر) . .

■■ حكم الشورى :-

اتفقت كلمة الفقهاء على ان الحكم في الاسلام مؤسس على مبدأ الشورى ابتداءا هكذا بدأ المؤلف كلامه عن الشورى اما عن حكم الشورى فيذكر اتجاهين هما :-

الاتجاه الاول :-

القائل بالوجوب مستدلا من القرآن الكريم (وأمرهم شورى بينهم) (٤) وقوله تعالى (وشاورهم في الامر (٥) ومن السنة المطهرة قولا وفعلا اما القول (ماتشاور قوم قط الا هداهم الله لافضل مايحضرهم) اما الفعل فمشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه في غزوة بدر وغزوة احد وغزوة الخندق ويوم الحديبية . .

الاتجاه الثاني :-

القائل بالندب . حيث بني هذا الاتجاه رأيه على فهم الادلة القائلة بالشورى فهما مغايرا لفهم مذهب الوجوب مع اعتراضهم على استدلال القائلين بالوجوب . .

ويأخذ المؤلف بالمذهب القائل بالوجوب حيث يقول : ص ٢١٨ «ان ماساقه اصحاب مذهب الندب من أدلة على معتقدهم لاتقوى على منازعة ادلة الوجوب ، وان مذهب الندب قد وقع في قياسات قادته الى نتائج خاطئة» تجاوزت مجال التفسير او التأويل الاجتهادي الى التجديف في حق الله والرسول . والاصول الدينية والفكرية للاسلام كعقيدة وشريعة . .

■■ نتيجة الشورى :-

طرح موضوع معين من موضوعات الشورى على

اهلها . وتوصلوا الى قرار معين حول هذا الموضوع - إن بالإجماع وإن بالاغلبية - هل هذا القرار ملزم لولي الامر؟؟ هكذا ابتدأ المؤلف بهذا السؤال وللاجابة يذكر المؤلف ثلاثة اتجاهات هي :-

الاتجاه الاول :- القائل بعدم لزوم نتيجة الشورى . .

الاتجاه الثاني :- القائل بلزوم نتيجة الشورى

الاتجاه الثالث :- القائل بضرورة التمييز بين ادلة الشورى ومجالات اعمالها . .

وقد استعرض المؤلف ادلة كل قول ومناقشة تلك الادلة ، لأدلة الاخرين وخلص الى القول : ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ، ،

ب(ان مبدأ الشورى هو المظهر الاساسي للحرية السياسية في المذهبية الاسلامية وانه فريضة الاهية ، وضرورة شرعية وانه طابع مميز للامة كلها وواجب قبل قيام السلطة ، الا ان حكم نتيجة ذلك المبدأ يختلف قبل قيام السلطة وتدوالها وانتقالها عن حكم نتيجته بعد قيامها واستقرارها ، فعند انشاء السلطة يكون المبدأ لازما ابتدءا وملزما انتهاء ، فتكون الجماعة هي صاحبة الكلمة اولا واخيرا في تحديد شكل الدولة ورسم اطرها . . أما بعد انشاء السلطة واستقرارها فتكون الوظائف قد وصفت توصيفا محكما فتكون الشورى واجبة على كل من يملك اختصاصات فيتخذ قرارا الا انه في النهاية مخير بين الاخذ برأيه هو وبين الاخذ برأي مستشاريه لانه هو المسؤول عن نتيجة ذلك القرار) فهي في هذه الحالة استشارة تنفيذية لاتشريعية اي اخلاقية سلوكية محكومة بالقوانين المنظمة المقره ديموقراطيا . .

■■ انعكاس الاصول الشرعية على كيفية ممارسة الحرية السياسية :-

تناول المؤلف ص ٢٥٣ انعكاس التنظير الشرعي على كيفية التصور لممارسة الحرية السياسية في ظل التطور السياسي والدستوري المعاصر فتناول دور الحرية السياسية في انشاء سلطة التشريع والرقابة وتحديد مفهوم التشريع في المذهبية الاسلامية ، ومن يملكون مهمة التشريع في ظل التطور السياسي المعاصر فتناول دور الحرية السياسية وكيفية اختيارهم وحكم الانتاج الفقهي لاجتهاد المجتهدين وذكر المؤلف ص ٢٦٧ التصورات الحديثة لانشاء وممارسة السلطة التشريعية للدولة الاسلامية الواحدة ، فذكر تصورا للدكتور / سليمان محمد خاطر (*) وخلاصته «أن تكون ثمة قاعدة قانونية ملزمة يخضع لها الجميع حكاما ومحكومين يشكل من هذه القاعدة مجلس استشاري تعرض عليه كافة مشروعات القوانين قبل ان تتولى السلطة التشريعية اصدارها . .

وتصورا اخر للدكتور مصطفى أبوزيد فهمي (*) وفحواه «ان المهمة التشريعية يتولاها المجلس النيابي او مجلس الشورى في الدولة الاسلامية وهذا المجلس لابد وان ينتخب انتخابا حرا ومباشرا تطبيقا لمبدأ الشورى» وقد اعقب المؤلف على كل تصور . . واستخلص من تلك التصورات تصورا خاصا وذلك في النقاط التالية :-

أولا : وضع دستور منبثق عن المذهبية الاسلامية . . يقوم بوضعه سلطة تأسيسية تنشأ لهذا الغرض ويتكون اعضاؤ ها من خيرة علماء الامة في الشريعة والقانون مع الاستعانة بالخبرات المتخصصة في المجالات المختلفة وهذه السلطة المؤسسة يتم تكوينها في نطاق اقليمي مرحليا الى ان تتم الوحدة العربية اولا ثم الوحدة الاسلامية ثانيا . . ويأتي هذا الرأي في نطاق تصور الكاتب للدولة الاسلامية الكبرى . .

ثانيا : يطرح ذلك الدستور على كل من ينضوي تحت لواء مبدأ الخلافة العمومية ليتم الاستفتاء فيه . .

ثالثا: ينص في صلب الدستور على انشاء مجلس أعلى يسمى (بالمجلس الدستوري الاعلى) ويكون ذا صفة قضائية ويكون من ضمن المهام الاساسية لهذا المجلس اختيار اعضاء مجلس يسمى (مجلس العلماء) . .

رابعا : يقتصر دور مجلس العلماء على بيان الحكم الشرعي للنازلة الجديدة . .

---

* في كتابه : السلطات الثلاث
* في كتابه : فن الحكم في الاسلام

خامسا : يقوم مجلس ـ بنص في الدستور ـ يسمى بمجلس الشورى أو الشعب ليمارس الافراد من خلاله بعضا من مهام الخلافة العمومية عن طريق مبدأ النيابة . .

■■ دور الحرية السياسية في انتخاب الرئيس الاعلى للدولة الاسلامية :ـ

استعرض المؤلف ص ٢٧٧ مبدأ الخلافة السلطوية وهو انتخاب الرئيس الاعلى للدولة الاسلامية من قبل أهل الخلافة العمومية ، وتناول ـ المؤلف (السوابق التي سار عليها الصحابة في اختيار الخلفاء الراشدين وهي ثلاثة مسالك) كتجارب اجتهادية حلت فيها بعد محل الدليل القطعي في عصور السلطة الفردية ، مع انها تجارب اجتهادية لاتحتمل حتى القياس عليها . . عند من يوازي بين الخلافة والنبوة ما بالك من الناحية الاصولية لان المقاس عليه ليس تشريعا منصوصا عليه ولا ترقى الى مستوى القطعي . .

المسلك الاول: (وهو الانتخاب المباشر وذلك في اختيار كل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما) مع ملاحظة الانقطاع في السياق التجريبي عند عمر حيث ولي بالعهد وأقر بالبيعة من الاقلية وعدم وجود من يرفضه من العامة . . .

المسلك الثاني: وهو العهد او الاستخلاف حيث يعهد القائم بأمر الخلافة لشخص معين ثم تتم له البيعة العامة وهذا ماحصل في تولي عمر بعهد من ابي بكر رضي الله عنهما . .

المسلك الثالث :وهو الاختيار من بين معينين حيث يسند الامر الى مجموعة من الاشخاص ليتفقوا على واحد منهم للترشيح لمنصب الخلافة ثم يقدمونه الى بقية أفراد الامة لينال البيعة العامة وهذا مافعله عمر عندما طعن . فقد جعل الامر بين ستة يتفقون على اختيار واحد منهم وفصل /المؤلف/ القول على كل مسلك ، وتناول اجتهاد الفقهاء المتقدمين في تمحيص واستنباط الاحكام المتعلقة بالخلافة من جميع وجوهها ، سواء من هم أهل الامامة؟ أو أهل الاختيار ، او أهل الحل والعقد . . وبقية افراد الامة . بروية موضوعية نقدية خلصت به الى .

تصور حديث لاختيار الرئيس الاعلى في الدولة الاسلامية :ـ

يقول المؤلف ص ٢٩٥ (مما لاشك فيه ان اختيار الرئيس الاعلى للدولة الاسلامية على النماذج التي تمت في عهد الخلافة الراشدة هو امر صعب بل يستحيل تطبيقه في العصر الحديث لسببين . .

السبب الاول: ان تحديد اهل الحل والعقد على المنوال الذي تم به في فترة الخلافة الراشدة يستحيل تحقيقه في العصر الذي نعيش فيه . .

السبب الثاني: ان نظام البيعة في عصر الخلافة الراشدة كان عماده التواصل مع الله ومراقبته في السراء والضراء . . اما الآن فالنفحة الايمانية قد توارت خلف الاطماع المادية بما في ذلك اتساع المجتمع الاسلامي واتساع مهام السلطة . .

وقد اخذ المؤلف يتصور حديث للبيعة بشقيها المضيق والموسع وهذا التصور هو للدكتور ماجد الحلو (*) حيث يقول:ـ

«يمكن ان يتم اختيار رئيس الدولة بطريقة عصرية لاتنافي احكام الاسلام وذلك بأن يرشح كل حزب على افتراض قيام النظام الاسلامي على التعددية الحزبية في اطار المذهبية الاسلامية للرئاسة شخصا ممن تتوافر فيهم شروط الصلاحية لها على ان يكون ما أمكن من غير الراغبين في الرئاسة المأخوذين بمفاتنها ثم يقدم المرشحون انفسهم وبرامجهم للناس ليتم على أساسها الترجيح بينهم ـ منحازا في ذلك الى التجربة الاوروبية في نطاق التعددية المشروطة بالمذهبية الاسلامية حيث اختلط التأصيل بالتحديث الذي مايزال بحاجة الى توضيح اكثر ونقاش مستفيض وعلى كل فهو ـ المؤلف ـ في هذا ناقل لاجتهاد كاتب اخر .

■■ أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي:ـ

قبل ان يتناول المؤلف في ص ٣٣٣ القسم الثاني

* في كتابه : الاستفتاء الشعبي بين الانظمة الوضعية والشريعة الاسلامية

من دراسته وهو ازمة الحرية السياسية في الوطن العربي يتناول معيار التقييم للنظم السياسية العربية وهي تتلخص فيما يلي :-

أ - أي نظام سياسي - مهما كانت اهدافه وكيفما كانت منطلقاته يكمن نجاحه في قدرته على استيعاب الفعاليات السياسية الموجودة في الواقع السياسي وتوجيه طاقاتها صوب مراقبة وضبط النظام الاجتماعي العام . .

٢ - يكمن ايضا في السماح لهذه القوى بتبادل السلطة وانتقالها بالطرق السليمة مع ارتكاز هذه العملية على ضمانات قانونية وواقعية محدودة . .

٣ - وكل هذا مشروط بقيام النظام على ارضية مشتركة يلتقي الحاكم والمحكوم في الايمان بها بحيث تدار دفة النظام الاجتماعي العام في اطارها . .

٤ - المذهبية الاسلامية هي الاساس الشرعي للنظام السياسية العربية وهي الارضية المشتركة التي يجب ان تلتقي حولها ارادة الحاكم والمحكوم والتي تجعل من النظام الحزبي المتعدد فرضا من فروض الكفاية . .

وهنا مجال لطرح اكثر من سؤال لاسيما ما يتعلق بالموقف من العرب المسيحيين والاقليات غير الإسلامية ، هل يعتبرون اهل ذمة او معاهدين كما هو واضح في الفقه الاسلامي؟؟ أم أنهم مواطنون ينطبق عليهم مبدأ الاستخلاف؟؟

مظاهر ازمة الحرية السياسية :-

يقدم المؤلف حقيقة مفادها (ان رصد مظاهر أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي واستقصاء اسبابها وعللها هو أمر صعب المنال) . .

ويعلل ذلك بقوله (فالامر يحتاج الى مجلدات يقوم بها فريق من الباحثين في مجال القانون العام وفي مجال علم الاجتماع السياسي ، خاصة وان هناك خصوصيات قطرية تحتاج الى استقصاء وتتبع الا ان هذا لايمنع من وجود قواسم مشتركة بين كل الاقطار العربية فيما يخص ازمة الحرية السياسية واسبابها . .

أما الدراسات القطرية فنأمل ان تلقى ماتستحقه من العناية واستخلص المؤلف النظم السياسية العربية في نوعين:

النوع الاول: يرتكز على الديموقراطية المقيدة ، الموجودة في قطرين عربيين كبيرين راجع الكتاب ص ٣٥٣ - ٣٦٢

النوع الثاني : يرتكز على الواحدية السياسية الموجودة في بقية النظم السياسية العربية دون استثناء ويعني بها كما يبدو دكتاتورية الفرد او الحزب الواحد . . وتستثنى هنا بلا شك التجربة اليمنية الميثاقية المؤطرة في المؤتمر الشعبي العام - ومجلس الشورى كظاهرة متميزة كما اشار الى ذلك المؤلف فيما بعد . .

اما مظاهر الازمة في النوع الاول فذكرها المؤلف في ص ٣٧٢ بقوله :

(ان المشرع للديمقراطية المقيدة - قد ضيق من دائرة الحرية السياسية في القيود الواردة على انشاء الاحزاب السياسية اصلا ، الى جانب الموافقة على قيام الحزب السياسي أو الاعتراض على قيامه وسلطة طلب حل اي حزب من الاحزاب القائمة وكذلك سلطة الوقف الفوري لنشاط الاحزاب . وصحفها . وقراراتها . كما يوجد نسبة ال٨٪ من مجموع الاصوات الانتخابية التي جعلها المشرع شرطا لدخول الحزب الى البرلمان بالرغم من ان هذه الاجراءات قد اكتسبت شرعيتها من الدستور المقر . .

■■ مظاهر الازمة في نظم الواحدية السياسية :-

وتناول المؤلف من ص ٣٧٣ القاسم المشترك للنظم السياسية العربية . . وهو النزعة الواحدية الفوقية ، في التنظيم السياسي وما ترتب عليها من عدم اعتراف بالتعددية في اطار المذهبية الاسلامية التي هي أساس شرعية هذه النظم - كما انها أساس نظرية المؤلف هنا - ومن ثم كانت هذه النزعة الواحدية في الرأي السياسي هي المظهر الرئيسي لازمة الحرية السياسية في هذه الاقطار العربية التي اتخذت لها عدة صيغ توضح في صورتين رئيسيتين . .

■■ أولا : الصيغ السياسية والدستورية المناهضة للفكرة الحزبية من أساسها :-

يقول المؤلف (تنطلق هذه الصيغ من نقطة بداية واحدة وهي رفض الفكرة الحزبية من أساسها) وهذه الصيغ تختلف في بنائها . .

أ ـ الصيغ ذات المنحى الوارثي للسلطة :ـ

المعمول بها في بعض الدول العربية التي وان كانت تنص دساتير بعضها على ان نظام الحكم ديمقراطي ووفق المذهبية الاسلامية الا ان الواقع يخالف ذلك تماما ، وذكر ـ المؤلف ـ أمثله تؤكد ذلك حيث ان هذه الامثلة تبين ان نصوص ومواد تلك الدساتير التي تؤكد ان الحكم شورى وديموقراطي وقائم على المذهبية الاسلامية نجد مواد تلك الدساتير تناقض بعضها بعضا . . مع وجود تفاوت في الانظمة من دولة لاخرى حيث نجد بعض تلك الدول لا يوجد لها دستور عرفي او مكتوب . . علما بان بعضها كالكويت مثلا تتمتع ببعض الحرية والديمقراطية وبرؤية حديثة للسلطة والمجتمع . .

ب ـ صيغة المؤتمرات الشعبية :ـ

يقول المؤلف «ان ازمة الحرية السياسية ـ في هذه الصيغة الطامحة الى مستوى النظرية الشاملة ـ تظهر ملامحها في أمرين هما :ـ

الامر الاول :ـ

اعتبار هذه الصيغة بأنها صيغة نهائية وحتمية ومن ثم فأنها لاتقبل النقاش او المجادلة ويعبر المؤلف بقوله (وهذا جزم غريب على الفكر الانساني) وهذا ألاطلاق الذي اعتمده المؤلف لايخلو من استثناء كما سنرى . .

الأمر الثاني :ـ

النزعة الواحدية في الرأي السياسي فايا كانت التبريرات السياسية لهذه الصيغة فأن السلطة تؤول في تحليلها النهائي الى يد شخص واحد . .

ج ـ صيغة المؤتمر الشعبي العام :ـ

في الجمهورية العربية اليمنية .. ينص دستورها على ان اليمن دولة عربية اسلامية ، اي تقوم على المذهبية الاسلامية الا ان ازمة الحرية تظهر ـ كما يذكر المؤلف ـ ان الحزبية بجميع اشكالها محضورة بنص الدستور وقد علق الاستاذ الطهاوي(*) على هذا الحظر بقوله (لعل دستور الجمهورية العربية اليمنية هو الدستور العربي الوحيد الذي حرم الحزبية بجميع اشكالها ، ومثل هذا الحكم يفسح المجال لبقاء تنظيمات بديلة . . اهمها في اليمن النظام القبلي ، اما النظام الحزبي السليم ـ القائم على المذهبية الاسلامية ـ فإنه كفيل بتفتيت التقاليد القبلية التي تعاني منها اليمن) . . ولم يتعرض الكاتب الى مدى تطابق هذه الرؤية مع الواقع الاجتماعي والسياسي من عدمه ولا الى شرعيتها المقيدة في الميثاق المجمع عليه والذي يحرم الولاء الخارجي بكل اشكاله السياسية فردية او جماعة من عدمه الا انه عقب في النهاية بالقول (والحقيقة ان استاذنا الطهاوي قد قال هذا في وقت لم يتطور فيه النظام السياسي للجمهورية العربية اليمنية الى الصورة التي هو عليها الآن . . وقد بدت اهم ملامح هذا التطور في امرين :ـ

الامر الاول :ـ

ان الجمهورية العربية اليمنية . قد تبنت ميثاقا وطنيا منبثقا عن المذهبية الاسلامية . وصار يمثل (نظرية العمل الوطني الملزمة لكل ابناء الشعب وللدولة ومسئوليها) مع اننا نعلم انه صيغ من قبل ممثلي مختلف القطاعات الشعبية والسياسية ووفق على صيغته النهائية من قبل المؤتمر الشعبي العام الممثل لتلك القطاعات والفئات فصار بمثابة عقد اجتماعي سياسي ديموقراطي ، مرهون سريان مفعوله للارادة الشعبية وفي اثناء ذلك قابل لأي تعديل او تطوير بنفس الارادة في اي وقت . .

الامر الثاني :ـ

ان الجمهورية العربية اليمنية ، قد تبنت صيغة جديدة لنظامها السياسي . هي صيغة المؤتمر الشعبي العام واعتبرتها صيغة مثلى نظرا لخصوصية الظروف السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية التي تمر بها اليمن حاليا ، هذا مع العلم ان تحريم الحزبية قد جاء مشروطا بالولاء الاجنبي والتبعية الاجنبية . .

وقد استعرض المؤلف ص ٣٨٢ مضمون هذه الصيغة وانتهى الى القول (ان التعددية الحزبية المؤطرة بكليات المذهبية الاسلامية ومبادئها الرئيسية ، هي الصيغة المأمونة للقيام باعمال التنمية الشاملة . . ومع هذا الاعتقاد المبدئي الذي يراه المؤلف الا انه يقول

● في كتابه (السلطات الثلاث)

(انـا نعتبر صيغة المؤتمر الشعبي العام صيغ موفقة ومرغوبة مرحليا) كضرورة من ضرورات بناء الدولة المركزية الديموقراطية . .

والسبب في ذلك ماذكره المؤلف في ص ٣٨٦ (ان واقع الخريطة السياسية لليمن في شطره الشمالي تنتظم ثلاثة تيارات رئيسية ابرزها التيار الاسلامي . . وهذه التيارات الثلاثة تعاني من أزمة في الفكرة السياسية . .

فالتيار الاسلامي مع انه اقوى التيارات الثلاثة واكثرها تأثيرا في الساحة واصدقها تعبيرا عن المذهبية الاسلامية التي انبثق عنها الميثاق الوطني بحسب تعبيره فان هذا التيار ـ بنظر المؤلف ـ لايملك مشروعا سياسيا واضح المعالم يحدد فيه موقفا واضحا من السلطة والحرية وهـذا الإشكـال في نظرنا ناتج عن المأزق القائم بين الدعوة للشد الى الخلف واقتحام العصر . .

وعن تعدد الاطر التنظيمية لهذا الاتجاه وانتماءاتها السياسية والمـذهبية ويؤخـذ على التيارين الاخـرين (القـومي . واليسـار) وجـود الانفصـام الفكري بين الحاكم والمحكوم الذي يعد من أهم اسباب ازمة الحرية السياسية في العـالم العـربي حسب تعبـير ـ المؤلف ـ كذلك والمركزية الفكرية والديمقراطية . . .

ثانيا: الصيـغ السياسـية والـدستورية المقامة على الواحدية الحزبية :ـ

أ ـ النوع الملكي :ـ

تدخل في اطار هذا النوع بعض الدول العربية ذات النـظام الملكي الوراثي : وهما دولتان احداهما في المغرب العربي والاخرى في المشرق قائلا : (مع ان هاتين الدولتين ينص دستورهما على تعدد الاحزاب الا ان مواد دستوريهما تناقض بعضها بعضا ولا يعدو نظام تعـدد الاحـزاب السياسية فيهـما ان يكـون نوعا من التنفيس السياسي . .

ب ـ النوع الجمهوري :ـ

الذي قال عنـه بالـرغم من ان القـواعـد والشرائـع الاجتماعية والميراث الحضاري في اغلب تلك الدول الأخذة بهذا النوع تستقي فلسفتها ونظامها الاجتماعي العام من احكام المذهبية الاسلامية فان نص دساتيرها يتخذ نظام الواحدية الحزبية وقد تجاهل ـ المؤلف ـ في هذا السياق تلك الـدول الاخـذة بمبـدأ التحـالف الجبهوي والمواثيق الوطنية . .

الاثار السلبية للازمة :ـ

يقـول المؤلف ص ٣٩٨ تركت ازمـة الحـرية السياسية في الوطن العربي اثارا سلبية على ارض الواقع لاتخطئها عين الناظر فبإستقراء واستقصاء الواقع العربي نجد ان الازمة تبدو واضحة على صعيد الفكر السياسي كما تبـدو بصورة أوضح على صعيد حقوف وحريات المواطن العربي في عدة وجوه . .

أولا : على الصعيد الفكري السياسي :ـ

فقد رصد المؤلف أهم مظاهر الفكر السياسي وذلك فيما يلي :ـ

١ ـ الاختلال في شرائح المجتمع السياسي
٢ ـ المشاركة الشكلية ، الموسمية في الحياة السياسية
٣ ـ التعبئة السياسية والبعد عن المشاركة الحقيقية . .
٤ ـ الاخلال بمبدأ تكافو الفرص في تولى الوظائف العامة
٥ ـ التباعد بين النصوص الدستورية والواقع
٦ ـ الخلط بين مفهوم الدولة وشخص الحاكم
٧ ـ منع المواطن من ابداء الرأي وتكوينه

ثانيـا : الاثـار السلبيـة للازمـة على حقـوق وحريات المواطن العربي :ـ

وقـد أجـمل المؤلف من ص ٤٠٧ هذه الاثارة بقوله (ان هذا النهج قد احدث أزمة ثقة بين القائمين عليه وبين التنظيمات الشعبية التي لجأت الى السـرية في ممارسـة نشاطاتها السياسية ، واعداد الوسائل اللازمة للانقضـاض على السلطة عند الشعـور بالتمكن ، لاعتقـاد تلك التنظيمات بأن النظم القائمة تفتقد الى الشرعية وانها السبب في الهـوان الـذي لحق بالامـة العـربية من اعـدائها. ولان النظم السياسية العربية تدرك هذا الشعـور العـدائي تجاههـا من قبـل تلك

التنظيمات السرية ، لذلك فقد لجأت الى اسلوبين :-

الاسلوب الاول :-

أثارة مخاوف الناس من اي تنافس على السلطة

الاسلوب الثاني :-

اذا لم تجد وسائل التخويف فإن استخدام القمع المباشر هو الاسلوب الكفيل بتحقيق هذه المهمة . .

وتناول المؤلف بعض الامثلة على الانتهاكات والاعتداءات المنصبة على المواطن العربي في ظل بعض النظم السياسية العربية التي سجلت رقما قياسيا في هذا الخصوص طبقا للتقارير الطبية التي اثبتها الاطباء التابعون لمنظمة العفو الدولية في بعض سنوات مطلع الثمانينات انظر الكتاب ص ٤١١ - ٤٢٩ ولا يعني ذلك ان بقية الدول العربية لايوجد فيها انتهاك لحقوق الانسان الا ان تلك الدول التي ذكرها يقول بانها قد سجلت رقما قياسيا في هذا الخصوص . .

■■ أسباب الازمة :-

يعيد المؤلف ص ٤٣٠ ظاهرة الازمة للحرية السياسية في الوطن العربي الى اسباب قال عنها انها متداخلة ومتشابكة وان الحديث عن بعضها لابد وان يجر الى الحديث عن بعضها الاخر . كما ان بعضها قد يكون سببا في البعض الاخر . وهذه الاسباب التي رآها المؤلف هي :-

السبب الاول :-

الجـــذور التأريخية :-

يذكر المؤلف - ان ظاهرة الازمة تولدت من رحم الملك العضوض الذي بدأ ببداية العصر الاموي ، وتتابع على عرش الخلافة منذ انتهاء فترة الخلافة الراشدة . وحتى سقوط الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤م ومـا ترتب على هذا الانحـراف من خلق مفهومات خاطئة عن السلطة والحرية ظلت تتراكم على النفس العربية والاسلامية - زمنا طويلا نتج عنها ذلك الانحراف وحددها في خمسة اتجاهات رئيسية وهي :-

اتجاه الشيعة ، اتجاه الخوارج ، اتجاه المرجئة ، اتجاه المعتزلة ، واتجاه الفقهاء ، هذه الاتجاهات ، كما ذكر المؤلف - شوهت بل مسخت الكثير من المفهومات المشرقة التى ارادها الخالق لمخلوقه وجسدها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفـاؤه الـراشـدون قولا وعملا . . وبالمقابل [تناول المؤلف تفصيلا للافرازات السلبية للتيار القومي والعلماني الذي ساعد في تضليل العقلية العربية حينما باعد بينها وبين الرؤية الصافية لقيمها الحضارية وساعد على ايجاد فكر هلامي ، بديلا عن المذهبية الاسلامية ، وغرس مفهومات سياسية ودستورية ذات نزعة شمولية تبريرا للنزعة السياسية الواحدية التي تتبناها معظم النظم السياسية العربية] الامر الذي مايزال بحاجة الى تدليل والى تفصيل اكثر . .

السبب الثاني

■■ التخلف والتبعية :-

لاشك ان التخلف الاقتصادي والاجتماعي يعد سببا قويا من أسباب ازمة الحرية السياسية في الوطن العربي ، نظرا لما له من اثر فعال في شل قدرة الضمانات القانونية والواقعية في الحفاظ على ازدهار الحرية السياسية ، وقد اعاد - المؤلف - ذلك الى امرين هما :-

أ - ارتباط الاقتصاد العربي بالاقتصاد الرأسمالي العالمي . .

ب - الديون الخارجية . .

■■ السبب الثالث : ضعف الوعي السياسي :-

محددا في البدء لوازم الوعي السياسي في :-

١ - الشعور بالاقتدار السياسي
٢ - الاستعداد للمشاركة السياسية
٣ - التسامح الفكري المتبادل
٤ - توفر روح المبادرة
٥ - احترام المبادىء قبل الاشخاص
٦ - الثقة السياسية المتبادلة

وأكثر هذه العناصر قيم اخلاقية لاقيم حقوقية قانونية واردة في سياق منهج التأصيل النقدي او التنظير السياسي الا انه بلا شك محصلة نهائية للوعي السياسي اما أسباب ضعف الوعي السياسي فأهمها مايلي :-
١- ارتفاع نسبة الامية
٢- انشغال معظم سكان الوطن العربي بالرعي او الزراعة
٣- اعوجاج نمط التنشئة الاجتماعية والسياسية سواء عبر وسائل الاعلام او التربية والتعليم ، او التأثير السلبي للاسرة...

السبب الرابع : الانفصام بين الحاكم والمحكوم في مفهوم الشرعية :-

وقد لخص المؤلف هذا السبب بقوله (نعتقد ان أهم سبب من أسباب ازمة الحرية السياسية يرجع الى عدم الالتقاء بين الحاكم والمحكوم في مفهوم الشرعية وما تنبثق عنها من مشروعية . .

وقد اعاد - المؤلف - سبب هذا الانفصام بين الحاكم والمحكوم الى ثلاثة أمور.
الامر الاول: الاستيراد المذهبي المحض
الامر الثاني : الانتقاء المذهبي
الامر الثالث: التشويه المذهبي مشيرا الى ان الدول العربية الاخذة بهذه الامور كل على حدة.

ويستطيع القارىء الرجوع اليها بالاطلاع على الكتاب المتوفر في المكتبات اليمنية . .

ضمانات الحرية السياسية :-

ولا ينسى المؤلف ان يستدرك بعض اوجه القصور والاختزال فيقول في ص ٥١٤ (ان الدراسة المنهجية تسوقنا الى ضرورة البحث عن حل أو مخرج بالنسبة لازمة الحرية السياسية في الوطن العربي على هدى الهوية المذهبية الاسلامية مع الاستهداء بفنون الحكم الحامية للحرية السياسية والتي توصل اليها الفكر الانساني المعاصر على الصعيد السياسي وذلك الحل أو المخرج هو الذي اصطلح على تسميته (بالضمانات) سواء القانونية او الواقعية . .

الضمانات القانونية :-

تأتي الضمانات القانونية في مقدمة ضمانات الحرية السياسية لأنها تأتي ضمن إطار البنية القانونية للدولة فتحاط بالجزاءات القانونية التي تكفل لها الفاعلية وقد حدد المؤلف هذه الضمانات فيما يلي :-
أولا : الالتقاء بين الحاكم والمحكوم في مفهومي الشرعية والمشروعية
ثانيا: مبدأ الفصل بين السلطات . .

وعن هذا الاخير يقول المؤلف ص ٥٣٧ (يعد الفصل بين السلطات من الضمانات القانونية الهامة للحرية السياسية بل إن نقطة البدء لهذا المبدأ كانت تتغيا حماية الحرية السياسية) . .

ويستعرض المؤلف تاريخ الصراع المرير بين الحاكم والمحكوم في أوروبا ومضمون مبدأ الفصل بين السلطات كما صاغه (كرومبل) ثم (لوك) ثم (مونتسكيه) مما أدى ذلك الى الفصل بين السلطات بمعنييه المطلق والنسبي . وعن مدى امكانية الاخذ بمبدأ الفصل بين السلطات في ظل المذهبية الاسلامية . .

فقد عبر عنه المؤلف بقوله «من المعلوم ان تاريخ الفكر السياسي الاسلامي لم يعرف مبدأ الفصل بين السلطات» ولكن المؤلف يقرر باسلوب مثالي ماهو أوجب بالضرورة من حماية الحقوق والحريات ومنع الاستبداد وهي الامور الواجبة شرعا . . اذ علم ذلك وعرفنا ان (مالا يتم الواجب الا به فهو واجب) فقال ولعله قد ادرك الهوة القائمة بين هذا الاطلاق الغير مضمون وبين ماتوجبه النظرة المنهجية لواقع الامر فمبدأ الفصل بين السلطات في مفهومه السليم يعد ضمانة أساسية من ضمانات الحرية السياسية وهذا موقف جديد ومتقدم للمؤلف خارج مايوحي به استخدامه لمصطلح (الجماعة) التي لاندري ماذا يعني به هل المفهوم السياسي الديموقراطي (الامة) ام المفهوم الفقهي .

رقابة المشروعية :-

ومن الضمانات القانونية التي تناولها المؤلف ص ٥٥٠ رقابة دستورية القوانين وتشتمل على :-

أ ـ صيغة الرقابة السياسية
ب ـ صيغة الرقابة القضائية وما نتج عنها من رقابة الامتناع ورقابة الالغاء . .

كما يذكر المؤلف رقابة التشريع الفرعي على انها من الضمانات الاساسية للحرية السياسية مع اختلاف الدول في نوع النظام القضائي الذي يتولى الرقابة على الاعمال القانونية الفرعية فيها حيث سلكت مسلكين مختلفين هما :ـ

أ ـ رقابة القضاء العادي
ب ـ رقابة القضاء الاداري . .

■■ الضمانات الواقعية :ـ

يذكر المؤلف ص ٥٦٧ إن الضمانات القانونية للحرية السياسية تكون محدودة الاثر تجاه الحاكمين لانها ترتكز على فرضية مسبقة وهي : رضاء القائمين بأمر السلطة بمضمونها ولذا وجب البحث عن ضمانة واقعية لاجبار ـ الحاكمين ـ على احترام القيم السياسية والدستورية التي تؤمن بها الجماعة وهذه الضمانات هي :ـ

■■ أولا : العدل الاجتماعي :ـ

لاهمية هذا الموضوع يقدم المؤلف شرحا وافيا يربط بين تعاليم المذهبية الاسلامية على مستوى العقيدة والفكر الانساني وبين المجتمع واستقراره وسيادة الدولة ، حيث خلص ـ المؤلف ـ الى القول :ـ [ان الحرية السياسية لايستقيم عودها ولا يقوم حكمها الا في ظل عدل اجتماعي وفي المقابل لايتحقق العدل الاجتماعي الا اذا استند الى حرية سياسية]

ويستعرض المؤلف مضمون العدل الاجتماعي في المذهبية الاسلامية حيث يقول (تضمنت المذهبية الاسلامية الكثير من القواعد المالية والاقتصادية التي يجب ان تسير الانسانية كلها على منوالها باعتبارها موجهة الى الانسانية وهذه القواعد هي :ـ

القاعدة الاولى: ارتباط العدل الاجتماعي بالتنظيم الالهي في كل شيء . .

القاعدة الثانية : ان المال مال الله وللبشر حق الانتفاع به

القاعدة الثالثة : عدم فرض المساواة الحرفية في حق الانتفاع

القاعدة الرابعة : عدم مشروعية انحباس الثروة في أيدي قليلة من الجماعة وهذه كلها منطلقات وردت في الميثاق الوطني الذي يعد في نظري ـ مفخرة العصر الحديث لكل اليمنيين فكرا وسياسة ، وثقافة . .

ثانيا : الرأي العام :ـ

ومن الضمانات الواقعية (الرأي العام) الذي تناول المؤلف تعريفاته وأهميته جازما ـ بعدم الجدوى منها الا في ظل نظام سياسي مفتوح تقوم فيه الحريات السياسية بدور الرقيب الشعبي على سلوك الحاكمين وتوجهاتهم . .

ويتناول المؤلف عوامل تكوين الرأي العام ابتداء من الموروث الحضاري الثقافي ، والحوادث والمشكلات والاعلام ، والدعاية والشائعات وآخرها ـ وهي الاهم ـ الزعماء والقادة . .

ويستعرض المؤلف ص ٥٩٩ عوامل التأثير في اتجاهات الرأي العام وهي :ـ

أ ـ الاحزاب السياسية
ب ـ جماعات الضغط

■■ ثالثا : مدى حق الافراد في مقاومة الظلم الواقع :ـ

يستعرض المؤلف ص ٦١٥ مدى حق الافراد في مقاومة الظلم الواقع من السلطة وشرعية الخروج عليها . .

ففي المذهبية الوضعية يقول المؤلف (في ظل المذهبية الوضعية في جانبها الماركسي وهو حديث لامعنى له . . لأن السياق الفكري للفلسفة الماركسية لايتسق مع منطق هذا الموضوع ابتداء) . .

أما في الجانب التحرري أو الليبرالي فأنقسموا ـ قديما وحديثا ـ إلى مؤيد ومعارض .

أولا : المعارضون للمقاومة والخروج :ـ

ويعتبر (هوبز) علما فكريا بارزا في رفض مقاومة السلطة

والخروج عليها . . كما يعتبر (بوسويه) واحدا من دعاة الحكم المطلق في أوروبا مفي القرن السابع عشر وحتى اوائل القرن الثامن عشر ومن المعترضين لفكرة الخروج على السلطة في العصر الحديث كان فقيه القانون (اسمان) كما ذهب الى نفس الرأي (كاريه دي مالبرج) بحجة أن القانون يعتبر قاعدة سامية لايمكن المساس بها لانها تعبير عن الارادة العامة المنبثق عن مجموع الارادات الفردية يقابل ذلك نظرية المذهبية الاسلامية .

ثانيا : المؤيدون للمقاومة والخروج :-

ويذكر المؤلف في ص ٦٢١ فكرة مقاومة الحاكمين والخروج عليهم فيقول (مع بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر اضحت فكرة المقاومة فكرة حية بعد أن تم بناؤها على أسس عقلانية ويعتبر (جون لوك) أول رائد من رواد انصار المقاومة للسلطة والخروج عليها المبنية على أسس عقلانية مستمدة من القانون الطبيعي كما ذهب الى ذلك جوزيف برستلي .

أما المؤيدون للمقاومة والخروج في الفكر السياسي المعاصر فمنهم (العميد د. يحيى) و(موريس هوريو) و(بيردو). وقد عقب المؤلف ص ٦٢٥ بقوله (مهما كانت الاغراقات النظرية في تبرير فكرة الخروج على السلطة في المذهبية الوضعية التحررية فأنها غير فعالة لان فكرة (القانون الطبيعي) يكتنفها الغموض وينقصها التحديد ولان تلك الرؤى لاتعدو ان تكون شعارات فلسفية تجريدية لاتقوى على التأثير في النفوس).

مدى شرعية المقاومة والخروج في المذهبية الاسلامية :-

يمهد المؤلف تحت هذا العنوان بقوله (تعتبر فكرة مقاومة السلطة والخروج عليها - عند جنوحها الى هاوية الاستبداد والطغيان - واحدة من المسائل الفقهية التي دار حولها جدل كبير في موروثنا الفقهي السياسي والدستوري بعد ان تحولت السلطة من خلافة راشدة الى ملك عضوض معرجا على نظرية الخروج كمسألة خلافية بين بعض المذاهب والاراء الفقهية الاسلامية ، منهم السلفيون اهل الجماعة الذين لايقرونها الا بأسباب ترقى الى الكفر البواح ، اما الظلم والاستبداد فلا لانها مفسدة صغيرة ، يمكن تداركها بالوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقديم النصيحة نظرا الى ماقد ينتج عن غياب السلطة او الخروج على الحكام من فتن وفساد وتعطيل للاحكام على حد قولهم ولا يخفي مافي هذا من تناقض كان مبعثه التواطؤ على المصالح المشتركة. السبب الرئيسي في ذلك كله هو غياب الاساس الدستوري والمنهج الديموقراطي في التجربة الاسلامية منذ البداية ، والتجمد حول نقطة البدء الاولى للممارسة والقياس عليها الامر الذي جعل السلطة هدفا للصراع بصفتها حقا الاهيا أو متاعا موروثا . .

ويذكر المؤلف ملاحظتين قبل ان يفصل هذا الموضوع :-

الملاحظة الاولى: ان قيام الدولة على الاسس والطرق الشرعية يستوجب لزوم الطاعة (ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (٦) . .

الملاحظة الثانية : ان مدار البحث في مدى شرعية الخروج والمقاومة في الفقه السياسي والدستوري الاسلامي يرتكز على فرضية مسبقة وهي ان يكون الموقف المعلن للحاكمين هو الاعتماد على المذهبية الاسلامية عقيدة وشريعة الا انهم لايحترمون قواعد الشرعية امـا اذا كان الموقف المعلن لهم هو رفض المذهبية الاسلامية عقيدة وشريعة واستبدالها بمذهبية اخرى . فيقول المؤلف - لامجال حينئذ للبحث في مدى شرعية الخروج والمقاومة . .

وقد أدت الظروف والملابسات التاريخية الى خلق ثلاثة اتجاهات هي :-

الاتجاه الاول: الداعي الى الثورة بصرف النظر عن التمكن .

الاتجاه الثاني : الداعي الى الصبر والمقاومة السلبية

الاتجاه الثالث : الداعي الى الثورة بشرط التمكن . .

وقد تناول المؤلف هذه الاتجاهات وأدلتها سواء من الكتاب والسنة والسوابق التي ارساها الخلفاء الراشدون . .

واستعرضنا مناقشة أدلة كل اتجاه واصحاب كل اتجاه . .

وقد اخذ المؤلف بمذهب (التمكن) الذي هو مذهب ابن حزم والجويني والامام ابو حامد الغزالي من المجتهدين قديما ومذهب الدكتور علي جريشه حديثا وفصل المؤلف معيار الدكتور علي جريشه بقوله (ان الثورة مشروعة في المذهبية الاسلامية اذا وصل الفساد في النظام الاجتماعي العام الى درجة الانكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة وكل ذلك مشروط بانسداد كل الطرق السلمية للتغيير وبالوثوق او غلبة الظن بنجاح الثورة .. ولا يخفي ما في هذا الموقف من وهن بصفته المحصلة لنهائية لهذا البحث الجاد والصريح ..

وبعد :-

فهذه دراسة علمية ، موثقة مقارنة للمذهبيات السياسية السائدة في العالم المذهبية الوضعية في جانبيها (التحرري ، والماركسي) والمذهبية الاسلامية ..

والحق ان المؤلف - مشكورا - قد اعطى الموضوع جهده من الدراسة والبحث والموضوعية وبالرجوع الى ذلك الكم الهائل والمتنوع لتلك المصادر والمراجع وباسلوب علمي يضع المذهبية الوضعية بشقيها والمذهبية الاسلامية في الميزان ..

وكل باحث ومحب للحقيقة - ومن خلال الاطلاع على محتوى الكتاب - سيجد مدى ركاكة الاصول الفكرية التي قامت عليها المذهبية الوضعية .. لفقدانها مقومات البقاء والاستمرار سيما اذا تسلحت بالقهر والاستلاب وكم هي معرضة للتكلس والجمود اذا ظلت خارج حركة التأريخ وبعيدا عن قوانين التطور ..

وهنا لم يبق الا الاخذ بالمذهبية الاسلامية التي هي صالحة لكل زمان ومكان .. لانها تقوم على التأصيل الالهي الرباني للحرية بالوجدانية وبنظرتها الشمولية للانسان والكون والحياة ..

الا ان هذه النظرية ماتزال بحاجة الى كثير من البحث الموضوعي المتجرد والشجاع المنسجم مع عالمية الرسالة وديمومتها والذي يؤكد سلطة العقل والعلم والعمل الصالح الذي يحقق بدوره مصلحة الفرد من خلال المصلحة العامة للمجتمع في عقيدة ارتكز محورها على قاعدة التوحيد كعله غايتها كرامة الانسان وحريته والتسامي في كل الاتجاهات والابعاد كخليفة لله سبحانه وتعالى لاعمار الارض بالخير والحب والجمال على طريق الكمال ..

الهوامش :-

١ - الاية رقم (١٣) من سورة الحجرات
٢ - الاية (٣٠) من سورة البقرة
٣ - سورة آل عمران الاية (١٥٩)
٤ - سورة الشورى الاية رقم (٣٨)
٥ - سورة آل عمران رقم (١٥٩)
٦ - سورة النساء الاية رقم (٥٩)
٧ - سورة يونس الاية : ٣٢



أهمية التعليم الابتدائي وإعداد المعلم الكفؤ في الشطر الشمالي

د/ بدر سعيد الأغبري (١)

أولا: الاطار العام للبحث:-

مقدمة:-

يعد التعليم الابتدائي المدخل الرئيسي لهيكل النظام التعليمي ، كما انه القاعدة الاساسية لسلم هذا الهيكل ، تتأثر بكفاءته كفاءة النظام ، وهو بالنسبة للمتعلم مرحلة الامداد بالاساسيات التي يمكن الانطلاق منها الى التحصيل والتعليم ، كما أنه يمثل الحد الادنى الذي التزمت به جميع الدول وفقا لما ورد بالاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ - بتوفيره لكل ناشيء . .

ولكن لاتزال معظم البلاد العربية عاجزة عن تعميم هذه المرحلة لكل الاطفال - ومنها اليمن - الذين بلغوا سن المدرسة ، اذ ان الرغبة في التوسع واستيعاب اعداد كبيرة كانت في كثير من الاحيان على حساب الجانب الكيفي وبذلك تضخمت مشكلة التعليم الابتدائي فاتسم بالقصور كما وكيفا . . (١)

والمعلم في العملية التربوية بشكل عام وفي المرحلة الابتدائية بشكل خاص هو محورها الذي يتوقف عليه نجاح التربية في بلوغ غايتها وتحقيق دورها في التقدم الاجتماعي والاقتصادي ، ولهذا فان تحقيق اهداف العملية التعليمية يتطلب وجود المعلم الكفء الذي يقوم اعداده وتدريبه على استيعاب متطلبات العصر وخصائصه . .

فالمعلم الجيد مع مناهج ليست بالجودة المطلوبة يمكنه ان يحدث أثرا طيبا في سلوك تلاميذه ، فعن طريق تفاعل التلاميذ مع المعلم يتعلمون كيف يفكرون وكيف يكتسبون المعرفة والمهارات والقيم ثم كيف يستفيدون مما تعلموه في تعديل سلوكهم في الوقت الحاضر والمستقبل . . ومهما حدثت من تطورات في تكنولوجية التعليم فلن يأتي اليوم الذي يمكن ان نستغني فيه عن المعلم (٢) . .

ولعل مما يزيد من مسئولية المعلم في الدول النامية ، ولا سيما في اقطارنا العربية ان تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها يجعل المدرسة مركزا هاما من مراكز الاصلاح العام ويجعل المعلم عاملا أساسيا من عوامل النهضة تعتمد عليه تلك الدول في تحقيق اغراضها وبلوغ غاياتها . . (٣)

وقد أثبتت العديد من الدراسات التربوية وجود علاقة مباشرة بين درجة تطور المجتمعات المتقدمة ومدى كفاية اعداد المعلم فيها ، ، كما اثبتت ايضا ان اعداد المعلم وتدريبه يعتبر احد مؤشرات النمو والتطور فيها (٤)

ولذلك فان الظروف الحاضرة في كثير من الدول

بحث مقدم الى المؤتمر الاول عن المدرسة الابتدائية (الحلقة الاولى من التعليم الاساسي) ٢٤ - ٢٦ سبتمبر ١٩٨٨م - كلية التربية جامعة قناة السويس بالاسماعيلية

اصبحت تلقى على المعلم وعلى مهنة التعليم مسئولية كبيرة وتقتضي من المعلم ان يكون موجها ومرشدا وقائدا تربويا واداريا ناجحا ومصلحا في المدرسة والبيئة المحيطة بهاءان المعلمين في المرحلة الابتدائية يشكلون الغالبية العظمى بالنسبة لجميع العاملين في قطاع التعليم العام والتعليم الفني والمهني وهذه الفئة كما هو معروف ومتبع في معظم الدول تربطها علاقة حساسة مع المجتمع لانها مؤتمنة على اغلى مايملكه المجتمع من ابنائه وناشئته الا وهم الاطفال الذين هم في سن هذه المرحلة . . (٥)

ومن ثم اخذت معظم الدول تعمل على اطالة مدة الالزام ليشمل ثماني سنوات او تسع سنوات ليشمل المفهوم التقليدي سنى التعليم الابتدائي والتعليم الاعدادي بعد اختصارها مما سيفرض نوعا جديدا من المعلم تتحقق فيه الدراية العلمية مع الثقافة العامة والمهارات الفنية (المهنية)ءان الاخذ بهذا المبدأ سيجعل المرحلة الاولى تستند الى مناهج من نوع جديد تختلف في نوعيتها وفي حجمها على المناهج القائمة (٦) . .

كما ان التدريب في اثناء الخدمة من الامور الهامة في تربية المعلم . .

واذا كان الاعداد هو بداية النمو المهني ، فان التدريب في اثناء الخدمة هو الضمان الوحيد لاستمرار هذا النمو المهنى الذي يرفع كفاءة المعلم . . والتدريب في اثناء الخدمة يختلف باختلاف المعلمين ، فهناك التدريب للتطوير والنمو المهنى ، وهناك التدريب للتأهيل ورفع المستوى الى الحد الادنى المطلوب ، كما هو معمول به لتأهيل المعلمين الذين لايحملون المؤهلات العلمية (٧) . .

وفي الجمهورية العربية اليمنية (تعد مشكلة المعلم واعداده تحديا حضاريا يترتب عليه درجة تقدمنا في تجاوز مرحلة التخلف التي فرضها الماضي علينا ، فالتعليم قد نما نموا ملحوظا لم يرافقه النمو المطلوب في اعداد المعلمين ولا في التشريعات التي تشجع الاقبال على المهنة والاستمرار فيها (٨) . .

ورغم الاهتمام الذي لقيته معاهد المعلمين والمعلمات من الدولة في سبيل توفير كل الامكانات اللازمة من أجل اعداد معلمين للمرحلة الابتدائية الا ان هذه المعاهد لم تتمكن من مسايرة التطور في اعداد الطلاب والمدارس وهذا جاء نتيجة للاقبال الضئيل على الالتحاق بهذه المعاهد بالاضافة الى ذلك ان الملتحقين بهذه المعاهد جآوا من الطلاب ذوي الدرجات الضعيفة أو المحتاجين للمساعدات التي تقدمها هذه المعاهد (٩) . .

مشكلة البحث :-

هناك شكوى مستمرة من ان التعليم الابتدائي لم يحقق اهدافه بل ان انخفاض مستوى التعليم بهذه المرحلة نتيجة طبيعية للاثار التى ترتبت على التوسع في التعليم الابتدائي ، حتى اصبحت الشكوى عامة من ان المدرسة الابتدائية لم تؤد وظيفتها كاملة وقد تمتد هذه الشكوى فتصل الى حد القول بان خريجي هذه المدرسة لايعرفون او لايستطيعون القراءة والكتابة (١٠) ومن جملة الاسباب التي ادت الى هذا الواقع مشكلات المعلم واعداده في هذه المرحلة والتي تتمثل فيما يلي :- (١١)

١ - اضطراب في اوضاع اعداد المعلمين والمعلمات . .
٢ - النقص الكبير في أعداد الملتحقين بمعاهد المعلمين والمعلمات.
٣ - ضعف المستوى العلمي والتربوي
٤ - النقص الكبير في التدريب
٥ - ضآلة عدد الملتحقين بمعاهد المعلمين والمعلمات . .

وفي ضوء هذا يرى الباحث ضرورة دراسة هذه المشكلة وتوضيح ابعادها ثم الحلول المناسبة لعلاجها . .

وعلى ذلك يمكن صياغة المشكلة في التساؤلات التالية :-

١ - ماواقع معاهد اعداد المعلمين والمعلمات للمرحلة الابتدائية في الجمهورية العربية اليمنية؟ . .
وما أهم المشكلات التي عملت على خلق جوانب الضعف والقصور في هذا الاعداد . . ؟؟
٢ - ماسياسة إعداد المعلمين وتدريبهم للمرحلة الابتدائية في الجمهورية العربية اليمنية . .
٣ - ماالصورة المستقبلية لمعاهد اعداد المعلمين والمعلمات والتي يمكن ان تفي بمتطلبات وزارة التربية والتعليم من المعلمين . . ؟؟

أهداف البحث :-

يهدف هذا البحث الى تحقيق الاهداف التالية :-

١ - بيان اهمية دور المعلم في العملية التربوية
٢ - بيان وسائل معالجة العجز الشديد في معلمي التعليم الابتدائي في الجمهورية العربية اليمنية . .
٣ - تقديم بعض المقترحات التي يمكن ان تؤدي الى تحسين وتطوير معاهد المعلمين والمعلمات في اليمن . .

منهج البحث :-

استخدم في البحث المنهج الوصفي لوصف المشكلة وتوضيحها من الناحية التاريخية والاجتماعية مع تحليلها من خلال القرارات والقوانين والمراجع والاحصاءات الصادرة عن وزارة التربية والتعليم وكذا بعض الدراسات السابقة والمتعلقة بموضوع الدراسة . .

حدود البحث :-

يقتصر البحث على تناول اعداد وتدريب معلمي المرحلة الابتدائية دون سواها من المراحل التعليمية الاخرى في الجمهورية العربية اليمنية . .

مصطلحات البحث :-

المعلم :-

يقصد بالمعلم في الجمهورية العربية اليمنية (هو من يمارس مهنة التعليم في اي من المراحل الدراسية قبل المرحلة الجامعية ويحمل ترخيصا لممارسة هذه المهنة (١٢)

مفهوم التدريب

يعرف BRian Case مفهوم التدريب بأنه كل الحلقات الدراسية والنشاطات التي يشترك فيها المدرس بهدف زيادة معلوماته المهنية وميوله ومهاراته ويدخل في هذا جميع الدراسات التي تؤهله لشهادات اعلى من شهاداته الاصلية التي اهلته لدخول المهنة . . (١٣)

الدراسات المتصلة بالموضوع :-

لم يعثر الباحث على دراسة انفردت ببحث عن اعداد المعلم وتدريبه في الجمهورية العربية اليمنية مباشرة سواء في التعليم الابتدائي او الاعدادي او الثانوي ، ولكن هناك بعض الدراسات تناولت هذا الجانب من عدة زوايا يمكن الافادة منها ، بالاضافة الى الدراسات العربية والتي هي وثيقة الصلة بالبحث الحالي نذكر اهمها فيما يلي :-

١ - دراسة تحليلة لبعض مشكلات معلم المرحلة الابتدائية في الجمهورية العربية اليمنية (١٤)

تناولت هذه الدراسة تطور التعليم بمختلف مراحله بالجمهورية العربية اليمنية وذلك قبل الثورة وبعدها واشارت الى ما اعترضه من عقبات وصعاب حالت دون تحقيق ماكان يطمح اليه الشعب اليمني ، وقد دارت هذه الدراسة حول المحاور التالية :-

أوضاع التعليم قبل الثورة ، اعتماد اليمن على الخبرات التعليمية العربية ، الاهداف العامة للمراحل التعليمية المختلفة ظاهرة عزوف الشباب اليمني عن مهنة التدريس ثم اهم المشكلات التي تواجه معلم المرحلة الابتدائية - دراسة نظرية وميدانية - وقد توصلت الدراسة الى ان هناك عجزا كبيرا في معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية وصل الى ٦٤٪ في العام الدراسي ١٩٧٧/٧٦ ، ولكن سرعان ما أرتفع الى ٨٠٪ في تقديرات احتياجات عام ١٩٧٩/٧٨م ، كذلك هناك توسع كمي في التعليم الابتدائي دون التوسع الموازي في اعداد معلمي ومعلمات تلك المرحلة ، حيث ارتفع عدد طلاب التعليم الابتدائي من ٦١٣٣٥ تلميذ وتلميذة عام ١٩٦٣/٦٢م الى ٢٥١٢٨٦ عام ١٩٧٨/٧٧ مع ان عدد طلاب وطالبات المعاهد الاولية والعامة ارتفع من ٥٥ طالبا وطالبة في عام ١٩٦٤/٦٣ الى ١٦١٧ في عام ٧٧/ ١٩٧٨ ، وهذا يعود الى سوء تخطيط العملية التعليمية ، حيث تدل الاحصاءات والتقديرات التربوية على وجود تفاوت

كبير بين الواقع والخطط التقديرية لاحتياجات التعليم الابتدائي نتيجة لتعدد مصادر الاحصاء وعدم الدقة في جمعها.

٢ ـ دراسة حول توفير المعلم والاحتفاظ به في الجمهورية العربية اليمنية (١٥)

تدور هذه الدراسة حول كيفية توفير المعلم والاحتفاظ به في مهنة التدريس بمدارس التعليم العام في اليمن وذلك من خلال استبيان اعد من قبل المختصين بمركز البحوث والتطوير التربوي للمعلمين وطلاب التعليم الاعدادي والثانوي ، وتدور اسئلة الإستبيان حول اسباب الالتحاق بمهنة التدريس او العزوف عنها ، وايضا حول اسباب الالتحاق بمعاهد المعلمين او كلية التربية بالاضافة الى ذلك وزع استبيان لطلاب الشانوية العامة حول رغبتهم في الالتحاق بكلية التربية وكذا طلاب الاعدادية العامة في التحاق بمعاهد المعلمين والمعلمات ، وقد خرجت الدراسة بان هناك عزوفا عن مهنة التدريس والتسرب منها وذلك يعود كما جاء في الترتيب الى عوامل مادية واجتماعية بالدرجة الاولى وعوامل مادية وادارية بالدرجة الثانية . .

وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من الاقتراحات من أهمها :ـ

١ ـ زيادة مرتبات المعلمين والمهن التعليمية الاخرى بشكل يتناسب مع صعوبة المهنة ومشقتها ويتفق مع شرف المهنة ونبلها .ويساعد على اجتذاب الشباب اليها . .

٢ ـ وضع نظام للترقية يوازي درجات الكادر العام ويضمن للعاملين في المهن التعليمية والمهن المساعدة لها والحصول عليها في مواعيدها المقررة دون الحاجة الى تغيير وظائفهم او مواقع اعمالهم . .

٣ ـ انشاء نظام متطور داخل وزارة التربية ومكاتبها في المحافظات والمراكز التعليمية لحفظ وحماية سجلات المعلمين وبياناتهم الوظيفية والعلمية والمهنية واستعمالها بشكل دقيق ومنظم في تحديد مرتباتهم وبدلاتهم وترقياتهم وعلاواتهم وتخطيط برامج لزيادة تخصصهم العلمي وتدريبهم . .

٣ ـ وقائع ندوة اعداد المعلم بدول الخليج العربي (١٦)

تعرضت هذه الندوة الى واقع اعداد المعلم بدول الخليج حيث قدمت عدة بحوث تناول البعض منها ، دراسة لواقع اعداد المعلم بدول الخليج العربي وتدريبهم اثناء الخدمة والاتجاهات الحديثة في مجال اعداد وتدريب المعلمين والتطوير المهنى لاعداد المعلم والمشكلات التي تواجه المعلم وطرق علاجها والاتجاهات العالمية في اعداد المعلمين . .

وقد خرجت الندوة بعدة توصيات من اهمها :ـ

أ ـ ان تعمل دول الخليج العربي على توحيد مصادر اعداد المعلم كلما كان ذلك ممكنا . .

ب ـ ان تضع دول الخليج العربي في خططها العمل على الا يقل مستوى الاعداد العلمي والمهني في جميع المراحل التعليمية عن الشهادة الجامعية . .

ج ـ ان تعمل دول الخليج العربي على تحسين الاوضاع المادية والاجتماعية للمعلمين بما يسد الفجوة بينهم وبين نظرائهم في المهن الاخرى وتوفير الحوافز المناسبة لهم . .

٤ ـ دراسة جدوى وامكانية تطوير برامج وأساليب تدريب المعلمين في اثناء الخدمة بالبلاد العربية . . (١٧)

استهدفت هذه الدراسة بحث البدائل التي يمكن للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ان تسهم فيها او تنفيذها لتطوير برامج وأساليب التدريب أثناء الخدمة، وكذا دراسة الوضع القائم في مؤسسات التدريب في اثناء الخدمة بالاضافة الى دراسة الاتجاهات العالمية الحديثة والمستحدثات والتقنيات المستخدمة في تدريب المعلمين اثناء الخدمة بالاضافة الى ذلك دراسة الحاجات الفعلية للدول العربية في مجال تدريب المعلمين في أثناء الخدمة وما يمكن ان تقوم به المنظمة لتلبية هذه الاحتياجات واخيرا تقويم مدى فعالية البرامج والاجهزة والانشطة التدريبية المستخدمة حاليا في الدول العربية . .

وقد أوصت هذه الدراسة بضرورة التوصل الى صيغ ملائمة لاجهزة التدريب وهياكله التنظيمية على الصعيدين المركزي والمحلي تستجيب للحاجات المتنامية لمطالب التطوير الكيفي والكمي للتدريب ، وكذا توفير برامج تدريبية تتميز بالتنوع والمرونة والتوجه نحو العمل استجابة للحاجات التربوية للعاملين في الحقل التربوي الى جانب اعادة النظر في أساليب التدريب الشائعة الاستخدام في الوطن العربي والانفتاح على

الاساليب المستحدثة التي تحرص على تحقيق التكامل بين عدد من الانشطة التدريبية في تنسيق وتناغم يستهدفان تنمية الكفايات المهنية للمتدربين مع تطويع هذه الاساليب المستحدثة لمتطلبات الواقع العربي . .

٥ - حلقة المسئولين عن تدريب المعلمين اثناء الخدمة :- (١٨)

قدمت في هذه الحلقة بحوث واستبيانات تناولت منها واقع التدريب ومشكلاته في الوطن العربي ومشكلات اعداد المعلم وتدريبه اثناء الخدمة وكذا مفاهيم جديدة في اعداد وتدريب المعلمين والعاملين في القطاع التربوي اثناء الخدمة ودور المعلم والعوامل المؤثرة فيه . .

وقد أوصت الحلقة ان تكون برامج التدريب على أسس علمية بحيث تسبقها دراسات ميدانية تهدف الى حصر المشكلات وتبويبها وتحديد الاولويات التي ينبغي ان تتناولها البرامج مع مراعاة الامكانات وظروف الدراسين وكذا تخصيص مدارس تجريبية تلحق بكليات التربية ومعاهد المعلمين حتى يتم تطبيق واستثمار النظريات التربوية وتجريب المستحدثات الخاصة بهذا المجال بالاضافة الى تبادل الخبرات العربية بين الدول العربية في مجال تدريب المعلمين في اثناء الخدمة . .

٦ - مؤتمر اعداد وتدريب المعلم العربي (١٩)

استهدف هذا المؤتمر دراسة عملية اعداد المعلم العربي وتدريبه كي يواجه تحديات العصر الحديثه العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية واهم الموضوعات التي طرحت في هذا المؤتمر هي :-

أ - اسلوب اعداد لمعلم في المستويات المختلفة (التعليم العام) .
ب - الوضع الاجتماعي للمعلم
ج - تدريب المعلمين اثناء الخدمة
د - الحوافز اللازمة لتنشيط الاقبال على مهنة المعلم . .

وقد خرج المؤتمر بعدد من التوصيات بشأن رفع مستوى المعلم العربي من أهمها :-

أ - ان يصبح اعداد المعلمين تحت اشراف الجامعات
ب - ان تعمل الدول العربية على الافادة من التجارب والاتجاهات الحديثة في مجال الاختبارات والمقاييس للعمل بها في مجال اختيار المتقدمين للالتحاق بمعاهد المعلمين وكليات التربية . .
ج - تنظيم دورات تدريبية ومؤتمرات علمية تخصصية للمعلمين العرب
د - تقديم منح دراسية للمتفوقين من المعلمين بغرض تحسين المستوى التربوي والعلمي لهم . .

ويمكن ان نستخلص من الدراسات السابقة ، ان المعلم هو عصب العملية التعليمية والعامل الرئيسي الذي يتوقف عليه نجاح التربية في بلوغ غاياتها وتحقيق دورها في التقدم الاجتماعي والاقتصادي وفي ضوء ذلك ظهر اهتمام كبير من الدول العربية حيث نشطت المؤتمرات التربوية بمناقشة اوضاع المعلم منذ الخمسينات ، فقد انعقدت اول حلقة دراسية حول اعداد المعلم العربي في مراحل التعليم في لبنان عام ١٩٥٧م كذلك اجمعت الدراسات السابقة ، على ان يكون اعداد المعلم لمختلف المراحل التعليمية على مستوى الجامعة وان يتزود المعلم بالجديد من العلوم التربوية من خلال المؤتمرات التربوية والدورات التدريبية اثناء الخدمة . .

ثانيا: اعداد معلم المرحلة الابتدائية وتدريبه ومشكلاته في اليمن :-

■■ تمهيد :-

إننا نعيش في ثورة مستمرة مع التجديد العلمي وفي مجتمع متطور يريد ملاحقة العصر ونجاح المجتمع اليمني يتوقف على الكفاية الاجتماعية لكل مواطن فيه ، والطريق الى تحقيق هذه الكفاية يتطلب سياسة تعليمية وتربوية رشيدة تقوم على الكم والكيف معا . .

ويتحقق الكم بالتزام الدولة باستيعاب التعليم الالزامي لجميع الاطفال من سن السادسة كما يتحقق الكيف اذ يتزود كل فرد بالقدر الاساسي من المعارف والمهارات الفنية والعلمية التي لاغنى عنها للمواطنة المستنيرة ومواجهة متطلبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ،هذا فضلا عن الجانب القيمي الذي يسمو بالانسان كانسان . .

وفي هذا البحث سوف لانتحدث عن السياسة التربوية بأهدافها العريضة وجوانبها المتعددة من حيث السلم التعليمي والخطط الدراسية والمناهج الدراسية

والادوات والمباني المدرسية وعمليات التدريس والتوجيه الفني .. الخ .. لا للتقليل من اهميتها ولكن للتركيز على دعامة أساسية وهي اعداد المعلم الكفء المتطور الذي تتسع ثقافته لاستيعاب فلسفة هذا المجتمع والذي يتمكن من تطويع كل الامكانات المتاحة له للاغداد القومي والاجتماعي ..

١ - واقع اعداد المعلم قبل الثورة وبعدها :-

كان التعليم في اليمن على اثر خروج الاتراك من اليمن عقب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ منتشرا في كتاتيب بالمدن والقرى تسمى بالمعلامة (٢٠)

ولم تفكر الحكومة اليمنية انذاك في انشاء المدرسة الا في عام ١٩٢٥م اذ بدأت بمدرسة الايتام الابتدائية ، وكذا المدرسة العلمية التي تساوي في مناهجها مناهج الازهر الشريف في ذلك الحين وهي التي اعدت خصيصا للقضاة والحكام بالاضافة الى اعداد موظفين لكل الدوائر الحكومية آنذاك . (٢١)

وبالنسبة لسياسة اعداد المعلم في اليمن قبل الثورة يمكن القول فيها بانه لاتوجد سياسة واضحة فقد كان هناك مايسمى بدار المعلمين بصنعاء قبل ثورة ١٩٦٢ هذه الدار تقوم على تخريج معلمين يخدمون التعليم في ذلك الوقت باهدافه ومناهجه المعروفة والذي كان مقتصرا على تعليم بدائي يقصد منه تخريج افواج من الكتبة والموظفين محدودي المستوى قدرة واداء . (٢٢)

وتشير احدى المراجع «ان المعلم قبل الثورة كان لايشترط فيه دائما المؤهل العلمي (الشهادة) بل كان يكفي فيه القدرة على التدريس في المرحلة المناسبة له وكانت هناك ثلاثة مستويات من معلمي المرحلة الابتدائية من بين خريجي دار المعلمين أو من حملة الشهادة الابتدائية أو منهم من لا شهادة له وهم المختارون من قبل الاهالي (٢٣) وبعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ عملت وزارة التربية والتعليم على فحص مؤهلات المعلمين الذين يعملون بمختلف المراحل التعليمية قبل الثورة وتبين منها ان دار المعلمين تغطي نسبة كبيرة من معلمي المرحلة الابتدائية حيث وصلت الى ١٢٫٥٪ من نسبة المؤهلين للتدريس بالاضافة ان اغلبية المدرسين في التعليم كان ينقصهم المؤهل الدراسي اذ كانوا يمثلون ٦٥٫٣٪ من نسبة المعلمين وأن نسبة ٣٤٫٧٪ فقط هم المؤهلون للتدريس ، مما حدا بوزارة التربية والتعليم الى تدريب المعلمين غير المؤهلين في دورات تدريبية متتابعة لرفع كفاءتهم العلمية والوظيفية (٢٤)

مما سبق يتضح ان اعداد المعلم ماقبل الثورة كان محدودا جدا ولا وجود له بالمعنى الحديث ، وبعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م والتي تمثل نقطة تحول في حياة الشعب اليمني ، فقد كان احد اهدافها (رفع مستوى الشعب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا) وفي ضوء ذلك صدر اول تشريع تربوي عام ١٩٦٣م وهو قانون رقم (١٦) لسنة ١٩٦٣ (٢٥)، بشأن تشكيل وزارة التربية والتعليم وتحديد اختصاصها ومن هذا القانون بدأت وزارة التربية تأخذ مسارها الجديد على اسس علمية حديثة ، وقد اتجهت الوزارة بعد الثورة الى الاهتمام بالمعلم اليمني من خلال انشاء معاهد المعلمين والمعلمات حيث عملت على بناء معاهد أولية بهدف اعداد مدرس المرحلة الابتدائية وكان مستوى القبول بهذه المعاهد هو الشهادة الابتدائية ..

ونظرا لاقبال الشعب اليمني على التعليم والزيادة المستمرة على اعداد المدارس والتلاميذ كان لابد من التفكير بإفتتاح معاهد المعلمين والمعلمات لتوفير المعلم المؤهل مهنيا وثقافيا لمواجهة الاحتياجات من الكوادر المؤهلة للعمل في حقل التدريس الى جانب قيام وزارة التربية بتوظيف الراغبين للعمل في حقل التدريس من حملات المؤهلات الابتدائية وما دونها وعقدت لهم دورات تدريبية لتأهيلهم للقيام بمهام التدريس على خير مايرام .. (٢٦)

وفي عام ١٩٦٣ افتتح اول معهد معلمين اولى بصنعاء مكون من فصلين دراسين وفي نفس العام افتتح معهد اخر بتعز ، وكانت هذه المعاهد الاولية عبارة عن فصول ملحقة بالمدارس الاعدادية وليست معاهد مستقلة بذاتها ، وفي عام ١٩٦٧/٦٦ تم ايضا افتتاح معاهد أولية خاصة بالبنات في كل من صنعاء وتعز وتم التوسع في بناء المعاهد الاولية بعد ذلك حتى وصل عددها عند بداية الخطة الخمسية الأولى للدولة (١٩٧٧/٧٦) ثمانية معاهد وعدد الطلاب ٢٥٣ طالبا وعدد الطالبات ٣٨٣ طالبة ويرجع الباحث أسباب اقبال الطالبات على معاهد المعلمين اكثر من الطلاب الى عوامل اهمها :-

١ ـ أنه في بداية فكرة انشاء معاهد المعلمين الاولية لم تكن هناك مدارس اعدادية خاصة بالبنات . .

٢ ـ ان العادات والتقاليد ومنها الحجاب بالنسبة للمرأة جعلها تفضل الاشتغال بالتدريس بعد التخرج بدلا من العمل في مؤسسات الدولة الاخرى . .

٣ ـ ان الكثيرين من الاهالي يفضلون ارسال بناتهم للدراسة في معاهد المعلمات هذا بالاضافة الى المكافآت التشجيعية التي تمنحها الوزارة للطالبات اثناء الدراسة . .

وقد قامت وزارة التربية عام ١٩٧٠/٦٩م بالغاء نظام المعاهد الاولية بالنسبة للبنين لاسباب تربوية اهمها : ـ (٢٨)

١ ـ ان هذا النظام يقبل الملتحقين به في سن مبكرة لاتمكنهم من الاختيار المناسب لنوع التعليم الذي يتناسب مع ميولهم واستعداداتهم مما يجعلهم يغيرون رغباتهم ويتسربون من هذه المعاهد في اثناء الدراسة او من المهنة بعد التخرج . .

٢ ـ ان المستويين العمري والعلمي للمتخرجين من هذا النظام لايؤهلانهم لحمل مسئولية التعليم والقيام بأعبائها على النحو المطلوب . .

ورغم الغاء نظام المعاهد الاولية الا ان وزارة التربية رأت اعادتها من جديد في عام ١٩٧٤/٧٣ وذلك لعدم الاقبال على الالتحاق بالمعاهد العامة على اعتبار ان المعاهد الاولية هي الاساس في امداد المعاهد العامة من الطلاب وفي عام ١٩٧٤م صدر قانون التعليم وتضمن قانونا لمعاهد المعلمين العامة والاولية(٢٩) ونص على ان تكون مدة الدراسة بالمعاهد الاولية اربع سنوات بعد الابتدائية ـ ولكن في الواقع الفعلي كان ثلاث سنوات ـ يتلقى الطلاب خلالها علوما ثقافية وتربوية ثم يحصلون بعد ذلك على دبلوم اولى ، اما معاهد المعلمين والمعلمات العامة فقد نص القانون على ان تكون مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد الاعدادية يتلقى الطالب خلالها مواد ثقافية وتربوية يحصل بعدها على دبلوم معلمين عام وفي عام ١٩٧٧/٧٦م اعدت وزارة التربية والتعليم خطة دراسة جديدة لمعاهد المعلمين والمعلمات لاولية وقد استهدفت اختصار مدة الدراسة في المعاهد الاولية الى سنتين بدلا من ثلاث سنوات ـ سميت بنظام التطوير (٣٠) الا ان هذا النظام لم ينجح لان الملتحقين به كانوا في سن مبكرة الى جانب ان المستوى العلمي والعمري لايؤهلهم لحمل مسئولية التعليم مستقبلا . .

وفي عام ١٩٨١م عاودت الوزارة مرة احرى الى الغاء معاهد المعلمين الاولية نظام الثلاث السنوات بعد الابتدائية واستبدالها بمعاهد المعلمين والمعلمات نظام الخمس السنوات بعد الابتدائية بهدف تلبية حاجات الريف اليمني من المعلمين بالدرجة الاولى (٣١) والمعمول به حتى الان . .

ولم يقف الحد عند ذلك فقد عملت الوزارة على تطوير اعداد المعلمين والمعلمات حيث افتتحت معاهد عامة كان اولها عام ١٩٦٩/٦٨ (٣٢) في صنعاء بمساعدة دولة الكويت الشقيق وتقبل من الحاصلين على الشهادة الاعدادية العامة ومدة الدراسة بهذه المعاهد العامة ثلاث سنوات يحصل المتخرج منها على دبلوم معلمين عام ، وقد تطورت هذه المعاهد وزاد عددها حتى اصبح الان احد عشر معهدا مع ملاحظة انها اقتصرت على المحافظات الرئيسية في اليمن فقط اذ بلغ عدد الطلاب الملتحقين بها الان ١٨٣٩ طالبا والجدول التالي يوضع فيه تطور معاهد المعلمين وطلابها وخريجيها بنظاميها القديم والحديث منذ عام ١٩٦٤/٦٣ وحتى عام ١٩٨٧/٨٦م .

يلاحظ من الجدول رقم (١) ان عدد الطلاب الملتحقين بمعاهد المعلمين لايتناسب والتوسع التعليمي الذي تشهده اليمن ، بالاضافة الى ان عدد المتخرجين والملتحقين في سلك التدريس ضئيل جدا قياسا الى التوسع الكبير في عدد المدارس سنويا اذ بلغ عدد المدارس في المرحلة الابتدائية في عام ١٩٨٨/٨٧ ٦٣٤٤ (٣٤) مدرسة وعدد المدرسين الثابتين من اليمنيين ٣٢٢١ مدرسا هذا في العام الدراسي ١٩٨٦/٨٥م (٣٥) اما عدد المدرسين غير اليمنيين فقد وصل عددهم الى ١٣٠٣٣ مدرسا (٣٦) مما يستدعي الامر الابقاء على الاستعانة بالخبرات العربية سنوات طويلة في مجال التعليم بشكل عام والتعليم الابتدائي بشكل خاص مالم تتخذ وزارة التربية سياسة اجرائية في قضية المعلم اليمني . .

وبصفة عامة يمكن القول ان السياسة التعليمية تجاه اعداد المعلمين للمرحلة الابتدائية منذ قيام الثورة وحتى الوقت الحاضر اتسمت بالتذبذب وعدم الاستقرار والارتجالية منها تعدد مصادر الاعداد

جدول رقم (١)
يوضح فيه تطور معاهد وطلاب وعدد خريجي معاهد المعلمين والمعلمات بنظاميها خلال الفترة ٦٣/ ١٩٦٤ وحتى عام ٨٦/ ١٩٨٧م (٥٢)

السنوات الدراسية	نظام المعاهد الاولية		نظام الثلاث سنوات		نظام الخمس سنوات		المجموع	المتخرجون كل عام
	معاهد	طلاب	معاهد	طلاب	معاهد	طلاب		
٦٣/ ١٩٦٤	١	٥٥	-	-	-	-	٥٥	-
٦٤/ ١٩٦٥	١	٢٤	-	-	-	-	٢٤	-
٦٥/ ١٩٦٦	٣	٩٠	-	-	-	-	٩٠	٥٥
٦٦/ ١٩٦٧	٥	١٩٠	-	-	-	-	١٩٠	٧٠
٦٧/ ١٩٦٨	٦	٢١٥	-	-	-	-	٢١٥	٨٥
٦٨/ ١٩٧٩	٦	٤٨٦	٢	٥٠	-	-	٥٣٦	١٢٥
٦٩/ ١٩٧٠	٦	٣٣٠	٣	١١٣	-	-	٤٤٣	١٥١
٧٠/ ١٩٧١	٤	٢٨٥	٣	٢٤٧	-	-	٥٣٢	١٨٩
٧١/ ١٩٧٢	٤	٣٤٢	٥	٢٧٦	-	-	٦١٨	٢٥٤
٧٢/ ١٩٧٣	٤	٥٦٠	٦	٣٣٣	-	-	٨٩٣	٢٧٣
٧٣/ ١٩٧٤	٥	٨٧٩	٦	٤٦١	-	-	١٣٤٠	٢٧٣
٧٤/ ١٩٧٥	٧	٦٤٣	٧	٢٧٨	-	-	٩٢١	٤٠٣
٧٥/ ١٩٧٦	٨	٩٦١	٧	٣٤٥	-	-	١٣٠٦	٤٣٦
٧٦/ ١٩٧٧	١٠	١١١٢	٧	٥٣٧	-	-	١٦٤٩	٤٨٢
٧٧/ ١٩٧٨	١٠	١١٧٤	٨	٤٤٣	-	-	١٦١٧	٤٠٤
٧٨/ ١٩٧٩	١٢	٨٣٠	٨	٤٠٧	-	-	١٢٣٧	٤٢٦
٧٩/ ١٩٨٠	١٢	٩٠٧	١٠	٦٠٨	-	-	١٥١٥	٣٠٤
٨٠/ ١٩٨١	١٢	٧٧٢	١١	٧٧٦	-	-	١٥٤٨	٦٤٥
٨١/ ١٩٨٢	-	-	١١	٨٨٨	١٢	٦٥٩	١٥٤٧	٥٦٣
٨٢/ ١٩٨٣	-	-	١١	١٠٩٣	٢٠	١٦٧٠	٢٧٦٣	٤٥٠
٨٣/ ١٩٨٤	-	-	١٢	١٢٣٣	٣٧	٣٢٥٦	٤٤٨٩	٣٥٣
٨٤/ ١٩٨٥	-	-	١٢	١٢٨٩	٤١	٥١٨١	٦٤٧٠	٤٧٠
٨٥/ ١٩٨٦	-	-	١٢	١٥١٣	٦٣	٨٨٠١	١٠٣١٤	٩٢٥
٨٦/ ١٩٨٧	-	-	١١	١٨٣٩	٧٠	١٠٩٦٧	١٢٨٠٦	١٠٤٨

وتعرضها للابقاء تارة والالغاء تارة اخرى وتنوع سياستها بالاضافة الى التعديل الارتجالي في مدة الدراسة وقواعد القبول والمناهج الدراسية والمؤهلات الدراسية ومن أمثلة ذلك انشاء المعاهد الاولية عند قيام الثورة والتي الغيت فيها بعد ، مما ادى بعد ذلك الى اعادتها من جديد في عام ٧٣/ ١٩٧٤ والاستمرار في نظام القبول على المعاهد العامة ـ نظام الثلاث سنوات بعد الاعدادية ـ كما تم في عام ٧٦/ ١٩٧٧م استحداث نظام التطوير في معاهد المعلمين والذي تسير الدراسة فيه على نظام السنتين ولم يستمر الوضع كما هو عليه فقد تم الغاء نظام التطوير ونظام الدبلوم الاولى بحجة ان هذه المعاهد تقبل من.هم في سن مبكرة الامر الذي لايمكنهم من الاختيار المناسب لنوع التعليم الذي يتناسب مع ميولهم واستعداداتهم مما يجعلهم يغيرون رغباتهم وينسحبون من المعاهد اثناء الدراسة او من المهنة بعد التخرج . .

ثانيا : ـ تدريب المعلم اثناء الخدمة :ـ

ايمانا من وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية اليمنية بأهمية تدريب الكوادر التربوية اليمنية لمواجهة التطورات المتلاحقة في مجال التربية عملت وزارة التربية على اصدار قرار وزاري برقم (٧٢) لسنة ١٩٧٦م بانشاء مركز التدريب اثناء الخدمة وقد بدأ العمل به في ١/٩/١٩٧٦ (٣٧) وقد كان من مهام هذا المركز (٣٨)

أ ـ تخطيط البرامج التدريبية اثناء الخدمة بالتعاون مع الاجهزة والخبراء المعنيين
ب ـ حصر الحاجات التدريبية لمختلف فئات العاملين في وزارة التربية والتعليم . .
ج ـ اقتراح الخطط التدريبية طويلة المدى وقصيرته . .
د ـ ترشيح الدارسين للدورات التدريبية طبقا لقواعد معينة يتفق مع الادارة المعنية . .
هـ ـ وضع الخطط التفصيلية لتنفيذ برامج الدورات التدريبية ومتابعة تنفيذها . .
و ـ التنمية الدائمة للمركز من حيث العمل على زيادة فعاليته في خدمة الجهاز الفني وبجانب هذا المركز توجد ادارة للتدريب ، الا انها تقوم باعمالها ضمن مركز التدريب لعدم استكمال الموظفين المختصين للعمل بكفاءة في هذه الادارة (٣٩) ثم جاء قرار مجلس القيادة رقم (١٣٦) لسنة ١٩٧٦م الخاص باعادة تنظيم وزارة التربية والتعليم وتحديد اختصاصها فحدد الجهات المسئولة عن اعداد برامج التدريب وتنفيذها بالنسبة للعاملين في وزارة التربية على النحو التالي :ـ

١ ـ اللجنة العليا للتدريب :ـ

وتضم وكيل وزارة التربية والتعليم وبعض مديري عموم الوزارة وهي مرتبطة مباشرة بوزير التربية وتعتبر مسئولة عن تخطيط برامج التدريب للعاملين في مجال التربية والتعليم وقد حددت مهامها فيما يلي :ـ
أ ـ تخطيط البرامج المختلفة للعاملين في الوزارة ومكاتب التربية في المحافظات والمعلمين وذلك بالتعاون مع الاجهزة المعنية بما يحقق متطلبات الواقع من التعليم في البلاد . .
ب ـ الاشراف على تنفيذ البرامج التربوية التدريبية ومتابعتها وتقويمها
ج ـ تأمين احتياجات الدورة التدريبية
د ـ اقتراح ميزانية البرامج التدريبة

٢ ـ ادارة التدريب :ـ

صارت هذه الادارة وفق القانون رقم (١٣٦) الخاص باعادة تنظيم الوزارة (٤٠) تابعة للادارة العامة لاعداد المعلمين والمعلمات وحدد القانون مهامها فيما يلي :ـ
أ ـ التعاون مع الاجهزة المعنية في الوزارة في القيام بدراسة وافية عن حاجات العاملين في التربية والتعليم من الدورات التدريبية والحلقات التربوية وتنسيق عقد هذه الدورات والحلقات التي تقرها اللجنة العليا للتدريب . .
ب ـ القيام بتقويم الدورات التدريبية والحلقات التربوية عند انتهائها وتقديم خلاصة بذلك الى اللجنة العليا للتدريب . .
ج ـ اقتراح نماذج الشهادات للبرامج التدريبية وتقديمها الى اللجنة العليا للتدريب للنظر فيها ومن ثم اقرار النماذج المناسبة لاعتمادها . .
د ـ متابعة الامور المالية المتعلقة بالدورات التدريبية والحلقات التربوية مع الاجهزة المعنية في الوزارة . .
هـ ـ متابعة المجالات التدريبية خارج اليمن والتعرف عليها ومحاولة الافادة منها بالتعاون مع الادارة العامة للعلاقات الثقافية تحت اشراف اللجنة العليا للتدريب . .

٣ ـ مركز التدريب :ـ

وقد كان هذا المركز ـ قبل صدور القانون رقم (١٣٦) تابعا للوزارة مباشرة ، ثم نقل هذا القانون تبعيته الى الادارة العامة لاعداد المعلمين والمعلمات الامر الذي احدث نوعا من التداخل بين مهام ادارة التدريب ومركز التدريب نظرا لعدم وجود لائحة او هيكل تنظيمي للادارة (٤١) حيث اقتصر دورها على أمور جزئية ونتيجة لذلك صار هناك تداخل واضح بين ادارة التدريب ومركز التدريب في المهام والمسئوليات وهو امر يكاد يشل عمل الجهازين . .

وبالنسبة لتدريب المعلمين فقد قامت وزارة التربية في الجمهورية العربية اليمنية مؤخرا بتبنى استراتيجية حديثة لتدريب المعلمين في اثناء الخدمة ، حيث قامت عام ١٩٧٩م بالتعاون مع اليونسيف وبمعاونة وحدة الخدمات الخارجية الملحقة بمعهد التربية (الازوا ـ التابع لليونسكو) بانشاء مشروع لتدريب المعلمين والقيادات التربوية في اليمن اثناء الخدمة بما يتمشى مع الاهداف التربوية العامة ويتلائم مع ظروف الواقع التربوي في المدارس اليمنية . .

وتقوم هذه الاستراتيجية الجديدة على الاسس الاتية :ـ (٤٢) :ـ

١ ـ تطوير جهاز التدريب اثناء الخدمة ليكون قادرا على

وضـع خطط تدريبـية تلبى حاجـات خطة التنمية التربوية وعلى وضع برامج تدريبية والاشراف على تنفيذ تلك البرامج وتقويمها . .

٢ ـ تأسيس وحـدات تدريبية في المحافظات المختلفة تتحمـل مسئولية التدريب في مناطقها وتعمل كحلقة اتصال بين الجهاز المركزي للتدريب وبين العاملين في تنفيذ البرامج التدريبية والمتابعة الميدانية للمتدربين . .

٣ ـ اعـطاء اولوية خاصة لتدريب الموجهين التربويين ومـديري المـدارس الابتـدائية ليصبحـوا قادرين على الاسهام في تنفيذ بعض الانشطة التدريبية للمعلمين واجراء المتابعة الميدانية ليتمكن المعلمون غير المؤهلين تربويا من الحصول على مهارات العمل بالتدريس . .

٤ ـ التأكيد على التدريب الموجه لحل مشاكل العمل المدرسي التي يواجهها المدرسون المتدربون فعلا . .

٥ ـ ربط المعلومـات النـظرية التي يتلقـاها المتدربون بالممارسة العملية في الميدان العملي للتربية . .

٦ ـ ربط برامج تدريب المعلمين باهداف المرحلة التى يتم التدريب لمعلميها وبمناهج تلك المرحلة . .

٧ ـ الاستعانة بالموجهين التربويين وتحميلهم مسئولية كاملة عن تنفيذ برامـج التـدريب لعـدد معـين من المتدربين العاملين في منطقة كل منهم . .

٨ ـ ربط التدريب بالترقي الوظيفي . .

وقـد قامت وزارة الـتربية في خطتهـا الخمسية الثـانية بتـدريب عدد من المعلمين ومديري المدارس والموجهين العاملين في المرحلة الابتدائية وهذا مايمكن توضيحه في الجدول التالي :ـ

■■ جدول رقم (٢)

عدد المتـدربين من المعلمين والقيادات التربوية اثناء الخدمة في المرحلة الابتدائية في سنوات الخطة الخمسية الثانية (١٩٨٢ ـ ١٩٨٦م (٤٣)

سنوات الخطة	تدريب الموجهين	تدريب مديري مدارس	تأهيل معلمين	انعاش معلمين	دورات اخرى
١٩٨٢	٢١	٥٠	٤٠٠	ـ	ـ
١٩٨٣	١٨	٦٠	٤٠٠	٤٠٠	بخطط حسب
١٩٨٤	ـ	٦٠	٦٠٠	٤٠٠	الحاجة وحسب
١٩٨٥	ـ	٦٠	٦٠٠	٤٠٠	اتفاق الاطراف
١٩٨٦	ـ	٦٠	٦٠٠	٤٠٠	المعنية
المجموع	٣٩	٢٩٠	٢٦٠٠	١٦٠٠	

يلاحظ من الجدول ان هناك تأهيلا للمعلمين الـذين لم يحصلوا على مؤهلات تربوية ورفعا لمستوى المعلمين المؤهلين تربويا الا انه يلاحظ من الجدول قلة عدد المتدربين من الموجهين ومديري المدارس العاملين في المرحلة الابتدائية رغم ضخامة العبء نتيجة للتوسع الكبير في التعليم في اليمن وفي انشاء المدارس من سنة ١٩٦٢ حتى الآن مما يدل على ان هناك قصورا من نوع ما ينبغي تلافيه . .

وبـالاضـافـة الى مشروع تدريب المعلمـين والقيادات التربوية السابق يوجد مشروع اخر لتطوير التعليم وتحسين هياكله الادارية والفنية والتعليمية تقوم بتنفيذه جامعة متشجن ، اثر اتفاقية تم التوصل اليها بين وزارة التربية اليمنية والوكالة الدولية في اغسطس ١٩٧٩ وبدأ العمل بها في سبتمبر ١٩٧٩م ـ تحت اسم مشروع (تـطوير التعليم الاساسي) (٤٤) ويهتم هذا المشروع اهتـمامـا خاصـا بالتعليم الابتـدائي وتعليم البنات واحتياجات المناطق الريفية في اليمن وذلك من خلال تعميم برامـج التـدريب اثنـاء الخدمة لمعلمي المدارس الابتدائية وتأهيل المعلمين غير المؤهلين تربويا وتعميم برامـج تدريب القيادات الـتربـوية في مراكز التدريب وفي معاهد تدريب المعلمين . .

كذلك يهدف المشروع الى التعجيل بتنمية الموارد البشرية في اليمن وذلـك بتحسـين اوضـاع المعلمـين وتـأهيلهم وتـدريبهم وزيادة نشر التعليم الابتـدائي وتعميمـه وزيادة كفاءته . . ويقوم هذا المشروع على ثلاثـة مشاريع فرعية هي : المشروع الفرعي لتدريب معلمي المرحلة الابتـدائية ومشروع الدعم الاداري لوزارة الـتربية والتعليم والمشروع الفـرعي التعليمي العلمي بكلية الـتربية بجـامعـة صنعاء بالتعاون مع جامعة متشجن الشرقية . .

ويتفرع المشروع الفرعي لتدريب معلمي المرحلة الابتدائية الى عدد من المشاريع الفرعية منها(٤٥) :-

- برنامج تأهيلي للحصول على الماجستير في التربية من جامعة متشجن الشرقية (مشروع تدريب معلم المعلم)
- تطوير برنامج التدريب اثناء الخدمة
- تدريب معلمي المدارس الابتدائية
- تطوير النظام الاداري للتعليم الابتدائي

والحقيقة ان هذا المشروع قد انتهت مدته بموجب الاتفاق على مراحل استمرت ست سنوات ولم تظهر نتائجه الفعلية على مستوى المرحلة الابتدائية ولم يستفد منه العاملون في التعليم الابتدائي . .

وبالنسبة للمشروع الفرعي التعليمي العلمي فانه يهدف الى دعم امكانية كلية التربية بجامعة صنعاء لتمكينها من تدريب معلمي المرحلة الابتدائية خاصة وانها تقتصر حاليا على اعداد معلمي المرحلتين الاعدادية والثانوية . . فقط ويتم ذلك بانشاء شعبة في كلية التربية للتعليم الابتدائي بهدف تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية وتأهيل مستشارين فنيين لتطوير المناهج والوسائل التعليمية (٤٦)

ويمكن القول ان هذا المشروع لم يحقق مارسم له من اهداف من خلال تدريب معلمي المرحلة الابتدائية ، كما انه لم تنشاء شعبة في كلية التربية للتعليم الابتدائي لهدف تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية ، وما زالت الكلية تعمل على اعداد مدرسين للمرحلتين الاعدادية والثانوية . . .

أما عن البرامج التي تنفذ في تدريب المعلمين والقيادات التربوية اثناء الخدمة (فيتبع اسلوب المنحى المتعدد الوسائل (٤٧) وهو اسلوب مستحدث في تدريب المعلمين اخذ به معهد التربية الازوا/ اليونسكو منذ عام ١٩٦٤م وذلك لميزتين (٤٨)

الاولى : تربوية وهي ترمي الى تطوير الطرق الفعالة من أجل تربية المعلمين اثناء الخدمة . .

الثانية : مادية ، اذ يتعذر عقد دورات مكثفة تستمر عدة أشهر وتتطلب سحب العاملين من مدارسهم وتعيين معلمين احتياطيين اقل كفاءة ليحلوا محلهم طوال غيابهم . .

والمنحى المتعدد الوسائل (نسق يستهدف البالغين او الكبار من العاملين وهم في مواقع عملهم وبيوتهم بوسائل عديدة متكاملة تتصف بالانفتاح والمرونة ويسمح بالا يترتب على هذا التدريب سحب المتفعين من اعمالهم اليومية (٤٩) . .

ويتكون هذا المنحى من طرائق تتكامل فيما بينها لمساعدة المتدرب على بلوغ اهداف التدريب يمكن تصنيفها الى طرائق مباشرة واخرى غير مباشرة والطرائق المباشرة كالحلقات الدراسية والزيارات الصيفية والتربية العملية والدورات الصيفية والبحوث الاجرائية والطرائق غير المباشرة هي تلك التي ترمى الى احداث التعليم عن بعد ، كالدراسة للتعيينات او أوراق العمل ومشاهدة برامج تلفازية او تسجيلات ضوئية . .

ويستخدم مشروع تدريب المعلمين والقيادات التربوية اثناء الخدمة في الجمهورية العربية اليمنية الطرائق التالية من خلال المنحى المتعدد الوسائل (٥٠) . .

١ - دراسة ذاتية ، يقوم بها المتدربون لما يعد لهم خصيصاً من تعيينات دراسة تتضمن تمرينات وانشطة عملية في صورة مطبوعات ومذكرات . .

٢ - حلقات دراسية للمتابعة ، تستهدف توضيح المفاهيم الجديدة وبلورتها وتذليل الصعاب التي يجابهها المتدربون في دراستهم الذاتية . .

٣ - زيارات متابعة يقوم بها المرشدون الميدانيون للمتدربين في مواقع عملهم لمساعدتهم وتوجيههم في ميدان العمل . .

٤ - بحوث اجرائية لتحسين الممارسات التي يقوم بها المتدربون باشراف المرشدين الميدانيين . .

٥ - المشاركة في دورات العطلات التي يقوم فيها المتدربون بتنفيذ نشاطات عملية لايتسع لها المجال في الحلقات الدراسية . .

٦ - دروس توضيحية . .

ويلاحظ مدى مناسبة هذا الاسلوب لظروف اليمن الخاصة واستجابته لما اوصت به الاجتماعات الخاصة بتطوير برامج واساليب تدريب المعلمين اثناء الخدمة في البلاد العربية (بتبني منحى متعدد الوسائل قد يكون من السبل المناسبة في هذا الصدد لانه يجمع بين النواحي النظرية والتطبيقية والدراسة الذاتية الموجهة والحلقات الدراسية والتعليم التوضيحي والتقويم الذاتي وغيرها من الاساليب الملائمة للدول

الحديثة العهد بالتدريب . .) (٥١)

وبالنسبة للقائمين على تدريب معلمي المرحلة الابتدائية تعمل وزارة التربية من خلال الادارة العامة لمعاهد اعداد المعلمين والمعلمات (ادارة التدريب) على اختيار عدد من المعلمين من خريجي كلية التربية بجامعة صنعاء وممن تلقوا دورات تدريبة في التعليم الاساسي بجامعة متشجن (مشروع تدريب معلم المعلم) حسب التخصصات التي يحتاج اليها مركز التدريب وهؤلاء المختارون هم الذين يتولون مسئولية العمل على تدريب العاملين في المرحلة الابتدائية من مدرسين واداريين وموجهين . .

مما سبق يتضح ان نظام اعداد المعلم في الجمهورية العربية اليمنية وبخاصة بالمرحلة الابتدائية قد اظهر عجزه عن تقديم معلم يمني كفء لتغطية حاجة التعليم الابتدائية كما تبين تذبذب مستوى الاعداد ، فهناك اعداد وتدريب للمعلم على مستوى الشهادة الابتدائية لمدة ثلاث سنوات دراسية ، يحصل الدارس بعده على شهادة دبلوم اولى (٥٢) وهناك اعداد للمعلم على مستوى الشهادة الاعدادية وذلك لمدة ثلاث سنوات يحصل الدارس بعده على شهادة دبلوم معلمين عام (٥٣) وهناك اعداد على مستوى الشهادة الابتدائية لمدة خمس سنوات دراسية (٥٤) ويتجه التفكير - الان لرفع مستوى اعداد المعلم اليمني على مستوى الدبلوم الخاص نظام السنتين بعد الشهادة الثانوية العامة (٥٥) . .

وهذا يوضح عدم ثبات سياسة اعداد المعلم للمرحلة الابتدائية ، ومدى الحاجة الى وجود اهداف محددة تبين سياسة اعداد المعلم وتدريبه ، فضلا عن عجز معهد اعداد المعلم في اليمن عن توفير الكوادر الوطنية من المعلمين المؤهلين حيث بلغت نسبة المعلمين اليمنيين الى المعلمين غير اليمنيين في العام الدراسي ١٩٨٦/٨٥ حوالى ١٩٪ (٥٦) . .

أما من حيث الصعوبات التي تواجه التدريب في اثناء الخدمة فيلاحظ ان هناك صعوبات يمكن تلخيصها فيما يلي : - (٥٧)

١ - عدم وجود هيكل تنظيمي يوضح مهام ادارة التدريب ومركز التدريب وكذا الأهداف والوظائف . .

٢ - النقص الكبير في الكفاءات التربوية والتدريبية خاصة للمرحلة الابتدائية . .

٣ - افتقاد التنسيق والتعاون بين وزارة التربية والتعليم وجامعة صنعاء والمعهد القومي للادارة العامة في تدريب المعلمين والقيادات التربوية في اثناء الخدمة . .

٤ - الافتقار الى دراسات ميدانية للحاجات التدريبية الفعلية للمتدربين بفئاتهم المختلفة . .

٥ - اختلاف نوعية الدارسين وخلفياتهم واخضاعهم لبرنامج تدريبي واحد دون مراعاة التفاوت الكبير في مستوياتهم الاكاديمية والتباين في ظروف الواقع المدرسي الذي يعملون فيه . .

٦ - عدم وجود اجهزة متفرغة للتدريب على الصعيد المحلي اليمني . .

٧ - قلة عدد المعلمين والاداريين المشاركين في التدريب لقلة الحوافز المادية والمعنوية . .

٨ - غلبة الطابع النظري على معظم المواد التعليمية وافتقار معظمها الى الانشطة العملية الميدانية والى التقويم المرتبط بالاهداف المقررة . .

٩ - عدم وجود متابعة مستمرة للمتدربين الذي تدربوا في مركز التدريب في مواقع اعمالهم . .

١٠ - استعانة مركز التدريب ببعض التعيينات الدراسية التي ينتجها معهد التربية /الازوا/ التابع لليونسكو وهذه التعيينات لاتتفق واحتياجات الدارسين المتدربين في اليمن ومن ثم فهي تحتاج الى تعديل وتكييف لتناسب الظروف اليمنية . .

وفي ضوء ذلك يقدم الباحث بعض توصياته الخاصة باليمن لعلها تسهم في رفع مستوى اعداد المعلم وتدريبه بحيث يقوم بادواره على أكمل وجه في العملية التربوية . .

١ - ينبغي ان يكون اعداد معلم التعليم الابتدائي على مستوى الجامعة وتحت المظلة التي يعد تحتها مدرس المدرسة الاعدادية والثانوية ، وقد يواجه هذا الاقتراح بنوع من الصعوبة وعدم تقبله في الوقت الحاضر لظروف اليمن المادية والامكانات البشرية ، لان هذا الاقتراح قد يكلف الدولة مبالغ طائلة كما ان جامعة صنعاء - كلية التربية - لايمكنها ان توفر الاعداد الكبيرة من معلمي المدرسة الابتدائية لمواجهة التوسع في التعليم الابتدائي في الوقت الحاضر وهذا الاقتراح في رأي الباحث لايطلب تنفيذه حاليا وفي يوم وليله ،

وانما اذ رأت الدولة ـ ممثلة بوزارة التربية والتعليم باهمية اعداد معلم المرحلة الابتدائية ، فينبغي ان تبدأ بجعل اعداد معلم المدرسة الابتدائية لمدة سنتين بعد الحصول على الشهادة الثانوية العامة يزاد بعد ذلك الى ثلاث سنوات ثم يخطط بعد ذلك لزيادتها الى اربع سنوات وفي هذه الحالة يكون اعداد معلم المدرسة الابتدائية في نطاق شعبة من شعب كلية التربية بجامعة صنعاء وكليات التربية بالمحافظات الاخرى . .

٢ ـ ينبغي رفع مستوى معلم المرحلة الابتدائية من نظام الخمس السنوات بعد الابتدائية الى نظام الخمس سنوات بعد الاعدادية ـ كما هو معمول به في مصر ـ بحيث يكون المعلم في مستوى المسئولية وعلى حصيلة كافية من الاعداد الاكاديمي والتربوي . .

٣ ـ يرى الباحث ان على وزارة التربية والتعليم ان تستعين بالبحوث والدراسات التربوية التي تناولت اعداد المعلم والتى عملت من قبل الباحثين والدارسين وكذا ماقام به مركز البحوث والتطوير التربوي في هذا المجال ، بحيث تكون أساسا لتطوير معاهد اعداد المعلمين وتحسينها . .

٤ ـ يتم التدقيق في اختيار وانتقاء افضل العناصر الملائمة للالتحاق في معاهد اعداد المعلمين وكلية التربية وذلك وفقا لمعايير واسس موضوعية . .

٥ ـ تخصص حوافز متميزة لمدرس التعليم الابتدائي ـ كبدل ريف ـ بهدف تشجيعهم على الاستمرار بمهنة التدريس . .

٦ ـ يمكن تقديم المزيد من الرعاية والاهتمام لمعلمي التعليم العام من خلال حوافز مادية ، ضمان صحي واجتماعي ، تسهيل الحصول على قرض سكني مناسب لتأمين اسرة المعلم ، ايجاد جهة ترعى شئونه كنقابة المعلمين ، مثل سائر النقابات الاخرى الموجوده في اليمن . .

٧ ـ تكثيف الدورات التدريبية لمعلمي المرحلة الابتدائية بهدف الوقوف على البحوث والدراسات الجديدة في مجال التربية . .

٨ ـ يتم عمل مسح ميداني لاوضاع معلمي المرحلة الابتدائية واتخاذ هذه الاوضاع قاعدة يقوم عليها البرنامج التدريبي . .

٩ ـ يربط الترقي الوظيفي لمعلمي المرحلة الابتدائية بالدورات التدريبية التي يحصل عليها المرقون الى وظائف اعلى منهم . .

١٠ ـ تطوير الادارة الحالية للتدريب من مجرد ادارة فرعية تابعة لمعاهد اعداد المعلمين والمعلمات الى ادارة عامة للتدريب . .

١١ ـ ينشأ جهاز للتدريب يحمل اسم (الجهاز المركزي للتدريب والتأهيل التربوي) سواء كان هذا الجهاز تطويرا للادارة السابقة للتدريب او استحداثا لهذا الجهاز من أساسه ويتحمل هذا الجهاز مسئوليات تدريب المعلمين والقيادات التربوية في اثناء الخدمة ـ على ان يتم تشكيل هذا الجهاز على النحو التالي :ـ

أ ـ بعض المسئولين في وزارة التربية والتعليم اليمنية بوصفها الجهة الرسمية المسئولة عن تدريب المعلمين والقيادات التربوية . .

ب ـ كلية التربية ـ جامعة صنعاء ـ بوصفها الجهة الاكاديمية القادرة على تزويد الجهاز بالخبرات التدريبية والقادرة على الاتصال بالمؤسسات التربوية العربية والعالمية بحيث يمكن ان تقدم الجديد والمستحدث في مجال التربية . .

ج ـ المعهد القومي للادارة العامة بوصفه الجهة اليمنية الرسمية المختصة بالتدريب في اليمن . .

د ـ مركز البحوث والتطوير التربوي ، لما له من دور في اعداد الدراسات والبحوث التربوية للعاملين في مجال التربية والتعليم . .

ويكون هذا الجهاز تحت اشراف وزارة التربية والتعليم ، ويمكن ان يتفرع عن هذا الجهاز عدد من الاقسام ، فقسم يختص بالتدريس على مستوى المرحلة الابتدائية وقسم على مستوى المرحلة الاعدادية وقسم على مستوى المرحلة الثانوية وهو قسم يتولى الجانب المالي والاداري وقسم يتولى شئون المناهج وطرق التدريب وقسم يتولى شئون التحطيط واخر شئون الامتحانات . . وهكذا . .

على ان يزود هذا الجهاز بالكفايات العلمية المتخصصة في مختلف المجالات التربوية وغيرها من المجالات التي يتطلبها سير العمل في الجهاز ويشكل لهذا الجهاز فروع في محافظات اليمن ، عندما تستقر دعائمه على المستوى المركزي في العاصمة صنعاء ، وعندما يتوفر الكادر اليمني المؤهل على تسيير امور مثل هذه الاجهزة الفرعية ، ويكون له ميزانيته التي تضمن الاستمرار في مهمته . .

الهوامش :-

١ - محيي الدين صابر ، مشكلات التعليم الابتدائي ، وانعكاساتها على مشكلة الامية في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٧٧ ، من المقدمة ص ٣

٢ - سعيد اسماعيل علي . التعليم الثانوي - الواقع والمستقبل (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩) ص ١١٤

٣ - جميل صليبيا ، مستقبل التربية في العالم العربي (بيروت مكتبة الفكر الجامعي ض٢ ، ١٩٦٧) ط ٣٣٥ . .

٤ - جامعة قطر ، مركز البحوث التربوية ، وقائع ندوة اعداد المعلم بدول الخليج العربي ، (الدوحة ، ١٩٨٤) ص ١٨

٥ - محمد منير مرسى ، ادارة وتنظيم التعليم العام (القاهرة ، عالم الكتب ط ٢ ، ١٩٧١) ص ١٣٣

٦ - محمد الهادي عفيفي ، سعد مرسى احمد ، قراءات في التربية المعاصرة (القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٣) ص ٩٤

٧ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مؤتمر اعداد وتدريب المعلم العربي (القاهرة من ٨ - ١٧/١/١٩٧٢ ، مطبعة التقدم) ص ٣١٠ . .

٨ - محمد هاشم الشهاري (التطور التاريخي لمشكلة المعلم في الجمهورية العربية اليمنية ، مجلة البحوث والدراسات التربوية ، السنة الاولى ، العدد الثالث (صنعاء : مركز البحوث والتطوير التربوي ، ١٩٨٧) ص ١٨

٩ - ابراهيم الحوثي (عوامل مؤشرة في الاختيار المهني لطلاب الثانوية واتجاهاتهم نحو مهنة التدريس ، حالة الجمهورية العربية اليمنية ، مجلة البحوث والدراسات التربوية ، السنة الاولى ، العدد الثالث (صنعاء : مركز البحوث والتطوير التربوي ، ١٩٨٧) ص ١٢٥

١٠ - وزارة الاعلام والثقافة اليمنية ، مؤسسة سبأ العامة للصحافة والانباء الندوة الصحفية الاولى حول التعليم في اليمن ، يناير ١٩٨٨م . .

راجع في هذا : مركز البحوث والتطوير التربوي ، دراسة حول توفير المعلم والاحتفاظ به في الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٣م ص ٤ - ٥

١١ - وزارة التربية والتعليم ، التعليم في ٢٥ عاما ، من مسيرة الثورة الخالدة (صنعاء : ادارة التخطيط والاحصاء ، ١٩٨٧م ص ٨٠

١٢ - ج . ع . ي ، وزارة التربية والتعليم ، الادارة القانونية ، قانون المعلم اليمني رقم (١٣) لسنة ١٩٨١م ص ٢

١٣ - محمد عزت عبدالموجود ، تدريب المعلمين اثناء الخدمة ، دراسة في المفهوم والوظيفة (حلقة المسئولية عن تدريب المعلمين اثناء الخدمة (البحرين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥) ، ص ٦٦

١٤ - علي هود باعباد ، دراسة تحليلية لبعض مشكلات معلم المرحلة الابتدائية في الجمهورية العربية اليمنية ، رسالة ماجستير ، منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م . .

١٥ - مركز البحوث والتطوير التربوي ، دراسة حول توفير المعلم والاحتفاظ به في الجمهورية العربية اليمنية صنعاء ، ٨٣ - ١٩٨٤م . .

١٦ - جامعة قطر ، مركز البحوث التربوية (وقائع ندوة اعداد المعلم بدول الخليج العربي (الدوحة ، من ٧ - ٩ يناير ١٩٨٤م)

١٧ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (دراسة جدوى وامكانية تطوير برامج واساليب تدريب المعلمين في اثناء الخدمة بالبلاد العربية (القاهرة ، ١٩٧٧)

١٨ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ادارة التربية) حلقة المسئولين عن تدريب المعلمين اثناء الخدمة ، البحرين ، ١٩٨٥م

١٩ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مؤتمر اعداد وتدريب المعلم العربي (القاهرة من ٨ - ١٧/١/١٩٧٢ ، مطبعة التقدم)

٢٠ - (المعلامة) تسمية محلية (وتعني الكتاب) يتم فيها تعليم التلاميذ بالطريقة التقليدية القديمة تحت اشراف فقيه (معلم) ويدرس بها القرآن والقراءة والكتابة مع بعض مبادىء الحساب . .

٢١ - محمد حسن البريمي (دور المعلم في الاعداد للثورة) (مجلة التربية العدد الثاني عشر (صنعاء : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٨١) ص ٢٦

٢٢ - ابراهيم الحوثي (مهنة التعليم واعداد المعلم (مجلة التربية ، العدد الثاني عشر صنعاء : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٨١م ص ٢٧ .

٢٣ - علي هود باعباد ، التعليم في الجمهورية العربية اليمنية ، ماضيه حاضره ، مستقبله من منشورات جامعة صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٤٦ - ٥٠ . .

٢٤ - المرجع السابق ، ص ٤٨

٢٥ - وزارة التربية والتعليم ، التعليم والثورة في عشر سنوات (٦٢ - ١٩٧٢م) صنعاء ، الشركة اليمنية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م ص ١٥

٢٦ - ابراهيم الحوثي (معاهد المعلمين والمعلمات توفر المعلم المؤهل مهنيا وثقافيا ، مجلة التربية ، العدد الثامن (صنعاء : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٩) ص ٣٨

٢٧ - الجهاز المركزي للتخطيط ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ١٩٧٦ ، ص ١,٢٥

٢٨ - وزارة التربية والتعليم ، التعليم في ٢٥ عاما ، من مسيرة الثورة الخالدة ، صنعاء ، ١٩٨٧م ص ٨٠

٢٩ - وزارة التربية والتعليم ، قرار مجلس القيادة رقم (٢٢) لسنة ١٩٧٤م بشأن قانون التعليم العام ، ص ٣٩ - ٤٠

٣٠ - وزارة التربية والتعليم ، التعليم في ٢٥ عاما ، مرجع سابق ، ص ٨١

٣١ - وزارة التربية والتعليم ، وثيقة مقترحة لانشاء معاهد معلمين خاصة ضمن القرض السادس ، صنعاء ، بدون تاريخ ، ص ٧

٣٢ - الجهاز المركزي للتخطيط ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٦ . .

٣٣ - ج . ع . ي ، وزارة التربية والتعليم ، التعليم في ٢٥ عاما (صنعاء : ادارة التخطيط والاحصاء ١٩٨٧م ص ٨٤

٣٤ - وزارة التربية والتعليم ، خلاصة خطة تنمية التعليم وتقدير احتياجاته للعام الدراسي ٨٧/١٩٨٨م (كرت احصائي) صادر عن الادارة العامة للتعليم ، صنعاء

٣٥ - وزارة التربية والتعليم ، الاحصاء التربوي لعام ٨٥/١٩٨٦م

صادر عن ادارة الاحصاء بوزارة التربية ، ص ١٤
٣٦ - نفس المصدر السابق ص ١٤ .
٣٧ - وزارة التربية والتعليم ، التربية في مسار التصحيح - الكتاب السنوي الاول ٧٦/ ١٩٧٧م صنعاء : مطابع وزارة التربية ، ١٩٧٧ ص ١٢٦
٣٨ - المرجع السابق ، ص ١١٧
٣٩ - المرجع السابق ، ص ١١٧
٤٠ - قرار مجلس القيادة بالقانون رقم (١٣٦) لسنة ١٩٧٦م ، الخاص باعادة تنظيم وزارة التربية والتعليم وتحديد اختصاصها ، صنعاء ١٩٧٦ . .
٤١ - وزارة التربية والتعليم ، ورقة تشخيص الخطة الخمسية الثانية لقطاع التربية اعداد اللجنة الفرعية لمعاهد المعلمين والمعلمات - استنسل بدون تاريخ ص ٣
٤٢ - وزارة التربية والتعليم ورقة تشخيص الخطة الخمسية الثانية لقطاع التربية اعداد اللجنة الفرعية لمعاهد المعلمين والمعلمات ، استنسل (د - ت) ص ٣ . .
٤٣ - وزارة التربية والتعليم ، الخطة الخمسية الثانية لوزارة التربية والتعليم ١٩٨٢ - ١٩٨٦ صنعاء ، ١٩٨٢م ص ١٦٦
Basic Education Development Grant Yemen - 44 Project (249 -0053) Primary Teacher Training Sab - Project ,
Annul report for September 1979 to August 1980 Eastern Michigan University , August .1980.
٤٥ - وزارة التربية والتعليم ، تطوير التعليم الاساسي ، الادارة العامة لمعاهد المعلمين والمعلمات ١٩٨٢م ، استنسل ، ص٢
٤٦ - وزارة التربية والتعليم ، ورقة تقييم مشروع تطوير التعليم الاساسي ١٩٨٢م ص ٣
٤٧ - وزارة التربية والتعليم ، الخطة الخمسية الثانية لوزارة التربية اعداد اللجنة الفرعية لتدريب المعلمين والمعلمات ، التدريب اثناء الخدمة ، صنعاء (دون تاريخ) ص ٤
٤٨ - عبدالملك الناشف المنحى المتعدد الوسائل . تجربة جديدة في التدريب اثناء الخدمة - دراسة جدوى وامكانية تطوير برامج واساليب تدريب المعلمين اثناء الخدمة بالبلاد العربية (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م ص ٦٢
٤٩ - المرجع السابق ص ٧٣
٥٠ - وزارة التربية والتعليم ، الخطة الخمسية الثانية لوزارة التربية ، اعداد اللجنة الفرعية لتدريب المعلمين والمعلمات - التدريب اثناء الخدمة (مرجع سابق) ص ١٠
٥١ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، اجتماع دراسة جدوى وامكانية تطوير برامج واساليب تدريب المعلمين اثناء الخدمة بالبلاد العربية ١٩٧٧ ، ص ١٣
٥٢ - توقف هذا النمط من الاعداد في العام الدراسي ٨٠/ ١٩٨١م
٥٣ - هذا النوع من الاعداد مازال ساري المفعول به منذ عام ٦٨/ ١٩٦٩م
٥٤ - بدأ هذا النوع من الاعداد في العام الدراسي ٨١/ ١٩٨٢م
٥٥ - وزارة التربية والتعليم ، الادارة العامة لاعداد وتدريب المعلمين ، وثيقة مقترحة لانشاء معاهد معلمين خاصة ضمن مشروع القرض السادس صنعاء (دون تاريخ) ص ٩
٥٦ - وزارة التربية والتعليم الادارة العامة للشئون الفنية ، قسم الاحصاء ، الاحصاء التربوي للعام الدراسي ٨٥/ ١٩٨٦م (صنعاء : مطابع الكتاب المدرسي ، ١٩٨٦م ص ٤٣
٥٧ - بدر سعيد علي الاغبري ، دراسة ميدانية لاختيار مديري المدارس في المرحلة الثانوية وتدريبهم بالجمهورية العربية اليمنية رسالة ، ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٨٣م ص ٧٥ . .



إشكالية السياسة التعليمية في الشطر الجنوبي

د/ عبد الجبار عبد الله سعد

كلية التربية - جامعة عدن

فذلكة تأريخية عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليمن قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م

اليمن شمالا وجنوبا لها تأريخ حافل بالحضارات العظيمة والتي من خلالها اعطت للانسانية تراثا في شتى علوم الحياة فالحضارة المعينية (السبائية والحميرية والقتبانية لها مآثرها الواضحة حتى اليوم في تشييد العمران وفي هندسة الري والزراعة.

واليمن خلال تأريخها الطويل كانت تشكل وحدة طبيعية متكاملة تجمع شعبها روابط وعوامل كثيرة منها وحدة الارض ووحدة المعاناة اليومية للحياة ووحدة المصلحة ووحدة المصير، وقد تجسدت هذه الوحدة على مستواها السياسي في عصر الاسلام في دول متعددة تعاقبت على المنطقة كدول الزياديين والايوبيين والصليحيين والزيديين، الا انه ولظروف تأريخية واجتماعية معينة تهاوت هذه الدول وحطم بعضها بعضا.. واخذ الولاة وقادة الجيوش يقتطعون الارض لملكيتهم الخاصة وينفصلون تدريجيا عن الحكومة المركزية في صنعاء أو في تعز أو في زبيد أو في عدن مما أدى الى قيام سلطنات وكيانات عدة في سائر انحاء الوطن شماله وجنوبه.

وبحكم الموقع الجغرافي لليمن الذي يقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية حيث تتحكم بالمنفذ الجنوبي للبحر الاحمر وتشرف على البحر العربي فهي بذلك تتحكم بخطوط التجارة العالمية، وبالذات عدن التي تقع في مركز متميز في خطوط التجارة الدولية.. لذلك فقد كانت اليمن محط انظار الغزاة المستعمرين الباحثين عن الثروة واستغلال خيرات البلدان كمصدر لخامات تطور الصناعة الرأسمالية والبحث عن محطات لخزن الوقود والتموين والاتصال وحماية المصالح الاقتصادية للدول الرأسمالية.

ففي مطلع القرن السادس عشر تعرضت اليمن لغزوات البرتغاليين الذين حاولوا إيجاد مراكز لهم على سواحلها، الا أنهم فشلوا وفي عام ١٨٣٨ حينما قام الاتراك العثمانيون بقيادة السلطان سليم باحتلال البلدان العربية، احتل الاتراك أيضا المنطقة الساحلية من اليمن من عدن حتى الحديدة بحجة مطاردة البرتغاليين (١) وقد تصدى الشعب اليمني للغزو العثماني وطردوهم عام ١٦٣٥ ولكن الاتراك عاودوا محاولتهم لاحتلال الاراضي اليمنية عام ١٨٤٩ وعام ١٨٧٢م وبالذات بعد تزايد الاهمية التجارية للمنطقة بعد افتتاح قناة السويس.

وفي عام ١٩٠٥ وعام ١٩١١م أجبروا على توقيع اتفاقيات هدنة مع حكومة الامام يحيى، وطوال فترة حكم الاتراك في اليمن والتي أمتدت حتى عام ١٩١٨م عندما طردوا وقامت المملكة المتوكلية اليمنية كانوا مسيطرين على المنطقة الساحلية فقط (٢).

من جانب اخر ظلت اليمن موضوعة في خطة الاستعمار الاوروبي والاستعمار البريطاني بالذات، حيث تعود البدايات الاولى لأطماعه في اليمن عموما وعدن خصوصا الى القرن السادس عشر الميلادي، عندما اشتد الصراع البرتغالي الهولندي البريطاني حيث أسست شركة الهند الشرقية البريطانية علاقات تجارية مع الهند وظهرت أهمية عدن البحرية والتجارية بالنسبة للتجارة العالمية حينها منحت المملكة

اليزابيت الاولى في ٣١/٣/١٦٠٠م إمتيازا لشركة الهند الشرقية البريطانية يسمح لها باقامة علاقات تجارية عبر عدن والبحر الاحمر (٣).

لقد بدأت المحاولات الاستعمارية البريطانية في المنطقة تحت غلاف تجاري في بداياتها الى ان احتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨م حينها شعر البريطانيون بالخطر الذي يهدد مصالحهم الاقتصادية والسياسية في اليمن والمنطقة بكاملها ، فبدأت محاولاتهم تأخذ طابعا عسكريا ، وتحت التهديد العسكري تمكنوا في عام ١٨٠٢م من توقيع اتفاقية مع سلطان لحج فتحت بموجبها عدن أمام التجارة الانجليزية ، كما قاموا الى جانب ذلك بشراء قطع أرض في عدن من السلطان. (٤)

وفي ٤ يناير ١٨٣٧م جنحت السفينة البريطانية (داريادولت) بالقرب من ساحل عدن وتناثرت حمولتها في البحر ، واتخذ البريطانيون من ذلك ذريعة لتحقيق مأربهم لاحتلال المنطقة ، وفي ١٩ يناير ١٨٣٩م عزموا على احتلال عدن ونفذوا عملية غزو واسعة وفي إتجاهات مختلفة تمكنوا خلالها من احتلال المنطقة ، وسقط من جراء ذلك عشرات الشهداء اليمنيين دفاعا عن وطنهم وكرامتهم الا ان الغزاة كانوا أكثر تفوقا منهم ومنذ ذلك التاريخ اصبحت اليمن مجزأة ومحتلة وشطرت الى شطرين . شطر واقع تحت الاحتلال البريطاني والشطر الاخير واقع تحت حكم الامامة وهو ماعرف بالمملكة المتوكلية اليمنية.

وطوال فترة الاحتلال البريطاني للشطر الجنوبي من اليمن اتبع سياسة متخلفة تجاه الشعب اليمني وجدت لها إنعكاسات في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . . حيث عمد في الجانب السياسي على استخدام كل أنواع البطش والارهاب ضد شعبنا معتمدا في ذلك على المأجورين والعملاء من موظفين وسلاطين وامراء ومشائخ ليمارسوا ضده كل الوان الاضطهاد مدعمين بحماية القوات البريطانية التي كانت توفر لهم الحماية من بطش جماهير الشعب . . ونتيجة لتزايد النقمة الشعبية والوعي الشعبي الذي اخذ في الازدياد عمل على محاولة امتصاصها من خلال منحه لتراخيص تشكيل احزاب عميلة واعطاها امكانية ممارسة نشاط سياسي وتشارك في المجالس البلدية والمجلس التشريعي . إلا أن هذه الاحزاب العميلة فشلت في جذب جماهير الشعب نحوها ، لانها ابتعدت عن جماهير الشعب وقضاياه الوطنية وارتبطت بعلاقة مكشوفة بالمخططات الاستعمارية في المنطقة مما دفع بالاستعمار الى خنق الحركة الوطنية الشعبية ، حيث شهدت المنطقة في أواخر الخمسينات وبداية الستينات ازديادا كبيرا لمواجهة عنيفة من الارهاب ضد الحركة الوطنية النامية . . وفي الجانب الاقتصادي عمدت السياسة الاستعمارية على تحطيم الاقتصاد الطبيعي في المدينة والريف ، حيث أهملت الثروة الزراعية والسمكية والحيوانية وأصبحت البلاد كلها بمدنها وأريافها سوقا لمنتجات الشركات الاحتكارية الاجنبية وبذلك اقفل الطريق امام شعبنا ليبني اقتصاد أو وطنيا انتاجيا صناعيا وزراعيا.

وفي الجانب الاجتماعي استخدم الاستعمار سياسة فرق تسد ، فعمد على تمزيق الحياة الاجتماعية وتمكن من تكريس التجزئة الاجتماعية عبر التجزئة الجغرافية لوطننا اليمني من خلال التواطؤ مع النظام الملكي الامامي من جهة ومن جهة اخرى تجزئة الشطر الجنوبي الى أكثر من ٢٣ سلطنة وإمارة ومشيخة واذكاء الخلافات العشائرية والقبلية وتجنيد كل منطقة للقتال ضد المنطقة الاخرى وعمل على عزل جماهير الشعب بعضها عن بعض وليبقيها في حالة من التخلف داخل كل منطقة من المناطق بحيث تفتقر الى أبسط وسائل الحياة العصرية ، حيث لاتتوفر طرق مواصلات ولا مدارس ولا حتى الوسائل البدائية للتطبيب . .

وفي الجانب الثقافي مارس سياسة تجهيل واسعة ، فمن ناحية بارك في الريف كل ما من شأنه أن يعمق ثقافة الاقطاع المتخلفة من أساطير وخرافات ومن ناحية اخرى عمل في المدينة على تكريس ثقافة تمجد رسالة المستعمرين . واذا كانت المستعمرة عدن قد شهدت افتتاح بعض المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية فإن افتتاحها كان بهدف تخريج بعض الكتبة والاداريين لتأدية بعض المهام البسيطة الخدماتية في الادارات العسكرية والاقتصادية التابعة للادارة البريطانية والقيادة العسكرية والشركات الاحتكارية الاجنبية. (٥)

وفي مواجهة هذه الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتخلفة التي خلقها الاستعمار

البريطاني في الشطر الجنوبي من اليمن.. فأن جماهير الشعب اليمني في هذا الشطر لم تستكن ولم تخضع وانما قاومت بكل الوسائل والامكانيات المتوفرة لديها بدءا بطرح المطالب الاجتماعية العادلة من أجل إيجاد التغييرات الاجتماعية والنضال السلمي من خلال المطالبة بالحرية والعدالة والمساواة والكرامة ورفض المخططات التي حاول الاستعمار فرضها على المنطقة والمشاركة في نضال الحركة الوطنية السياسي الرافض لكل مايقدمه الاستعمار من مشاريع ومخططات مزيفة، وانتهاء بالالتفاف الواسع حول الطليعة السياسية التي قادت الكفاح المسلح وفجرت الثورة المسلحة ضد الوجود الاستعماري ، بعد ان فشلت كل المحاولات السلمية السابقة للحركة الوطنية وأصبح ضروريا تفجير الثورة المسلحة كأسلوب وحيد لانهاء الوجود الاستعماري وتحقيق السيادة الوطنية. وقد وفر قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م في شمال الوطن اليمني وتحطيم النظام العبودي الملكي شرطا أساسيا لانتقال النضال ضد الوجود الاستعماري الى مرحلة متقدمة وفاعلة وخلق الامكانية لقيام قاعدة للتحرك وحليف ضروري للحركة الوطنية الثورية ، وهكذا خاض شعبنا في الشطر الجنوبي من اليمن ومنذ ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣م ثورته المسلحة ضد الوجود الاستعماري والحكم الرجعي السلاطيني لأكثر من اربع سنوات استطاع رغم الامكانيات المحدودة ان يحقق انتصارات مذهلة ضد الوجود الاستعماري ويتوج نضاله بتحقيق الاستقلال الوطني في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م.

واذا كان هذا هو حال الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الشطر الجنوبي من اليمن والذي رزح تحت نير الاستعمار البريطاني أكثر من ١٢٩ عاما فإن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الشطر الشمالي من اليمن لم تكن أحسن حظاً ، فبعد أن تم طرد الاتراك من الشطر الشمالي عام ١٩١٨. أقام الائمة حكما اقطاعيا كهنوتيا طائفيا وأتبعوا سياسة داخلية استهدفت الابقاء على الوضع الاقطاعي القائم وتكريسه ، واقاموا جهازا حكوميا يربط المناطق المتناثرة برباط موحد من خلال جهاز الدولة العليا ممثلا بشخص الامام نفسه والذي كان يطلع على كافة المسائل ويبت فيها ، ويساعده فيها نواب عنه في كل لواء من الالوية السبعة التي تشكلت بحسب النظام الاداري الذي وضع لمملكة الامام ، وضرب الامام سياجا حول اليمن وعزلها عن العالم وتطوراته.. وكان المنفذ الوحيد لليمن ، ميناء عدن الواقع تحت الادارة الاستعمارية البريطانية وخاصة بعد ان دمر ميناء الحديدة تدميرا كاملا عام ١٩١٨ من قبل الاسطول البريطاني.. (٦)

ومن خلال مبررات عديدة بعضها دينية وبعضها سياسية لم يسمح الائمة لقيام أي تطويرات عصرية في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية كما لم يعملوا على اقامة أي مشروعات عامة ، بل مارسوا مختلف أساليب النهب للمواطنين من خلال الضرائب الباهظة والمتعددة ، وظل الشطر الشمالي من اليمن في عهد الائمة عبارة عن سوق مضمون لتصريف بضائع الشركات الامبريالية الاحتكارية القادمة من عدن.. وطوال حكم الائمة والذي استمر حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م لم يحقق أي تقدم في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي.

وبالرغم من سياسة الأئمة التي هدفت عزل اليمن كليا عن مجمل التطورات الحضارية والثقافية الحديثة في العالم ومنع دخول أي اخبار عن الصراعات التي اخذت تنمو وتتعاظم بين قوى الثورات الوطنية والديمقراطية والاشتراكية وبين قوى الاستعمار والامبريالية وركائزها الرجعية الامر الذي لعب دورا في نشوء حركة المعارضة اليمنية والتي نشطت تحت تسميات مختلفة بدءاً بقيام حزب الاحرار اليمنيين عام ١٩٤٢م والجمعية اليمنية الكبرى عام ١٩٤٤م والاتحاد اليمني عام ١٩٥٣م والتي طرحت عددا من المطالب الهادفة كالمطالبة ببعض الاصلاحات صوب العمل على ايجاد حكم امامي دستوري ولم تطرح مطالب أبعد من ذلك وربما يعود ذلك للتعارضات وعدم التجانس الذي كان قائما (٧) بحكم ظروف العزلة والتخلف الامر الذي جعل الحركة الوطنية تمر بعدة تجارب ونكسات ولكنها اخصبت الحس الثوري ونمت الشعور بضرورة التغيير الجذري في نظام الحكم والحياة العامة ، فتلقحت بالفكر القومي.

ودخلت في مدار حركات التحرر الوطني الديمقراطي في العالم الثالث فكانت ثورة ٢٦ سبتمبر بأهدافها الوطنية والقومية والانسانية التعبير التاريخي عن

هموم وطموحات الشعب اليمني في التحرير والعدل الإجتماعي والوحدة والتقدم.

التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن أثناء فترة الأحتلال البريطاني

١ ـ طبيعة وأهداف السياسة الاستعمارية البريطانية في المنطقة :ـ

في النصف الاخير من القرن الثامن عشر عند ظهور الثورة الصناعية في أوروبا وانتشارها في عدد من البلاد الاوروبية ظهرت الحاجة الى مناطق جديدة تكون مصدرا للمواد الاولية التي تحتاج اليها الصناعة من جهة ومن جهة اخرى ضرورة وجود أسواق جديدة لتصريف ما تنتجه هذه المصانع ، وكانت بريطانيا احدى هذه الدول الرأسمالية الاوربية التي اخذت تتسابق على احتلال المناطق الاخرى ، وهذا مادفع بريطانيا الى احتلال عدن في ١٩ يناير ١٨٣٩م في اطار حلقة واسعة من عمليات الاحتلال الاستعماري لمختلف البلدان المتخلفة والى جانب هذا الدافع الاقتصادي لاحتلال عدن برزت ايضا أهميتها كمنطلق تجاري الى مناطق واسعة في الشرق الاوسط ونقطة استراتيجية هامة في المنطقة وخاصة مع فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م واستخدام البحر الأحمر كطريق للرحلات المتجهة الى الهند وإستراليا وازدهار التجارة الدولية.

ولقد ساعدت الاوضاع المهلهلة التي كانت تعيشها المنطقة في تلك الفترة على تسهيل مهمة الانجليز في السيطرة على المنطقة وبسط نفوذهم حيث كانت المنطقة تفتقد الى الوحدة السياسية فهي مجزأة الى عدد كبير من المناطق المستقلة بعضها عن بعض وكان على رأس كل منطقة من هذه المناطق سلطان أو أمير أو شيخ يتمتعون بنفوذ ضعيف فيها كانت العشائر مشغولة بصورة دائمة بحروب فيها بينها ـ وكان قادة المناطق في كثير من الاحيان هم المحرضين لمثل هذه الصراعات القبلية . . وهكذا فقد استغلت السلطات البريطانية هذه الاوضاع في بسط نفوذها على المنطقة ووجدت في شخص بعض السلاطين والامراء والمشائخ الراغبين في تعزيز سلطتهم مغبتها حيث اخذت تعمل على تزكية الخلافات والصراعات ومهدت لمزيد من بسط النفوذ من خلال اختراع شكل جديد من اشكال السيطرة الاستعمارية والمتمثلة بمعاهدات الحماية . (٨) .

وخلال الفترة التي امتدت من عام ١٨٣٩م وحتى عام ١٩٣٧م وهي الفترالتي ظلت المنطقة تحكم بواسطة الادارة البريطانية في الهند استطاعت بريطانيا اخضاع المنطقة بواسطة اسلوب الاتفاقيات والاحلاف وتركت البلاد تحت حكم قوى سياسية ليس لها مثيل في رجعيتها ، ولم تشهد البلاد أي تحسن في أوضاعها المتخلفة ، حيث بقيت التركيبات السياسية والاجتماعية البدائية على حالتها من التخلف ، ومع تزايد الاهمية التي تلعبها عدن في المجالات التجارية للامبراطورية وتزايد كثافة الاستثمارات البريطانية للبترول في إيران والعراق وقرب حصول الهند على استقلالها وتزايد الاهمية العسكرية والاستراتيجية للمنطقة الى جانب عوامل اخرى قررت بريطانيا تدعيم سيطرتها على المنطقة ، جيث الغت تبعية المنطقة للهند وربطتها مباشرة بادارة المستعمرات في لندن وذلك إعتبارا من يناير ١٩٣٧م . . (٩)

ومنذ أن ربطت المنطقة مباشرة بلندن عملت السلطات البريطانية على الابقاء على الاوضاع الاجتماعية المتخلفة مع تطوير أساليب سيطرتها على المنطقة لتشمل السيطرة الادارية الكاملة وذلك عن طريق فرض معاهدات جديدة اطلقت عليها اسم الاستشارة والتي بموجبها تستطيع التدخل في الشئون الادارية في كل مناطق الشطر الجنوبي من اليمن من خلال المستشارين البريطانيين الذين عينتهم الحكومة البريطانية بموجب هذه المعاهدات وبذلك أصبحوا هم الحكام الحقيقيين يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في السلطنات والمشيخات ويعينون الموظفين . (١٠)

وبعد أن أصبحت مستعمرة عدن تخضع مباشرة لوزارة المستعمرات البريطانية قامت السلطات الاستعمارية بتقسيم المنطقة المحيطة بالمستعمرة الى قسمين يطلق عليها محمية عدن الغربية وتضم المناطق المجاورة لمستعمرة عدن والتي تتكون من السلطنات والمشيخات والامارات ولكل منها حدودها الجغرافية ونطاقها السياسي والاداري ثم محمية عدن الشرقية والتي تضم سلطنة القعيطي وسلطنة الكثيري وسلطنة

الواحدي وسلطنة المهرة. . وقد اعتبر حاكم مستعمرة عدن البريطاني حاكما عاما عليهما ينوبه في كل من المحميتين مستشار بريطاني يكون المسؤول المباشر امام حاكم المستعمرة عن كل مايجري في هذه المحميات . .

ان السياسة الاستعمارية التي أتبعتها الحكومة البريطانية في المنطقة لم تعط أي اهتمام للاوضاع الاقتصادية وهذا مايوجد تفسيره في ابقاء الاقتصاد الزراعي في الريف دون تطوير يذكر وعدم السماح بنشوء صناعات وطنية من أي نوع واتباع سياسة اقتصادية تقوم على قطاع الخدمات فقط وما يقوم به من تقديم تسهيلات للمؤسسات والشركات الاجنبية وللقاعدة العسكرية البريطانية في المنطقة.

وفي عام ١٩٥٩م وعندما شعرت ان سياسة التجزئة لم تعد تخدم سياستها في المنطقة وانه لابد من وجود شكل اخر يستجيب لمطامحها في المنطقة امام نمو الوعي الوطني طرحت مشاريع للاتحادات الفدرالية المزيفة وعملت على الفور على تنفيذ مشروع الاتحاد الفدرالي للجنوب العربي لكي يساعدها على تمديد سيطرتها على المنطقة أكبر مدة ممكنة كما استهدف هذا المشروع تحقيق الاهداف التالية :ـ

- تركيز السلطة في كل المنطقة لتتمكن من الاشراف المباشر عليها.
- ايجاد نوع من النظم الادارية الموحدة في كل المنطقة وفرض المشاريع الدستورية بما يتلاءم ومخططات بريطانية . .
- المبادرة في وضع مستقبل المنطقة وتشكيله وفقا لمتطلبات المصالح البريطانية الاقتصادية والعسكرية .
- مواجهة تيار الوعي القومي العربي الذي اخذ يزداد ويشتد عقب الحرب العالمية الثانية . (١١)

وطوال فترة الاحتلال البريطاني للمنطقة مارس سياسة تجهيل قذرة ضد جماهير الشعب حيث أخذ يبارك في الريف كل مامن شأنه أن يعمق ثقافة الاقطاع المتخلفة من أساطير وخرافات والتي تزرع روح الخنوع والاتكالية ، وفي المدينة كان يدعو الى تمجيد رسالة المستعمرين ويدعي أن الاستعمار جاء لخدمة الشعوب الاخرى ولم تشهد المنطقة تعليما يخدم مصالح جماهير الشعب بل عمل على اقامة تعليم وبشكل محدود وكان دافعه الرئيسي في ذلك تخريج بعض الموظفين والكتبة الذين يقومون بالمهام الخدماتية للادارة البريطانية العسكرية والاقتصادية وكانت المواد التي تدرس في هذه المدارس مكرسة للتعريف بالامبراطورية البريطانية والرسالة الحضارية التي تزعم القيام بها في المستعمرات الى جانب بعض المواد المطلوبة في الادارة البريطانية . .

وهكذا فإن السياسة الاستعمارية في المنطقة طوال ١٢٩ عاما من الاحتلال دانت تنسجم مع الطبيعة الاستعمارية المستغلة ولا تخدم جماهير الشعب بأي حال من الاحوال.

٢ ـ التربية والتعليم في المستعمرة عدن :ـ

إن ظاهرة المدن هي السمة البارزة في البلدان المستعمرة وان المدن هنا يوجدها الاستعمار بالضرورة فهي اولا مركز رئيسي لتصريف منتجاته وهي ثانيا مقر للادارة الاستعمارية وهي ثالثا المجال الوحيد الذي يستطيع الاستعمار من خلاله ان يخلق الطبقة الاجتماعية المرتبطة مصلحيا بوجوده والحامية لمخططاته والمتكيفة معه.

إن ظاهرة المدن هي السمة البارزة في البلدان المستعمرة وأن المدن هنا يوجدها الاستعمار بالضرورة فهي اولا مركز رئيسي لتصريف منتجاته وهي ثانيا مقر للادارة الاستعمارية وهي ثالثا المجال الوحيد الذي يستطيع الاستعمارر من خلاله ان يخلق الطبقة الاجتماعية المرتبطة مصلحيا بوجوده والحامية لمخططاته والمتكيفة معه.

إن ظاهرة المدن هذه ناتجة عن مخطط استعماري رأسمالي لتصبح حديقة يرتادها الافراد المحرومون القادمون من الريف ليعملوا فيها بأجور زهيدة ولكنهم يتنفسون فيها ويجدون ايضا وسائل عديدة تخفف من نقمتهم ضد الاوضاع الاقطاعية في الريف. (١٢)

ومدينة عدن (المستعمرة) كأول منطقة في الجزيرة العربية تتعرض للغزو الاجنبي وتصبح مستعمرة بريطانيا منذ عام ١٨٣٩م واخر مستعمرة في الوطن العربي تحصل على استقلالها عام ١٩٦٧ ، عمل الاستعمار منذ أن وطأت اقدامه اراضيها على انزال جيشه فيها من مختلف الاجناس استقر عدد منهم فيها واستوطنوها وفي نفس الوقت قامت الشركات الاجنبية الاستعمارية باستيراد موظفيها من مختلف البلاد ، مما

أدى الى ان تصبح هذه العناصر الاجنبية (الجاليات) تدخل ضمن التركيب الاجتماعي في عدن وسيطرت على كل مجالات حركة التجارة والتوظيف وادارة الشركات.

ان كثافة العناصر الاجنبية وتزايد الهجرة الاجنبية ، قد عكست نتائج خطيرة اعطت عدن طابعا إجتماعيا معينا اثر على مستوى التعليم وأصبحت اللغة الانجليزية لغة المعاملات والتعليم وأوشك ذلك على طمس عروبة عدن. وفي الصفحات التالية سوف نحاول التعرف على الاوضاع التعليمية في المستعمرة عدن مع اعطاء صورة عن الانماط المختلفة للتعليم التي عرفتها المستعمرة حتى قبل وقوعها تحت الاحتلال البريطاني. (١٣)

٢ - ١ - التعليم التقليدي غير النظامي :-

عدن كغيرها من المدن اليمنية بل وكغيرها من البلاد العربية والاسلامية عرفت الكتاب (المعلامة) كأول مؤسسة تعليمية حتى قبل وقوعها تحت الاحتلال البريطاني لها عام ١٨٣٩م واستمرت ايضا في ظل الاحتلال البريطاني (١٤)

والكتاب (المعلامة) عبارة عن نظام تعليمي حر يعتمد على قيام معلمين بفتح مكاتب للتعليم دون تدخل الحكومة ، ويتميز هذا النوع من التعليم في عدم خضوعه لسن عمرية محددة وليس له نظام قبول معين ولا سنوات دراسية محددة ، ويتركز التعليم في هذا النظام على مواد التربية الاسلامية المتمثلة في تدريس القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة الى جانب بعض مبادىء الحساب المتعلقة بحياة الناس وتخلو مناهج هذا النوع من التعليم من العلوم الطبيعية والاجتماعية المتعارف عليها في مناهج التعليم في العصر الحديث ، ثم يتعلم الاطفال الكتابة من الضحى الى الظهر ثم ينصرفون لتناول الغداء ويعودون بعد صلاة الظهر لدراسة بقية العلوم كالاناشيد والحساب وكان يوم الجمعة يوم عطلة . .

ويقوم التدريس في الكتاب (المعلامة) على الحفظ والتلقين فيقوم المعلم (الفقي) بالاشراف على تلامذته فمنهم الذي يكتب في اللوح ومنهم الذي يحفظ ومنهم الذي يسمع . . ولم يكن باستطاعة (الفقي) أن يعلم الاطفال جميعا لان كل واحد منهم يسير في ناحية من المصحف تختلف عن الاخر ، لذلك كان يشغل زيدا بعمرو فيكلف الكبير بتعليم الصغير وربما يستعين ببعض ابنائه لمساعدته . . وقد تحول التعليم الى حرفة يرتزق منها المعلمون ، بل اصبحت صناعة لابتغاء الرزق اختصت بها فئة من الناس ، وذلك يظهر من خلال تفاوت الاهتمام بالاطفال من قبل المعلم (الفقي) بمقدار مايدفع او يقدم مقابل عمله ، فبقدر مايكون الدفع كبيرا يكون الاهتمام اكثر . . ولم يكن المعلم يتقاضى اجرا شهريا مقابل عمله بل يعتمد على مايدفعه الأطفال من نقود .

لقد كان هدف التعليم في الكتاب (المعلامة) اعداد الفرد لمراحل تعليم تالية او تسليحه بقدر من المعرفة والمهارة اللغوية والحسابية الى جانب التربية الدينية ، حيث كانت فروض الصلاة والصوم والطاعة مطلوبة من الصبيان في الكتاب ، وكثيرا ماكان يلجأ معلمو الكتاب الى العقوبات البدنية الرادعه مما كون عند الاطفال خوفا من عصيان الاوامر ورغبة في الظهور بمظهر المطيعين امام معلمهم وساكتين لايأتون حركة او صوتا الا اذا امر معلمهم بذلك . . ولم تكن للرياضة البدنية او العناية بأمور الصحة نصيب يذكر ، وغالبا ما كانت الكتاتيب (المعلامات) عبارة عن غرف صغيرة ملحقة بالمساجد او مستقلة ويتكدس فيها الاطفال على الارض التي تغطي عادة بحصير قد تآكل معظمه من كثرة القعود بينما يجلس المعلم (الفقي) على دكة مرتفعة قليلا وبالقرب منه عصا صغيرة يستخدمها لمعاقبة الاطفال وتخويفهم . .

وتعتبر المعلامات (الكتاتيب) اكثر مؤسسات التعليم التقليدي انتشارا في عدن اذا لم تعرف عدن ماعرفته بعض المدن اليمنية الاخرى من مؤسسات كالاربطة والمراكز الدينية والتي وجدت في زبيد وبيت الفقيه وسيئون وتريم حيث كانت المعلامة (الكتاب) هي الوسيلة الوحيدة للتعليم في عدن قبل ظهور التعليم النظامي واستمرت في الانتشار حتى بعد ظهور التعليم النظامي . . وقد انتشرت المعلامات في عدد من الاحياء وفي معظم المساجد في عدن . . ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى اخذت المعلامات في التطور نوعا ما عما كانت عليه في السابق فالاطفال اخذوا يجلسون على مقاعد خشبية ويدفعون رسوم يومية او شهرية ويدرسون

القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة والحساب وبعض الاناشيد وبشكل ارقى بحيث يتمكن من أنهى المعلامة من الحصول على وظيفة كاتب لدى التجار في الدكاكين او المكاتب التابعة لهم ولم يستخدموا الارقام المعروفة في الكسور الان في حساباتهم بل كانت هناك رموز متعارف عليها يستعملها خريجوا المعلامات المتطورة مثل :ـ

(ـــ) وتعنى الربع ($\frac{1}{4}$) و(/) وتعني النصف ($\frac{1}{2}$) و(ك) وتعني ($\frac{3}{4}$) . ومع تطور المعلامات اصبح هناك معلامات خاصة بالاولاد واخرى خاصة بالبنات يدرسن فيها معلمات (فقيبات) ثم في مرحلة لاحقة اصبحت هناك معلامات مختلطة للاولاد والبنات وبالذات في اوائل الستينات وقد استمرت المعلامات منتشرة الى وقت قريب ، ويندر الان ان نجد بقايا للمعلامات في عدن (العاصمة) .

ومن أشهر المعلامات (الكتاتيب) المتطورة التي ظهرت في عدن منذ العشرينات من هذا القرن وحتى الستينات منه معلامة الشيخ محمد الشنطيطي في حافة الهنود ومعلامة الشيخ محمد علوان العولقي في حافة حسين ومعلامة الشيخ محمد الحوزي في حافة القطيع ومعلامة الشيخ محمد المالكي في حافة العيدروس وكلها في كريتر ، أما منطقة المعلا فان من أشهر المعلامات التي ظهرت فيها معلامة الشيخ درهم في مظلة مقبرة المعلا دكة . ومعلامة الشريف الخاصة بالصومال ، ومعلامة الفقيه سالم عبدالله الكوري في شارع البحتري وموقعها الان معهد ١٤ اكتوبر ومعلامة الفقيه الحمادي في شارع البحتري ، وفي منطقة التواهي وجدت معلامة الشيخ الهتاري ، ومعلامة الشيخ عبدالفتاح علي طه الهتاري ، ومعلامة الشيخ محمد القاضي اما في منطقة الشيخ عثمان فكان من أشهر المعلامات فيها معلامة الشيخ احمد عوض العبادي ومعلامة الفقيه حيدر ومعلامة الفقيه عثمان ومعلامة الفقيه عبده كليب ومعلامة بيت حنبلة .

وقد لعبت المعلامات (الكتاتيب) في عدن دورا كبيرا في التخفيف من انتشار الامية بالرغم مما كانت تقدمه من تعليم متخلف وما تعكسه من افكار متخلفة ايضا ، حيث كانت هذه المعلامات هي الملاذ الوحيد لكثير من أبناء الشعب في ظل الجهل المسيطر على كل انحاء المنطقة ، كما كانت المجال الوحيد المفتوح امامهم حتى في ظل الاحتلال البريطاني للمنطقة وحتى بعد ان بدأت المدارس الحديثة بالظهور نظرا للسياسة التعليمية الاستعمارية التي كانت تتسم بتعليم الصفوة وتوصد المدارس امام ابناء الطبقات الكادحة من جماهير الشعب وتخرج منها كثير ممن اشتهروا في الفترات اللاحقة من العلماء والادباء والاعيان والذين بدأوا حياتهم التعليمية بالانخراط في هذه المؤسسة التعليمية وان تفاوتت فترات بقائهم فيها .

٢ ـ ٢ ـ التعليم النظامي :ـ

نقصد بالتعليم النظامي ذلك النوع من التعليم الذي يخضع للوائح تنظيمية محددة وأهداف محددة تخدم مصالح وسياسات الجهات المشرفة عليه وقد عرفت مستعمرة عدن نوعين من التعليم النظامي ، حيث كان هناك النوع الحكومي اي ان السلطات الاستعمارية قامت بانشائه والنوع الثاني وهو تعليم اهلي وهذا النوع قام بانشائه الاهالي من خلال التجمعات والتشكيلات الاهلية التي انشؤها في المنطقة . .

٢ ـ ٢ ـ ١ ـ التعليم النظامي الحكومي :ـ

الاستعمار بمختلف اشكاله والوانه يهدف الى ابقاء الشعوب المستعمرة في جهل مطبق بعيدة عن كل ماله علاقه بالعلم والمعرفة حتى يسهل عليه تنفيذ مشاريعه بسلام وهذا ماينطبق على الاستعمار البريطاني الذي عمل على ان يظل الشطر الجنوبي من اليمن لسنين طويلة محروما من العلم والمعرفة ويرفض اي شكل من الاشكال التي قد تؤدي بالشعب الى الخروج عن واقعه المتخلف وبدرجة رئيسية التعليم .

لذلك ليس مستغربا ان يتم فتح أول مدرسة حكومية بعد مرور (١٧) عاما من الاحتلال البريطاني لعدن وذلك في عام ١٨٥٦م ولمدة عامين فقط ثم تغلق ليعاد فتحها عام ١٨٦٦م أي بعد مرور ربع قرن على الاستعمار البريطاني للمنطقة بالرغم من ان اهداف هذه المدرسة كانت تبشيرية ومحاولة منه لجذب ابناء الرؤساء اليها في مهمة لتسهيل اتصالات البريطانيين المستمرة وتخريج بعض الكتبة للادارة البريطانية والتي التحق فيها

عدد قليل جدا من ابناء المدينة (١٥) .

وخلال الفترة التي امتدت منذ اعادة افتتاح مدرسة حكومية عام ١٨٦٦ وحتى عام ١٩٠٠م أي خلال الربع الاخير من القرن الماضي لم يفتح الانجليز غير مدرستين اثنتين الاولى في منطقة التواهي عام ١٨٨٠م والثانية في المعلا عام ١٨٨٩م الى جانب إفتتاح مدرستين كاثوليكيتين ، وقد بلغ عدد التلاميذ في الثلاث المدارس الابتدائية التي انشئت وحتى اواخر القرن - اي بعد حوالي ستين عاما كاملا - (٢٥٦) تلميذا فقط ، أما بالنسبة للمنهج فقد ادخلت مادة مسك الدفاتر بجانب الدروس المحتوية على تاريخ انجلترا والهند وروما والكتاب الاول من اقليدس والجغرافيا والحساب والجبر ، كما تم تقليل حصص الدراسات القرآنية مقابل زيادة المواضيع النفعية على المستوى الابتدائي . (١٦)

لقد كانت مستعمرة عدن في اواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي تبدو وكأنها هندية أكثر من كونها عربية نتيجة بقائها مرتبطة بالهند لفترة طويلة ، مما اثر تأثيرا بالغاً على الوضع التعليمي المتردي ووجد ذلك انعكاسه على اللغة العربية ومناهج الدراسة وليس ذلك فحسب بل شمل الثقافة بمعناها الواسع ولم يستطع المستعمرون انفسهم نكران ذلك فهذا مساعد المقيم البريطاني (هارولد جاكوب) في كتابه (ملوك العرب) يصف حالة التعليم والثقافة العربية في عدن في تلك الفترة قائلا : ومن الممارسات المؤسفة في عدن ان يستخدم الكثيرون اللغة الهندستانية فعدن بسرعة (تتهند) كل يوم فالاعلانات التي توضع امام شبابيك البريد هي بالهندستانية او الجزراتية وتبدو اللغة العربية وكأنها لغة أجنبية ، ومعظم المدرسين من الهنود والمدينة قد نومت تنويما مغناطيسيا واصبحت كلها تعيش تحت نكهة بومبي . (١٧) .

لقد كانت حالة التعليم متريدة للغاية خلال تلك الفترة ، فهذا الاستاذ محمد علي لقمان احد الاعيان المقربين في تلك الفترة والذين كانوا ينادون بالاصلاح يقيم الوضع التعليمي في تلك الفترة في كتيب باللغة الانجليزية نشره عام ١٩٢٣م حيث ذكر ان «٥٠٪ من اطفال عدن الذكور لايجدون مدرسة يؤمونها ، وهم يتسكعون في الاسواق والامية منتشرة بينهم ، بينما جزيرة سيشل وسكانها (١١٫٠٠٠) مقابل (٥٦٫٠٠٠) نسمة سكان عدن وتجارتها لاتوازي ربع تجارة عدن تتمتع بكلية ومدير معارف عام الى غير ذلك من تأخر عدن المحزن حتى انها لم تخرج طالبا واحدا يحمل شهادة البكالوريا الثانوية في (٨٤) سنة . . »

ثم يضيف واصفا حالة المدارس قائلا : ان الفوضى قد ضربت بجرانها في المدارس والكتاتيب وكانت المدارس على درجة العموم ضيقة ، مظلمة فاقدة اصول التهوية الصحية قذرة ، وكان المعلمون أغبياء ولا يحمل احد منهم شهادة كفاءة ، رواتبهم حقيرة ومقامهم غير محسود اما برامج التعليم فقد كانت تفتقر الى عدة عناصر كالجبر والهندسة والعلوم الطبيعية والجغرافيا وكانت اللغة العربية اضعف مواضيع الدروس على الاطلاق (١٨) .

أما الاستاذ عطاء حسين وهو اول مدير معارف هندي واشهرهم في تلك الفترة والذي تولى نظارة المعارف في مستعمرة عدن في الفترة من (١٩٢١ - ١٩٣٠) فقد قيم هو الاخر الاوضاع التعليمية في تلك الفترة حيث قال :-

«ان النظام التربوي في عدن لايتفق والغرض الانساني العام فقد كانت المدارس ترمي الى اعداد طلبة للالتحاق بخدمة الحكومة ، ولذا فان عددا كبيرا من الشبان الذين لم يكن لديهم المؤهلات لهذه الخدمة وجدوا أنفسهم مدفوعين للبطالة بعد مغادرة المدرسة ، وكانت الدروس لاتتعدى اللغة الانجليزية والحساب وقليلا من الجغرافيا السياسية وتاريخ الهند السياسي وتاريخ الامبراطورية ولم تكن تعنى بالثقافة العامة ولا تنمية الذكاء وشفوف الحس بين ابناء المدارس عن طريق تدريس الاداب والفنون الا قليلا . . وكان الاهتمام بالغا بتشجيع الحفظ بصورة ميكانيكية والترديد المقيت» (١٩) .

ولقد ظل الوضع التربوي والتعليمي لمستعمرة عدن خلال العقد الاول من القرن العشرين جزءا من النظام التربوي والتعليمي الهندي والذي كان يقوم على المدرسة الابتدائية ومدة الدراسة فيها تتراوح بين ٤ - ٥ سنوات ثم تليها المرحلة الثانوية ومدتها مابين ٥ - ٦ سنوات يقدم الطالب في نهايتها امتحان لنيل شهادة (الجوتير كامبردج) والتي لاتؤهل للالتحاق بالدراسة الجامعية العليا . . حيث استمر كذلك حتى انضمام

عدن الى وزارة المستعمرات في لندن عام ١٩٣٧م وخلال هذه الفترة تعاقب على ادارة المعارف في عدن ثلاثة من النظار الهنود والمسلمين تم استجلابهم من قبل السلطات الاستعمارية من الهند وهم على التوالي الاستاذ/ عطا حسين كأول ناظر معارف ثم تلاه الاستاذ/ الفاروقي وكان اخرهم الاستاذ /محمد نواز . .

وفي الفترة التي تولى هؤلاء نظارة المعارف في عدن حاولوا ادخال بعض الاصلاحات على نظام التعليم في عدن وبالذات الاستاذ /عطا حسين الذي عين اول مساعد عربي له من فلسطين هو الاستاذ /طاهر حمزة الذي بذل جهودا طيبة في سبيل ترقية الادب العربي واللغة العربية كما عين الاستاذ/ كامل عبدالله صلاح احد رجال الدين المشهورين من الحجاز انذاك مديرا للمدرسة الحكومية الابتدائية في (السيلة) والذي ادخل التعليم الديني لاول مرة ، وفي عهد عطا حسين ايضا فتحت مدرسة ليلية لتدريب المعلمين، كما تم في عهده الاعداد لامتحان الطلبة لنيل شهادة (الستير كامبردج) وإرسال اول بعثة طلابية الى بريطانيا للدراسة عاد معظمهم فيما بعد كي يعملوا كمدرسين بعد ان تخرجوا كما جرى اعطاء بعض الاهتمام باللغة العربية . (٢٠) .

ان هذه الاصلاحات التي ادخلت على النظام التربوي والتعليمي والاهتمام بعض الشيء باللغة العربية كانت نتيجة تنامي الوعي لدى المواطنين اليمنيين ومطالبتهم المستمرة بتحسين التعليم والاهتمام باللغة العربية بعد ان شعروا بأنهم اصبحوا كالغرباء في بلدهم . . ولم تقتصر مطالبهم بوجوب ايجاد التعليم والاهتمام باللغة العربية واعداد المعلمين الوطنيين بل تعدت هذه المطالب لتطالب باستقلال عدن عن الهند مما أثار مخاوف الهنود تجارا وموظفين لان ذلك لاينسجم مع مصالحهم . .

وحتى بعد انضمام عدن الى وزارة المستعمرات البريطانية في لندن اي بعد مضي مائة عام على الاستعمار والتبعية للهند فان عدد المدارس الحكومية النظامية لم تزد عن اربع مدارس اضافة الى (كلية ابناء المشائخ) التي جرى افتتاحها عام ١٩٣٥ اي قبل عامين من انضمام عدن لوزارة المستعمرات في جبل حديد وهذه المدرسة انيط بها تخريج ابناء الرؤساء والامراء والمشائخ والعقال وكان الهدف من تأسيسها اخراج جيل من ابناء الامراء والسلاطين يعرفون قدرا معينا من اللغة الانجليزية تمكنهم من الاتصال بالضباط الانجليز في القاعدة البريطانية والمستشارين الى جانب اعدادهم كحكام موالين للسلطات الاستعمارية في المستقبل . (٢١)

وفي عام ١٩٣٧م تم فصل عدن عن تبعية الهند والحق مباشرة بوزارة المستعمرات البريطانية في لندن ، حينها تم اسناد ادارة المعارف الى احد البريطانيين الذي حاول ادخال بعض التعديلات والتغييرات على النظام التربوي والتعليمي للمستعمرة عدن في محاولة منه للنهوض بالتعليم ، حيث دعى بعض رجال التعليم من الخارج وعمل على زيادة اجور المعلمين وفتح عدد من المدارس الابتدائية كما عمل على زيادة المصروفات على التعليم ، وفي هذه الاثناء ازداد وعي المواطنين وشعورهم باهمية التعليم ، وبدأت بعض الطلائع التي درست في الخارج بالعودة الى الوطن مما ادى الى تزايد المطالبات الجادة بتطوير التعليم وتحسينه وتوسيعه ورفعت المذكرات المطالبة بتحسين التعليم من قبل اللجان والنوادي الاصلاحية والثقافية التي بدأت تؤسس والتي كان من اهدافها الاهتمام بالتعليم في الداخل وارسال البعثات التعليمية للدراسة في الخارج . . ولعل من ابرز تلك النوادي نادي الاصلاح العربي الاسلامي الذي رفع مذكرة للحاكم البريطاني للمستعمرة عدن عام ١٩٤٠م ، طالب فيها بالعمل على رفع مستوى التعليم وارسال الطلبة للدراسة في الخارج على نفقة الحكومة وادخال العلوم الطبيعية في التعليم وتطوير مدرسة البنات وانشاء كلية لعدن الى غيرها من المطالب الاخرى . (٢٢)

لم تلق تلك المطالب وغيرها من المطالب المتكررة استجابة من البريطانيين لانها لاتنسجم مع السياسة التي رسموها للمنطقة والتي بموجبها هم سائرون وتحايلوا عليها بشتى الاعذار الواهية وكعادتهم .

بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت اهمية المنطقة بالنسبة لاستراتيجية الاستعمار البريطاني ، كما تزايدت في نفس الوقت مصالحه الاقتصادية في المنطقة وتوسعت شركاته الاحتكارية ، وهذا بالتأكيد وضع متطلبات جديدة وفي مقدمة هذه المتطلبات وجود ادارة جديدة وكوادر يكون بمقدورها تلبية هذه الحاجة وقد انعكس ذلك على الحركة التعليمية لتخدم هذا الهدف، من

جانب اخر تنامى وعي المواطنين باهمية التعليم وزاد ضغطهم على الحكومة البريطانية مطالبين بتعليم ابنائهم مما أجبر البريطانيين على فتح عدد من المدارس الابتدائية في مناطق محددة من عدن ولكنها كانت محصورة فقط لابناء مستعمرة عدن . . ولا يسمح لابناء المحميات وابناء الشطر الشمالي من اليمن بدخولها حيث ظلوا محرومين من التعليم . .

كما جرى في عام ١٩٤٨م وضع برنامج محدود شمل بناء مدرستين ثانويتين احداهما للبنين وهي ما اطلق عليها (كلية عدن) والتي فتحت عام ١٩٥٢ والاخرى للبنات وهي ثانوية خور مكسر للبنات والتي فتحت عام ١٩٥٦ وفي نفس الفترة تم افتتاح المعهد الفني بالمعلا والذي تم بناؤه من قبل شركة (البس) الاحتكارية (٢٣) .

وفي بداية الستينات من هذا القرن برزت ايضا مدارس ثانوية اخرى في المستعمر عدن حيث تم في عام ١٩٦٢ م افتتاح مدرسة ثانوية للبنين في كريتر سميت (المدرسة الثانوية الصغرى) بشكل مؤقت ثم تم نقلها الى مبنى جديد في خور مكسر اطلق عليها حينها ثانوية خور مكسر للبنين (ثانوية الجلاء حاليا) . .

وفي العام الدراسي ٦٣/٦٤ افتتحت مدرسة ثانوية في مدينة الشعب (مدينة الاتحاد سابقا) حيث خصصت لاستقبال ابناء المناطق الريفية (ابناء المحميات) خاصة بعد قيام الاتحاد الفدرالي المزيف وحلت بذلك محل مدرسة جبل حديد التي كانت لابناء السلاطين والمشائخ والتي اغلقت (٢٤) . .

وعلى الرغم من تزايد عدد المدارس في هذه الفترة الا ان التعليم مع ذلك ظل محدودا ولم تخصص له ميزانية لتطويره والاعتناء به ، كما لم يتم وضع اي برامج واضحة لتوسيعه لذلك فإننا نجد انه حتى عام ١٩٥٨م لم يتواجد في المدارس سوى (٤٥١٩) تلميذا وتلميذة في المرحلة الابتدائية و(١٥٩١) في المرحلة المتوسطة و(٨١١) في المرحلة الثانوية كما ان عدد المتدربين في المعهد الفني المهني الوحيد في المعلا لايتجاوز (٢٠٠) متدرب وفي دار المعلمين والذي كان الوحيد الذي يقوم بتأهيل المعلمين للتدريس في المدارس الابتدائية لم يكن فيه سوى (١٦) متدربا و(١٥) متدربة فقط (٢٥) . .

وفي السنوات التي سبقت الاستقلال الوطني وتماشيا مع تزايد اهمية عدن كعاصمة للاتحاد الفدرالي المزيف الذي عملت السلطات البريطانية على انشائه كمحاولة منها لمد فترة بقائها في المنطقة وتزايد النشاط التجاري للشركات الاحتكارية وتعاظم دور القاعدة العسكرية ، الى جانب تعاظم الحركة الجماهيرية وبروز دور الحركة الوطنية الفاعل وفي مواجهة الانتقادات الشديدة للسياسة التعليمية الاستعمارية عملت الحكومة البريطانية على فتح عدد آخر من المدارس الابتدائية والمتوسطة في عدن المستعمرة ووفقا لاحصائيات العام الدراسي ٦٥/٦٦ بلغ عدد الطلاب الملتحقين في المرحلة الابتدائية في عدن (١٤٥٩٥) وفي المرحلة المتوسطة (٧١٠٦) وفي المرحلة الثانوية (٣٤٤٣) طالبا وطالبة . اما التعليم الفني والمهني فقد ظل مقتصرا على المعهد الفني الوحيد في المعلا الذي يستوعب حوالي (٢٠٠) متدرب ولم يكن للتعليم العالي أي وجود حتى عام الاستقلال (٢٦) . .

أما نوعية التعليم الذي كانت تقدمه المؤسسات التعليمية التي انشئت في تلك الفترة ، فنجد ان المناهج كانت تعكس الاهداف الاستعمارية ، ففي الجغرافيا يجري تدريس الجزر البريطانية وفي التاريخ يدرس تاريخ اوروبا ومثل هذه المناهج التي وضعت كانت تخدم السياسة الاستعمارية وتهدف الى تغريب الطالب عن وطنه وتربته المحلية وبالتالي ابعاده عن واقعه ، وتثبيت وجهة النظر الاستعمارية في ماتطرحه المناهج الدراسية ولم يعط للطالب اليمني اي فرصة للتعرف على تاريخ الشعب اليمني وحضاراته ومساهماته في تطوير الحضارة الانسانية . .

وفي ضوء العرض الذي قدمناه لمراحل تطور التعليم في عدن (المستعمرة) يمكن تسجيل الملاحظات العامة التالية عن التعليم النظامي الحكومي في عدن خلال تلك الفترة وبشكل مركز :-

١- ان التعليم الاولي هو الذي حظي ببعض الاهتمام
٢- ان التعليم المتوسط أتى في المرتبة الثانية .
٣- كان التوسع في التعليم الثانوي ضئيلا فهو لم يوجد الا في ثلاث مدارس فقط حتى عام ١٩٦٣م .
٤- ان التعليم الفني والمهني لم يبدأ الا عام ١٩٥٢م وبمعهد فني واحد وظل على هذا الحال . .
٥- ان عدم الاهتمام بالتعليم العالي والثانوي له مايفسره

وهو فرض وحماية الخبرة الاجنبية واستمرارها سواء في الاجهزة الادارية او حتى في الاجهزة التعليمية ذاتها . .

٦- ان عدم الاهتمام بالتعليم العالي ، يستعاض عنه بارسال عدد محدود جدا من الطلاب الى الخارج وفي هذا يظهر الانحياز الحقيقي فلا يظفر بالبعثات الا ابناء الطبقات الاقطاعية والكمبرادور وكبار الموظفين المرتبطين بالمصالح الاستعمارية .

٧- ان التعليم الابتدائي لم يكن يحل مشاكل الطبقات الكادحة الفقيرة المستفيدة منه ولايحسن من وضعيتها لان الامتيازات كانت تعطى للاقلية التي تنال حق التعليم العالي . .

- ان التعليم الابتدائي لم يوسع ليصبح الزاميا او حتى مفتوحا امام كل الاطفال البالغين سن التعليم ، حيث كان يوصد امام ابناء الريف (المحميات) وابناء الشطر الشمالي من اليمن المنتقلين الى عدن ولم يكن يسمح بالالتحاق بالتعليم الا لأولئك الذين يحملون مايسمى بالمخلقة (شهادة ميلاد في عدن) . وكثير من هؤلاء كانوا من ابناء الجاليات الاجنبية ، ولذلك كان الكثير من الاطفال الصغار الذين لاتتاح لهم فرص التعليم يشتغلون خدما في البيوت . .

٩- ان محتوى التربية والتعليم لم يكن يهدف الى تزويد الطلاب بالمعارف والخبرات بما يخدم مصالح جماهير الشعب وبناء المجتمع ، وكانت السياسة محرمة في المدارس والفكرة السائدة انذاك ان المدرسة لادخل لها بالسياسة بهدف ابعاد الطلاب عن التفكير في واقع شعبهم وفي مساندتهم لأي حركة شعبية تقوم ضد الوجود الاستعماري وتطالب بالحرية والاستقلال . .

٢-٢-٢- التعليم النظامي الاهلي :-

في ظل السياسة الاستعمارية الهادفة الى ابقاء التعليم محدودا وعدم التوسع فيه من جهة ومن جهة اخرى حرمان الغالبية العظمى من ابناء الشعب حق التعليم وبدرجة رئيسية ابناء الريف (المحميات) وكذا ابناء المتنقلين من الشطر الشمالي من اليمن ، تولد عند اليمنيين احساس شديد بكرامتهم واشعرتهم بحاجتهم الملحة الى بناء المدارس من اجل تعليم ابنائهم وتهذيب اخلاقهم ليعيشوا حياتهم بعزة في وطنهم وفي كل ارض او اي مكان يحلون فيه ، فبدأت الدعوات المطالبة بالعلم والمعرفة والقضاء على الجهل وبناء المدارس وقام رجال الاصلاح والمثقفون بدور رائد في هذا المجال ، حيث عملوا على تعميق اهمية العلم والتعليم في اذهان الناس من خلال استخدام الوسائل المختلفة كالخطابة من على منابر المساجد والكتابة في الصحف وغيرها من وسائل الاتصال بالناس . .

وبادرت الجمعيات والنوادي الاصلاحية والثقافية التي بدأت تتأسس مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى متأثرة الى حد كبير بالحركة الاصلاحية التي كانت قائمة انذاك في بعض البلدان العربية كمصر وسوريا ولبنان وفلسطين بتزعم الدعوة لقيام مدارس اهلية وكانت قد تأسست قبل هذه الفترة في مدينة كريتر جمعية خيرية اطلق عليها الجمعية الخيرية الاسلامية وترأسها الشيخ احمد عمر بازرعة . .

حيث قامت الجمعية بتأسيس مدرسة اهلية عام ١٩١٢ سميت بمدرسة بازرعة الخيرية الاسلامية في طريق العيدروس (مدرسة الشهيد ناجي حاليا) وقد التحق فيها عدد لابأس به من الطلاب الذين لفظتهم مدارس الحكومة المقتصرة على قبول ابناء المستعمرة عدن وابناء العائلات الكبيرة ، كما قام لفيف من المواطنين في مدينة التواهي بجمع التبرعات لبناء مدرسة اهلية لاستيعاب الاطفال الذين اوصدت امامهم مدارس الحكومة الاستعمارية تمكنوا من تأسيس مدرسة اطلق عليها المدرسة الاهلية (٢٧) .

وفي مدينة الشيخ عثمان قام نادي الاصلاح العربي الذي تأسس عام ١٩٢٩ بافتتاح مدرسة اهلية كان يديرها العلامة الشيخ احمد العبادي الوهابي النزعة (٢٨) .

كما قام في نفس الوقت نادي الاصلاح العربي كغيره من النوادي والجمعيات بارسال عدد من الطلاب للدراسة في بعض البلاد العربية على نفقة حكومة تلك الاقطار في العراق ومصر والسودان وقامت بمراسلة زعماء تلك الاقطار في محاولة منها لشرح اوضاع ابناء البلاد وحاجتهم للتعليم ومن ثم مطالبتهم بتقديم المساعدة والدعم من خلال قبول طلاب للدراسة في بلدانهم ولعل من اشهر تلك الرسائل الرسالة التي بعث بها نادي الاصلاح العربي الاسلامي الى الزعيم السوداني عبدالرحمن المهدي عام ١٩٣٧م والتي من خلالها جرى وصف الحالة التعليمية والثقافية المتردية التي تعيشها البلاد وكيف ان الاجانب قد استحوذوا على مرافق البلاد

وخيراتها بينما العربي اصبح فيها غريبا جهولا يقاسي الام الجوع والفاقة ويعيش في ديجور حالك من الجهل والتعليم الموجود لايسمن ولايغني من جوع حيث يخرج الطالب من المدرسة الثانوية لايحسن العربية (لغته) ولا يجيد الانجليزية وهي اللغة الرسمية ، وطلبت الرسالة من الزعيم السوداني قبول بعض الطلاب من ابناء البلاد للدراسة في السودان او مصر على نفقة الحكومة السودانية . . (٢٩)

وفي عام ١٩٤٨م وبعد حملة تبرعات قام بها الاهالي في منطقة الشيخ عثمان أمكن افتتاح مدرسة أهلية ايضا أطلق عليها «مدرسة النهضة» التي انخرط فيها عدد كبير من الأطفال وتخرج منها عدد من الطلاب الذين كانت لهم ادوار هامة في مسار الحركة الوطنية من أجل التحرر والاستقلال . كما قام في المنطقة نفسها نادى الشباب الثقافي بافتتاح مدرسة ليلية شعبية التحق فيها عدد من كانت اعمالهم لاتمكنهم من الألتحاق بالمدرسة في الفترة الصباحية . .

وفي عام ١٩٥٥م وعلى اثر حملة من التبرعات شملت داخل البلاد وخارجها وبالذات بعض الاقطار العربية والتي تزعمها الشيخ محمد بن سالم البيحاني احد علماء الدين انذاك وامام مسجد العسقلاني في كريتر تأسس المعهد العلمي الاسلامي الذي كان يشتمل على مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية والذي مكن عددا كبيرا من الطلاب وبالذات من ابناء الريف (المحميات) وابناء الشطر الشمالي من اليمن من تلقي التعليم بمراحله (الثلاث) الى جانب ذلك امكن للمرحلة الثانوية استقبال الطلاب الذين أكملوا المراحل الابتدائية والمتوسطة في المدارس الاهلية الاخرى من الالتحاق فيه . . (٣٠) .

ونتيجة للدعوات المتكررة والكتابات التي تزعمها عدد من المثقفين اليمنيين التي تطالب بالعلم وتحث الناس للاهتمام بتعليم ابنائهم وفتح المدارس لهم والتي شملت داخل الوطن وخارجه وحيثما يتواجد اليمنيون اندفع اليمنيون بحماس منقطع النظير لتأسيس هيئة شعبية يمنية تهدف الى فتح مدارس في اليمن والمهجر والتي عرفت باسم (هيئة التربية والتعليم اليمنية) وكان اول مشروع اقدمت عليه هذه الهيئة هو انشاء (كلية بلقيس) في الشيخ عثمان والتي تأسست عام ١٩٦١م وتضم مختلف مراحل التعليم العام من مرحلة الروضة وحتى المرحلة الثانوية وبذلك اصبحت هذه الكلية ملاذا لكثير من الاطفال الذين حرموا من حق التعليم في المؤسسات التعليمية الحكومية حتى وصل عدد الطلاب الملتحقين فيها في العام الدراسي ١٩٦٦/٦٥م (٢٣٦٥) طالبا وطالبة (٣١) .

أما مناهج الدراسة في المدارس الاهلية التي تم انشاؤها بواسطة الجمعيات والنوادي والهيئات الاصلاحية ، فقد كانت تعتمد على مناهج عدد من البلدان العربية التي كانت تساعدها في تقديم الكتب الدراسية فهناك مدارس كانت الدراسة فيها تقوم على المنهج المصري واخرى على المنهج العراقي والمنهج الاردني وهكذا ، وكانت هذه المدارس تلاقي المضايقات والتعنتات الدائمة من السلطات الاستعمارية وتتدخل السلطات البريطانية في برامج التدريس فيها ومع ذلك فقد لعبت المدارس الاهلية دورا مهما في نشر الوعي الوطني في اوساط الشباب لانها كانت مكان تجمع يلتقي فيها طلاب من طبقات وفئات كادحة الى جانب وجود مدرسين وطنيين واحتكاكهم بعدد من المدرسين العرب الذين كانوا يفدون من بعض الاقطار العربية للتدريس فيها والذين لعبوا دورا مهما ايضا في نشر الافكار الجديدة التقدمية ، والافكار القومية والتحريرية والتي كانت تنمو ويتعاظم دورها في المنطقة العربية وتطالب بالحرية والاستقلال والوحدة العربية . .

التعليم في المحميات الغربية والشرقية :ـ

منذ عام ١٩٣٧م لعبت جملة من العوامل المستجدة في المنطقة دورا كبيرا في جعل الاستعمار البريطاني يعيد النظر في سياسته المتبعة في الشطر الجنوبي من اليمن الواقع تحت نفوذ سيطرته ومن هذه العوامل ، ازدياد اهمية الدور الذي تلعبه المنطقة في المبادلات التجارية للامبراطورية البريطانية ، والاهمية العسكرية والاستراتيجية للمنطقة الى جانب قرب موعد حصول الهند على استقلالها ، حيث ادت هذه العوامل مع غيرها من العوامل الاخرى الى اتخاذ البريطانيين قرارا بالتغلغل الفعلي والواسع في المنطقة وذلك من خلال اصدار قانون تحدد بموجبه اسلوبها في احكام سيطرتها على المنطقة وبالتالي وبموجب هذا القانون او الامر الصادر من التاج البريطاني بتاريخ ١٨ مارس ١٩٣٧ جرى تقسيم المنطقة الى :ـ

١ـ مستعمرة عدن (محمية عدن)

٢ـ المحمية الغـربية والتي قسمت الى خمس مناطق رئيسية وهي المنطقة الشمالية وتضم :
- امارة بيحان
- سلطنة العوالق العليا
- مشيخة العوالق العليا
● المنطقة الجنوبية الشرقية وتشتمل على :ـ
- سلطنة العواذل
- سلطنة العوالق السفلى
- اتحاد دثينه(والتي يطلق عليها اسم (جمهورية دثينه لأن رئيسها ينتخب كل سنة . .
● المنطقة الوسطى وتضم :ـ
- سلطنة الفضلى
- سلطنة يافع السفلى
- سلطنة يافع العليا
● المنطقة الجنوبية الغربية وهي تضم :ـ
- سلطنة لحج
- مشيخة العلوي
- مشيخة العقربي
- مشيخة الحوشبي
● المنطقة الشمالية الغربية وتضم :ـ
- امارة الضالع
- مشيخة الشعيب
- مشيخة المفلحي
- مشيخة ردفان

٣ـ المحمية الشرقية والتي كانت تضم خمس سلطنات هي :ـ
- سلطنة القعيطي في الشحر والمكلا
- سلطنة الكثيري في سيئون
- سلطنة الواحدي في بلحاف
- سلطنة الواحدي في بير علي
- سلطنة ماهر في قشن وسقطره

وكان التنظيم السياسي الداخلي في هذه الدول المحمية يقوم على أساس ادارتها من قبل زعمائها تحت إشراف وتوجيه وكلاء الحاكم البريطاني لمستعمرة عدن باعتباره الحاكم العام للمستعمرة ومحمياتها يساعده في ذلك عدد من الضباط السياسيين البريطانيين (٣٢)

وفي عموم المحميات لم تخرج السياسة التعليمية للاستعمار البريطاني عن سياسته التعليمية في بقية مناطق الشطر الجنوبي من اليمن الواقعه تحت سيطرته ونفوذه ، فمدير المعارف في المستعمرة عدن والمعتمد البريطاني في المحميات هما اللذان كان يقع عليهما مسؤولية تخطيط وتنظيم السياسة التعليمية الاستعمارية في هذه الاجزاء بحيث لايكون هناك تعليم بمعناه العام والشامل وانما عبارة عن ذر الرماد في العيون وعملية تخدير للشعب (٣٣) . .

لقد تم اهمال مناطق الريف (المحميات) اهمالا يكاد يكون تاما من قبل المستعمرين البريطانيين وذلك للاسباب التالية :ـ

١ ـ محاربة الاقطاع الرجعي للثقافة الجديدة واعتقادها بأن المدارس الحديثة ستقوم بدور نشر مثل هذه الثقافة .

٢ ـ وحدة اراء الاستعمار والاقطاع حول بقاء حالة التخلف في الريف ومحاربة اي محاولة لتطوير الريف اليمني ، فالاستعمار ليس لديه أي مصالح في تطوير حالة الفلاحين والاقطاع يخشى من تطور ثقافتهم لان استيعاب الفلاحين للثقافة الجديدة وتأثيرها عليهم يعني تهديد نفوذ الاقطاع الروحي والمادي في الريف .

٣ ـ الخوف من المدارس باعتبارها مركزا للتجمع قد يؤدي الى استغلالها كمواقع للتجمع ولنشوء حركة طلابية وتأليبها ضد الاستعمار والاقطاع وانتشار تأثيرات مثل هذه الحركات بين أوساط الفلاحين أنفسهم .

٤ ـ عدم وجود مصلحة ظاهرة للاستعمار في تعليم الفلاحين وابنائهم وانحصار مصلحته بدرجة رئيسية في المستعمرة عدن ، حيث تتواجد ادارته وقواعده وشركاته الاحتكارية .

٥ ـ وضع المبررات الواهية من قبل السلطات الاستعمارية في محاولة لاقناع السكان المطالبين بنشر التعليم في كل انحاء مناطق الشطر الجنوبي من اليمن المحتل وفي مقدمة هذه المبررات الواهية الظروف الاقتصادية والجغرافية .

لقد كان التعليم في مناطق المحميات متخلفا بل ومتباينا من منطقة الى اخرى فهو في المحميات الغربية اكثر تخلفا وهو في المحميات الشرقية اكثر حظا مما هو عليه في المحميات الغربية .

١ ـ التعليم في المحميات الغربية :ـ

تعتبر المحميات الغربية أكثر مناطق الشطر

الجنوبي من اليمن تخلفا في التعليم في الفترة التي سبقت الاحتلال البريطاني للمنطقة وفي فترة وقوعها تحت الحماية البريطانية ولم تتوفر لنا أية مصادر تشير الى الاوضاع التعليمية في مناطق المحميات الغربية في فترة قبل الاحتلال كما ان المصادر التي تحدثت عن التعليم في المحميات الغربية تشير الى ان التعليم فيها كان متباينا .

ففي سلطنة لحج مثلا كان يوجد بها ٢٩ مدرسة ابتدائية للبنين والبنات ومدرستان متوسطتان في كل من الحوطة والوهط، كما وجدت ثانوية واحدة في الحوطة يدرس فيها مدرسون محليون وسودانيون وبعض المدرسين المصريين ، وفي المسيمير وجدت مدرستان ابتدائيتان ومدرسة اخرى في جول مدرم وثالثة في الملاح ورابعة في منطقة الراحة بالحرور كما بنيت مدرستان كل منها في فصلين في مديب وعقان (٣٤) .

ولا تتوفر معلومات عن عدد الطلاب الملتحقين في هذه المدارس ولا نوعية المناهج التي كانت تدرس في هذه المدارس وان كانت لاتخرج عن ماكان يدرس في مدارس مستعمرة عدن ، طالما وان السياسة التعليمية تخضع لاشراف ورقابة المعتمد البريطاني في المنطقة .

أما في منطقة الضالع فكان عدد المدارس الابتدائية ثلاثة عشرة مدرسة للبنين والبنات ومدرسة متوسطة فيها قسم داخلي لابناء ردفان وحالمين والشعار كما يدرس فيها طلبة من الشعيب والمفلحي وحجاف وحرير، كما كانت هناك مدرسة ابتدائية فيها قسم داخلي بطلبة من ردفان وزبيد والخوارج والشعاب. أما في الشعيب فقد وجدت فيها مدرسة ابتدائية واحدة ووجدت أربع مدارس في كل من قرية (القزعة) وقرية (الرباط) وقرية (المعنو) وقرية (نجال) الى جانب وجود قسم داخلي في العوابل ، كما بنيت مدرسة في حرير واخرى في بنى مسلم وثالثة في أرحب ورابعة في شكع وخامسة في حلة ، وفي بئر أحمد وجدت مدرسة ابتدائية واحدة . . (٣٥)

أما في أبين ، فقد كان عدد المدارس فيها ستا وثلاثين مدرسة ابتدائية للبنين والبنات الى جانب وجود مدرسة أهلية واحدة في زنجبار وفي جعار وجدت مدرسة متوسطة الى جانب عدد من المدارس الابتدائية في كل من باتيس والحصن ولودر ومدرستان ابتدائتان للبنات في جعار . (٣٦) .

وفي أحور كانت هناك اربع مدارس ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية واحدة للبنات بينما وجدت عشر مدارس ابتدائية للبنين وواحدة للبنات ومدرسة متوسطة فيها قسم داخلي في مودية . (٣٧) .

وفي شبوة وجدت خمس مدارس ابتدائية في نصاب و١٢ مدرسة إبتدائية في الصعيد ، الى جانب مدرسة متوسطة ، وفي ميفعة بنيت مدرسة متوسطة واحدة بها قسم داخلي كما شيد معهد ديني في حبان . (٣٨) .

أما بقية المناطق في المحميات الغربية فلم تتوفر لدينا حتى الآن أي معلومات تشير الى وضعية التعليم فيها وعما اذا كانت قد وجدت فيها مدارس أو أي شكل من أشكال التعليم ، على ان التخلف الرهيب الذي كانت تعيشه هذه المناطق يشير بدون شك الى انها قد جرمت من كل أنواع التعليم .

وقد يتبادر الى الذهن عند ملاحظة الاعداد الانفة الذكر ان هذه المدارس هي مدارس بكل ماتعنيه كلمة مدرسة وانها تمتلك كافة مقومات المدارس الحديثة الا ان الحقيقة غير ذلك تماما ، فالمدارس الانفة الذكر كانت عبارة عن مدارس صغيرة سميت مجازا بالمدارس وهي في الحقيقة عبارة عن كتاتيب (معلامات) متطورة نوعا ما تعلم القراءة والكتابة وبعض الدروس الاولية البسيطة وهذا ما وردت الاشارة اليه في ما كتبه قحطان الشعبي في كتابه الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن حين قال «كانت المدارس في المحميات صغيرة ، سميت تجاوزا بالمدارس وهي في الحقيقة عبارة عن كتاتيب لاتعلم غير القراءة والكتابة وبعض الدروس البسيطة من المواد الاولية .» .

لقد كان التعليم في المحميات الغربية متدنيا الى درجة كبيرة ولم تكن المدارس الا محاولة لإيهام الناس ان التعليم قد وصل الى مناطقهم بينما لايمكن تسميتها بالمدارس كما هو حال المدارس الحديثة وذلك لافتقارها لابسط ضروريات التعليم من تجهيزات وكتب ومعدات دراسية ومقاعد للدراسة كما لم تتوفر احصائيات واضحة عن عدد الطلاب الملتحقين في الدراسة في عموم مدارس المحميات الغربية بل وحتى كل محمية على حدة بالرغم مما ورد ذكره في كتاب الدكتور محمد عمر الحبشي في كتابه «اليمن الجنوبي اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا»

حول التعليم فهو يشير الى بعض الاحصائيات عن المدارس والطلاب الملتحقين في المحميات عام ١٩٦٢م ولكنه لايشير اذا ما كانت هذه الاحصائيات تخص المحميات الغربية وحدها ام المحميات الغربية والشرقية معا وعلى اية حال فانه ووفقا لما أورده الدكتور الحبشي في كتابه الانف الذكر فان عدد المدارس في عام ١٩٦٢م بلغت في المحميات (١٨٧) مدرسة يلتحق فيها ٦٥٠٠ تلميذ و٢٥٠٠ تلميذة وعدد المعلمين ٥٦١ معلما و٨١ معلمة، كما يشير إلى وجود مدرسة واحدة تقوم باعداد المعلمين للمحمية الغربية ولكن لايشير إلى موقعها.

أما التعليم الفني والمهني فلم يكن له اي وجود في عموم مناطق المحميات الغربية ونفس الحال ينطبق على التعليم العالي.

٢ ـ التعليم في المحميات الشرقية :ـ

تشتمل المحميات الشرقية على سلطنتي القعيطي والكثيري وهما اللتان يعرفان بحضرموت الى جانب سلطنة الواحدي، على انه لاتتوفر أية مصادر تتحدث عن حال التعليم في سلطنة الواحدي لذلك فإن حديثنا سوف يتركز على اوضاع التربية والتعليم في حضرموت (القعيطي والكثيري) فقط.

لقد كان التعليم في حضرموت متخلفا ومحدودا كما هو الحال في مناطق الشطر الجنوبي من اليمن وكانت المؤسسات التعليمية الاكثر انتشارا في فترة ماقبل الحماية البريطانية وبعدها هي الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وقليل من علوم الدين واللغة ولم يكن الناس يقبلون عليه كثيرا وبهذا الصدد يشير المؤرخ سعيد عوض باوزير فيقول (ان النشاط العلمي والاقبال على الدراسة والتعليم قد قل وضعف منذ القرن الثاني عشر الهجري، ومن ثم تضاءل لذلك الانتاج الفكري في النواحي الادبية والعلمية، واخذت العقول تتحجر على معلومات متناقلة محدودة تلقن للطلبة تلقينا آليا خاليا من الروح والحياة وكان الركود العلمي والجمود الفكري بين حملة العلم ورجال الدين سببا في انتشار الجهالة بين طبقات الامة. (٣٩).

ولعل السبب في التخلف الرهيب الذي عاشته مناطق حضرموت يعود لسيطرة الاقطاعيين وعلى قمتهم السلاطين الذين تعاقبوا على حكم حضرموت والذين لقوا الدعم والتشجيع من الاستعمار البريطاني الذي يرتبط بمصالح مشتركة معهم.

ولقد دفعت سوء الاوضاع الداخلية في حضرموت وافتقارها للمدارس بالهيئات الاجتماعية المختلفة الى تبني مطالب بنشر التعليم وتطويره ومساعدة المدارس الاهلية وايجاد التعليم الثانوي وارسال البعثات الدراسية للدراسة في الخارج. (٤٠)

لقد كان التعليم الأهلي في حضرموت أسبق في الظهور من التعليم الحكومي حيث يقسم المؤرخ محمد بن احمد بن عمر الشاطري مراحل التعليم الاهلي بحضرموت الى، الدور الاول وهو ماقبل الحرب العالمية الثانية، وهو ماشهد نهضة تعليمية أهلية شملت جميع مدن حضرموت وانتشرت فيه المؤسسات التعليمية المختلفة والمتمثلة بالكتاتيب والاربطة والمدارس.. حيث لعبت الاربطة ادوارا هامة في نشر العلم والمعرفة ليس في حضرموت وحدها ولكن تعدتها لتشمل اليمن عموما وبعض البلاد المجاورة والرباط هو مدرسة او كلية يدرس فيها الطالب ليل نهار ويتناول غالبا طعامه وشرابه فيها وعلى حسابها يدرس الطالب فيها العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، ومن أقدم الاربطة التي تأسست رباط العلامة علي بن محمد الحبشي بسيئون، يليه رباط تريم الشهير ـ بازهر حضرموت ـ سنة ١٣٠٤هـ يليله رباط غيل باوزير الذي انشأه العلامة محمد بن عمر بن سلم حوالي ١٣٢١هـ (٤١).

أما المدارس الاهلية فقدوجدت حوالي عشرين مدرسة أهلية غير الكتاتيب حيث أنتشرت هذه المدارس الاهلية في مناطق عدة من حضرموت ومن أقدم هذه المدارس وأشهرها مدرسة جمعية الحق بتريم والتي تأسست عام ١٣٤٦هـ وتولى نظارتها الاستاذ المرحوم محمد بن هاشم، ثم مدرسة جميعة الاخوة والمعاونة بتريم والتي أسست على الانظمة الحديثة وضمت مرحلتين التعليم الابتدائي للجنسين والمتوسط للبنين، كما ظهرت مدارس النهضة بسيئون، وفتحت مدارس وأشباه مدارس في مدن اخرى من حضرموت كشبام، والقطن وحريضة وجفل والهجرين وغيرها، ووجدت ايضا مدارس تسمى بالعيدروسية يمونها آل العيدروس من اندونيسيا ومدارس جمعية الفضائل ثم مدارس الكاف، ثم هناك مدرسة الفلاح بالمكلا التي يديرها

السيد الدباغ ومدرسة الشيخان بالمكلا ومدرسة مديحج بالشحر. (٤٢) .

كما أهتم التعليم الاهلي بحضرموت بتعليم البنت ورفع مستوى المرأة ولعل من أرقى المدارس التي قامت بهذا الدور مدرسة جمعية الاخوة والمعاونة بتريم التي عملت على تخريج بنات يقمن بتنظيم المنزل والتطريز والخياطة وتخرج منها كثير من البنات اللواتي أصبحن أمهات وربات بيوت في مستوى عالي، ولكن لم يكتب لها الاستمرار وتوقفت فيما بعد . (٤٣) .

أما الدور الثاني لتقسيم تاريخ التعليم الاهلي بحضرموت فيبدأ منذ قيام الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم ، وهنا يصاب التعليم الاهلي بالضعف والانكماش.. ويرجع ضعف التعليم الاهلي وإنكماشه الى عوامل عدة لكن أكثرها اقتصادية ، حيث اثرت الحرب على الحياة الاقتصادية في العالم وانعكس ذلك على الظروف الاقتصادية في حضرموت وعلى قدرة المواطنين على تمويل التعليم مما ادى الى ضعفه وإنكماشه . (٤٤)

أما التعليم الحكومي في حضرموت فإن اول مدرسة افتتحت كانت في عيل باوزير عام ١٩٤٤م كمدرسة متوسطة وقد أشار إلى ذلك المستشرق الانجليزي (سارجنت) حين قال: في السنوات الاولى من الحرب العالمية الثانية تقرر وجوب انشاء مدرسة وسطى حديثة في البلاد فاستدعى الخبير المستر (جويفتز) من السودان وكان وقتئذ مديرا لكلية بخت الرضاء واقترح (جويفتز) تأسيس تلك المدرسة في سيئون ولكن القبلية التي سادت في ذلك الوقت لم ترحب بالفكرة فتقرر انشاؤها في بلد قرب الشاطىء معروف باسم غيل باوزير . (٤٥) .

ومع تنامي الاحساس بأهمية التعليم الحديث تم انشاء ادارة للمعارف في سيئون وفتحت عدة مدارس ابتدائية حديثة حكومية ، كما تم عام ١٩٥٧م افتتاح اول مدرسة وسطى في سيئون . (٤٦) .

وفي حضرموت الساحل فان المدارس الحكومية كانت أكثر عددا مما هو عليه الحال في حضرموت الداخل وقد أشار الى ذلك الشيخ سيف بن علي البوعلي سكرتير الدولة القعيطية في تقرير له أشار الى ان عدد المدارس في السلطنة القعيطية عام ١٩٥٠م كانت (٢٩) مدرسة منها (٢٤) مدرسة ابتدائية للبنين وواحدة للبنات ومدرسة وسطى واحدة ومدرسة ثانوية صغرى ومدرسة لتخريج معلمين ثم معهد ديني واحد ، كما كان هناك (٣٩) طالبا مبعوثين للدراسة في الخارج ، أما عدد الطلاب الدارسين في هذه المدارس فيشير التقرير الى انهم كانوا عام ١٩٥٠م (٢٨٧٣) طالبا وعدد المدرسين (١٠٢) مدرسين . (٤٧) .

وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٥٠م وحتى عام ١٩٦٠م لم يشهد التعليم في حضرموت تطورا كبيرا عدا بناء عدد من المدارس الابتدائية افتتحت في فترات متقطعة الى جانب افتتاح مدرسة وسطى في المكلا عام ١٩٥٨م واخرى في الشحر عام ١٩٥٩م وثالثة في القطن عام ١٩٦٠م وبلغ عدد المدرسين حسب احصاء اجري نهاية عام ١٩٦٠م ب (١٤٢) مدرسا . (٤٨) .

في السنوات التي سبقت الاستقلال لم يطرأ أي تطور يذكر في مجال التربية والتعليم في حضرموت وظلت السياسة التعليمية الاستعمارية في المنطقة ملتزمة بما رسمته وهو ابقاء التعليم محدودا ومد التوسع فيه يجري بما يخدم مطالب واحتياجات مصالحها في المنطقة ، لذلك لم تشهد حضرموت اية مشاريع تعليمية جديدة سوى افتتاح مدرسة ثانوية للبنين في المكلا عام ١٩٦١/ ١٩٦٢م الى جانب افتتاح مدرستين ثانويتين في كل من سيئون والشحر لغرض توفير بعض المقاعد لخريجي المدارس المتوسطة . (٤٩)

وفي تقرير صادر من مصلحة معارف سيئون يشير الى أن عدد الطلاب في كل المراحل التعليمية بالمنطقة الكثيرية بلغ في العام الدراسي ٦٥/٦٦م أي قبل عام من الاستقلال بلغ (٣٨١٨) طالبا و(٦٠٦) طالبة وعدد المدرسين (١٢٧) مدرسا و(١٢) مدرسة . (٥٠)

أما الاحصاء التربوي الذي أصدرته مصلحة المعارف القعيطية للعام الدراسي ٦٥/٦٦م فإنه يشير الى ان عدد المدارس الابتدائية للبنات يدرس فيها (٢٢٤٠) طالبة و (١٠٧٥٩) طالبا .

والمدارس المتوسطة بلغت (١٥) مدرسة للبنين ومدرستين للبنات ويدرس في هذه المرحلة (٢٥٦٥) طالبا و (٢٢٣) طالبة . . أما المرحلة الثانوية فالاحصاء التربوي يشير الى وجود مدرسة ثانوية واحدة في المكلاء يدرس فيها (١٠٩) طلاب وعدد المدرسين فيها (١٣) مدرسا . . (٥١)

أمـا المناهـج الـدراسية المعتمـدة في مدارس حضرمـوت فقد كانت المناهج الدراسية في حضرموت تعتمـد على المنـاهج التعليمية في السودان وذلك تأثرا بالمدرسين السودانيين الذين كانوا يقومون بالتدريس في بعض مدارس حضرموت كما لعب دار المعلمين الذي انشىء في غيل باوزير مستفيدا من الخبرات السودانية وبـالـذات معهـد بخت الـرضـاء دورا في نشر المنهج الســوداني بل والـطرق التـدريسية المتبعـة فيه وكـان التدريس يتم باللغة العربية في جميع المواد بعكس ماكان موجودا في المستعمرة عدن والمحميات الغربية الذي كان يعتمد على النظام التعليمي الانجليزي ويطبق المناهج التعليمية . . وعلى أية حال فان الاعتماد على المناهج السودانية في حضرموت كان له تأثير في جعل مستوى التعليم افضل مما كان عليه في عدن والمحميات الغربية .

أمـا مناطق المهـرة وسقـطرة فإن المؤرخ صلاح البكري يشير الى ان الجهل كان متفشيا ولم يكن هناك اي وجـود لاي مظهـر من مظاهـر التعليم بل وحتى التجارة والصناعة حيث قال بهذا الصدد «ليس هناك أثر للتعليم فالجهل المركب يسودها » (٥٢) .

وقد ارجع سبب هذا التخلف الى وقوع البلاد تحت سيطرة سلطان مستبد يجهل حتى عود الكبريت في عصر الصواريخ حسب تعبيره، وسكان المهرة وسقطرة كما هو معـروف كانت لهم لغـة خاصة تذكرنا ببعض الخصـائص الصـورية التي نجدها في النقوش اليمنية القديمة في اللغة الحميرية ويعيش السكان على تربية الماشية وصيد الاسماك واستخراج الدهن منها بطريقة بدائية لطلاء السفن التجارية .

كان النـظام التعليمي في عموم مناطق الشطر الجنوبي من اليمن في ظل الوجود الاستعماري وهميا . وبالرغم من التوسع المحدود الذي طرأ عليه في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية والسنوات التي سبقت الاستقلال ، الا انه كان يعكس السياسة الاستعمارية ويرتكـز بدرجـة رئيسية على مبـدأ تهيئة الفرص لابناء اولئك الذين يضمن ولاءهم بحكم المصالح المشتركة بينـما توصـد المـدارس امام الغالبية العظمى من ابناء الـشعـب ، كما ان محتـوى التعليم لم يكن يستجيب لطموحات جماهير الشعب وانما يهدف الى تخريج كتبه ومــوظفــين تلبية لاحتياجــات الادارة الاستعــمارية والاقتصـادية الخـدماتية واجمالا يمكن ايجاز الاوضاع التربوية والتعليمية التي كانت سائدة في مناطق الشطر الجنوبي من اليمن قبل الاستقلال في التالي :-

١ - إتباع سياسة تجهيل واضحة تجلت بعدم الاعتراف بحق التعليم لجميع ابنـاء الشعب وهـذا ماوجـد له انعكـاسـا في نسبـة الامية التي كانت متفشية عشية الاستقلال والتي وصلت الى حوالي ٩٠٪ .

٢ - وجود تعدد في الانظمة التعليمية ، فهناك التعليم التقليدي المتمثل في الكتاتيب وهناك التعليم النظامي الذي بدوره يتفرع الى نظام يحاكي النظام السوداني في حضرمـوت ونظام يحاكي النظام التعليمي الانجليزي والذي وجد في المستعمرة عدن والمحميات الغربية ثم هنـاك النـظام الـذي يحاكي بعض النـظم التعليمية العربية في العراق ومصر والاردن والذي وجد في المدارس الاهلية بما عكس نفسـه على تشتت افكـار الـطلاب وافتقارهم للوحدة الفكرية .

٣ - خضوع التعليم قبل الاستقلال لنظام الاصطفاء الاجتماعي وهـو بذلـك كان تعليما للخاصـة وليس للجماهير وللمقتدرين دون الفقراء وللاولاد دون البنات الا القلة منهن، وظلت الغـالبية من ابنـاء العـمال والفلاحين واصحاب الحرف وابناء البدو الرحل محرومين من حق التعليم يسلكــون طريق ابـائهم في مهنهم وطريقة حياتهم وبالتالي اصبحت المدرسة حكرا لابناء الفئات البرجوازية والكمبرادور وكبار الموظفين وقلة قليلة من ابناء الطبقات الكادحة . .

«يتبع»

○○ الهوامش :-

١- سلطان أحمد عمر - نظرة في تطور المجتمع اليمني - دار الطليعة للطباعة والنشر ببروت فبراير ١٩٧٠م (ص ٧٥) .

٢ - نفس المصدر السابق ص ٥٧

٣ - سيف علي مقبل - ١٩ ينـاير البداية صحيفة ١٤ إكتوبر الصادرة في ١٩/١/٨٧م

٤ - نفس المصدر السابق

٥ - التقرير السياسي للقيادة العامة - المقدم للمؤتمر العام الخامس للجبهة القومية المنعقد في الفترة من (٢ - ٦ مارس ١٩٧٢م .

٦ ـ سلطان احمد عمر ـ نظرة في تطور المجتمع اليمني ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ فبراير ١٩٧٠م (ص ١٢١)
٧ ـ نفس المصدر السابق ص (١٥٦ ـ ١٦٢)
٨ ـ الدكتور محمد عمر الحبشي ـ اليمن الجنوبي ـ دار الطليعة بيروت عام ١٩٦٨ ص ١٣ ـ ١٤
٩ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٥ ـ ٢٦
١٠ ـ الميثاق الوطني للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ـ التقرير للمؤتمر الاول للجبهة في يونيو ١٩٦٥م
١١ ـ نفس المصدر السابق
١٢ ـ نفس المصدر السابق
١٣ ـ علوي عبدالله طاهر ـ التعليم في اليمن قبل الاستقلال مجلة دراسات الجزيرة والخليج ـ جامعة الكويت العدد ٣٨ ـ ابريل ١٩٨٤م .
١٤ ـ مجلة التربية ـ الصادرة عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم العدد ٧٤ نوفمبر ١٩٧٥م ص (١١٠ ـ ١١١)
١٥ ـ سلطان ناجي ـ الحالتان التعليمية والثقافية في عدن ـ مجلة الاكليل صنعاء ـ السنة الثانية العدد ٢١ ص ٩٦
١٦ ـ نفس المصدر السابق ص ٩٦
١٧ ـ نفس المصدر السابق ص ٩٩
١٨ ـ محمد علي لقمان ـ فتاة الجزيرة ـ العدد ٢٢٦ ـ الصادرة في عدن في ١٨ يونيو ١٩٤٤م
١٩ ـ نفس المصدر السابق العدد ٢٣٤ الصادرة في اغسطس ١٩٤٤.
٢٠ ـ علوي عبدالله طاهر ـ واقع التعليم في اليمن قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ـ مجلة الاكليل ـ صنعاء العدد (١) السنة الخامسة صيف ١٩٨٧م ص ١٧
٢١ ـ سلطان ناجي ـ دور الجمعيات الاصلاحية والنوادي في مجابهة السياسة التعليمية في عدن ـ مجلة التربية الجديدة ـ عدن ـ العدد ٢ ، ٣ السنة الثامنة سبتمبر/ ديسمبر ١٩٨٢م ص ١١
٢٢ ـ نفس المصدر السابق ص ١٢ ـ ١٣
٢٣ ـ مجلة التربية الجديدة عدن العدد ٢ر٣ السنة الاولى سبتمبر /ديسمبر ١٩٧٥م (ص ٨٢)
٢٤ ـ نفس المصدر السابق ص ٨٢
٢٥ ـ نفس المصدر السابق ص ٨٣
٢٦ ـ نفس المصدر السابق ص ٨٣
٢٧ ـ مجلة التربية الجديدة عدن ـ العدد ٢ ، ٣ سبتمبر / ديسمبر ١٩٨٢م (ص ١٠)
٢٨ ـ علوي عبدالله طاهر ـ التعليم في اليمن الديمقراطية قبل الاستقلال ـ مجلة دراسات الجزيرة والخليج ـ جامعة الكويت ـ العدد ٣٨ ابريل ١٩٨٤م ص ١٦٨
٢٩ ـ نفس المصدر السابق ص ١٦٩
٣٠ ـ نفس المصدر السابق ص ١٦٩
٣١ ـ مجلة التربية الجديدة / عدن العدد الرابع مارس ١٩٨٤م ص٢١
٣٢ ـ الدكتور محمد عمر الحبشي ـ اليمن الجنوبي ـ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ـ دار الطليعة ـ بيروت عام ١٩٦٨م ـ ص ٤١ ـ ٤٤
٣٣ ـ قحطان محمد الشعبي ـ الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن ـ ص ٧٠
٣٤ ـ علوي عبدالله طاهر ـالتعليم في اليمن قبل الاستقلال ـ مجلة دراسات الجزيرة والخليج ـ جامعة الكويت العدد (٣٩) ابريل ١٩٨٤م ص ١٦٨
٣٥ ـ عبدالرحمن جوجرة ـ ارضنا الطيبة ـ هذا الجنوب ص ٤٨
٣٦ ـ نفس المصدر السابق
٣٧ ـ نفس المصدر السابق
٣٨ ـ نفس المصدر السابق
٣٩ ـ سعيد عوض باوزير ـ الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ـ ص ١٦٣
٤٠ ـ علوي عبدالله طاهر مصدر سابق ص ١٦٩
٤١ ـ محمد بن احمد بن عمر الشاطري أدوار التاريخ الحضرمي ـ جزء (٢) مطبعة عالم المعرفة جـ ٥ عام ١٩٨٣ ص ٤٢١
٤٢ ـ نفس المصدر السابق ص ٤٢٢
٤٣ ـ نفس المصدر السابق ص ٤٢٤
٤٥ ـ علوي عبدالله طاهر ـ التعليم في اليمن الديمقراطية قبل الاستقلال ـ مصدر سابق
٤٦ ـ سعيد عوض باوزير ـ مصدر سابق ص ١٦٤
٤٧ ـ نفس المصدر السابق ص ١٣٢
٤٨ ـ نفس المصدر السابق ص ١١٢
٤٩ ـ مجلة التربية الجديدة / عدن ـ تطور التعليم العام ـ العدد ٢ ، ٣ سبتمبر / ديسمبر ١٩٧٥م
٥٠ ـ محمد بن احمد عمر الشاطري ـ ادوار التاريخ الحضرمي ـ مصدر سابق ص ٤٢٩
٥١ ـ نفس المصدر السابق ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢
٥٢ ـ صلاح البكري ـ اتحاد الجنوب العربي ـ ص (٦٢)